النشاط الصهيوني

خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

الهجرة - التسليح - النشاط الدبلوماسي

د. عبد الرحيم أحمد حسين

المؤسسة العربية للدراسات والنشر

المؤسسة العربية للدراسات والنشر
بناية برج الكارلتون - ساقية الجنزير - ت ١/ ٨٠٧٩٠٠
برقياً "موكيالي" بيروت - ص.ب: ١١/٥٤٦٠ بيروت
الطبعة الأولى ١٩٨٤

« هذا الكتاب »

هذا الكتاب مني وليس مني في وقت معا . لقد رافقت خطواته خطوة خطوة منذ الحرف الأول حتى الحرف الأخير . جادلت فيه ، ناقشت جوانبه . بلى ! لكني لا أدعي ان لي فيه كلمة او حرفا . انه الجهد الطيب الدؤوب العميق لصاحبه وانه الثمرة الطيبة ـ وما أقل الثمرات الطيبة ـ لليال من العمل موصولة المساء بالفجر ، وبحر من المصادر ضاع فيه الغائصون وذكاء لماح ينفذ الى الجوهر ويترك الاصداف للاحقين . .

من الحبر سيراق الكثير ومن الدماء الكثير الكثير في قضية فلسطين والصهيونية ومن حولها . انها جرحنا الابدي لكن الموضوع الذي يطرقه الكتاب قد يكون الى اليوم اخطر ما يتصل بالحركة الصهيونية من المواضيع . انه يتناول الفترة الانقلابية التي بدلت فيها الصهيونية الحصان . فاذا كانت منذ وجدت قبل قرن كامل قد اعتمدت على الدعم البريطاني فانها في فترة الحرب العالمية الثانية ، وبالذات في سنة ١٩٤٢ قد انتقلت الى الدعم الاميركي الذي ما انفك يزداد ويصل الى أوجه المدمر حتى الآن . . . قصة هذا الانقلاب هي موضوع الكتاب ومن أجل ان يكشف المؤلف دخائل هذه العملية المصيرية ليفضح اوجه النفاق فيها ، ليشير الى شبكات التآمر واللعب الدبلوماسي في جوانبها اختار الادهى والاقسى .اختار « من فمك ادينك يا اسرائيل »، فمعظم ما في الكتاب حديث صهيوني وأعمال صهيونية ومؤلفون من قبيل صهيون . . .

هكذا نقرأ ، بعد التقديم عن سياسة بريطانيا والاهداف الصهيونية قبل الحرب العالمية الثانية وعن الكتاب الابيض ونتائجه وعن المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين والتجمع الصهيوني في فلسطين عند اعلان الحرب ، ثم يكر الشريط فيستعرض المؤلف : ـ قضية الهجرة اثناء الحرب من جهة ، وتشكيل القوة العسكرية الصهيونية واللواء اليهودي من جهة اخرى ويفضح في الوقت نفسه التعاون النازي ـ الصهيوني ودور المنظمة الصهيونية في عمليات الابادة ومسؤوليتها وقضية كستنر وايخمان لينتقل الى العلاقة

الصهيونية السوفياتية الجديدة ثم العلاقة الامريكية الصهيونية الجديدة التي اضحت خطرا يهدد المصالح البريطانية وتنتهي بعد مؤتمر بلتيمور بربط المصير الصهيوني تدريجيا وان يكن نهائيا بالولايات المتحدة الامريكية . . . بعد ان طرحت الصهيونية نفسها اداة لتحقيق الامبريالية الامريكية الجديدة .

وهذا العرض الذي رسمت ليس اكثر من تخطيط للهيكل على الورق ، بقلم عريض عريض . . . وتبقى آلاف التفاصيل للقارىء ينبشها ويقف عندها الوقفة الطويلة . انها مستقاة من الوثائق الانكليزية والصهيونية والامريكية ، ومن عشرات الكتب الصهيونية والمذكرات التي تكشفها المصادر الكثيرة ، ويستطيع معها التفكير الطويل الطويل . . . ان القيادة الصهيونية كانت النموذج الاكمل للمكيافيلية السياسية . التزامها الوحيد انما كان بالوصول إلى « الدولة » على انقاض عرب فلسطين، ذلكم هو الهدف الاخير وكل ما عدا ذلك فانما يأخذ قيمته او يخسرها بالاسناد إلى هذا الهدف الاخير ! .

ولست أجيز لنفسي الوقوف في مقدمة الكتاب حائلاً دون الغوص فيه ، والغوص فيه متعة وان تكن مرة مؤلمة . ولكني لا استطيع مقاومة الاغراء في الاشارة إلى بعض جوانبه المضيئة . اقرأ ان شئت تحليل الهجرة اليهودية خلال الحرب ولعب تشرشل والاستخبارات البريطانية بها خلال الحرب وما سمي بالهجرة المشروعة وغير المشروعة . اقرأ ان شئت ايضاً عمليات تشكيل القوة العسكرية اليهودية ومدى « الخدمات » ؟ التي قدمها اليهود اثناء الحرب للحلفاء والتي لم تتعد / ٣٧٠ / فرداً بينما كانت خسائر الولايات المتحدة ٢٩٥ الف جندي وبريطانيا ٣٨٦ الفا والاتحاد السوفياتي ١٣,٦ مليوناً وألمانيا ٤,٢ مليونا . . . واقرأ ايضاً وايضاً : انهم لم ينتجوا في فلسطين سوى ٤٪ من اللحوم و ٣٪ من الخبز و ١,٥٪ من الزيتون إسهاماً منهم في المشكل التمويني أيام الحرب . . ! وأهم من هذا وذاك اقرأ على الهون والتأمل قصة « الابادة » المزعومة من اولها الى اخرها وتواطؤ المنظمة الصهيونية فيها ثم اغمض العينين وتفكر في هذه الاسطورة من أساطير القرن العشرين . كيف صيغت ؟ وكيف نشرت ؟ وكيف صارت حقيقة نفت الحقائق . . . انها وحدها كتاب . وحدها فضيحة . وحدها نموذج للعمل الصهيوني . . .

والكتاب كله بعد هذا جهد علمي كبير، قد نجد ان الذي ينقصه هو شيء واحد : الموقف العربي والعلاقة الصهيونية مع العرب، ولكن هذه العلاقة، في الواقع ، تمتد من أول الكتاب إلى آخره سدى ولحمة . إنها تنسجه ثم تعيد النسج وتعيد . . بلى ! لقد بحث الكتاب النشاط الصهيوني من وجهاته العالمية مع الالمان والروس والبريطانيين والامريكيين، لأن قضية فلسطين انما كانت مؤامرة « عالمية » دخل فيها الالمان والبريطانيون والامريكيون

والروس في وقت معاً ، القوى التي كانت تلعب لعبة الحرب وينظم بعضها في (يالطا) دنيا ما بعد الحرب . لكن العرب كانوا مع ذلك على كل صفحة ، عند كل حرف ، مع كل فاصلة . لأن صاحب الكتاب كان يناقش من وجهة النظر العربية القومية . بجانب وجهة التحليل المنهجي والتعليل والتركيب . وكان يصطنع مختلف الاساليب للوصول إلى الحقيقة بجانب اصطناع العقل والمنطق . . ان الكتاب بهذا الشكل « محاكمة » موضوعة لمختلف القوى التي صنعت من الصهيونية في فترة حاسمة من التاريخ « قوة خاصة » في فلسطين للتدمير والتوسع . . . انها قصة لحظات الخلق والايدي القذرة التي ساهمت فيه ! .

يبقى بعد هذا امران : ـ

اولهما : .

أن أضيف الى ميزات هذا البحث ميزة لا بد من ذكرها . ان فيه لمسات ايد كريمة اعانت عليه مشكورة ورعته احتضانا ودعماً . انها ايدي الدكتورين / صلاح العقاد ومحمد انيس فلهما في الكتاب دين واجب الأداء .

الثاني : ـ

بعد هذا ، ان أنسحب وأن اترك باب الصفحات مفتوحا لمن « ألقى السمع وهو شهيد . . » .

وهل بقي لنا الا السمع والشهادة ؟ .

د . شاكر مصطفى

تقديم

منذ أن أعلنت بريطانيا تصريح بلفور الشهير في ١٩١٧/١١/٢ - واعقبته باحتلالها فلسطين عسكريا ومارست حكمها عليها بعد انتهاء الحرب بموجب فرض الانتداب الذي أقرته عصبة الأمم في عام ١٩٢٢ - ظهرت مشكلة فلسطين الى الوجود بأبعادها المحلية والعربية والدولية وهي مشكلة تميزت بخصائص معينة دون سواها من المشاكل السياسية الأخرى :

١ - دفاع الشعب العربي الفلسطيني منذ ذلك التاريخ وحتى اليوم عن وجوده ومحاولته درء الابادة المادية والمعنوية عنه ، ومحاولاته في نيل الحرية والاستقلال .

٢ - عمل الحركة الصهيونية الدؤوب منذ نشأتها رسميا سنة ١٨٩٧ على التقليل من شأن الشعب الفلسطيني خاصة والشعب العربي عامة ، ونكرانها لوجوده في بعض مراحل عملها السياسي تارة ووصفه بالمتأخرين والغزاة المخربين تارة أخرى في محاولة منها لتبرير مطلبها السياسي ومحاولاتها اجبار هذا الشعب على ترك وطنه بالمناورة السياسية مرة وبالقتل والارهاب مرات اخرى لتعلن كيانا صهيونيا على انقاضه .

٣ - طمع القوى العالمية الكبرى في السيطرة على فلسطين نظرا لموقعها الاستراتيجي في وسط الوطن العربي بين ثلاث قارات ونظرا للمصالح الاقتصادية والتجارية لهذه القوى والتي جعلتها تبرر استغلال الشعب العربي سكانا وأرضا،وتصادر حرياته من أجل دوام الحفاظ على هذه المصالح .

٤ - مركز فلسطين الديني ووجود أشهر الأماكن المقدسة بها مما جعل الدول الكبرى في كثير من الأحيان تتخذ من هذه الأماكن وسائل لتغطية أهدافها الاستعمارية ، ومما جعل فلسطين في بؤرة الشعور لمعظم سكان الكرة الأرضية .

٥ - ادراك الشعب العربي الطموحات الاستيطانية التوسعية الصهيونية والتي اقترنت

بكل مفاهيم الاستعمار الغربي عندما جاء الصهيونيون يحملون بذور العداء معهم للشعب الفلسطيني ومعلنين صراحة استنادا الى مقولات دينية فسروها على هواهم حقهم دون غيرهم في فلسطين وان منطقة احلامهم تمتد من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات ، مما جعل الشعب العربي يعيش القضية لا كمشكلة تهدد الشعب الفلسطيني وحده ولكنها تهدد مصير الشعب العربي بأكمله .

٦ ـ استطاعت الحركة الصهيونية ان تطرح نفسها أداة يمكن للقوى الاستعمارية الكبرى الاعتماد عليها في الحفاظ على مصالحها في المنطقة والحد من تطلعات شعبها الى الخلاص من السيطرة الاستعمارية ، لذا فان الحركة منذ بدايتها ارتبطت بأقوى العلاقات مع القوى الامبريالية التقليدية مما أكد للشعب العربي خطورة وجودها وتأثيره على مستقبل أجيال هذا الشعب وتطلعات أبنائه .

وفي هذا البحث سنعالج فترة محدودة من تاريخ المشكلة الفلسطينية وبالتحديد ما بين ١٩٣٩/٥/١٧ و١٩٤٥/١١/١٣ أي ما بين اعلان بريطانيا عن سياسة الكتاب الأبيض سنة ١٩٣٩ وبين بيان وزير الخارجية البريطاني بيفن الذي أعلن فيه موقفا جديدا من القضية الفلسطينية ، كما سنعالج جانبا واحدا في هذه الفترة وهو النشاط الصهيوني فيما يخص الهجرة ، تشكيل القوة اليهودية ، المطالبة باعلان الدولة اليهودية ، ولم نشأ ان نمضي بالبحث الى أبعد من ذلك لاعتبارات معينة أهمها :

١ ـ ان الدراسة الاكاديمية تقتصر على فترة محددة ذات معالم واضحة سواء في تحديد البداية ام النهاية وهذا ينطبق على فترة الحرب التي تعد مرحلة رئيسية في تاريخ الحركة الصهيونية .

٢ ـ شهدت نهاية الحرب العالمية الثانية تبدلا واضحا في ميزان القوى العالمية كما شهد العالم ميلاد منظمة الأمم المتحدة التي تطلعت اليها الشعوب كهيئة تحقق الآمال في الحرية وتقرير المصير .

٣ ـ اصبح الموقف البريطاني بعد بيان بيفن في نوفمبر ١٩٤٥ مغايرا تماما للفترة التي سبقت هذا التاريخ ، وبعد أن كانت الحركة الصهيونية رمزا من رموز الحفاظ على مصالح بريطانيا اصبحت خطرا يهدد هذه المصالح وعلى الأخص عندما وضعت هذه الحركة يدها في يد الاميركيين الذين اعلنوا بعد الحرب عن سياسة مغايرة لسياستهم قبلها ، وأصبحوا يتدخلون تدخلا مباشرا في المنطقة مستهدفين تعزيز مركزهم على حساب بريطانيا .

٤ ـ اصبح التنبه العربي نحو فلسطين شديدا ولم تعد القضية تشكل مركز انتباه الساسة بل أصبحت تعيش مع الانسان العادي من المحيط الى الخليج مما زاد من مسؤولية السياسيين العرب وجعلهم يفكرون في وضع بات يشكل خطرا مباشرا وتهديدا دائما لشعبهم .

لقد قصدنا بالنشاط كل عمل معنوي او مادي قامت به قيادة المنظمة الصهيونية العالمية أو قيادة الوكالة اليهودية في القدس من اجل تحقيق الأهداف الصهيونية التي حددتها تلك القيادات في فترة الحرب وهي : الهجرة وتأسيس الجيش اليهودي والمطالبة بالدولة اليهودية . فقد حاولنا في هذه الدراسة تتبع هذا النشاط الذي عمل على أكثر من مسرح ولكنه جعل نهاية كل هدف له في فلسطين ، كما قصدنا « بالصهيوني » كل دعم مادي ومعنوي للحركة التي أسسها ثيودور هرزل عام ١٨٩٦ م وأطلقت على نفسها اسم الحركة الصهيونية ، وهو اصطلاح استخدمه ناثان برنبوم عام ١٨٩٠م نسبة الى جبل صهيون جنوب غرب مدينة القدس القديمة وهي في الأصل كلمة يبوسيه (كنعانية) تعني الحكمة « اطلقت على معقل يبوسي في القدس واستخدمه انبياء العبران للدلالة على مدينة القدس ككل » واصبحت اسم حركة هرزل منذ ١٨٩٦ م ، الا انها بعد عام ١٩٤٨ أصبحت تعني كل دعم مادي ومعنوي لدولة « اسرائيل » .

ومهدنا للبحث بفصل مستقل عرضنا فيه الاستراتيجية البريطانية في المنطقة العربية عامة وفلسطين خاصة مع ظهور احتمالات الحرب العالمية الثانية ، كما شرحنا فيه الاهداف الصهيونية أثناء مفاوضاتها في مؤتمر سان جيمس بلندن سنة ١٩٣٩ وواقعهاالذي استندت اليه في فلسطين وأخيرا الموقف الصهيوني بعد اعلان الحرب العالمية الثانية مباشرة .

وعند الحديث عن الهجرة اليهودية لم نشأ الخوض في تفصيل الاحصاءات والارقام ولم نلجأ اليها الا كمستند ندعم فيه مقولة أو رأيا ، وركزنا في هذا الفصل على سياسة الصهيونية نحو الهجرة وأجبنا عن تساؤ ل مفاده هل صحيح ان بريطانيا وقفت في وجه الهجرة اليهودية الى فلسطين ؟ كما شرحنا اهداف الهجرة اليهودية التي اسماها البريطانيون « لا شرعية » تمييزا لها عن الهجرة التي سمح بها هؤلاء ووسائلها وخلصنا في نهاية الفصل الى اتخاذ نموذج من نماذج الهجرة «اللاشرعية» ممثلا في حادثة إغراق السفينة «باتريا» سنة ١٩٤٠ وبينا ملابسات حدوثه والهدف منه .

وفي الفصل الثالث تتبعنا النشاط العسكري الصهيوني منذ اعلان الحرب التي رآها الصهيونيون فرصة لتكوين جيش يهودي حتى تم تشكيل هذا الجيش في عام ١٩٤٤م .

وقسمنا هذا النشاط الى مراحل :

١) مرحلة تشكيل قوات البفس، ٢) تشكيل الفيلق اليهودي، ٣) اعلان تشكيل اللواء اليهودي، كما ناقشنا الظروف التي انتهزتها القيادة الصهيونية وطالبت فيها بتشكيل قواتها الخاصة، والمواقف الحرجة التي تعرضت لها القيادة الصهيونية عندما أشاح اليهود بوجههم عن التجنيد .

وفي نهاية الفصل ناقشنا المقولة الصهيونية التي تردد دائما والتي كانت وراء القصد من المطالبة بتشكيل القوة اليهودية العسكرية الخاصة ، وتتلخص هذه المقولة في دور الصهيونيين الايجابي ومشاركتهم الفعالة في الحرب الى جانب الحلفاء على عكس دور الأمة العربية الذي كان سلبيا ولم يقدم للحلفاء شيئا واثبتنا عجز هذه المقولة عن الصمود امام الحقائق .

ثم انتقلنا الى النشاط الدبلوماسي الصهيوني اثناء الحرب وقسمناه الى اربعة فصول متتالية تحمل الارقام ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ وتحدث الفصل الرابع عن العلاقات النازية الصهيونية وتعرض لحادث الابادة وأجاب عن تساؤلات محددة هي : متى بدأت الابادة ؟ كم عدد اليهود الذين أبيدوا ؟ دور القيادة الصهيونية في الانقاذ ؟ لماذا استسلم اليهود لقدرهم ، وأخيرا تحدث عن محاكمة كل من كستنر وايخمان كدليل على شبهة العلاقة بين النازية والصهيونية واستمرارها اثناء الحرب على حساب اليهود .

أما الفصل الخامس فقد تحدث عن النشاط الدبلوماسي مع حكومة الاتحاد السوفياتي وما حققه هذا النشاط عندما أوجد قنوات اتصال محدودة لم تعط ثمارها لصالح الصهيونية حتى نهاية الحرب .

وفي الفصل السادس اوجزنا النشاط الدبلوماسي الصهيوني البريطاني مع تتبع موقف كل من الطرفين خلال سني الحرب ، وكيف بقي تشرشل ملتزما بتحقيق « الدولة اليهودية » عن طريق التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل البريطانية سنة ١٩٣٧ حتى قبيل فشله في الانتخابات عام ١٩٤٥ .

وقد أشرنا الى محاولات الصهيونية في تحقيق هدفها بدعم عربي وكيف فشلت في ذلك .

وفي الفصل السابع عرضنا النشاط الدبلوماسي الصهيوني الاميركي وأظهرنا تغير المطالب الصهيونية السياسية اثناء الحرب حسب الظروف ، واختلاف هذه المطالب من عام

لآخر ، كما شرحنا موقف الرئيس روزفلت الاميركي حتى وفاته في ابريل ١٩٤٥ من المطالب الصهيونية ، ثم بينا تغير موقف الرئيس الاميركي ترومان . وقد رأينا مناقشة المقولة السائدة حول أثر الاصوات اليهودية في انتخاب الرئيس الاميركي لما لها من أهمية في نظرنا .

وانهينا البحث بخاتمة ناقشنا فيها الدعاوى الصهيونية ضد العرب كما اوجزنا الاساليب التي استخدمها الصهيونيون لتحقيق هدفهم بعد عام ١٩٤٥ .

لقد تعددت المدارس التاريخية ومناهجها ، واتخذ كل باحث منهجا تاريخيا في بحثه وتراوحت هذه المناهج بين المادية والروحية الى السرد التاريخي والتحليل . وفي هذه الاطروحة فرض المنهج نفسه على البحث ، فقد استخدم فيه اكثر من منهج تاريخي .

ولما كان النشاط مرتبطا بالبشر المتمثل هنا في قيادة المنظمة الصهيونية فان منهج السرد التاريخي كان لازما لا غنى عنه في هذا المجال .

وعندما كانت الظروف الاقتصادية تسيطر على صنع الحدث كان التفسير المادي ضروريا اذ لا يستطيع الانسان الانفصال عن حاجاته المادية . وفي كثير من الاحداث كان المنهج التحليلي لازما لفهم الحدث لذا فانه كان ضرورة لا مجال للابتعاد عنها .

وفي اكثر من مرة استخدم المنهج « البنوي » في الكتابة اذ ظهر اكثر من عامل واكثر من سبب ادى الى حدوثه وكان من الواجب ذكر هذه العوامل كما رأيناها .

لقد غلب التفكير البراجماتي على القيادة الصهيونية وهو تفكير يتعامل مع المنفعة العائدة من صنع الحدث ، لذا فان موقف القيادة الصهيونية لم يلتزم الا بشيء واحد وهو تحقيق هدفها، ولم يأبه للالتفات أو الالتزام باي تصريح او موقف رآه في أي لحظة لا يخدم المصلحة ومن هنا لعبت القيادة الصهيونية أدواراً متناقضة في نشاطها الدبلوماسي بالذات وسارت وراء احتمالات المنفعة ولم تتخذ نهجا مبدئيا في تفكيرها غير التخلص من الشعب العربي في فلسطين وتأسيس الدولة اليهودية على انقاضه .

اعتمدت في البحث على مصادر متعددة نوجزها فيما يلي :

(أ) الوثائق :

أولا : اوراق فلسطين في وزارة الخارجية الاميركية من ١٩٣٩ - ١٩٤٥ وقد حصلنا عليها جميعا من مصدرها الاصلي .

ثانيا : وثائق السجلات البريطانية Public Record Office في الفترة نفسها وقد استخدم في

البحث ما ناسبه من هذه الوثائق .

ثالثا : تقارير الوكالة اليهودية في عام ١٩٤٠ ، وفي عام ١٩٤٣ عن مجمل نشاطها .

رابعا : ورقة عمل مقدمة الى المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين سنة ١٩٣٩ .

خامسا : ما نشر في نشرة فلسطين Palestine عن المؤتمر الصهيوني سنة ١٩٣٩ م .

(ب) المصادر :

اعتمد البحث على ثلاثة أنواع من المصادر وهي :

١ ـ المصادر التي ناقشت النشاط الصهيوني مباشرة على ارض فلسطين في فترة البحث او السياسات الصهيونية والبريطانية والنازية نحوها .

٢ ـ المصادر التي ناقشت تاريخ منطقة الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية .

٣ ـ المصادر التي ناقشت تاريخ الحرب العالمية الثانية والعلاقات الدولية في أثنائها .

(جـ) الدوريات والموسوعات :

اعتمدت في البحث على الرجوع الى بعض الدوريات المتخصصة والتي أمكنني الحصول عليها سواء في اللغة العربية أو اللغات الأجنبية وكانت في معظمها دوريات اجنبية يقوم بالكتابة فيها اناس متخصصون في دراساتهم وحققت شهرة في مجال تخصصها واتصفت في معظم الأحوال بالموضوعية والاستناد الى الوثائق .

وعند التعريف بالشخصيات والأماكن اعتمدت على دوائر المعارف وبالذات «دائرة معارف الصهيونية واسرائيل» وكتاب «من هو» في التاريخ اليهودي ، و«موسوعة السياسة» باللغة العربية كما اعتمدت «المعجم العسكري» الذي صدر في دمشق عام ١٩٦١ مصدراً لترجمة المصطلحات الانجليزية العسكرية الى اللغة العربية .

أرجو أن أكون قد وفقت في تقديم بحثي ، واذا ما حقق هذا البحث نجاحا فان مرده لأولئك الذين لم يبخلوا علي في التوجيه والنصح او الحصول على المصادر اذكر منهم أستاذي الدكتور صلاح العقاد الذي تحمل عبء الاشراف على البحث وكان صاحب فكرته ، كما أشرف أولا بأول على كتابته وقام بالتصويب والارشاد بالاضافة الى توجيهه لي الى كثير من المصادر والوثائق .

والاستاذ الدكتور شاكر مصطفى أستاذ التاريخ بجامعة الكويت ، والاستاذ الدكتور

وليد الخالدي على تفضلها بالاجابة عن بعض ما خفي من مواقف ومعاونتي في الحصول على بعض المصادر .

كما أذكر السيد خالد الحسن على تفضله بمنحي الفرصة للاستفادة من كتب مكتبته الخاصة ومساعدتي في الحصول على بعض الكتب غير المنشورة والوثائق ، والسيد محمود عباس على ارساله لي بعض المصادر التي أفادتني في البحث والسيدين صدقي خطاب وسليم سالم على ما قدماه من مصادر . أما الدكتور علي حجاج والسيد احمد عقل فلهما شكري الوافر لمساعدتهما لي في تصوير الوثائق والكتب التي طلبتها منهما في كل من بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية ، وأخيرا اذكر الآنسة عالية المشاري على ترجمتها ما طلبته منها من اللغة الفرنسية الى اللغة العربية . والسيد ابراهيم عبد الفتاح الخطيب على مساعدته الطيبة .

واذا ما بدا أي تقصير فمرده لي ، ولكن عذري انني أعطيت البحث ما وسعني العطاء ، ولا أشعر أنني ضيعت فرصة كان يمكنني الحصول عليها الا ان الكمال يظل شيئا بعيد المنال مهما جد السعي اليه .

وأخيرا فانني أعترف بأن كتابتي لهذا البحث جاءت على حساب أسرة وفرت لي الهدوء وأعطتني من حقوقها الكثير ، كما كان على حساب شريكة في الحياة تحملت مسؤوليتها بصمت فلها مني العرفان والاحساس بالجميل .

والله الموفق .

الفصل الأول

سياسة بريطانيا والأهداف الصهيونية قبيل الحرب العالمية الثانية

الأهداف البريطانية :

قد لانخطىء اذا ذهبنا مع القائلين بأن أهداف بريطانيا من منطقة الشرق الأوسط على مدى مائة وخمسين عاما كانت تتلخص في :

١ ـ تأمين المواصلات البريطانية الى الهند والشرق الأقصى .
٢ ـ ابعاد أية قوة كبرى عن هذه المنطقة وجعلها مجالا بريطانيا بحتا .
٣ ـ منع ظهور أي قوة كبيرة محلية وضربها اذا ما ظهرت .

وأضيف اليها :

١) الحرص البريطاني على استمرار الملاحة في قناة السويس بعد فتحها في عام ١٨٦٩ انطلاقا من حرصها على تأمين المواصلات الى الهند والشرق الأقصى .

٢) تأمين الامداد النفطي والحصول على أكبر قدر من الأرباح منذ اكتشافه في أوائل القرن العشرين بدءاً بايران والعراق وانتهاء بالمملكة العربية السعودية ، ودولة الامارات العربية المتحدة ، وقطر والكويت والبحرين .

وقد وافق تأمين هذه الأهداف رغبة بريطانية في استقرار المنطقة اما بالتعاون مع أهلها إن أمكن ذلك أو اخضاعهم وجعلهم عاجزين عن مقاومة وجودها ، بالقوة احيانا وبوسائل غيرها أحيانا أخرى وذلك حسب الظروف التي تواجه بريطانيا في المنطقة .

الا ان هذه الأهداف البريطانية أصبحت عرضة للخطر اثناء الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ عندما قامت ايطاليا مع المانيا بحشد قواتها في ليبيا وهاجمتا القوات البريطانية ودحرتها الى منطقة العلمين في الصحراء الغربية المصرية في الفترة الأولى من الحرب (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) ، مما نتج عنه ذعر بين صفوف البريطانيين ، اذ أصبحت قناة

السويس ومعها عظمة الامبراطورية البريطانية مهددتين بالخطر ، وإجبار لهم على وضع الخطط للدفاع عن مصر وفلسطين في محاولة منهم لتأجيل سقوط الامبراطورية نهائيا اذا ما استمر التقهقر أمام قوات المحور .

ولكن بريطانيا لظروف لسنا بصدد بحثها لانها من مهمات مؤرخي الحرب العالمية الثانية ـ استطاعت ان تسجل انتصارها على قوات المحور فيما اطلق عليه « معركة العلمين » ووالت تتبع الجيوش الالمانية والبريطانية ودحرها الى ان اضطرت هذه القوات للتسليم النهائي في مايو ١٩٤٣ في تونس .

ومنذ انتصار بريطانيا في العلمين (نوفمبر ١٩٤٢) حق لها الادعاء بالسيطرة على المشرق العربي عسكريا وعلى الاخص بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضدها وعودة عبد الاله وصيا على العرش العراقي ونوري السعيد ، رئيسا للوزراء ، وبعد أن استسلمت قوات حكومة فيشي الفرنسية الموالية للمحور في كل من سوريا ولبنان للقوات البريطانية .

وكما سيطرت بريطانيا عسكريا استطاعت ان تسيطر اقتصاديا عندما انشأت مركز امداد الشرق الأوسط Middle East Supply Centre بمساعدة ومشاركة اميركيتين في عام ١٩٤١ وأصبحت تتحكم من خلال ذلك المركز في الانتاج والاستيراد والتصدير في المنطقة الا اننا يجب ان نقرر أن بريطانيا لم يكن باستطاعتها تأمين هذه السيطرة لولا التركيز الكامل لقواتها العسكرية في مواجهة المحور ، ولولا الاعتماد على جبهة داخلية هادئة لا تشاغل قواتها،متعاونة معها احيانا وحيادية احيانا اخرى طوال فترة الحرب .

مقدمات الحرب العالمية الثانية :

لم تحدث الحرب العالمية الثانية فجأة ولكن كان لها مقدماتها وأسبابها. فقد بدأت مقدمات هذه الحرب في الظهور مع تسلم النازيين بقيادة هتلر الحكم في المانيا سنة ١٩٣٣ ومع قيام الحرب الأهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ ، ومحاولة هتلر احتلال المنطقة المجردة من السلاح من الراين في عام ١٩٣٦ ايضا ، الا ان هتلر في نظرنا التزم جانب الحذر والترقب هو وقادته العسكريون اذ كان الخوف من قيام حرب تؤول بهم وبشعبهم الى ما آلت بهم الحرب الكونية الأولى ما زال في اذهانهم . ويمكننا ملاحظة هذا الحذر عند انصياع هتلر لقادته العسكريين والاكتفاء بارسال قوات رمزية الى منطقة الراين كما يمكننا ملاحظته في الحد من مساعدة هتلر لفرانكو قائد الحرب الأهلية في اسبانيا .

ووافق حذر هتلر لين بريطاني مما جعله يعتقد في النهاية ان حكومة بريطانيا لا تميل الى

مواجهة عسكرية في حال اقدامه على تحقيق هدف من أهدافه ،ونستند في هذا الرأي الى ما توافر لدينا من معلومات حوله . ففي عام١٩٣٧قرر رؤساء الاركان البريطانيون بشأن تقدير الوضع العسكري العام في المشرق العربي ما يلي :

« في حالة صراع عالمي ينتقل الاسطول البريطاني الى الشرق الأقصى ويحتفظ الأسطول الفرنسي بالقيادة في البحر الابيض المتوسط ويقوم في الوقت نفسه بمنع وصول الامداد الى ايطاليا ، بينما تحافظ بريطانيا على مواقعها في غرب السويس » .(١)

وضغطت وزارة الخارجية البريطانية التي كان يرأسها انطوني ايدن في الوقت نفسه من اجل تقوية مصر ضد احتمالات الغزو الايطالي لها .

وعندما عرض تقرير رؤساء الاركان على مجلس الوزراء البريطاني قرر هذا المجلس بتاريخ ١٩٣٧/١١/٢٠ م ان العلاقات مع ايطاليا لم تتدهور الى الحد الذي يلزم بعدم مخالفة ما جاء في قرار رؤساء الأركان(٢) . وفي تقديرنا كان اعتماد مجلس الوزراء البريطاني في قراره السابق على الانطباعات التي عاد بها هاليفكس المسؤول البريطاني أثر زيارته لهتلر في نوفمبر ١٩٣٧ م وعلى ما يسمى بمذكرة هوسباش المنسوبة الى هتلر والتي أوضح فيها تطلعه الى المزيد من المجال الحيوي الزراعي ليواجه به مشكلة تزايد السكان في المانيا وذلك عن طريق السيطرة الالمانية على بعض المناطق الزراعية ـ القليلة السكان ـ في اوروبا ، ويرى ليدل هارت ان الوثائق الالمانية كشفت التشجيع البريطاني لهدف هتلر(٣) ويؤكد هارت هذا التشجيع ثانية من خلال ما اعلنه السفير البريطاني لهتلر في فبراير ١٩٣٨ اثر استقالة ايدن من الخارجية في الشهر نفسه وتولي هاليفكس لها ـ عن تعاطف بريطانيا مع المانيا حول رغبة الأخيرة في اجراء تغييرات اوروبية لصالحها وعندما رفضت بريطانيا اقتراحات سوفيتية بعقد اجتماع يبحث فيه التقدم الألماني في النمسا(٤).

رغم الموقف البريطاني السابق ـ والذي قصد به في رأينا اشعال الصراع بين الاتحاد السوفياتي والمانيا وابقاء القوة البريطانية على حالها ، مع الحفاظ على حالة السلام والهدوء لدى الشعب البريطاني ـ فقد ظل المفكرون الاستراتيجيون البريطانيون على حالة من التنبه لما يجري حولهم وقاموا باعداد الخطط لمواجهة احتمالات المستقبل وعلى الاخص فيما يتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط ، وفي اوائل عام ١٩٣٨ دار التكتيك الاستراتيجي لهؤلاء في منطقة المتوسط حول محورين : الاول توفير القوة العسكرية الاحتياطية الشرق اوسطية

(١) (٢) Michael Cohen , Palestine Retreat from the mandate , 1936 - 1945 , Paul Elek , London , (Ph . D .) P . 3.

(٣) (٤) Liddle Hurt's, History of the second world war Cassell , London , 1970 , PP . 7 - 8 .

السويس ومعها عظمة الامبراطورية البريطانية مهددتين بالخطر ، وإجبار لهم على وضع الخطط للدفاع عن مصر وفلسطين في محاولة منهم لتأجيل سقوط الامبراطورية نهائيا اذا ما استمر التقهقر أمام قوات المحور .

ولكن بريطانيا لظروف لسنا بصدد بحثها لانها من مهمات مؤرخي الحرب العالمية الثانية ـ استطاعت ان تسجل انتصارها على قوات المحور فيما اطلق عليه « معركة العلمين » ووالت تتبع الجيوش الالمانية والبريطانية ودحرها الى ان اضطرت هذه القوات للتسليم النهائي في مايو ١٩٤٣ في تونس .

ومنذ انتصار بريطانيا في العلمين (نوفمبر ١٩٤٢) حق لها الادعاء بالسيطرة على المشرق العربي عسكريا وعلى الاخص بعد فشل حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق ضدها وعودة عبد الاله وصيا على العرش العراقي ونوري السعيد ، رئيسا للوزراء ، وبعد أن استسلمت قوات حكومة فيشي الفرنسية الموالية للمحور في كل من سوريا ولبنان للقوات البريطانية .

وكما سيطرت بريطانيا عسكريا استطاعت ان تسيطر اقتصاديا عندما انشأت مركز امداد الشرق الأوسط Middle East Supply Centre بمساعدة ومشاركة اميركيتين في عام ١٩٤١ وأصبحت تتحكم من خلال ذلك المركز في الانتاج والاستيراد والتصدير في المنطقة الا اننا يجب ان نقرر أن بريطانيا لم يكن باستطاعتها تأمين هذه السيطرة لولا التركيز الكامل لقواتها العسكرية في مواجهة المحور ، ولولا الاعتماد على جبهة داخلية هادئة لا تشاغل قواتها ،متعاونة معها احيانا وحيادية احيانا اخرى طوال فترة الحرب .

مقدمات الحرب العالمية الثانية :

لم تحدث الحرب العالمية الثانية فجأة ولكن كان لها مقدماتها وأسبابها . فقد بدأت مقدمات هذه الحرب في الظهور مع تسلم النازيين بقيادة هتلر الحكم في المانيا سنة ١٩٣٣ ومع قيام الحرب الأهلية في اسبانيا عام ١٩٣٦ ، ومحاولة هتلر احتلال المنطقة المجردة من السلاح من الراين في عام ١٩٣٦ ايضا ، الا ان هتلر في نظرنا التزم جانب الحذر والترقب هو وقادته العسكريون اذ كان الخوف من قيام حرب تؤول بهم وبشعبهم الى ما آلت بهم الحرب الكونية الأولى ما زال في اذهانهم . ويمكننا ملاحظة هذا الحذر عند انصياع هتلر لقادته العسكريين والاكتفاء بارسال قوات رمزية الى منطقة الراين كما يمكننا ملاحظته في الحد من مساعدة هتلر لفرانكو قائد الحرب الأهلية في اسبانيا .

ووافق حذر هتلر لين بريطاني مما جعله يعتقد في النهاية ان حكومة بريطانيا لا تميل الى

مواجهة عسكرية في حال اقدامه على تحقيق هدف من أهدافه ،ونستند في هذا الرأي الى ما توافر لدينا من معلومات حوله . ففي عام١٩٣٧قرر رؤ ساء الاركان البريطانيون بشأن تقدير الوضع العسكري العام في المشرق العربي ما يلي :

« في حالة صراع عالمي ينتقل الاسطول البريطاني الى الشرق الأقصى ويحتفظ الأسطول الفرنسي بالقيادة في البحر الابيض المتوسط ويقوم في الوقت نفسه بمنع وصول الامداد الى ايطاليا ، بينما تحافظ بريطانيا على مواقعها في غرب السويس » .[1]

وضغطت وزارة الخارجية البريطانية التي كان يرأسها انطوني ايدن في الوقت نفسه من اجل تقوية مصر ضد احتمالات الغزو الايطالي لها .

وعندما عرض تقرير رؤ ساء الاركان على مجلس الوزراء البريطاني قرر هذا المجلس بتاريخ ١٩٣٧/١١/٢٠ م ان العلاقات مع ايطاليا لم تتدهور الى الحد الذي يلزم بعدم مخالفة ما جاء في قرار رؤ ساء الأركان[2] . وفي تقديرنا كان اعتماد مجلس الوزراء البريطاني في قراره السابق على الانطباعات التي عاد بها هاليفكس المسؤ ول البريطاني أثر زيارته لهتلر في نوفمبر ١٩٣٧ م وعلى ما يسمى بمذكرة هوسباش المنسوبة الى هتلر والتي أوضح فيها تطلعه الى المزيد من المجال الحيوي الزراعي ليواجه به مشكلة تزايد السكان في المانيا وذلك عن طريق السيطرة الالمانية على بعض المناطق الزراعية ـ القليلة السكان ـ في اوروبا ، ويرى ليدل هارت ان الوثائق الالمانية كشفت التشجيع البريطاني لهدف هتلر[3] ويؤ كد هارت هذا التشجيع ثانية من خلال ما اعلنه السفير البريطاني لهتلر في فبراير ١٩٣٨ اثر استقالة ايدن من الخارجية في الشهر نفسه وتولي هاليفكس لها ـ عن تعاطف بريطانيا مع المانيا حول رغبة الأخيرة في اجراء تغييرات اوروبية لصالحها وعندما رفضت بريطانيا اقتراحات سوفيتية بعقد اجتماع يبحث فيه التقدم الألماني في النمسا[4] .

رغم الموقف البريطاني السابق ـ والذي قصد به في رأينا اشعال الصراع بين الاتحاد السوفياتي والمانيا وابقاء القوة البريطانية على حالها ، مع الحفاظ على حالة السلام والهدوء لدى الشعب البريطاني ـ فقد ظل المفكرون الاستراتيجيون البريطانيون على حالة من التنبه لما يجري حولهم وقاموا باعداد الخطط لمواجهة احتمالات المستقبل وعلى الاخص فيما يتعلق بمنطقة البحر الأبيض المتوسط ، وفي اوائل عام ١٩٣٨ دار التكتيك الاستراتيجي لهؤلاء في منطقة المتوسط حول محورين : الاول توفير القوة العسكرية الاحتياطية الشرق اوسطية

---

(١) (٢) Michael Cohen , Palestine Retreat from the mandate , 1936 - 1945 , Paul Elek , London , (Ph . D .) P . 3 .

(٣) (٤) Liddle Hurt's, History of the second world war Cassell , London , 1970 , PP . 7 - 8 .

وتكون مهمتها الرئيسية الدفاع عن قناة السويس في حالة الحرب والعمل كقوة بوليسية لحفظ النظام في فلسطين اثناء السلم .

والثاني : اعطاء اعتبارات تفضيلية لاستغلال الموارد الاقتصادية وضمان صداقة القوى الصغرى والدول العربية في الشرق الأوسط[1].

وفي نظرنا كان هذا التقرير هو الاساس الذي انطلقت منه بريطانيا في الالتفات الى القوى العربية المجاورة لفلسطين خاصة وان فلسطين كانت تشهد منذ عام ١٩٣٦ احداث الثورة التي استمرت حتى عام ١٩٣٩ م .

استهدفت بريطانيا من الالتفات الى هذه القوى العربية مراقبتها وتوجيهها ان امكن وضربها عندما ترى فيها خطرا يهدد مصالحها ، فمن المعروف ان القوى العربية الرسمية منها والشعبية لعبت دورا في احداث الثورة الفلسطينية وذلك عندما تدخلت الوساطة العربية مع الفلسطينيين ونجحت في انهاء الاضراب الذي امتد من ابريل حتى اكتوبر ١٩٣٦م ، كما ظهر الدور الشعبي المؤيد للشعب الفلسطيني في مؤتمر بلودان بسوريا في عام ١٩٣٧ عندما حضره ٤١١ مندوبا عن البلاد العربية : ١٦٠ سورياً ، ١٢٨ فلسطينيا ، ١٥ لبنانيا ، ٣٠ أردنيا ، ١٢ عراقيا ، ٦ مصريين ، وواحد من المملكة العربية السعودية ، كما حضره أكثر من شخصية رسمية عربية : مثل ناجي السويدي من العراق (الذي انتخب رئيسا للمؤتمر) محمد علي علّوبة باشا من مصر وعبدالله اليافي ورياض الصلح من لبنان ، ولطفي الحفار من سوريا[2] واتخذ قرارات سياسية واقتصادية تطالب بعدم تقسيم فلسطين والغاء الانتداب البريطاني عليها ووقف الهجرة اليهودية وعدم بيع الاراضي لغير العرب . وهي قرارات تؤكد حق الفلسطينيين في وطنهم وتؤيدهم في كفاحهم ضد الغزو الصهيوني لبلادهم . ولم تكن هذه القرارات منسجمة مع السياسة البريطانية آنذاك التي أيدت تقسيم فلسطين حسبما اقترحته لجنة بيل البريطانية في يوليو ١٩٣٧ م . كما عقد في صيف ١٩٣٨ مؤتمر برلماني عربي بمبادرة من مصر شارك فيه نواب من مصر والعراق وسوريا ولبنان كما شارك فيه ممثلون عن الحركات القومية في المغرب ،وقد اعلن المؤتمر تأييده لتشكيل حكومة وطنية في فلسطين ووقف الهجرة ومنع بيع الأراضي .

وفي رأينا ان قرارات مؤتمر بلودان في سبتمبر ١٩٣٧ ، واستمرار الثورة الفلسطينية وقرارات مؤتمر القاهرة بالاضافة الى تقارير الاستراتيجية البريطانية التي رأت ضرورة

---

(١) Michael Cohen , P . 3 , Opcit .

(٢) Middle Eastern Studies , Jan . 1981 , PP , 107 - 111, Bludan Congress by Elie Kedourie .

الالتفات الى القوى العربية كانت الاسباب الرئيسية وراء اعلان بريطانيا عن عدم تبنيها لمشروع التقسيم الذي اقرته لجنة بيل سنة ١٩٣٧.وقد اعترف حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية الذي كان وراء اقتراح التقسيم في خطابه الافتتاحي عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين في الفترة ما بين ١٦ ـ ٢٥ سبتمبر ١٩٣٩ بمدينة جنيف بأثر هذه القوى عندما اعلن « ان الغاء التقسيم كان نتيجة لاحتجاجات Representations مصر عليه »[1] .

ان اعلان وايزمان عن دور مصر في الغاء التقسيم امام مؤتمر صهيوني يحمل اكثر من معنى. فقدأراد في نظرنا توجيه أنظار المؤتمرين الصهيونيين الى الدور الذي بدأت تلعبه مصر في القضية الفلسطينية وما لهذا الدور من أثر على أوضاع فلسطين عامة وعلى مستقبل المشروع الصهيوني خاصة ، كما أراد وايزمان في الوقت نفسه التقليل من شأن الثورة الفلسطينية آنذاك وجعلها غير ذات اثر فعال في التراجع البريطاني عن التقسيم ، الا أن اعلان حاييم وايزمان السابق أكد حقيقة ما زالت ثابتة حتى اليوم وهي ارتباط القضية الفلسطينية ارتباطا عضويا بالواقع العربي يؤثر فيه ويتأثر به وهو أمر جعل بريطانيا مرغمة على التفكير فيه .

ومنذ شهر نوفمبر ١٩٣٧ م بدأت الأحداث العالمية تتلاحق متسارعة ، ففي هذا الشهر ارتبطت المانيا رسميا مع ايطاليا في محاولة للبحث عن المجال الحيوي لكل منهما»[2] . ومع نهاية ايلول ١٩٣٨ تم التوقيع بين المانيا وبريطانيا على اتفاقية ميونيخ الشهيرة التي باركت فيها بريطانيا ضم منطقة السوديت الى المانيا الهتلرية واعتبرت الاتفاقية انتصارا حققه هتلر داخل المانيا بالذات اذ انهت هذه الاتفاقية الحذر الذي لازم هتلر في حركته قبل عام أو يزيد كما أضعف الحذر الذي كان يبديه القادة العسكريون الالمان في وجه هتلر حول خطورة الموقف البريطاني وضرورة التنبه له في كل خطوة عسكرية ، وأخيرا اعطت الاتفاقية هتلر ثقة بالنفس وثقة الالمان المترددين بقيادته .

سيطر على أذهان الوزارة البريطانية بعد توقيع اتفاقية ميونيخ شعور بذهاب شبح الحرب واعلن رئيس الوزراء البريطاني تشمبرلن في ١٩٣٩/٣/١٠ ان مظاهر السلام هي أفضل مما كانت عليه في أي وقت « واعتقدت الوزارة البريطانية ان وضع المانيا الاقتصادي

---

(١) نشرة فلسطين الصهيونية 39, P. 265/8/Palestine , No , 23

(٢) د . صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ، تاريخ العلاقات الدولية مكتبة الانجلو المصرية القاهرة يوليو ١٩٦٣ ، ص ٨١ .

المتردي سيمنعها من الاقدام على الحرب وسيجعلها تقبل بالشروط البريطانية اذا ما عقدت اتفاقية تجارية بين البلدين » وتأكيدا لهذا الاعتقاد سافر وزيران بريطانيان هما ستانلي ، وهرسون لاعداد الترتيبات اللازمة لهذه الاتفاقية مع هتلر[١] .

ومع نهاية شهر مارس سنة ١٩٣٩ انقلب الموقف البريطاني فجأة اذ قرر مجلس العموم البريطاني في ١٩٣٩/٣/٢٦ فرض « التجنيد الاجباري » لأول مرة في تاريخ بريطانيا وقت السلم واعلن تشمبرلن رئيس الوزراء في ١٩٣٩/٣/٣١ عن تعهدات بريطانية « لحماية بولندا او ضمان استقلالها »[٢] ضد المانيا ، وأيده في تعهداته جميع الوزراء البريطانيين كما لم يعارضه في مجلس العموم الا جورج لويد .

لقد كان موقف تشمبرلن ووزرائه مثار نقاش وجدل من مؤرخي الحرب العالمية الثانية ولسنا بصدد بحث هذا الموقف والدوافع التي أدت اليه سواء أكانت شخصية ام سياسية الا أن قرار تشمبرلن الخاص بالتعهدات البريطانية لبولندا ضد المانيا يعتبر نقطة تحول في تاريخ بريطانيا ان لم يكن في تاريخ البشرية بأجمعها فقد جر هذا الموقف ، رغم الصعوبة في تحليله ، على البشرية ويلات ما زالت وستظل تعاني منها .

رد هتلر على الموقف البريطاني في ١٩٣٩/٤/٢٨ باعلان الغاء الاتفاقية البحرية المبرمة مع بريطانيا في عام ١٩٣٥ م والتي تقضي ان تكون قوة البحرية الالمانية ثلث قوة البحرية البريطانية[٣] . واتبع الغاء الاتفاقية بخطوة سياسية اعتبرها السياسيون حركة بارعة اذ التفت هتلر بسرعة نحو روسيا وأجرى معها مفاوضات مستغلا الثغرة في الاعلان البريطاني لحماية بولندا والمتمثلة في عدم اشراك روسيا في هذه الحماية ، بالاضافة الى احتمال ان يكون هتلر قد اطلع في حينه على رأي قادة الجيش البريطاني في استحالة حماية بولندا . وانتهت المفاوضات الالمانية الروسية بتوقيع الحلف الالماني الروسي في ١٩٣٩ ٨/٢٣ والاتفاق على اقتسام بولندا في حالة هجوم هتلر عليها .

في هذه الأجواء التي تلاحقت فيها الاحداث العالمية سارعت بريطانيا الى اتخاذ الخطوات التي رأتها مناسبة لحماية مصالحها في المنطقة العربية وتعمدت ان تكون هذه الخطوات مرتبطة بتطلعات الشعب العربي ما أمكنها ذلك والحفاظ على أهمية المنطقة الحيوية وأثرها في الأهداف العليا البريطانية .

(١) Liddle Hurt's , P . 10 Opcit .
(٢) د . صلاح العقاد ، المرجع السابق ، ص ١٢٨ .
(٣) د . العقاد ، المصدر السابق ص ١٢٨ .

ولقد وصف أحد الكتاب شأن العالم العربي والاسلامي في أوائل ١٩٣٩ م (وبالتحديد في ١٩٣٩/١/١٤) على النحو التالي : « تشكل مصر عقدة مواصلات ، وفيها ميناء الاسكندرية أكبر ميناء في شرق البحر المتوسط ، وهناك العراق وفيه قاعدة الحبانية تحمي المصالح البريطانية في العراق نفسه وايران ، وهناك السعودية التي في حالة تحالفها مع ايطاليا والمانيا ستهدد الامداد النفطي لبريطانيا وستقوم بتهديد المشيخات في الساحل المتصالح (دولة الامارات العربية المتحدة الآن) والكويت . كما تعتبر عدن قاعدة للاسطول البريطاني ، وحيفا في فلسطين ـ قاعدة للسفن الصغيرة بالاضافة الى كونها منطلقاً لقاعدة الحبانية برا وجوا »[١] ويضاف الى هذا كله وجود القوات البريطانية في فلسطين والتي كان من مهماتها الاساسية المشاركة في الدفاع عن قناة السويس ، وكان لا بد من وجود جبهة داخلية هادئة ان لم تكن متعاطفة حتى تتمكن هذه القوات من أداء عملها . ناهيك عن ان فلسطين ذاتها كانت تعتبر المنفذ الوحيد المؤهل لتوصيل الامداد البريطاني من الهند واليها عبر مصر والخليج العربي اذا ما تمكنت ايطاليا من حصار منافذ قناة السويس في حالة الحرب .

لذا فان هيئة الاركان الامبراطورية البريطانية تطلعت الى الهدوء في المنطقة عند قيام الحرب عن طريق وجود عالم عربي صديق . خاصة وأن الوطن العربي لم يكن له مصلحة ذاتية في الحرب ، فالاطراف التي كان متوقعا ان تشارك فيها لم يكن يرجى خير منها لهذا الوطن فجميعها قوى استعمارية طامعة تتطلع الى مصالحها . واذا ما تحرك الشعب العربي فسيتحرك في اتجاه يحقق طموحاته الوطنية وكانت مشكلة فلسطين والغزو الصهيوني لها من أبرز المشاكل التي يتطلع الشعب العربي الى حلها .

بدأت بريطانيا تتجه نحو هذا الهدف التكتيكي (الهدوء في المنطقة) على مراحل محددة متزامنة مع ما يستجد من احداث على الساحة الدولية : ففي اوائل سبتمبر من عام ١٩٣٨ حين سيطر وهم السلام على الوزارة البريطانية قام وزير المستعمرات البريطاني مالكولم ماكدونالد بابلاغ حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية ما يلي : « لا تزال فكرة التقسيم بالنسبة لفلسطين حسبما اقترحته لجنة بيل البريطانية سنة ١٩٣٧ هي الحل الأفضل للقضية الفلسطينية ولكنه (ماكدونالد) واقع تحت تأثير حقائق عدة منها عدم انصاف العرب وفقا لما جاء في مراسلات حسين ـ مكماهون ١٩١٦[٢] .

(١) Nicolson Bethel , The Palestine Triangle , Andre Dutch , London , 1979 , P . 60 .
(٢) Michael Cohen , P . 70 , Opcit .

ويمكننا القول ان ماكدونالد بتصريحه هذا كان يقصد الوصول الى هدفين اولهما : تهدئة الصهيونيين في اطار السياسة العامة للتهدئة ، والثاني : اشعارهم بان تهدئة العرب امر مطلوب. ولم يكن ماكدونالد يفكر في انصاف العرب ،اذ ان ذلك أمر ، اثبتت الأيام عكسه ، فقد أنكر البريطانيون جملة وتفصيلا أي تعهد للشريف حسين يخص فلسطين . وعندما رأى ماكدونالد ان بريطانيا لم تنصف العرب لم يتبع تفكيره هذا بخطوة واحدة تجعل من اقواله واقعا ملموسا .

وبعد توقيع اتفاقية ميونيخ وبعد اعلان تشمبرلن رئيس الوزراء البريطاني عن وجود فرص للسلام أفضل من أي وقت مضى أعلن ماكدونالد امام مجلس العموم البريطاني في ١٩٣٨/١٠/١٩ بأن « السياسة الرسمية نحو فلسطين ما زالت هي التقسيم حسب مشروع لجنة بيل الملكية »[٢] . ولكن بريطانيا بعد هذا الاعلان بشهر قامت بالعدول عن مشروع التقسيم وأعلنت في ١٩٣٨/١١/١٩ بلسان المندوب السامي البريطاني في فلسطين عن « صعوبة تحديد الدولتين : اليهودية والعربية » كما جاءتا في المشروع،وقد اشرنا الى الاسباب التي أدت الى عدول بريطانيا عن هذا المشروع ولكنها في اعلانها استندت الى توصيات لجنة وود هيد Wood Heed البريطانية التي جاءت سنة ١٩٣٨ للتحقيق في تطبيق المشروع وأوصت بعدم صلاحيته وهو أمر يتفق مع ما وصلنا اليه من استنتاج سابق ، اذ ان اللجنة رأت الواقع العربي الملتهب والمستعد للعمل ضد الغزو الصهيوني وأدركت ما سيكون له من أثر سيّىء على المصالح البريطانية ، ولم تكن الحدود هي السبب اذ ان خريطة فلسطين كانت معروفة للسلطات البريطانية التي أيدت التقسيم ولم يكتشفها وود هيد بالاضافة الى ان الغاء التقسيم اتفق ورغبة رؤساء الاركان الامبراطوريين في وجود عالم عربي صديق » . والصداقة هنا تتمثل في تهدئة العرب لا ارضائهم بتحقيق مطالبهم وجعلهم يعيشون حياتهم بحرية وسلام، وابعاد الخطر الصهيوني الذي جعلت منه بريطانيا واقعا . ولو ارادت بريطانيا صداقة العرب حقا لأعلنت عن التزامها بما جاء في مراسلات حسين مكماهون ولأعلنت عن الخطأ الذي ارتكبته عندما اعلنت تصريح بلفور في ١٩١٧/١١/٢ م . ولكن بريطانيا حتى عام ١٩٣٩ كانت لا تزال ترى في المشروع الصهيوني في فلسطين ما يتفق ومصالحها كما رأت في الهدوء العربي امرا ملحا،لذا بدأت تعمل على عدم ظهور نزاع جديد على ارض فلسطين بعد أن بدا هذا النزاع يميل الى الهدوء .

---

(١) Ibid , P . 72 .

تبنت بريطانيا اسلوبا سياسيا جديدا استهدف عدم ترك فلسطين مهما كان الثمن لأنها تمثل غطاء لمصر قاعدة الدفاع البريطانية الرئيسية عن الشرق الأوسط . ومن أجل ذلك دعت وزارة المستعمرات البريطانية العرب واليهود لحضور مؤتمر يعقد في لندن في محاولة منها للتفاهم مع الطرفين والوصول الى حل « لوضع فلسطين » .

انعقد مؤتمر لندن الذي دعت اليه بريطانيا بقصر سان جيمس في فبراير ١٩٣٩ وقد حضر المؤتمر وفود عربية تمثل مصر والعراق والمملكة العربية السعودية واليمن بالاضافة الى وفدفلسطين ،كماحضرته وفود تمثل اليهود في الولايات المتحدة وبريطانيا وأوروبا ، بالاضافة الى وفد يهودفلسطين ،وجميعها كانت وفودا صهيونية ، ولم يدع لحضور المؤتمر اي يهودي غير صهيوني .

وكان أمام الوزارة البريطانية عند انعقاد المؤتمر تقارير من المسؤولين البريطانيين المهتمين بأمر فلسطين وأولها تقرير هيئة الاركان الامبراطورية الذي سبق ذكره . كما كان هناك تقرير اللجنة لـ Criminal Investigation Department . C . I . D . الذي قدم الى لجنة الدفاع الامبراطورية التابعة لمجلس الوزراء في يناير ١٩٣٩ وجاء في هذا التقرير :

« نشعر بضرورة الاشارة بكل وضوح الى الشعور الوطني الذي يسود كل البلاد العربية حول السياسة البريطانية في فلسطين ، وبناء عليه فاننا نفترض ضرورة اتخاذ الاجراءات الكفيلة بايجاد تهدئة للرأي العام في فلسطين وفي البلاد العربية المجاورة ، اننا اذا فشلنا في كسب ثقة العرب في حالة نشوب الحرب فاننا نعلن بأنه لا توجد لدينا اجراءات او اقتراحات نوصي باتخاذها بشأن هذا البلد »[١] .

وفي التقرير اعتراف بريطاني واضح بأثر الوضع الفلسطيني في البلاد العربية ، وهو اثر مؤيد للفلسطينيين ضد سياسة بريطانيا ، الا انه لم يزد عن كونه وجهة نظر تمثل المصالح البريطانية ليس الا . اذ طالب باتخاذ الاجراءات المناسبة للمصالح البريطانية لا باتخاذ الاجراءات التي ترضي طموحات الفلسطينيين واخوانهم العرب، كما دعا الى كسب ثقة العرب . وفي رأينا ان كسب ثقة العرب كان يمكن ان يتم بسلوك معين وهو كف بريطانيا عن تأييد ودعم المشروع الصهيوني ، وهو امر لم يشر اليه التقرير ، لذا فاننا نرى ان التقرير طالب حكومته باتخاذ سياسة مخادعة للعرب يفهم منها تغيير الموقف البريطاني ولكنها في حقيقتها مخالفة لذلك .

---

(١) Michael Cohen , P . 14 , Opcit .

واستنادا الى التقارير السابقة قدم ماكدونالد وزير المستعمرات البريطاني تقريره الى مجلس الوزراء حول السياسة التي ينبغي اتباعها في فلسطين واحتوى على امور اهمها :

١ ـ الا تكون فلسطين دولة عربية او دولة يهودية .
٢ ـ رفض اقتراح التقسيم لانه غير عملي .
٣ ـ قيام مؤسسات الحكم الذاتي في البلاد والسير بها نحو الاستقلال بأغلبية عربية .
٤ ـ الحد من بيع الأراضي في فلسطين بموجب قانون (تصدره بريطانيا) .
٥ ـ طرح مشكلة الهجرة اليهودية الى فلسطين للمناقشة[١] .

وفي رأينا ان التقرير حمل نوايا المراوغة والخداع اذ جعل مشكلة الهجرة اليهودية الى فلسطين، وهي لب المشكلة ،امرا خاضعا للنقاش فيما بعد ،ولم يشأ الادلاء برأي حولها، لا لأنه لم يكن راغبا في جعل اليهود أغلبية في فلسطين ، ولكن لأن القيادة الصهيونية كانت عاجزة عن اقناع اليهود بالحضور اليها باعداد تجعل منهم اغلبية في البلاد في تلك الظروف. وعندما اعلن ماكدونالد رفضه للتقسيم كان يعلم ان هذا الرفض سيلقى قبولا لدى الكثير من الصهيونين اذ ان المؤتمر الصهيوني العشرين المنعقد في زيورخ في اغسطس ١٩٣٧ م قرر بنسبة ٢٩٩ صوتا مقابل ١٦٠ صوتا رفض رأي لجنة بيل الذي نص على ان الانتداب ليس عمليا وبذا لم يقبل بالتقسيم ،ولكن المؤتمر ايد اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في اجراء مفاوضات مع بريطانيا من اجل استجلاء بعض النقاط حول اقتراحاتها المتعلقة بتأسيس الدولة اليهودية[٢]. ومن الجدير بالذكر حول هذا الأمر ان اكثر الصهيونيين رفضا لمشروع التقسيم البريطاني كانوا من الصهيونين الاميركيين في مؤتمر عام ١٩٣٧م. فقد اعلن الحاخام ابا هليل سيلفر احد قادة الصهيونين الاميركيين في المؤتمر « ان البريطانيين خانوا الامانة ولم يفوا بما وعدوا به في تحويل فلسطين كلها الى وطن قومي يهودي »[٣] . وهو امر يمكن تفسيره على انه بداية لظهور القوة الصهيونية الاميركية على حساب الصهيونية البريطانية .

كما حمل تقرير ماكدونالد في ظاهره ما يمكن مناقشة العرب به حول موقفهم الرافض للسياسة البريطانية عن طريق ظهور خط سياسي بريطاني جديد يمكن ان يفسر لصالحهم اذا

---

(١) Nicolson Bethel , P . 56 , Opcit .
(٢) Aharon Cohen , Israel and the Arab World , W . H . Allen , London , 1970 , P . 209 .
(٣) اميل تومان جذور القضية الفلسطينية ، دراسات فلسطينية ٩٢ ، مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ، يونيه ١٩٧٣ ، ص ٢٦٧ .

ما قورن مع خط بريطانيا السياسي منذ اعلان انتدابها على فلسطين سنة ١٩٢٣م، وهو أمر اعتقد ماكدونالد انه سيهدىء من روع العرب لا سيما وان ماكدونالد نفسه قد مهد لهذه الخطوة الجديدة من جانبه عندما اعلن امام مجلس العموم البريطاني في نهاية عام ١٩٣٨ ما يجعله مؤهلا لسياسة التهدئة العربية او بمعنى آخر اتباع الخديعة مع العرب، فقد وصف ماكدونالد الفلسطينيين بالوطنيين وانهم لم يستشاروا في تصريح بلفور، كما ذكر ماكدونالد استقلال فلسطين، وهو اصطلاح يستخدم لاول مرة في تاريخ علاقة بريطانيا بفلسطين[١] .

ان وصف ماكدونالد للفلسطينيين العرب بالوطنية واعلانه صراحة من عدم استشارتهم في تصريح بلفور واستخدامه لاصطلاح استقلال فلسطين يشكل ادانة لسياسة حكومته التي اتبعتها ضد الفلسطينيين العرب اثناء ثورة ١٩٣٦ م عندما كان نسف بيوت العرب وفرض الغرامات الجماعية على القرى واعدام العشرات من الثوار امرا مألوفا في السلوك البريطاني ، كما اوحى التقرير بأن خلافا بريطانيا صهيونيا اصبح واردا ، ولكن ينبغي الانتباه الى ان تصريحات ماكدونالد لم تقترب من المشروع الصهيوني او سياسة بريطانيا نحوه مما يبين عدم نية بريطانيا في الاقدام على الحاق أي اذى بهذا المشروع . لقد بدا ماكدونالد في تصريحاته حول فلسطين وكأنه قائد ثورة وطنية وليس وزيرا للمستعمرات البريطانية ، وان بريطانيا اصبحت نصيرة للشعوب المقهورة وتود اصلاح اخطائها نحو هذه الشعوب .

ونرى في تصريح ماكدونالد امرا لا يختلف كثيرا عما حدث في المستعمرات البريطانية وبالذات في جنوب أفريقيا، فقد قامت بريطانيا بمنح رعاياها الامتيازات والبراءات بامتلاك الاراضي الزراعية هناك واستغلال ثروات البلاد وفي الوقت نفسه سنت التشريعات التي تؤمن للاقلية البيضاء السيطرة الكاملة على البلاد من خلال التحكم في رؤوس الأموال واستغلال العمال من أهل البلاد وتحديد اقاماتهم وأجورهم بما يوفر كل معاني الاستغلال البشع لاصحاب البلاد على يد الرجل الابيض القادم الجديد .

ولم يمنع هذا من ظهور خلافات على فترات متقطعة بين الحكومة في لندن وحكومة الاقلية البيضاء في جنوب افريقيا حول أمور لا تمت الى مصالح الوطنيين الافارقة بصلة

---

(١) Geoffery Furlonge , Palestine is my Country,story of Mousa Alami , London , 1969, PP. 120 - 121.
ملاحظة : لقد ذكر موسى العلمي ان تصريح ماكدونالد كان في آخر ١٩٣٨ وتعتقد ان تصريحه كان في يناير ١٩٣٩ عندما قدم تقريره عن فلسطين الى مجلس العموم البريطاني .

ولكنها كانت تتعلق بتنظيم دفع الضرائب لحكومة لندن ، او تنظيم السيطرة على المناطق الزراعية والمناجم ، وسرعان ما كانت تنتهي هذه الخلافات دون ان يحقق الوطنيون الافارقة اي امتياز في ظل القوانين البريطانية التي كانت تصاغ لتسوية الخلافات وبقيت سياسة التمييز العنصري حتى يومنا هذا هي السياسة المعمول بها في جنوب افريقيا .

ولم يكن الخلاف البريطاني الصهيوني أقل شبها بالخلافات التي كانت تظهر في جنوب افريقيا . وقد ظهر الموقف البريطاني الذي استهدف جر العرب الى المؤتمر اولا اثناء المناقشات التي شهدها مؤتمر سان جيمس فقد لخص ماكدونالد موقف حكومة بلاده بتاريخ ١٤/٢/١٩٣٩ امام الوفد الصهيوني على النحو التالي :

١ ـ ان بقاء القوات البريطانية في الشرق الأوسط وتأييد خطوط المواصلات الامبراطورية الى الهند والشرق الأقصى يعتمد الى درجة كبيرة ـ على قدرة البريطانيين في اقناع المصريين والحكومات العربية الاخرى على الإيفاء بالتزاماتها[١] نحو بريطانيا او بقاء هذه الحكومات على الحياد في حالة نشوب حرب ضد بريطانيا واذا ما أصبح أحد الأقطار العربية معاديا لبريطانيا فان ازدياد الصعوبات ستكون متوقعة امامها .

٣ ـ اوضح ماكدونالد اهمية الشعور الاميركي نحو الصهيونية ونحو بريطانيا الا أنه أعلن ان المنطقة العربية ربما تكون « كعب اخيل » بالنسبة للامبراطورية البريطانية[٢] وان الحاق الهزيمة ببريطانيا في المراحل الأولى من الحرب سيكون مأساة لليهود كما ستكون مأساة لبريطانيا ايضا : وأوضح في الوقت نفسه مدى خطورة شعور مسلمي الهند المتعاطف مع الفلسطينيين وضرورة عدم اثارته ضد بريطانيا[٣] .

وهنا نلاحظ محاولات ماكدونالد لاقناع الوفد الصهيوني بجدوى سياسة « التهدئة العربية » وأثر غيابها السلبي على المصالح البريطانية .ولم يشر ماكدونالد في حديثه مع الوفد الصهيوني الى استقلال فلسطين ولا الى أي هدف يسعى الفلسطينيون الى تحقيقه.وربط الهدف البريطاني في التهدئة العربية بتحقيق الاهداف الصهيونية مستقبلا عندما اشار الى احتمال هزيمة بريطانيا وأثر هذه الهزيمة على اليهود انفسهم .

واستمر الجدل في جلسات المؤتمر بين الوفد البريطاني في جانب وبين الوفدين العربي

---

(١) قصد ماكدونالد بقوله معاهدات ١٩٣٠ مع العراق ، ومعاهدة ١٩٣٦ مع مصر .

(٢) قصد بهذه العبارة ان مقتل الامبراطورية يكمن في المنطقة العربية .

(٣) Ben Gurion , My Talks with Arab Leaders , Keter Books , Jerusalem , 1972 , PP . 230 - 231 .

والصهيوني في جانب آخر،اذ كان الوفد البريطاني يفاوض كل وفد على حدة لان الوفد العربي رفض الجلوس مع الوفد الصهيوني على طاولة مفاوضات واحدة . وقد عمد الوفد الصهيوني الى تفنيد الحجج البريطانية المتعلقة بأهمية العرب كما عمد الى التقليل من شأنهم كشعب يعتمد عليه في الحرب أو السلم . وانتهى المطاف الى فشل المتفاوضين البريطاني والصهيوني في الوصول الى اتفاق يعرضانه على أعضاء الوفد العربي الذين أعلنوا مساندتهم لموقف الوفد الفلسطيني وموافقتهم على كل ما يوافق عليه هذا الوفد ، وقرر المندوبون العرب ان ما يرضى به الفلسطينيون سيوافقون عليه .

وبعد هذا الفشل أعلن ماكدونالد بأن حكومته ستعلن من جانبها السياسة التي تراها ملائمة لفلسطين ، وبعد اخذ موافقة رئيس الوزراء على هذه السياسة اعلنت في ١٧/٥/١٩٣٩ تحت الرقم الاداري ٦٠١٩[١] . وقد حملت هذه السياسة الجديدة منذ ذلك التاريخ اسم الكتاب الأبيض البريطاني لعام ١٩٣٩ .

لذا فان سياسة الكتاب الأبيض منذ بدايتها استهدفت الحفاظ على المصالح البريطانية ولم تحقق للعرب شيئاً بل على العكس من ذلك فقد فرقت بين الزعماء العرب : بين من سموهم بالمعتدلين وبين من سموهم بالمتطرفين ولم يخف على كثير من الكتاب الاجانب « ان احداث الفرقة بين العرب كان من بين أهداف الكتاب »[٢] .

رد الفعل الصهيوني على الكتاب الابيض لعام ١٩٣٩ :

احتوى الكتاب الابيض ثلاث نقاط رئيسية هي :

١ ـ الهجرة اليهودية .
٢ ـ الوضع الدستوري لفلسطين .
٣ ـ نقل ملكية الأراضي .

الهجرة اليهودية :

حدد الكتاب عدد المهاجرين اليهود الذين سيسمح لهم بدخول فلسطين بخمسة وسبعين الف مهاجر في مدة خمس سنوات تبدأ في مارس ١٩٣٩ م وتنتهي في الشهر نفسه من عام ١٩٤٤ ، على ان لا يخضع أي عدد من المهاجرين اليهود بعد ذلك لموافقة العرب .

---

(١) Robert John , Ben Gurion , Doubleday and comp . Inc ., Garden City , N . Y . 1971 , P . 76 .

(٢) د . العقاد ، المشرق العربي ـ المصدر السابق ، ص ٣٢٧ نقلا عن كيرك .

الوضع الدستوري :

حدد الكتاب فترة انتقالية مدتها عشر سنوات يتم خلالها نقل السلطة تدريجيا الى الفلسطينيين على أن يتمتع كل من العرب واليهود باستقلال في الشؤون الثقافية والاجتماعية والادارية في ظل الدولة الفلسطينية الجديدة .

ملكية الاراضي :

قسم الكتاب اراضي فلسطين الى ثلاث مناطق : منطقة لا يجوز نقل الاراضي فيها من عنصر الى آخر ، ومنطقة يوضع فيها انتقال الأراضي من عنصر الى آخر تحت اشراف سلطات الانتداب ومنطقة ثالثة يظل الباب فيها مفتوحا لشراء وبيع الأراضي بين العنصرين[١].

لقد سبق ان أوضحنا ان الهدف البريطاني من هذا الكتاب كان تهدئة خواطر العرب اثناء انشغال بريطانيا بحرب عالمية كانت تتوقعها بعد قليل[٢] . وقد مال أكثر المؤرخين الى تأييد هذا الرأي مع بعض التحفظات او التفسيرات،اذ رأى جورج مكاي المجري ان الكتاب الابيض قصد به تحييد العرب خلال النزاع المتوقع في الحرب العالمية الثانية « الا ان التوجه الصهيوني نحو بريطانيا ظل قويا نظرا لأن الوجود البريطاني هو الذي يمكن فقط من مواصلة المشروع الصهيوني»[٣].

كما رأى باور ان الكتاب الابيض استهدف بشكل جوهري تضميد الجراح العربية عن طريق الوعود بتخفيض الهجرة اليهودية والحيلولة دون بيع الأراضي ومنح الحكم الذاتي . الا ان باور سرعان ما وصل الى الحقيقة التي استهدفها الكتاب وهي عدم فائدة العرب من الكتاب الابيض إذا تمكن اليهود من تدعيم قوتهم العسكرية .. لانتصارات عام ١٩٤٨ م[٤].

ورغم ذلك فقد كان للصهيونيين موقف معلن من هذا الكتاب تمثل في ردود فعل على المستويين الرسمي والشعبي الصهيونيين داخل فلسطين وخارجها : ففي ١٩٣٩/٥/١٨ اي بعد اعلان سياسة الكتاب بيوم واحد « عمت المظاهرات اليهودية فلسطين وردد اليهود قسما من الكنس والتجمعات العامة بعدم التسامح مع السياسة الغادرة البريطانية ومقاومتها

---

(١) د . صلاح العقاد ، المشرق العربي المعاصر ، المصدر السابق ص ٢٢٨ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٢٨ . (انظر الخريطة) .
(٣) جورج مكاي : الصهيونية ودولة اسرائيل ترجمة اسد قاسم عن المجرية / غير منشور) ص ١٠٩ .
(٤) جورج مكاي ، المصدر السابق ص ١٤٧ .

بكل الوسائل ، وبعدم اعتراف اليهود او سماحهم بأي اجراء يحد من حرية الهجرة الى بلادهم»[١].

أعلن بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية (التي كانت تمثل يهود فلسطين امام الانتداب البريطاني) تأييده لهذه المظاهرات وأشار الى احتمال تطورها وتوجيهها نحو القتال وذلك في اليوم التالي لهذه المظاهرات في رسالة موجهة الى الجنرال هانتج قائد القوات البريطانية في فلسطين : « ان اليهود لن يخيفهم التهديد ولن يخضعوا حتى لو اريق دمهم . ان مسؤولية ما قد يحدث اثناء فرض السياسة الجديدة ستقع كلية على عاتق الحكومة»[٢]. وقد أكد بن غوريون في رسالته هذه بيان الوكالة اليهودية الرسمي الذي أعلن رفض ما جاء في الكتاب الأبيض كما أعلن عن استعداد اليهود في فلسطين لمقاومته : «لن يقبل اليهود أبدا غلق أبواب فلسطين امامهم ولن يقبلوا تحويل وطنهم الى غيتو»[٣].

أما الرد الرسمي للمنظمة الصهيونية فقد عبر عنه حاييم وايزمان رئيس المنظمة في برقيته الى رئيس الوزراء البريطاني بتاريخ ١٩٣٩/٥/١٨ ضمنها رأيه الذي عرف أثناء محادثات سان جيمس ما بين فبراير ومارس ١٩٣٩م جاء فيها :

إن الاقتراح بتجميد اليشوف (التجمع اليهودي في فلسطين) الى ثلث السكان والغاء الانتداب وجعل منطقة الاستيطان اليهودي قطاعا ضيقا يشكل في نظرنا بعثرة لآمال اليهود وتسليم اليشوف الى حكم العصابات العربية المسؤولة عن كل ارهاب »[٤].

كما عبر حاييم وايزمان عن رأي المنظمة الصهيونية ايضا في رسالة بعث بها الى المندوب البريطاني في فلسطين جاء فيها :

« ان الوطن القومي (اليهودي) يفقد معناه في اللحظة التي يصبح فيها دخول اليهود اليه ممنوعا الا بموافقة العرب»كما أشار وايزمان في رسالته الى حتمية استخدام القوة من قبل اليهود لمقاومة الكتاب الابيض اذا ما نفذ »[٥].

لقد كانت ردود الفعل الصهيونية ضد الكتاب الأبيض سريعة لكنها لم تكن مفاجئة اذ كان الموقف الصهيوني الرسمي واضحا لدى السلطات البريطانية اثناء محادثات سان

---

(١) Esco , Vol . 2 , Kans reprint comp . N . Y . 1970 , P . 909 .
(٢) Ibid , P . 910 .
(٣) Esco Vol . 2 , P , 911 , opcit .
(٤) Ben Gurion , The Jews in their land , Aldus books , London , 1966 , P . 317 .
(٥) Aharon Cohen , P . 216 , opcit .

جيمس بلندن منذ مارس ١٩٣٩ م ، ولكن ما نلاحظه هنا أن القيادة الصهيونية عمدت الى اشراك الجماهير اليهودية في التعبير عن معارضة القيادة الصهيونية للكتاب الأبيض، كما نلاحظ ايضا ذكر القيادات الصهيونية لاستخدام القوة اليهودية من أجل منع تنفيذ سياسة بريطانيا المعلنة،كما لم ينس وايزمان ان يذكر البريطانيين « بالعصابات العربية » وكان يقصد بذلك الثوار الفلسطينيين في عام ١٩٣٦ في محاولة منه للفت نظر القيادة البريطانية الى التعاون العسكري البريطاني الصهيوني الذي حدث من اجل مقاومة تلك الثورة .

وفي رأينا ان القيادة الصهيونية عندما اثارت هيجان الجماهير اليهودية وعندما تشددت في الاعلانات الرسمية عن رفضها للكتاب الابيض لم تكن تهدف الى تنفيذ ما اعلنته، ولكنها استهدفت منح بريطانيا مبررا امام العرب للتراجع عن تنفيذ هذاالكتاب، وذلك لانها في كل ردودها الرسمية استخدمت عبارة « اذا ما نفذ الكتاب » وبمعنى ان الاحتمال او الايحاء بعدم تنفيذ الكتاب الابيض كان واردا في ذهن القيادة الصهيونية ان لم تكن على علم به ، كما انها استهدفت من هذه الردود تقوية موقفها السياسي امام التجمع اليهودي كي تظل مسيطرة عليه وتوجهه الى حيث تريد ، ولم تستهدف الاساءة الى بريطانيا او مقاومتها لانها كانت تعي النتائج التي ستترتب على صدام حقيقي مع السلطات البريطانية .

وليس ادل على هذا اكثر من تراجع القيادة الصهيونية السريع عن اعلانهاضرورة«تبني سياسة العصيان المدني وعدم التعاون مع الحكومة البريطانية » . اذ ان هذه القيادة كانت تعلم ان العصيان المدني معناه اعطاء الفرصة لمزيد من الموظفين العرب في دوائر بحكومة كما كانت تعني وضع سلطات الانتداب والحكومة البريطانية في وضع مربك امام العرب حول مساعدة هذه الحكومة للمؤسسات الصهيونية ورعاياتها وهي السياسة التي كانت الوكالة اليهودية على ثقة من صدقها عبر التجربة مع بريطانيا منذ عام ١٩١٧ م .

لذا فان تصريح بن جوريون حول هذا الأمر رغم قوته الظاهرية كان يحمل معاني التراجع والتروي فيما يخص التعامل مع بريطانيا :«ان رواد ارض اسرائيل الذين اظهروا قدرتهم على مدى ثلاثة أجيال في اعادة بناء بلدهم سيظهرون من الآن فصاعدا قوتهم في الدفاع عن الهجرة والوطن والحرية اليهودية » .(١) وذلك لأنه قرن تنفيذ الفعل بالمستقبل « اذا ما ارتبط بمنع الهجرة او الاعتداء على الوطن » وهو امر كما اوضحنا كان بن جوريون على يقين من عدم حدوثه من قبل بريطانيا . لذا فاننا نميل الى القول بان القيادة الصهيونية خاضت ضد الكتاب الابيض معركة سياسية استهدفت المستقبل ولم تقم هذه المعركة على

---

(١) Ben Gurion , Jews in their land , P ; 317 , opcit .

اساس من الواقع . وفي خطوة من اجل اتساع هذه المعركة السياسية توجه الحاخام ستيفن وايز ، احد قادة صهيونيي الولايات المتحدة برسالة الى وزير خارجيتها بتاريخ ٢٢/٥/١٩٣٩ م اعلن فيها : ان جماهير الشعب اليهودي التي أصبحت مشردة وعاجزة لا لسبب الا لانهم يهود يجعلنا كاميركيين نحتج ضد عمل يضيف عبئا جديدا على اعبائهم المحزنة ، وكاميركيين لنا مصلحة مباشرة في الانتداب الذي يقوم بريطانيون بموجبه بإدارة فلسطين . فقد كانت الأموال الاميركية خلال السنوات الماضية مائة مليون دولار ، لذا فاننا كاميركيين نطالب ـ ولنا الحق في ذلك ـ بعمل من قبل حكومة الولايات المتحدة الاميركية ، لا بحكم التعاطف مع اللاجئين فحسب ولكن بحكم تعرض المصالح الأميركية للخطر، ومطالبنا هي : ألا تبدأ بريطانيا بتنفيذ الكتاب الأبيض ما لم يكن للحكومة الأميركية فرصة لدراسة مواد هذا الكتاب وإعطاء حكمها بالنسبة لتعرض المصالح الأميركية للخطر .

الا تعترف حكومة الولايات المتحدة الاميركية استنادا الى معاهدة ١٩٢٤ بأي عمل ينفذ وفق الكتاب الأبيض وذلك لما نشأ عنه من خطر على المصالح الاميركية»(١) .

لم ينتج عن رسالة ستيفن وايز الى وزير الخارجية الاميركية موقف اميركي محدد الا اننا نلاحظ ان الخارجية الاميركية كانت تراقب الوضع في فلسطين باهتمام ويظهر ذلك من مراسلات قنصلها العام في القدس المكثفة مع وزارته بعد اعلان الكتاب الأبيض،وفي هذه المراسلات وصف تفصيلي اولا بأول لما كان يحدث في فلسطين وبالذات عند الجانبين البريطاني والصهيوني وهو أمر أفدنا منه في الاطلاع على الاوضاع في تلك الفترة .

وقد وصف القنصل العام الاميركي في القدس الوضع العام في فلسطين عند الجانب اليهودي في برقيته لوزير الخارجية الاميركي بتاريخ ٢٩/٥/١٩٣٩ برقم ٩٤٩ على النحو التالي :

«تسود بين اليهود مرارة بسبب نقض وعد بلفور والانتداب البريطاني وبسبب انكار طموحات اليهود ، مرارة ادت الى اعلان التصميم على مواجهة جميع الأوضاع التي تقف في وجه بناء الوطن القومي ، ومنع الاجراءات الجديدة باحتجاجات مستمرة هنا وفي الخارج وبعدم التعاون مع بريطانيا »(٢) .

---

(١) Foreign Relations of U . S . A , Diplomatic Papers , 1939 , vol . 4 , The Far East and the Near East and Africa , (Palestine) , 867 N . 01/1601 .

وسيشار الى مجموعة الوثائق هذه فيما بعد بـ . Foreign Relations

(٢) Foreign Relations , 1939 , Vol . 4 , 867N . 01 1600 .

ونلاحظ من برقية القنصل انها تصف ما يمكن أن يقوم به الصهيونيون او ما ينوون عمله ولا تذكر امرا اقدم عليه هؤلاء غير الاحتجاج . وتخلو البرقية من ذكر أي تصرف مادي ضد بريطانيا رغم ان الاطلاع على سير الحوادث يفيد باقدام الصهيونيين على البدء بحملة ارهاب بعد اعلان الكتاب الابيض ولكن هذه الحملة الارهابية وجهت نحو فلسطين العرب ، وهو تصرف في رأينا ليس غريبا من الجانب الصهيوني اذ كان القضاء على الوجود العربي في فلسطين هدفا اوليا للقيادة الصهيونية تتضاءل امامه الاهداف الأخرى ، لذا فان القيادة الصهيونية كانت تنتهز اي فرصة اما للحط من قدر هؤلاء الفلسطينيين العرب او الاساءة اليهم ماديا . وقد رأينا عدم الاستناد في الحديث عن الحملة الارهابية الصهيونية الى اي مصدر عربي رغم تأكيد جميع هذه المصادر لها ورأينا الأخذ برأي القنصل الاميركي في القدس في تلك الفترة حتى لا يكون هناك أدنى شك في نوايا الصهيونية الارهابية نحو الشعب العربي في فلسطين فقط وليس ضد بريطانيا .

ففي رسالة للقنصل الاميركي بتاريخ ١٩٣٩/٦/١٢ الى وزير خارجيته كتب ما يلي :

«بدأ الارهاب اليهودي في ١٩٣٩/٥/٢٥ ضد العرب وليس ضد البريطانيين : اذ قام ثلاثة من اليهود في سيارة مسروقة من شقيق حاييم وايزمان باطلاق النار على مجموعة من العرب في حيفا وجرحوا خمسة بينهم ، واحد منهم جراحه قاتلة . وفي ٥/٢٩ دخل ثمانية يرتدون الملابس الاوروبية ويتحدثون العبرية قرية بيار عدس العربية في سهل شارون حيث قتلوا أربع نساء ورجلا واحدا وجرحوا ثلاثة رجال آخرين.

وفي ١٩٣٩/٦/٢ حدث انفجار في سوق البطيخ بمدينة يافا في التاسعة صباحا وقتل ستة من العرب وجرح ثمانية عشر»(١).

واستمر الارهاب الصهيوني موجها ضد العرب لا ضد البريطانيين على عكس ما هدد به بن جوريون وغيره من الزعماء الصهيونيين عشية اعلان الكتاب الابيض اذ يستفاد من رسالة القنصل الاميركي نفسه بتاريخ ١٩٣٩/٦/٢٨ رقم ١٩٨٣ استمرار الارهاب مع اتخاذه طابعاً دموياً أكثر ، فقد لاحظ القنصل ان الارهاب الصهيوني استهدف الأبرياء عندما كان أول ضحاياه أربع نساء في قرية عربية وادعة وستة من القتلى في السوق العام .

وذكر القنصل تفصيلا :

« تزايد الارهاب اليهودي واتخذ شكل القاء القنابل بالاضافة الى اطلاق النار وتوجه

(١) Foreign Relations , 867N . 4016 / 88 ., opcite .

نحو تخريب المنافع العامة اكثر من قتل الاشخاص في الفترة الأخيرة . . . . كان اخطر ما حدث هو ما تم في ٦/٨ وذلك عندما لاحظ طفل امرأة ترتدي زيا عربيا وتحمل سلة بها خبز يهودي (افرنجي) وقام بابلاغ البوليس عنها وذلك وقت زيارة الناس للسجن المركزي في القدس حيث كان هناك أكثر من مائة امرأة وطفل . ثم اكتشاف ستة ارطال من الجلانجيت وكانت المرأة يهودية يمنية رفضت ان تفصح عن مصدر المتفجرات . . وفي ٦/١٢ قتل خمسة اشخاص بعد خطفهم من « بلدة الشيخ » قرب حيفا . وفي ٦/١٩ انفجرت قنبلة موقوتة في سوق الخضار العربي بحيفا الساعة السادسة صباحا وقتلت ثمانية عشر عربيا وجرحت واحدا وثلاثين آخرين مات منهم اثنان »(١) .

ونلاحظ هنا موقفا متناقضا تماما في ظاهره ، فالقيادة الصهيونية تسير المظاهرات اليهودية ضد الكتاب الابيض وتعلن مواقفها الرسمية المنددة بسياسة بريطانيا وفي الوقت نفسه تستخدم القتل والارهاب ضد المواطنين الفلسطينيين العرب ، لكننا اذا ما ادركنا ان احدى المقولات التي سيطرت على العقل الصهيوني كانت تتلخص في منح اليهود وطنا في ارض بلا شعب كان سهلا علينا تفسير السلوك الصهيوني الذي أراد ان يثبت ان فلسطين ينبغي ان تكون بلا شعب إما بالابادة او الطرد عندما اكتشف هؤلاء ان فلسطين فيها شعبها ، ولربما كان الكتاب الابيض في حينه لغزا لغير الفلسطينيين ولكن القيادة الفلسطينية بحكم تجربتها المريرة مع كل من بريطانيا والحركة الصهيونية كانت واثقة ان ما تعلنه كل من بريطانيا والقيادة الصهيونية هو غير ما ينفذ،لذا فان القيادة الوطنية الفلسطينية رفضت الكتاب الابيض في حينه ولم تعلق عليه أي أمل .

ورغم عدم توافر الوثائق التي تثبت الموقف البريطاني المتناقض الا ان سلوك البريطانيين بعد اعلان الكتاب كان غير ما أعلن وأن الاحتمالات باطمئنان القيادة الصهيونية الى عدم تنفيذ الكتاب كانت واردة منذ البداية ، فقد قابل ماكدونالد وزير المستعمرات البريطاني (وصاحب سياسة الكتاب الابيض) يوم صدور الكتاب حاييم وايزمان مقابلة خاصة « ولا بد ان يكون قد طمأنه الى أن بريطانيا لم تتخل عن تأييد الصهيونية »(٢)،يؤكد هذا القول دفاع حاييم وايزمان عن موقف بريطانيا اثناء انعقاد المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين في اغسطس عام ١٩٣٩ بالاضافة « الى عدم وضع ممثلي السلطة العسكرية في فلسطين الكتاب الابيض موضع التنفيذ منذ البداية »(٣)، ولا أعتقد أن السلطة العسكرية البريطانية التي

(١) Foreign Relation , 867N . 4016 / 88 . opcit .

(٢) د . العقاد ، المشرق العربي المعاصر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٢٩ .

(٣) د . العقاد ، المصدر نفسه ، ص ٣٢٩ .

اشتهرت بالتزامها بتنفيذ القرارات السياسية كانت تخالف رغبة حكومتها في عدم تنفيذ الكتاب، والرأي عندي ان هذه السلطة عملت بايحاء من حكومتها على عدم التنفيذ .واذا ما نظرنا الى جوهر الكتاب الابيض والمتلخص في تنظيم الهجرة اليهودية الى فلسطين فاننا نلاحظ منذ البداية ان الحكومة البريطانية لم تقم باتخاذ اي خطوة للحد من هذه الهجرة وأعطي الصهيونيون الفرصة اكثر من أي وقت لادخال المهاجرين اليهود سواء باذن من بريطانيا أو بغير اذن وهو أمر يضيف تأكيدا الى عدم نوايا بريطانيا في تنفيذ الكتاب .

فقد ذكر القنصل الاميركي في القدس في رسالته الى وزير خارجيته بتاريخ ١٩٣٩/٦/٣ ما يلي : « تم اعتقال تسعمائة وستة مهاجرين يهود « غير شرعيين » في ١٩٣٩/٦/١ على ظهر السفينة اليونانية Liesel والتي أفاد ضباطها بقيام السفينة نفسها برحلتين سابقتين مما يؤيد الاعتقاد السائد ان مهاجرين غير شرعيين يدخلون البلاد سرا دون أن يتم اعتقالهم . كما افادت البرقية نفسها باعتقال ٨٠٠ آخرين في وقت سابق »[١] .

ومن المعروف ان جميع المعتقلين والمهاجرين اليهود كان يسمح لهم بدخول فلسطين حتى لو أعيدوا مؤقتا الى بعض المستعمرات .

لم تكن هناك سلطة صهيونية تستطيع اتخاذ قرار نهائي وملزم حول الكتاب الابيض غير المؤتمر الصهيوني الذي يعتبر أعلى سلطة صهيونية ينبغي على المؤسسات الصهيونية الأخرى تنفيذ قراراته، لذا كانت سياسة الكتاب الابيض التي اعلنت عام ١٩٣٩ م أهم بند على جدول اعمال المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين الذي عقد في جنيف في الفترة ما بين ١٦ ـ ٢٥ اغسطس ١٩٣٩م، وحتى تاريخ انعقاد المؤتمر لم تكن المؤسسات الصهيونية قد وصلت الى قرار أو حاولت تنفيذ أمر ما باستثناء الاحتجاجات، وكان يسيطر عليها عدم الوضوح في اعلان موقفها الرسمي من الكتاب الابيض بعد ان تبين لها بالقول السري او بالعمل ان النوايا البريطانية ليست حقيقية . وعبرت جولدامائير عن هذا الموقف الصهيوني خير تعبير :

« كان من الواضح أن يرفض الكتاب الابيض بعد اجتماعاتنا ومناقشاتنا واحتجاجاتنا ولكن ما العمل ؟ هل نتحدى بريطانيا ؟ واذا كان كذلك فكيف ؟ في أي اتجاه ولأي هدف ستتوجه الحركة الصهيونية ؟ اسئلة أجاب عنها مؤتمر ١٩٣٩ م »[٢]

(١) Foreign Relations , 867N. 55 / 176., op cit.

(٢) جولدامائير ـ الحقد ـ (ترجمة) عن My Life سلسلة يوميات قادة العدو رقم ٢ ـ دار المسيرة بيروت ط ١ سنة ١٩٧٩ ، ص ١٣١ .

المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرون :

تعتبر مناقشات المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين وقراراته أساس مستقبل النشاط الصهيوني في فترة الحرب العالمية الثانية اذ انعقد المؤتمر في ظروف كانت فيها علامات نشوب الحرب العالمية الثانية واضحة وكان على هذا المؤتمر ان يضع أسس التحرك الصهيوني ولكن في ظل احتمالات الحرب، وبعد ان أصدرت بريطانيا الكتاب الابيض وبدأ الارهاب الصهيوني ضد الفلسطينيين العرب . لذا فقد كان امام المؤتمر قضايا صهيونية اساسية ينبغي عليه مناقشتها واتخاذ قرارات بشأنها وأهمها :

١ ـ الزعامة الصهيونية : أو بمعنى آخر مناقشة وضع زعامة المنظمة الصهيونية وهل تبقى أم ينتخب غيرها ؟

٢ ـ العلاقة مع بريطانيا .

٣ ـ العلاقة مع الفلسطينيين العرب ومع العرب عامة لا سيما وان دور العرب غير الفلسطينيين أصبح مؤثرا منذ عام ١٩٣٦ م .

٤ ـ بحث حاجات الحركة الصهيونية في الفترة المقبلة .

خيم على المؤتمر ـ في بدايته ـ مناقشات حول العلاقات البريطانية الصهيونية ومناقشة سياسة الكتاب الأبيض المعلنة في مايو ١٩٣٩ م وسيطر على المناقشات احتمال تدمير الوطن القومي مع نشوب الحرب والتي بدورها ستدمر الحريات والانسانية في العالم كله . وحتى ١٩٣٩/٨/٢٢ كان المؤتمر الصهيوني يحاول اتخاذ قرار بشأن العلاقات مع بريطانيا ولكنه فشل في ذلك ، واضطر المؤتمر الى بحث الشؤون الصهيونية الأخرى بعد أن اعلن الاتفاق الروسي الالماني في ١٩٣٩/٨/٢٣ « اذ خابت آمال الصهيونيين بعد اعلان هذا الاتفاق واضطروا الى اعتبار الكتاب الابيض غير شرعي »[١] دون مزيد من المناقشة .

ان اعلان وايزمان عن خيبة آمال الصهيونيين بعد اعلان الاتفاق الروسي الالماني لافت للنظر : هل كان وايزمان يرأس قوة كبرى حتى يخشى هذا الاتفاق ؟ ام كان وايزمان يراهن على اتفاق آخر وجاء الاتفاق الروسي الالماني ليخيب آماله ؟ ان رأينا يتلخص في مراهنة وايزمان على اختلاف سوفيتي الماني ووئام سوفيتي بريطاني في الوقت نفسه مستندا الى اتصالات عام ١٩٣٨ م بين بريطانيا والاتحاد السوفيتي وعندما اتخذ تشمبرلن رئيس الوزراء البريطاني موقفه المفاجىء في فرض التجنيد الاجباري على الشباب البريطاني يبدو أن

(١) Haim Weizmann , Trial and Error ,Schoken Books , N . Y 1966 , P . 413 .

وايزمان لم يأخذ الامر بجدية واعتبره نوعا من الاحتياط .

رأى صديق وايزمان الحميم ريتشارد مانير تساهاجن في كتابه Middle East Diary «ان وايزمان في شهر يوليه ١٩٤٥ كان قد فقد القدرة على الامساك بالحوادث[1]، وفي تقديري أن بداية هذه الفترة في حياة وايزمان كانت في أغسطس ٣٩ واستمر يفقد القدرة على الامساك بالحوادث رويداً رويداً إذ ان خيبة آمال وايزمان لم يشاركه فيها أحد، حتى البريطانيون أنفسهم بعد شهر مارس ١٩٣٩ كانوا في انتظار نذر الحرب فكيف بهم وهم الذين عقدوا اتفاقية الحماية مع بولندا، ورغم ذلك فقد كان الاتجاه الذي قاده وايزمان أثناء مناقشات المؤتمر الصهيوني من أبرز اتجاهاته إذ ظل وايزمان وفياً لبريطانيا ودافع عن موقفها بعنف وبلا هوادة ورأى أن التحالف معها يبقى ضرورياً للصهيونية» . إذ ان ماكدونالد لن يستمر وزيرا للمستعمرات «وبقدر ما هي بريطانيا ضرورية للصهيونية فإن التطور الصهيوني لفلسطين يبدو حيوياً لبريطانيا»[2]، وهنا أعلن وايزمان الارتباط العضوي بين الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني دون لف أو مواربة . لخص وايزمان في خطابه الافتتاحي للمؤتمر الصهيوني بتحفظه المعروف تاريخ الاثني عشر شهرا السابقة من عمر الصهيونية وذكر أن تراجع الحكومة البريطانية عن خطة التقسيم التي أوصت بها لجنة بيل سنة ١٩٣٧ كان نتيجة لاحتجاجات مصر عليه[3] التي سبق ذكرها في هذا البحث .

وهو أمر يفسر موقف الوفد الصهيوني في محادثات سان جيمس المستميت من أجل التقليل من شأن العرب بشكل عام وشأن مصر بشكل خاص في الحرب المقبلة ، وفي رأينا ان اشارة وايزمان هذه استهدفت امورا عدة سبق ذكرها ولكنها في الوقت نفسه ناقضت آراء الصهيونيين القائله بعدم « اهتمام مصر بالقضية الفلسطينية والقضايا العربية الأخرى في الاربعينيات »[4] وتحسبا لموقف مصر طلب وايزمان من اليهود ان يضحوا من أجل تذليل الصعوبات التي تواجه بريطانيا من خلال مغالاتها في فكرة قيمة العرب كاصدقاء او حلفاء[5] «ورأى ان هناك خطوتين ضروريتين لتقوية مركز الامبراطورية البريطانية ، الأول منها : المعاهدة البريطانية مع تركيا (وقد تم توقيعها) وبذا يكون أهم انجاز دبلوماسي في عام١٩٣٩ . والثانية الاسراع في تشجيع التطور اليهودي في فلسطين والذي سينضم سكانها

(١) Richard Minertz Hagen , Middle East Diary , 1917 - 1956 , London , Cresset Press , 1959 , p . 194 .
(٢) (نشرية صهيونية) Palestine , 16 - 8 - 1939 , P. 258 , Opcit .
(٣) Palestine , 25 - 8 - 1939 , P . 265 , Opcit .
(٤) Abba Eban , Auto Biogrophy , A Futura book , London , 1979 , P . 39 .
(٥) Palestine , 25 - 5 - 1939 , P . 265 , Opcit .

باخلاص الى الامبراطورية[1]، وعليهم كيهود - رغم اعلان الكتاب الأبيض - دعم الديمقراطية البريطانية في ساعاتها المظلمة كما عليهم الاستمرار في عملية الاعمار في فلسطين رغم كل الظروف ، ففي جنبات الكتاب الابيض توجد بعض الامكانيات والآمال »[2] .

نخلص الى القول ان المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين استمع باهتمام الى آراء وايزمان ونظرته السياسية الى مستقبل العلاقات مع بريطانيا ، ولم يقدم بن جوريون على استخدام العنف الذي هدد به ضد بريطانيا لأنه رأى في كل أقوال وايزمان ما يطمئنه الى أن سياسة بريطانيا المعلنة ستكون غير سياستها الفعلية ، وربما تذكر بن جوريون وصية ضابط المخابرات البريطاني اورد وينجت صاحب الميول الصهيونية المشهور - قبل طرده من فلسطين ووداعه للصهيونية في نهاية ١٩٣٨ . « انصحكم ألا تفقدوا الأمل في حسن نوايا بريطانيا ، اذا ما جنحتم للعنف وقتلتم شرطيا انجليزيا ستصدمون الشعب في انجلترا وربما تفقدون مصدر قوة عظيمة وثمينة »[3] .

لقد كان امام المؤتمر الصهيوني مذكرة قدمت اليه قبل انعقاده وقد حددت المذكرة الضروريات الصهيونية في المرحلة القادمة بما يلي :

١ - عدم التعاون التام مع بريطانيا اذا ما نفذت الكتاب الابيض مع عدم استخدام العنف ضدها .

٢ - التأكيد على خلق وحدة اقتصادية وسياسية يهودية مع العرب .

٣ - اعادة التأكيد على وحدة وتقدمية الحركة الصهيونية .

٤ - زيادة العمل بين اليشوف (التجمع اليهودي في فلسطين) .

وباستثناء خلق الوحدة الاقتصادية والسياسية مع العرب فان المؤتمر ناقش ما جاء في المذكرة بافاضة وبالذات البند الأول منها . وقد خلصنا من عرضنا السابق الى اهتمام المؤتمر بالاتجاه الذي قاده وايزمان ، الا ان ذلك لا يعني عدم وجود تيارات أخرى عارضت وايزمان ووقفت في وجهه .

كان أضعف الاتجاهات المعارضة في المؤتمر الصهيوني هو ذلك الاتجاه الذي قاده بعض اليساريين «وطالبوا بعدم ربط مصير الصهيونية بأي قوة امبريالية »[4] ولم يأبه المؤتمر لهذا

(١) Ibid , P . 268 .
(٢) Walter Laquer , A history of Zionism , Weiden Field and Nicolson , London , 1972 , P . 531 .
(٣) Howard M . Sacher , Europe Leaves the Middle East , 1936 - 1945 , Allan Lane , Great Britian , 1974 , p . 101 .
(٤) على لسان بافل ممثل حزب بوعيل زيون . W . Laquer , P . 532 , Opcit .

المطلب فقد كان معظم اعضائه يعلمون ان الارتباط الصهيوني مع القوى الامبريالية في العالم امر لا فكاك منه .

ويمكننا القول ان المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين انقسم الى ثلاث مجموعات .

المجموعة الأولى رأت ان الوقت قد حان لالغاء سياسة وايزمان ، او التخفيف منها ، تلك السياسة الخاصة بالتعاون التام مع سلطة الانتداب البريطاني . والمجموعة الثانية تبنت عكس ذلك تماما اذ رأت في التعاون مع بريطانيا امرا لا بد منه وانه مرغوب فيه أيضا .

اما المجموعة الثالثة فقد كانت أكبر مجموعة في المؤتمر وحاولت الوصول الى حل وسط بين النقيضين السابقين ونجحت في تثبيت رأيها عند القرارات النهائية .

رأى معارضو بريطانيا ان اليهود في فلسطين اصبحوا ذوي كيان خاص يؤهلهم لأن يكونوا دولة وعليهم ان يتصرفوا كما لو كانوا كذلك ، وقد تزعم هذا الرأي بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية بالوكالة اليهودية في القدس اذ كان رأيه أن « على اليهود ان يتصرفوا ـ كما لو كانوا دولة ـ في بعض الأمور التي يحصل فيها خرق من جانب الحكومة البريطانية »[1] .

أما حاييم وايزمان صاحب الاتجاه المعارض لبن جوريون فقد كان رأيه :

« مهما كان دعم بريطانيا للصهيونية ضعيفا فانه كان ملموسا اكثر من اي قوة أخرى »[2] .

أما المجموعة الثالثة التي مثلت الرأي الوسط فقد أعلنت ضرورة الاستمرار في تنفيذ الاهداف الصهيونية مع مراعاة الاستمرار في العلاقة مع بريطانيا وعدم معارضتها او مقاومتها الا كحل أخير لا وجود لحل غيره . وقد مثل هذا الرأي بيرل كاتزنلسون الذي اشتهر بتنظيمه للحركة العمالية الصهيونية ووحدتها منذ نشأتها على ارض فلسطين . فقد أعلن كاتزنلسون ضرورة دعم سياسة الهجرة غير الشرعية وحمل السلاح من قبل اليهود كملاذ اخير بمعنى ان على الصهيونيين ان يكونوا مستعدين اذا هوجموا مع تجنب اراقة الدماء»[3] .

(١) Esco , Vol . 2 , P . 929 . Opcit .
(٢) Ibid , P . 930 .
(٣) Haim Weizmann , P . 412 . Opcit .

وفي النهاية جاءت قرارات المؤتمر معبرة عن هذا الاتجاه الثالث ، ويمكننا ذكر أهم هذه القرارات :

١ ـ رفض المؤتمر الكتاب الأبيض ١٩٣٩ وصوت بالنفي على عدم صلاحيته كقاعدة للنقاش الا ان المؤتمرين تركوا الباب مفتوحا امام مجلس الوزراء البريطاني لامكانية تعديل سياسية الكتاب[1] مما يدل على ان المؤتمر كان واثقا من تعديل الموقف البريطاني المعلن .

٢ ـ التفت المؤتمر الى قضية الوجود العربي ومحاولة تحقيق وحدة اقتصادية وسياسية مع العرب وطلب من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية اختيار لجنة لبحث العلاقات العربية اليهودية بدقة في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية وبحث احتمالات التعاون بين العرب واليهود في هذه الميادين على ان يقدم تقرير اللجنة الى المؤسسات الصهيونية المسؤولة . ولكن ينبغي الملاحظة ان المؤتمر لم يناقش قضية العلاقات العربية اليهودية واكتفى بتشكيل اللجنة .

قامت اللجنة التنفيذية للوكالة باختيار لجنة من ثمانية أعضاء برئاسة كابلانسكي من حزب عمال صهيون سابقا هاشوميرها تسعير (في ذلك الوقت) وعضوية كل من كالفارسكي والدكتور ماجنس اللذين اشتهرا بدعوتهما الى التقارب العربي اليهودي ود . تون ، والحاخام اوزيل والدكتور اوستر ، وهم جميعا من يهود فلسطين ، وباشرت هذه اللجنة اعمالها حتى أغسطس من عام ١٩٤٢ اي بعد انعقاد مؤتمر بلتمور ، وقامت خلال مدة عملها بمسح العلاقات العربية اليهودية واحتمالات الاتفاق بينها حول أمور لخصتها كما يلي :

١ ـ نوع الحكومة التي ستحكم فلسطين بعد انتهاء الانتداب .

٢ ـ الهجرة اليهودية الى فلسطين .

٣ ـ مسألة الاراضي وانتقالها من عنصر الى آخر .

٤ ـ قيام دولة ثنائية القومية (عربية ويهودية) في فلسطين كجزء من اتحاد فدرالي مع البلاد العربية المجاورة . كما بحثت اللجنة انهاء الانتداب البريطاني وعقد معاهدة مع

(١) Palestine , 26 /8/ 39 , P . 269 , Opcit .

الحكومة البريطانية تضمن الوضع السياسي الجديد[1] . الا ان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية أخفت تقرير اللجنة وذلك لان بن جوريون ومن يؤ يده كانوا منهمكين في تمرير برنامج بلتمور وأخذ موافقة المؤسسات الصهيونية عليه وهو برنامج يخالف تقرير اللجنة . لذا فان الحملة الصهيونية ضد الدولة الثنائية القومية اشتدت بعد تقدم التقرير ، وبدلا من أن يكون التقارب العربي اليهودي جزءاً من السياسة الصهيونية الرسمية اصبح سياسة بعض المعارضين لهذه القيادة من أمثال د . ماجنس رئيس الجامعة العبرية بالقدس وكالفارسكي وغيرهم . . . الخ وهم مجموعة لم تكن مؤثرة في الأوساط الصهيونية .

ورغم اهمال قضية التقارب العربي ـ اليهودي من قيادة المنظمة الصهيونية الا ان هذه القيادة لم تسقط هذه العلاقة من حساباتها نهائيا وجعلتها وسيلة من وسائل تحقيق الاهداف خاصة في مجال الدعاية عندما بدأت نشاطها للسيطرة على اليهود الاميركيين وكسب تأييدهم اذ طرحت القيادة الصهيونية سياسة الكتاب الابيض لليهود الاميركيين على أنها « سياسة عدوانية ضد اليهود في ساعة حرجة ، ولم تنس الادعاء بأن المسؤولين العرب والمسؤولين الصهاينة هم حلفاء في جهدهم للتخلص من الضغط البريطاني وذلك حتى لا يكون في الدعاوى الصهيونية منفذ ينفذ من خلاله المعارضون لسياستها ويقومون باستخدام سخط العرب وسيلة من وسائل وضع الصعوبات في وجه الدعاية الصهيونية .

نخلص الى الاستنتاج ان قرارات المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين دارت حول ما يأتي :

١ ـ الاعلان عن رفض سياسة الكتاب الابيض ١٩٣٩ .
٢ ـ عدم الفكاك بين الصهيونية وبريطانيا وضرورة استمرار التعاون بينهما .
٣ ـ استمرار الهجرة غير الشرعية التي أيدها بيرل كاتزنلسون الزعيم العمالي الصهيوني .
٤ ـ ضرورة الاستمرار في الاستعداد العسكري وحمل السلاح واستخدامه عند الضرورة .
٥ ـ الايعاز الى اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بتشكيل لجنة لبحث العلاقات العربية اليهودية .
٦ ـ العمل بنشاط وتنظيم بين أوساط اليهود الاميركيين .

وحتى لا يتعرض العمل الصهيوني للخلل اذا ماوقعت الحرب ، وحتى يتجنب

---

(١) Aharon Cohen . P . 297 . Opcit .

الصهيونيون الصعاب التي واجهت المنظمة الصهيونية في فترة الحرب العالمية الأولى قام المؤتمر الصهيوني باختيار مجلس عام مكون من ٧٢ عضوا على ان يجتمع هذا المجلس ويختار من أجل تنفيذ المهمات العاجلة مجلسا داخليا مكونا من ٢٨ عضوا على أن يكون لكل عضو منتخب من يمثله من يهودفلسطين في حالة عدم تمكنه من الحضور او حدوث اي شيء له . وعند اختيار هذا المجلس الداخلي فاز حزب الماباي بـ ١٣ عضوا من بين الـ ٢٨ عضوا وبذا أصبح المجلس الداخلي مع اللجنة التنفيذية للمنظمة (وكانت أغلبية اعضائها من يهود فلسطين) هما صانعي القرارات الصهيونية في فترة الحرب العالمية الثانية بالنسبة للامور الملحة وبالذات المالية والهجرة والتشريعات[1] وهو أمر جعل صنع القرار الصهيوني من صلاحيات المؤسسات الداخلية الصهيونية في فلسطين بعد أن كان من صنع المؤسسات الخارجية وجعل قيادة دافيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في القدس تبدأ في الصعود منافسة لقيادة وايزمان التي كانت تعتمد على المؤسسات الخارجية والعلاقات الدولية . وعند انهاء المؤتمر جلساته قام حاييم وايزمان بابلاغ تشرشل في ١٩٣٩/٨/٢٩ « ان اليهود سيقفون الى جانب بريطانيا »[2] في خطوة قصد بها تطمين تشرشل على الموقف الصهيوني . وفي ١٩٣٩/٩/١ اعلنت الحرب العالمية الثانية عندما أقدمت المانيا النازية على مهاجمة بولندا . فكيف اصبح الموقف الصهيوني بعد اعلان هذه الحرب ؟

---

(١) Walter Laquer . P . 537 . Opcit .
(٢) Ibid . P . 533 .

الموقف الصهيوني بعد اعلان الحرب العالمية الثانية

«انتقلت الحقوق الممنوحة للمجلس الصهيوني العام الذي انتخبه المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرون الى المجلس الصهيوني الداخلي وأصبح هذا المجلس اهم هيئة خلال سنوات الحرب اذ انيطت به مسؤولية النظر في جميع التوصيات الصادرة عن اللجنة التنفيذية بصدد كل مشاكل الساعة »[١] .

وفي ١٩٣٩/٩/٣ اي في اليوم الذي أعلنت فيه بريطانيا الحرب على المانيا أعلن حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية « دعم الشعب اليهودي في فلسطين لمجهود الحلفاء »[٢] وبذا فتح وايزمان عهدا جديدا في ميدان الاستعداد العسكري الصهيوني كما قام بن جوريون الذي تبنى الرأي المعارض لسياسة الوفاق الصهيوني مع بريطانيا في المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين ومعه اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية « بالطلب الى الشباب اليهودي الانخراط في الجيش »[٣] عندما وجهت اللجنة التنفيذية للوكالة نداء للشباب اليهودي في فلسطين بالانخراط في وحدات يهودية من أجل قتال هتلر ، وهنا كشف بن جوريون عن نوايا الصهيونية الحقيقية بالنسبة للتجنيد منذ البداية اذ طالب بوحدات يهودية منفصلة ولم يطلب التجنيد مع جيوش الحلفاء وبدأ فعلا تسجيل الشباب اليهودي ما بين سن ١٨ سنة و٣٥ سنة وهي السن التي تمثل أكبر نسبة بين التجمع اليهودي في فلسطين في ذلك الوقت كما أعلن بن جوريون شعاره المعروف : سنخوض الحرب وكأن الكتاب الابيض غير موجود وسنحارب الكتاب الابيض وكأن الحرب لم تعلن وهو شعار يحمل في الظاهر حسب اعتقادنا كل معاني التناقض اذ كيف يستطيع بن جوريون محاربة بريطانيا وهي تخوض حربا ضد المانيا النازية وفي الوقت نفسه يحارب معها . لقد حمل شعار بن جوريون كما نعتقد نوايا الصهيونية المتمثلة في انتهاز فرصة الحرب للاستعداد العسكري كما رأى بن جوريون فرصة في الحرب تجيء بعدها الدولة الصهيونية كما جاءت الحرب العالمية الأولى بوعد بلفور . وهو أمر يؤكد النوايا الانتهازية للقيادة الصهيونية اذ ان ما كان يهمهم من الحرب هو اعلان الدولة اليهودية بعدها .

وتوالت تصريحات المسؤولين الصهاينة بعد تصريح بن جوريون مؤيدة لبريطانيا ،فقد

(١) اسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، مركز الابحاث الفلسطينية ، بيروت ، يوليو ١٩٦٧ ص ١٢٦ ، (رسالة ماجستير) .
(٢) Amos Perlmuter , Military and Politics in Israel , Franc Cass and comp , London , 1969 , P . 33 .
(٣) Ibid . P . 34 .

أعلن موسى شرتوك (شاريت فيما بعد) رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية « أن اليهود في فلسطين في حالة هدنة مع الانجليز وتقديم اليهود للمساعدة ليس مرتبطا بحدود فلسطين »[١] .وقامت المنظمات الصهيونية التي لم تكن أعضاء في المنظمة الصهيونية الأم والتي كانت تعلن التطرف ضد بريطانيا باعلان التأييد لبريطانيا ،فقد وزعت منظمة الارغون المنظمة العسكرية القومية (اتل) N.M.O. منشورا بتاريخ ١٩٣٩/٩/١١ أعلنت فيه انها اوقفت عملياتها ضد الانجليز »[٢] . وهو أمر لا داعي لنقاشه فقد أفاد القنصل الاميركي كما أوضحنا سابقا ان الارغون مارست ارهابها ضد العرب ولم تمارسه ضد الانجليز في هذه الفترة .

وصف (ستجر) القنصل الاميركي العام في القدس الوضع الصهيوني في فلسطين على النحو التالي :

« غيرت الحرب الوضع بين يوم وليلة . تأجل الكثير من القرارات (الصهيونية) ووُوفق على الكثير من المستعجل منها . . رغم معارضة اليشوف للكتاب الابيض فسيستمر اليهود الى جانب بريطانيا (حسب رأي بن جوريون) وأعلنت المنظمات الصهيونية اخلاصها لبريطانيا على أمل تغيير سياستها» .

وكما تغيرت اللهجة الدعائية بين أوساط القيادة الصهيونية ضد بريطانيا بدأ التغيير واضحا في سياسة بريطانيا التي أعلنتها بموجب الكتاب الابيض وبدأنا نلحظ التراخي البريطاني الواضح ،اذ ذكر القنصل الاميركي (ستجر) في القدس بتاريخ ١٩٣٩/٩/٢١ ان الهجرة غير الشرعية (اليهودية) تستمر رغم اعلان الحرب ولا يتوقع مسؤول الهجرة البريطاني في دائرة . C . I . D . Criminal Investigation Department (دائرة التحقيق الجنائي) حل مشكلة الهجرة « غير الشرعية » بسبب الحرب اذ دخل فلسطين ثلاث سفن منذ اعلانها .

ويتبنى اليهود سياسة انتهاز الفرص .فرغم معارضتهم للكتاب الابيض الا انهم يرون في التعاون مع بريطانيا أفضل السبل لتحقيق اهدافهم ، اذ دخل البلاد بصفة « غير شرعية » خمسة آلاف مهاجر على متن سفن مختلفة وزاد عدد هؤلاء منذ ١٩٣٩/٤/١ الى تسعة آلاف وسبعمائة مهاجر وسيدخل البلاد (فلسطين) عشرون ألفا .[٣]

(١) (٢) Walter Laquer , P . 533 , Opcit .
(٣) Foreign Relations , 1939 , 867 n . 55 / 196 , Opcit .

ذكر القنصل « ان اليهود يرون في التعاون مع بريطانيا أفضل السبل لتحقيق اهدافهم » والسؤال هو هل هناك من طرف غير بريطانيا يمكن لليهود ان يتعاونوا معه ، وهل يمكن لبريطانيا ان تتعاون لتحقيق هدف لا تكون موافقة عليه ، ما دام الامر مرتبطا بالتعاون . واذا كان مسؤول الـ C.I.D البريطاني يعلم بالهجرة غير الشرعية ويعلن انها ستستمر فهل يعني ذلك ان حكومته ضد هذه الهجرة حقيقة ؟

أمام هذه الوقائع لن يصعب علينا الاستنتاج بأن الطمأنينة دخلت الى نفوس القيادة الصهيونية تجاه بريطانيا رغم كل الإعلان الصهيوني الذي رافق الكتاب الابيض .

وهنا وجدت القيادة الصهيونية نفسها أمام واقع صعب ومتناقض لذا كان عليها أن تبرر تصرفها امام جماهير اليهود كما كان عليها ان تبرر السلوك البريطاني أيضا ، وهنا رأت القيادة الصهيونية في الهجوم على النازية مبررا لها في سياستها مع بريطانيا وقد استمر الكفاح ضد الكتاب الابيض خلال سنوات الحرب ولكن طغت على هذا الموقف المتطلبات ضد النازية »[١] .

وحتى هذا الاعلان لم يكن مستندا على واقع تاريخي ،فقد كانت القيادة الصهيونية غارقة في تعاونها مع النازية، ولم يقطع هذا التعاون الا بعد أن رفضته القيادة السياسية النازية لاعتبارات من وجهة نظرها هي ، ولم تقم القيادة الصهيونية بقطع هذا التعاون وهو أمر سنناقشه عند الحديث عن العلاقات النازية الصهيونية .

وما ان تسلم ونستون تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية في مايو ١٩٤٠ حتى زادت الطمأنينة لدى القيادة الصهيونية اذ من المعروف ان تشرشل مؤيد للصهيونية دون تحفظ كما سبق أن أعلن موقفه الرافض للكتاب الابيض في مجلس العموم البريطاني مخالفا بذلك رأي الحزب (المحافظين) الذي ينتمي اليه والذي أصدر الكتاب الابيض .

وبدأت في الوقت نفسه تتحقق مخاوف العرب الذين شكوا في النوايا البريطانية منذ البداية ،تلك الشكوك التي اراد ماكدونالد ان يزيلها :« ان الحاجة الى ازالة الشك في خيبة آمال العرب ضرورية وسيكون حيادهم ضروريا في الحرب »[٢].ولكن تشرشل منذ مجيئه أزال الغموض حول الكتاب الابيض وبدا يتصرف كما لو لم يكن الكتاب الابيض موجودا ، فقد وصل نيوكمب مبعوث وزير المستعمرات البريطاني الى بغداد لمقابلة جمال الحسيني ،

(١) Yigal Alon , Shield of David , Weiden Field and Nicolson , Tel - Aviv , 1970 , P . 109 .

(٢) Michael Cohen , P . 84 , Opcit .

وموسى العلمي (من الشخصيات الفلسطينية) وبحث معهما تعديل الكتاب الابيض على أمل أن تقبل به اللجنة العربية العليا الفلسطينية والتي كانت تتولى قيادة العمل الوطني في فلسطين ورفضت الكتاب الابيض حين صدوره ، وقد رأى نيوكمب اقامة حكومة فلسطينية بدلا من الحكم الذاتي .وبعدها سافر الى القاهرة على أمل ان يرد جواب من المسؤولين البريطانيين الا أنه علم فيها بعد ان تشرشل رفض اقتراحاته .[١]

لم يتأخر تشرشل كثيرا في الاعلان عن تأييده الصهيوني وعدم اهتمامه بالموقف العربي، فقد كتب بعد توليه رئاسة الوزارة بثلاثة عشر يوما الى لورد لويد وزير المستعمرات البريطاني الجديد الذي حل محل ماكدونالد في وزارة تشمبرلن يخبره « ان هدفنا الوحيد في فلسطين الآن هو تحرير احدى عشرة كتيبة من خيرة جنودنا في فلسطين لذا يجب تسليح اليهود ويجب تنظيمهم بأسرع ما يمكن اذ لا يمكن تركهم دون سلاح »[٢] .

وهنا لم يعد العرب معنيين في نظر تشرشل ، وهو في نظرنا امر طبيعي نظرا لما عرف عنه من حماس للصهيونية يعادله كره شديد للعرب وصل الى درجة العقد النفسية غير القابلة للحل وربما نشأت هذه العقد منذ افلات تشرشل باعجوبة من القتل على أيدي الانصار خلال الثورة المهدية في السودان سنة ١٨٩٥ ، الا أننا نميل الى الاعتقاد ان تشرشل كشخصية استعمارية راهن على مصلحة بريطانيا في المنطقة خلال الحرب العالمية الثانية من خلال دعمه للصهيونية غير المتحفظ لا من خلال محاولة تهدئة العرب الذين لم يكن يقيم لهم وزنا . وظل تشرشل على رأيه هذا لم يغيره الا في أواخر عام ١٩٤٤ عندما بدأ يرى بعينه انهيار مستقبل الامبراطورية البريطانية بسبب السياسة التي أيدها .

لقد كان تولي تشرشل للوزارة فرصة حقيقة لانهيار سياسة الكتاب الابيض ولم تزد (هذه السياسة) « في جوهرها عن اعطاء اليهود مبررا نظريا لا أساس له في الواقع الملموس لافتعال مواقف واستغلالها من أجل السير بالمشروع الصهيوني نحو الامام » .

نتائج الكتاب الأبيض :

لقد حقق الكتاب الابيض في رأينا اختلافا في الرأي بين القيادات الفلسطينية نفسها بالنسبة لسياسة بريطانيا كما حقق اختلافا في الرأي بين القيادات العربية الأخرى . فقد رأت بعض القيادات الفلسطينية في الكتاب الابيض املا ومنهاجا لحل مشكلة فلسطين وقد مثل هذا الرأي حزب الدفاع الفلسطيني الذي كان يرأسه راغب النشاشيبي في حين رفضت

(١) Geoffery Furlouge , p . 127 , opcit.

(٢) Moshe Pearlman , Ben Gurion Looks back , Weiden Field and Nicolson , London , 1965 , P . 103 ..

اللجنة العربية العليا التي كان يقودها الحاج امين الحسيني سياسة الكتاب الابيض وفطنت الى نوايا بريطانيا غير الطيبة منذالبداية ،ولم تشأ التعول على وعود بريطانية لا أساس لها من الواقع ،اذ لو ارادت بريطانيا خيرا بهذا الشعب لما دعمت الوجود الصهيوني بكل ما أوتيت من قوة ولما قاومت المطالب الفلسطينية بكل عنفوشراسة ،كما ان هذه القيادة لم تأت بجديد في كتابهاالأبيض ،اذ اعترفت بالعنصر الصهيوني كصاحب حق في فلسطين وهو أمر رفضته القيادة الوطنية الفلسطينية وما زالت ترفضه حتى اليوم .

أما القيادات العربيةالأخرى ورغم وجود بعض المؤيدين لسياسة بريطانيا فيها فإنها ألقت العبء على الفلسطينيين وتركت تقرير الامور بيدهم كما أعلنت هذه القيادات أنها ستؤيد ما يوافق عليه الفلسطينيون .

إن أخطر ما حققه الكتاب الأبيض في رأينا هو زحزحة بعض الأطراف الفلسطينية عن موقفها الرافض للوجود الصهيوني في فلسطين الى الاستعداد بالقبول به ، وهو أحد الاهداف التي سعت الصهيونية جاهدة للوصول اليه منذ البداية وحققته تحت غطاء بريطاني وبدهاء تام . كما احدث الكتاب فرقة بين الآراء العربية رغم عدم الاعلان عنها في حينه وهو أمر لم يخف على الكثير من الكتاب الاجانب ، فقد كان احداث الفرقة من بين أهداف الكتاب الابيض[1] . وهو أمر يتفق مع رغبات بريطانيا ويتفق مع المطلب الصهيوني اذ لا تستطيع الصهيونية تحقيق اي هدف من أهدافها في ظل أي نوع من أنواع الوحدة العربية .

---

(١) د . صلاح العقاد . المشرق العربي المعاصر ، المرجع السابق ص ٣٢٧ .

الاهداف الصهيونية

لقد اتبعت الحركة الصهيونية اسلوب « المراحل » في تنفيذأهدافها، وفي كل مرحلة كانت تفصح عن أهداف ووسائل داخل مؤتمراتها الصهيونية وخارجها تتناسب مع الظروف التي تقدرها ولا تتعارض مع الاهداف النهائية .

ان أول مناسبة يمكننا الاعتماد عليها في تحديد الأهداف الصهيونية كانت عند انعقاد المؤتمر الصهيوني الأول في مدينة بال بسويسرا عام ١٨٩٧ ذلك المؤتمر الذي دعا اليه تيودور هرزل مؤسس الصهيونية السياسية في العصر الحديث والمتوفى عام ١٩٠٤ م . فقد نجح مؤتمر بال في تأسيس المنظمة الصهيونية كهيئة تشرف على تنفيذ البرنامج الصهيوني الذي أقره المؤتمر وحدده بنقاط أربع هي :

١ ـ الحصول على حق معترف به دوليا للشعب اليهودي في استعمار واستيطان فلسطين .

٢ ـ تشجيع استيطان العمال الزراعيين والصناعيين اليهود في فلسطين وفقا لخطوات مناسبة .

٣ ـ تنظيم اليهود وربطهم جميعا عبر مؤسسات مناسبة على الصعيدين المحلي والعالمي .

٤ ـ تقوية الحس والوعي القومي عند اليهود .

ونلاحظ ان مؤتمر بال لم يعلن ان غاية الحركة الصهيونية هي خلق دولة يهودية واعلن عوضا عن ذلك ان غاية الصهيونية هي خلق وطن قومي للشعب اليهودي يضمنه القانون العام .

انتهت الحركة الصهيونية في عام ١٩٠٥ الى تحديد فلسطين وليس غيرها وطنا قوميا لليهود وذلك عندما ألغى المؤتمر الصهيوني السابع فكرة القبول او المناقشة لما سمي بمشروع اوغندا في حينه من أجل توطين اليهود ، ويعتبر الغاء فكرة مشروع اوغندا بقرار من المؤتمر الصهيوني تعزيزا لاتجاه الصهيونية العملية التي دعت الى استيطان يهودي واقعي لفلسطين .

رافق نجاح الاتجاه الصهيوني العملي في المؤتمر الصهيوني السابع ظهور تجمعات عمالية منظمة صهيونية على ارض فلسطين تبنت افكارا محددة وتلخصت في ضرورة العمل اليهودي على ارض فلسطين وكان أشهر هذه التجمعات :

اولا : حزب العامل الصهيوني « يوعيل زيون » الذي تأسس في روسيا عام ١٩٠١

وظهر كحزب منظم في فلسطين عام ١٩٠٧ ووافق بعد تشكيله على العمل السياسي في اطار المنظمة الصهيونية العالمية ورفع هذا الحزب شعارا مفاده « نحن طبقة نناضل من أجل أن نصبح أمة » .

ثانيا : حزب العامل النشط ، والفتى « هابوعيل هاتسعير » وتأسس في فلسطين عام ١٩٠٦ ورفع شعارا مفاده « دعنا نعمل ونبني امة » وبذا التقى الحزبان في دعوتهما للعمل اليهودي من أجل بناء الأمة اليهودية .

حققت التجمعات العمالية الصهيونية خطوة نحو الوحدة عندما شكل الهستدروت في عام ١٩٢٠ واصبح الممثل للحركة العمالية الصهيونية وهدف الى تعبئة العمال اليهود وتهيئتهم للعمل من أجل الدولة مستقبلا .

وفي بداية يناير ١٩٣٠ حققت التجمعات العمالية الصهيونية خطوة أخرى نحو الوحدة العمالية عندما تم تشكيل حزب («ماباي» عمال ارض اسرائيل)، واستطاع هذا الحزب ان يثبت للقيادة الصهيونية العليا بأنه أداة عمل صالحة لتنفيذ الاهداف الصهيونية على أرض فلسطين .

وأخذ يصعد الى تسلم زمام العمل التنفيذي الصهيوني مع بلورة عقيدته الصهيونية في ان (ارض اسرائيل) فلسطين تعود لليهود الذين يسكنونها ولكل يهود العالم الذين ينوون القدوم اليها، بينما يملك العرب فيها حق المسكن فقط وهو حق يفقدونه عند ترك هذا البلد (فلسطين)(١). وأصبح هذا الرأي ولا يزال هو المسيطر على ذهن القيادة الصهيونية عماليين كانوا ام غير عماليين . فقد صرح اريل شارون وزير الزراعة في حكومة بيجن السابقة الذي يقود تكتل ليكود المنافس للتجمع العمالي (أصبح شارون وزيرا للدفاع في الحكومة آنذاك، . « ان الحكومة تمنح العرب جميع الحقوق داخل أرض اسرائيل ولكنها لن تمنحهم حقا واحدا في ارض اسرائيل هذه الارض التي نحتفظ بها لشعب اسرائيل »(٢) .

ومنذ عام ١٩٣٣ عندما أخذت القطاعات العمالية زمام القيادة الصهيونية بعد نجاحها في انتخابات المؤتمر الصهيوني الثامن عشر بدأت في تنفيذ الشعارات التي طرحتها والعقيدة التي تبلورت في ذهنها ولم يكن هناك من يقف في وجهها على ارض فلسطين غير

---

(١) صبري جريس ، شؤون فلسطينية ديسمبر ٧٥ ، عدد رقم ٥٢ ص ٣٢ .

(٢) نقلا عن هاآرتس في ١٩٧٩/٤/٣٠ في :
Journal of Palestine Studies , Winter 1980 , Vol . 9 No , 2 issue 34 ,

الشعب الفلسطيني نفسه، إذ كانت الحكومة البريطانية على اتفاق تام مع الوكالة اليهودية تمنحها كل الفرص التي تساعدها على النجاح .

شهدت فلسطين في الفترة ما بين ١٩٣٦ و١٩٣٩ احداث الثورة الفلسطينية الكبرى والتي رافقها قمع بريطاني ضد عرب فلسطين بلا هوادة كما شهدت فلسطين وصول لجنة بيل البريطانية في اواخر عام ١٩٣٦ في مهمة لتقديم اقتراحات لحل المشكلة الفلسطينية . وبعد قضاء شهور في الاستماع الى اقوال الكثيرين من سكان فلسطين وتحت تأثير حاييم وايزمان أوصت لجنة بيل بتقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق : ١) منطقة تضم دولة عربية ، ٢) منطقة تضم دولة يهودية ٣) منطقة القدس تبقى تحت السيطرة البريطانية (الخريطة رقم ٢) وقد أفصح وايزمان في شهادته امام اللجنة البريطانية باسم المنظمة الصهيونية ولاول مرة في تاريخ الصهيونية السياسي الرسمي عن مطالبته بحماس شديد بانشاء دولة يهودية «كوسيلة وحيدة لانقاذ الكتل اليهودية من الخطر الذي يهددها » وكان اول مرة يلفظ فيها وايزمان عبارة الدولة اليهودية(١) كمطلب رسمي ،ومنذ ذلك التاريخ دخلت الصهيونية بعد فترة من الاعداد المبرمج والدعم البريطاني المستمر المرحلة الجوهرية في حياتها تحت شعار الدولة اليهودية وبدأ واضحا ان الصهيونية في عام ١٩٣٧ تسعى الى تحقيق اربعة اهداف هي :

١ ـ الهجرة اليهودية المكثفة الى فلسطين .
٢ ـ الاستيطان الزراعي في فلسطين .
٣ ـ تطوير اقتصاد فلسطين لصالح المجتمع اليهودي .
٤ ـ انشاء دولة يهودية(٢) .

وتستدعي هذه الاهداف السيطرة على الاراضي الزراعية وعلى عصب البلاد الصناعي وانشاء المؤسسات الصناعية بالاضافة الى تنمية القوة العسكرية الصهيونية من خلال استغلال الفرص الممكنة للحصول على السلاح والقيام بتدريب الشباب اليهودي وبناء الاماكن الدفاعية من منظور صهيوني .

ولكن توالي الاحداث العالمية وظهور مؤشرات قيام الحرب العالمية الثانية بالاضافة الى الثورة الفلسطينية والدعم العربي الشعبي والرسمي لها جعلت بريطانيا تلتفت باهتمام الى المنطقة العربية في محاولة لضمان هدوئها وحيادها مستقبلا .

---

(١) Moshe Pearlman , P . 64 , Opcit .

(٢) جامعة الدول العربية ـ الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ١٨٨٢ ـ ١٩٤٨ جـ ١ دار نافع ، القاهرة ١٩٧٥ ص ٢٧٣ .

وبدأ الصهيونيون يعلمون بنية بريطانيا في الاعلان عن الغاء التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل وهنا افصح الصهيونيون عن هدفهم في التعامل مع الوجود العربي الفلسطيني « اذ تبنت الوكالة اليهودية سياسة الحصول على الاراضي اذا منع اليهود من شرائها بوسائل أخرى وسيتسلحون ويتدربون في قواعد رسمية وسيحضرون اليهود المهاجرين بطرق غير شرعية»(١).

لم يقصد بيان الوكالة اليهودية في رأينا بالوسائل الاخرى غير الاستعانة ببريطانيا فكيف يمكن الحصول على الارض اذا لم يتم شراؤ ها ؟ وكان بيان الوكالة اليهودية مستندا الى التعاون اللامحدود الذي كانت تشهده فلسطين في عام ١٩٣٨ بين السلطات البريطانية والقيادة الصهيونية ، فقد شهد هذا العام ظهور الضابط الانجليزي وينجت الذي درّب شباب هاجانا الصهيونية على القتال الليلي والهجوم بدلا من الدفاع وشكل زمرا عرفت بالزمر الليلية الخاصة . Special Night Squads , S . N . S هدفها ملاحقة الثوار الفلسطينيين واقتحام القرى العربية التي يشتبه في تعاونها مع الثوار وانزال الموت والدمار بها .

وبانتهاء عام ١٩٣٨ دعت بريطانيا كلا من العرب واليهود للمفاوضات بشأن الوضع في فلسطين في مؤتمر سان جيمس الذي عقد في لندن في فبراير ١٩٣٩،وأثناء المفاوضات الصهيونية البريطانية انصب النشاط الصهيوني على هدفين : الأول : تأكيد الاهداف الصهيونية في فلسطين وارتباط هذا التأكيد بالوعود البريطانية للحركة الصهيونية ، وضرورة تنفيذ هذه الوعود لانها ما زالت متطابقة مع المصالح البريطانية في المنطقة وتقوم بخدمتها .

والثاني : نسف حجة البريطانيين التي قامت على أساسها الدعوة الى مؤتمر سان جيمس،تلك الحجة المتمثلة في محاولة البريطانيين تهدئة العرب وضمان حيادهم في الحرب القادمة لما لهم من أثر اذا ما حاولوا العمل ضد المصالح البريطانية فيما يخص الاستراتيجية البريطانية في منطقة الشرق الأوسط ، وجعل القوة اليهودية في فلسطين بالاضافة الى القوى المحيطة بالبلاد العربية هما العنصرين الاساسيين اللذين يحددان مصير منطقة الشرق الأوسط ويؤثران في أوضاعها وليس العرب كما تعتقد بريطانيا .

ففي اول لقاء بين الوفد البريطاني والوفد الصهيوني رد حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية على ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية بقوله : « ان هدفنا هو السلام ، وان ملايين اليهود تنظر بثقة لا تتزعزع في نوايا بريطانيا ولقد كان التعاون مع بريطانيا هو حجر

---

(١) Nicolson Bethel , P . 49 , Opcit .

الزاوية في سياستنا وسنستمر في السياسة نفسها»(١).

وبعد أن أعلن وايرمان ثقة الصهيونيين في بريطانيا وتعاونهم معها شرح المفهوم الصهيوني بكلمات محددة، فقد ذكر في الخطاب نفسه « لقد قامت الصهيونية على مفهوم التشرد اليهودي وهناك مقولتان في الحركة الصهيونية الأولى ايجابية تجعل من اليهودي في بلده الأصلي امرا عاديا والثانية سلبية هي اساس الأولى وتتلخص في ايجاد مأوى للمعذبين والذين سيعرضون للعذاب »(٢). وهنا بدا واضحا ان وايزمان يطالب بهجرة يهودية مفتوحة غير خاضعة لأي قيد لأنها في نظره امر عادي لا مجال لمناقشته ، كما ربط وايزمان هذه الهجرة بالذين يعذبون والذين سيعذبون من اليهود. ورغم أننا ضد احلال العذاب بأي انسان الا ان وايزمان ربط بين تعذيب اليهود على يد أناس لا علاقة لهم بالعرب بمصير الشعب الفلسطيني في بلده وهي مقولة نجحت الصهيونية في تثبيتها في أذهان الكثيرين عندما ربطت بين خلاص اليهود وفلسطين ، دون ان يتذكر الكثير ان الخلاص اليهودي سيكون على حساب شعب بكامله .

اما دافيد بن جوريون فقد أعلن اثناء المفاوضات في ١٩٣٩/٢/١٧ ، أن الصهيونية تعني الهجرة وبدونها تتلاشى . هناك قاعدتان لاستمرار المفاوضات مع بريطانيا هما الانتداب البريطاني واقتراحات لجنة بيل(٣). وهنا أيد بن جوريون ما طالب به وايزمان عام ١٩٣٧ م حول الاستقلال السياسي من خلال تطبيق اقتراحات لجنة بيل التي رأت تقسيم فلسطين حلا للمشكلة الفلسطينية كما أكد ضرورة حرية الهجرة اليهودية ، أما بالنسبة للجانب العربي فقد نظر اليه بن جوريون نظرة استهتار ولم يقم له وزنا اذ أعلن أن مطلب العرب في وقف الهجرة يعتبر مستحيلا بدون الحراب البريطانية ولا يستطيع العرب منع أي يهودي من الهجرة(٤).

تناوب كل من وايزمان وبن جوريون اثناء المفاوضات على تناول الموقف العربي بالتجريح والاستهتار دون هوادة. فقد رأى بن جوريون « ان فلسطين اليهودية القوية ستكون قادرة على احلال السلام لا في فلسطين فحسب ولكن في البلاد المجاورة ايضا وستقف البلاد وراء بريطانيا وقفة رجل واحد »(٥). وهنا نرى في قول بن جوريون وضوحا

---

(١) David Ben Gurion , My Talks with Arab Leaders, pp . 201 - 202 . Opcit .
(٢) Ibid , p . 206 .
(٣) Ibid , p 256, opcit.
(٤) Ibid , P . 245 .
(٥) Ibid , P . 209 .

لا لبس فيه،اذ ان دولة يهودية قوية سيكون دورها تأديب المنطقة العربية وعدم السماح لها بالقيام بأي حركة ضد بريطانيا ، كما أن دولة يهودية قوية ستكون سندا لبريطانيا لا ضدها ، وهو اعلان لا يقبل التأويل من جانب بن جوريون بارتباط الصهيونية بالقوى الاستعمارية وتعاونها على ضرب قوى التحرر في العالم العربي ليس في عام ٣٩ فحسب بل وفي المستقبل أيضا . كما ان اعلان بن جوريون عن ارتباط المصالح البريطانية بالحركة الصهيونية وقدرتها على الحفاظ عليها يناقض مقولاته التي أعلنها بعد المؤتمر والتي هدد فيها باستخدام القوة ضد بريطانيا.لقد كان بن جوريون صادقا مع نفسه في المؤتمر الا انه مارس لعبة المناورة السياسية بعده . فقد كان يعلم ان بريطانيا الاستعمارية هي الدولة الاستعمارية التي لم تتغير.

أما حاييم وايزمان فلم يشأ الحديث عن الاخلاص اليهودي لبريطانيا ولكنه لفت نظر البريطانيين الى خطئهم في تقدير القوة العربية،والدليل عند وايزمان « ان العرب يثيرون ضجة حول فلسطين ولكن الغريب ان هؤلاء لم يثيروا كلمة واحدة ولم يقوموا بعمل ضد سلخ لواء الاسكندرونه »(١) فماذا عساهم سيفعلون لو أعطيت فلسطين للصهيونية ذلك البلد الذي لم يكن ـ على حد تعبير وايزمان ـ مركز اهتمام وطني للعرب(٢) .

كان كل من وايزمان وبن جوريون يتحدثان بمقولات كانا يعلمان تماما انهاخاطئة .فهما يعرفان الملابسات التي أدت الى سلخ الاسكندرونة عن الوطن الأم سوريا الى تركيا كما كانا يعلمان مدى اهتمام العرب والمسلمين معهم بفلسطين لا كمركز اهتمام وطني بل كمركز اهتمام ديني أيضا،ولكنهما ارادا ان يثبتا لبريطانيا ان المشروع الصهيوني الذي تبنته بريطانيا لاهدافها ما زال هو المشروع نفسه القادر على تحقيق هذه الاهداف البريطانية .

كانت القيادة الصهيونية في المؤتمر تعرض مدى الارتباط البريطاني مع الصهيونية من خلال الحط من قدر العرب وقدرتهم . وبعد أن انتهت القيادة الصهيونية من شرح موقفها من العرب عامة بدأت في تناول القوى العربية التي يمكن ان تؤ يد الفلسطينيين وتؤ ثر في سير المشروع الصهيوني .ويبدأ وايزمان في الحديث عن مصر ويعلن : « ان مصالح مصر المادية لم تكن المعنوية مرتبطة ببريطانيا بقدر ارتباط المصالح الصهيونية »(٣) وهنا وضع مصر في قوتها على قدم المساواة مع المصالح الصهيونية المرتبطة ببريطانيا بالاضافة الى ما يمكن استنتاجه من أقوال وايزمان بأن مصر مرتبطة بالاستعمار البريطاني في رأيه ويمكن لبريطانيا ان تفرض عليها ما تشاء وتقبل به . وهنا وقع وايزمان في مقولة استعمارية تقليدية تتلخص في اهمال

(١) (٢) Ben Gurion , P . 209 , Opcit .
(٣) Ben Gurion , P . 231 , Opcit .

قدرة الشعوب والحط من قيمتها،اذ افترض ان الشعب المصري لن يحرك ساكنا اذا ما وافقت حكومته على ما تطلبه بريطانيا رغم ان وايزمان كان على علم تام بان حكومة مصر ترفض المشروع الصهيوني وأهدافه السياسية ، ونراه بعد شهور في المؤتمر الصهيوني آب ١٩٣٩ يعترف ان الغاء التقسيم تم نتيجة لاحتجاج مصر عليه ، ولا أعتقد أن الاحتجاج المصري كان من غير الحكومة المصرية ، كما كان وايزمان على علم بأن المسؤ ولين البريطانيين الذين يخاطبهم على يقين تام من موقف الشعب العربي في مصر وحكومته ، ولكنه اراد ان يبين للبريطانيين ان هذه القوة غير مؤثرة .

بعد التقليل من شأن العرب والاشارة الى عدم تحركهم ضد بريطانيا اذا ما أقدمت على تنفيذ مقترحات بيل التي جعلها بن جوريون قاعدة المفاوضات انتقل وايزمان الى اخراج المنطقة العربية جغرافيا من دائرة الاهتمام الاستراتيجي للشرق الأوسط وجعلها تابعة لدائرة خارجية عنها.فقد أعلن اثناء الجلسات مع البريطانيين « أن المشكلة الاستراتيجية للشرق الأوسط تقع في دائرتين الأولى داخلية وتمثل الاقطار العربية والثانية خارجية وتمثل تركيا وايران وأفغانستان،واذا لم تكن الدائرة الخارجية معادية فسيتبعها العرب وان مفتاح الوضع هو تركيا»(١) .

ونعتقد أن حاييم وايزمان فقد الامساك بالحوادث وقدرته على التمييز مرة أخرى عندما جنح الى هذا القول اذ سفه آراء الاستراتيجيين البريطانيين جميعا كما سفه المقولة السياسية البريطانية نحو الشرق الأوسط على مدى أكثر من مائة وخمسين عاما . ورغم اعتقادنا بأثر البلدان التي ذكرها وايزمان استراتيجيا الا انها لم تكن مؤثرة في البلاد العربية بل كان الموقف في البلاد العربية هو الاكثر تأثيرا ان لم يكن متبادلا على مدى التاريخ ، ونعتقد ان وايزمان عندما اعلن قوله السابق كان يرى في الاتحاد السوفيتي الخطر القادم على الشرق الأوسط ضد بريطانيا لا المانيا لأنه اشار الى الدول المحاذية للاتحاد.السوفيتي ، واذا كان هذا اعتقاد وايزمان فان في ذلك دليلا آخر على فقده الامساك بسير الحوادث والذي ظهر عليه واضحا في عام ١٩٤٥ كما ذكر صديقه مانيرتسهاجن .

وبعد حاييم وايزمان ودافيد بن جوريون أتى دور موسى شرتوك رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية والذي كان عضوا في الوفد الصهيوني المفاوض في مؤتمر سان جيمس ولم يكن شرتوك اقل من حاييم وايزمان في عرضه الموقف العربي ولكن بدهاء اكثر.فقد أعلن « ان ارضاء المطالب العربية في فلسطين يمكن ان يساعد الحكومة البريطانية في التعامل مع

(١) Ibid , P . 231 .

الحكومات العربية ولكن هذه الحكومات ستكون غير قوية عند تسوية المشكلةالفلسطينية . اما بالنسبة للاخلاص اليهودي فهو قضية غير مشكوك فيها ، اذ ان فلسطين ابعد من مصر عن القواعد الجوية الايطالية وتشكل في الوقت نفسه رأس الحربة الى العقبة والخليج يسهل استعمالها عند اغلاق قناة السويس ، ولدى فلسطين احتمالات صناعية اكبر من مصر وسيكون لليهود كجنود قوة مخلصة غير محدودة اذا ما تم تدريب القوة اليهودية عسكريا في فلسطين واذا ما سمح بدخول اليهود اليها لمواجهة الحاجات الزراعية والصناعية وتعويض القوة العسكرية ، وأما بالنسبة للعرب فاني اشك فيها اذا كانت فلسطين ستلعب دورا في تحديد مواقف البلاد العربية »[١] .

يمكن ان نجمل الاهداف التي ركزت عليها القيادة الصهيونية في مفاوضات سان جيمس بما يلي :

١ ـ ان فلسطين اليهودية اكثر شأنا من كل العرب للمصالح البريطانية وعلى الاخص عندما يكون هؤلاء اليهود مسلحين ومدربين عسكريا ، اذ ستكون لديهم القدرة على ضرب اي حركة عربية ضد بريطانيا .

٢ ـ ان القرارات البريطانية بشأن فلسطين والتي ترضي القيادة الصهيونية لن تؤثر في موقف الاقطار العربية اما لأن مصالحها مرتبطة مع بريطانيا واما لأن هذه الحكومات أضعف من أن تتحدى بريطانيا والدليل على ذلك سلخ لواء الاسكندرونة .

٣ ـ ان أكبر قوة عربية وهي مصر والتي تتمركزفيها قيادة قوات بريطانيا في الشرق الأوسط لن تكون في منزلة فلسطين اليهودية استراتيجيا اذ ان فلسطين هي التي تشكل رأس الحربة الى الخليج والهند وليس مصر ، كما أن مصر لن تكون قاعدة تموينية يعتمد عليها في الحرب وذلك لضعف امكاناتها الصناعية وهو ما يتوافر لدى يهود فلسطين .

٤ ـ ان الاقطار العربية لا تمثل دائرة استراتيجية هامة بالنسبة لبريطانيا اذ ان هذه الاقطار تابعة لدائرة خارجية .

٥ ـ ان الهجرة اليهودية ستكون لصالح بريطانيا لانها ستعوض اليهود المشاركين في الحرب ، كما ان المهاجرين سيتولون العمل في المصانع والمزارع والتي سيكون لها شأن بالنسبة للوجود العسكري البريطاني .

---

(١) Ben Gurion , P . 232 , Opcit .

رغم كل ما أعلنه القادة الصهيونيون عن قلة شأن العرب وأثرهم في المنطقة الافإن هذه القيادة كانت في قرارة نفسها ترى في وجود الشعب العربي في وطنه فلسطين اهم مشكلة يجب عليها التخلص منها اذا ما أريد للمشروع الصهيوني ان ينجح ، لذا فان هذه القيادة تخيلت الحلول لهذه المشكلة مبكرا ، وكان أول ما تبادر لذهنها هو نقل هؤلاء العرب من وطنهم « ففي عام ١٩٣٢ بدأت الوكالة اليهودية في التحدث عن نقل السكان العرب »[١] داخل اوساطها . وينبغي التنبيه الى ان القيادة الصهيونية منذ البداية نظرت الى الشعب الفلسطيني كمجموعة من السكان العرب عن عمد منها كي تنفي صفة المواطنة الفلسطينية عن أهل فلسطين العرب ولكي توحي للسامع بأن هؤلاء ليسوا الا سكانا غرباء ولا وجود لشيء اسمه شعب فلسطين ان لم يكونوا غزاة من الصحراء جاءوا لتخريب فلسطين وتدميرها على مدى السنين على حد تصريحات بن جوريون في أكثر من مناسبة .

لقد وجدت الحركة الصهيونية اول سند لها يدعم مقولتها التي تفكر فيها في تقرير لجنة بيل سنة ١٩٣٧ تلك اللجنة « التي اوصت بمبادلة السكان والأرض »[٢] وبقي الهدف الصهيوني فيما يخص العمل على طرد الفلسطينيين خافيا على الرأي العام ، ولم تبدأ القيادات الصهيونية في الافصاح عن هذا الهدف علنا الا بعد عام ١٩٤٨ عندما ظهرت مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وقررت الامم المتحدة إعادتهم الى ديارهم فقد أعلن بن جوريون بما لا يقبل الشك رفضه لعودة اي لاجيء فلسطيني الى وطنه لأنهم في نظره كانوا غرباء ولكن فقط على مدى الف وثلاثمائة عام في وطنهم .

كما بدأت بعض الكتابات الصهيونية تنشر ما كان يدور بين أوساط قيادتها في الثلاثينات من هذا القرن بالنسبة للشعب الفلسطيني . ففي ذكرى وفاة حاييم ارلوزوروف عام ١٩٦٠ ـ الذي شغل منصب رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية حتى عام ١٩٣٣ قبل اغتياله على يد شاب يهودي قيل انه ينتمي الى الحزب التصحيحي الصهيوني المعارض لبن جوريون ـ اعلن الياهو ايلات[*] « ان ارلوزوروف لم يطمع في تحقيق تقارب عربي عن طريق المساومة على المبادىء الصهيونية فقد ألقى على عاتقه مهمة اضعاف النشاط المعادي للصهيونية في البلاد العربية والاسلامية كما ألقى على عاتقه النضال ضد الصحافة

---

(١) M . Jansen , U . S . A . and the Palestine people IPS , Beirut , P . 27 .

(٢) Ibid , P . 30 .

(*) تخرج في الجامعة الاميركية في بيروت ، وعمل خبيرا للشؤون العربية في الوكالة اليهودية ثم سفيرا للكيان الصهيوني في كل من لندن وواشنطن كما عمل مديرا للجامعة العبرية . اشتهر بزيارته لبلدان الشرق العربي والخليج في الثلاثينات من هذا القرن بمساعدة المسؤولين البريطانيين له .

العربية بالاضافة الى ضرورة السعي لخلق علاقات ودية مع الاوساط العربية في البلاد وخارجها»[1]. ولما كان الحديث عن نقل السكان العرب بين اوساط الوكالة اليهودية في عام ١٩٣٢ والذي كان ارلوزوروف رئيسا للدائرة السياسية بها فان نشاط ارلوزوروف نحو تقارب عربي استهدف المساومة على طرد السكان لا على المبادىء الصهيونية كما ذكر اعلاه .

وفي رأينا ان ما يقوله الياهو ايلات عن ارلوزوروف ينطبق على كل المحاولات الصهيونية وادعاءاتها في سعيها لايجاد تقارب عربي صهيوني ، وهي محاولات ارتبطت في نظرنا بزاوية التطلعات الصهيونية نحو مستقبلها لا بزاوية الاعتراف بوجود الشعب الفلسطيني والعيش معه بسلام في وطنه . وكانت أولى المراحل التنفيذية لطرد الشعب الفلسطيني من وطنه هي ايجاد توازن سكاني بين العرب واليهود في البلاد اذ كان على القيادة الصهيونية في عام ١٩٣٢ ان تعمل بسرعة على توطين مئات الآلاف من اليهود في البلاد وذلك من أجل ان تحقق الموازنة السكانية في البلاد ، وان التوطين الواسع اليهودي بهذا الشكل يستدعي جهدا كافيا من اجل تأسيس دولة يهودية على جانبي ضفتي نهر الاردن . لذا لا داعي للنقاش حول التطلعات والاهداف »[2] .

ولم يخرج دعاة التقارب العربي اليهودي من أمثال د . ماجنس (رئيس الجامعة العبرية اثناء حياته) ومؤيدوه من أمثال كالفارسكي عن الخط الصهيوني الذي اشار اليه ارلوزوروف ، فقد كان هؤلاء يطرحون في فلسطين دولة ثنائية القومية (يمكن ان تكون على غرار سويسرا) كحل للمشكلة الفلسطينية ولكنهم في الوقت نفسه كانوا يعلنون عدم موافقتهم على الحد من الهجرة اليهودية . وتركزت نقاشاتهم واتصالاتهم مع العرب على اقناعهم بالموافقة على استمرار الهجرة اليهودية وطرحها كقضية لن تؤثر في مصالح العرب ان لم تنفعهم ، بمعنى انهم كانوا يريدون تحقيق الهدف الصهيوني بمباركة عربية فلسطينية وهو أمر لم يحقق لا هؤلاء ولا غيرهم ادنى نجاح حوله . وحتى الذين ايدوا الكتاب الابيض من الفلسطينيين ايدوه انطلاقا من الثقة ببريطانيا في التزامها بتحديد عدد المهاجرين اليهود وعدم السماح لغيرهم بالدخول، كما أيدوه انطلاقا من ان مستقبل فلسطين السياسي سيتشكل على هيئة دولة فلسطينية لا يهودية . وعندما رأى هؤلاء ان موقف بريطانيا غير صادق فيما أعلنت سارعوا الى رفض سياستها التي اتجهت نحو التقسيم ثانية .

---

(١) الياهو ايلات . الصهيونية والعرب ـ مترجم عن العبرية غير منشور ص ١٨٩ .
(٢) رسالة ارلوزوروف الى حاييم وايزمان في ١٩٣٢/٦/٣٠ عن الياهو ايلات الصهيونية والعرب ـ المصدر السابق ص ١٩٣ .

لذا فان مؤتمر بلتمور الصهيوني في عام ١٩٤٢ عندما أعلن عن تشكيل كومن ويلث يهودي في فلسطين وفتح أبواب فلسطين للهجرة وتأسيس جيش يهودي لحماية الدولة اليهودية كبرنامج صهيوني لفترة ما بعد الحرب العالمية ، لم يكن الذين حددوا البرنامج وطرحوه على المؤتمر من أمثال وايزمان وبن جوريون على غير علم بتحديد الهدف الصهيوني، فقد كان متفقا عليه قبل عشر سنوات لا كمسألة تنبؤ للمستقبل ولكن كهدف تسعى الصهيونية الى تحقيقه بشتى الوسائل وتعلن عنه عندما تسمح الظروف بذلك وتحت الشعار : « الهجرة . الجيش . الدولة »[1] .

وكان برنامج بلتمور اعلانا فقط عن الهدف الحقيقي للصهيونية المتمثل في طرد الشعب الفلسطيني وعدم الاعتراف بوجوده وقد أظهرت الايام وضوح الموقف الصهيوني من هذا الهدف .ففي ١٩٦٧/٦/١١ م . وجه السؤال التالي من قبل التلفزيون الفرنسي في برنامج Face the Nations الى موشي دايان : هل تستطيع « اسرائيل » استيعاب عدد العرب الكبير تحت الاحتلال الاسرائيلي ؟

أجاب دايان : اقتصاديا نستطيع ولكن ذلك لا ينسجم مع أهدافنا في المستقبل اذ سيحول هذا الاستيعاب «اسرائيل» اما الى دولة ثنائية القومية او ذات أغلبية عربية ولكننا نريد دولة يهودية . نستطيع استيعابهم ولكن حينئذ لن تكون نفس البلاد . نريد دولة يهودية كما للفرنسيين دولة فرنسية» .

ولا اعتقد ان تصريح دايان بحاجة الى تفسير او توضيح .

عندما أعلن بن جوريون شعاره لمرحلة ما بعد ٣٩ : الهجرة، الجيش، الدولة، كان يرى أن الواقع الصهيوني في فلسطين يسمح بالاعلان عن هذا الشعار الذي أخفته الصهيونية وحاولت الالتفاف حوله في السنوات السابقة، كما كان يرى في مستقبل العلاقات الدولية ما يسمح له بتنفيذ هذا الشعار .

---

(١) Gertrude Samuel , Ben Gurion Fighter of Goliath , Thomas Y , Crowell comp , N . Y . 1965 , P . 108 .

التجمع اليهودي عند اعلان الحرب العالمية الثانية

بلغ عدد اليهود في فلسطين في عام ١٩٣٩ ما مقداره ٤٤٥,٤٥٧ من أصل مجموع سكان فلسطين في ذلك الوقت البالغ ١,٥٠١,٦٩٨ نسمة قدم حوالي نصف هؤلاء اليهود في الفترة ما بين ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ فقط إذ بلغ عدد القادمين حوالي ٢١٧ الفا معظمهم من المانيا وبولندا[١] وبذا كان عدد اليهود يشكل نسبة ٣١٪ من مجموع السكان اما المصادر البريطانية فترى ان عدد اليهود في هذه الفترة بلغ ٤٥٠ الفا أي بنسبة ٣٠٪ من السكان[٢] وذلك نقلا عن تقرير بريطانيا المقدم الى الامم المتحدة حول فلسطين سنة ١٩٤٧ . وادّعى بن جوريون في مؤتمر سان جيمس بتاريخ ١٥/٢/١٩٣٩ ان هناك اربعمائة الف يهودي في فلسطين[٣] اي بنسبة أقل من ٣٠٪ من مجموع السكان .

نخلص الى القول أن عدد اليهود في فلسطين في عام ١٩٣٩ كان حوالي ٣٠٪ من عدد السكان رغم كل التسهيلات التي منحتها بريطانيا للحركة الصهيونية ورغم كل الاموال التي انفقت في سبيل ذلك، وقد جاء نصف هؤلاء اليهود بعد صعود النازيين الى حكم المانيا في يناير ١٩٣٣ مما يعطي الانطباع بتعثر المشروع الصهيوني سكانيا وجعل قيادته مضطرة الى افتعال الاحداث والسعي الى جلب المهاجرين حتى لا تقف عاجزة امام من تطالبهم بفتح ابواب فلسطين لليهود الذين لا يرغبون في المجيء اليها . وحتى بعد تسلم النازيين لحكم المانيا في عام ١٩٣٣ وما تبع ذلك من سياسة استفادت منها الحركة الصهيونية، سنتحدث عنها عند بحث العلاقات النازية الصهيونية، فان الارقام المتاحة لنا لا توحي باطمئنان القيادة الصهيونية، فقد بلغ مجموع المهاجرين اليهود الذي قدموا الى فلسطين حتى عام ١٩٣٩ ما مجموعه ٣٠٧٧٩١، صاحب هذا الرقم هجرة يهودية معاكسة (اي النزوح من فلسطين بعد الوصول اليها) بلغت ٣٠٤٩٤ يهوديا[٤] .

التفتت الصهيونية الى تدارك الامر وتبنت نوعا جديدا من الهجرة يصلح لمستقبل المشروع الصهيوني ويضمن عدم حدوث الهجرة المعاكسة ، هذا النوع الجديد سمي « بهجرة الاطفال » « فمنذ عام ١٩٣٢ بدىء بتنظيم هجرة الاطفال كأفضل مادة بشرية ،

---

(١) ريما الخالدي ـ القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني مركز الدراسات الفلسطينية بيروت ط ١ سنة ١٩٧٣ ، ص ١٣٠ .

(٢) Evan . M . Wilson . Jerusalem Key to peace . M . E . Institute . Washington D . C ., 1970 . P . 57 .

(٣) Ben Gurion . P . 243 . Opcit .

(٤) جامعة الدول العربية ، الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ، المصدر السابق ، ص ١٦٦ .

مستغلة (الحركة الصهيونية) صعود النازية والوضع المضطرب الذي كانت تعيشه اوروبا الوسطى والشرقية»[١]. كما التفتت القيادة الصهيونية تحقيقا لمبدأ الانتقاء الى نوع آخر من الهجرة اليهودية أطلقت عليه اسم (علیابت) واصبح معروفا عند السلطات البريطانية باسم الهجرة غير المشروعة، فقد جرى في عام ١٩٢٧ ادخال اول دفعة يهودية دون الحصول لهم على شهادات هجرة مسبقة وقد تم ذلك بمساعدة الحكومة الفرنسية عبر الحدود السورية الفلسطينية ، وفي عام ١٩٣٣ وصلت أول سفينة تسمى فيلوس وهي تحمل ٣٥٠ مهاجرا من نفس النوع السابق نقلتهم من وارسو، وبدأ ازدياد هذا النوع (غير المشروع) منذ عام ١٩٣٨[٢].

لم يكن مبررا لاقدام القيادة الصهيونية على تنفيذ هذين النوعين من الهجرة : « الاطفال » ، « غير المشروعة » الا تطبيق مبدأ الانتقاء. ففي الأول ارادت نوعا تقوم هي بتربيته وينفصل عن كل عالم ما عدا العالم الصهيوني في تجربة مماثلة للانكشارية في التاريخ، وبذا تضمن عدم تفكيره في النزوح ثانية كما تضمن تنفيذه كل امر صادر اليه. وفي الثانية قصدت الى احضار نوع من الشباب الذي يعيش مشاكل معينة وبدأت في توجيهه عسكريا من أجل ممارسة الارهاب والقتل ضد العرب .

أما عن ملامح التجمع اليهودي (اليشوف) مع بداية ١٩٣٩ فيمكن قول ما يلي :

دخل فلسطين في الفترة ما بين ١٩٣٢ و ١٩٣٩ مائة وسبعون الف يهودي غربي (اشكناز) من أصل ٢٢٥ الف يهودي دخلوا البلاد في الفترة نفسها، وبذا وضعت اللمسة الاخيرة للطابع الغربي « لليشوف » الجديد في فلسطين في هذه الفترة، فقد شكل الاشكناز نسبة ٧٧,٥٪ من عدد اليهود ولم يعد هناك شك في ان الدولة اليهودية لو قامت ستكون نموذجا أوروبيا مصغرا[٣] وهي خطة استهدفتها الحركة الصهيونية اذ انها كثيرا ما رددت بان الدولة اليهودية ستكون نموذجا حضاريا يؤدي الرسالة الغربية في عالم متأخر. وفي تقديرنا ان هذا الرأي حمل طابع الدعاية ايضا ولم يكن له وجود على ارض الواقع ، فان رسل الحضارة الغربية الذين جاءوا ليؤسسوا دولة في فلسطين تكون نموذجا اوروبيا يحتذى تصفهم جولدا مائير في كتابها My Life في عام ١٩٢١ م عند مجيئها الى مدينة تل أبيب، وهي مدينة يهودية لا يسكنها عربي واحد ، تصفهم على النحو التالي :

---

(١) محمود عباس : القضية ـ آفاق جديدة ـ دار القدس . بيروت ط ٢ ، ١٩٧٩ ، ص ١٥٧ .

(٢) Amos Perlmuter , P . 52 , Opcit .

(٣) R . Patai . Israel between East and West . 2 nd edition West port Connectict , Green wood publishing comp ., 1970 . p . 66 .

« لقد دهش جيراننا (من يهود) عندما رأونا نضع حاجزا من المنخل على الشباك لمنع دخول الذباب الى المنزل، ومع ان الجميع كانوا يحتفظون بستار شبكي لمنع القطط من الدخول الى منازلهم الا انهم استهجنوا ذلك الستار المانع لدخول الذباب لاعتقادهم انه وجد في هذا العالم ليعيش. في الواقع كان كل شيء بدائيا»[١]. فأي حضارة تلك التي أحضرها هؤلاء القوم .

أما من حيث التركيب الاجتماعي فقد كان على النحو التالي :

١ ـ فئة اصحاب رؤوس الأموال ٢٣٪ من مجموع المهاجرين، فئة العمال ٤٧٪ ، فئة الصناع والحرفيين ٣٣,٤٪، فئة العمال غير المهرة ١٣,٦٪، العاملون في مجال التعمير ٦,٦٪ ، وبذا كان مجموع الرأسماليين والعمال ٧٠٪ من المهاجرين اي بمعدل رأسمالي واحد لكل عاملين، وهو أمر اختلف في واقعه عما كان ينشده من أطلق عليهم في الكتابات الصهيونية بالرواد الأوائل، اذ سعى هؤلاء الى ربط اليهودي بالارض من خلال العمل الزراعي، ولكننا نرى ملامح التجمع اليهودي في هذه الفترة تجنح نحو(الرأسمالية) وهو نظام كان لا بد من تحقيقه حتى تضمن الصهيونية تأييد القوى الغربية لها ، ولم تكن فكرة الكيبوتز (المزارع الجماعية) التي قيل عنها انها قاعدة اقتصادية تطبق فيها الاشتراكية أكثر مما تطبق في الاتحاد السوفياتي نفسه الا وسيلة استعمارية توصل اليها ارثر رابين رئيس مكتب الاراضي الصهيوني في فلسطين ورأى فيها أداة أرخص للاستعمار ولم ير فيها نموذجا اشتراكيا . اذ اعتقد ان تكاليف مستوطن الكيبوتز أرخص من أي نوع من الاستعمار بالاضافة الى انها مدرسة تدريب للقادمين الجدد على حياة القرية وأنها ستكون مراكز دفاع ذاتية »[٣].

أما مهن التجمع اليهودي فقد فصلها R . Patai على النحو التالي :

زراعة ١٥,٦٪ ، صناعة ٥٣,٦٪ ، تجارة ١٣,٣٪ ، ادارة عامة ١١,٦٪ خدمات عامة ٤,٢٪ ، العاملون في المواصلات ١,٢٪ ، وبلغ مجموع الكسبة بين المهاجرين ٣١,٦٪ ، أي بمعدل ١٢٥,٠١٩ من أصل ٣٩٤٦٨٣ مهاجرا[١]. وبنظرة عابرة نلاحظ أن المهن تتفق مع التركيب الرأسمالي للتجمع اليهودي في فلسطين .

---

(١) مائير ، الحقد ترجمة عن كتاب My Life المرجع السابق ص ٧٠ ـ ٧١ .
(٢) Haim Weizmann , p 298 , Opcit.
(٣) R . Patai , p 77 , Opcit .

كما كان معدل اعمار القادمين من المهاجرين في الفترة ما بين ١٩٢٨ ، ١٩٤٨ تتراوح ما بين ١٥ الى ١٩ سنة يمكن توزيعهم على النحو التالي :

من صفر الى ١٤ سنة شكلوا ١٧,٦٪ من القادمين .
من ١٥ الى ٢٩ سنة شكلوا ٤٦,٧٪ من القادمين .
من ٣٠ الى ٤٤ سنة شكلوا ٢٠,٢٪ من القادمين .
من ٤٥ الى ٥٩ سنة شكلوا ١٠٪ من القادمين .
فوق الستين ٥,٦٪ من القادمين[١].

واذا ما اعتبرنا ان عمر الانتاج للقادم يتراوح ما بين سن ١٥ سنة وسن ٤٤ سنة فان نسبة الذين يمكن استخدامهم في ميادين الانتاج المختلفة تصل الى ٦٦,٨٪ وهي من المعدلات المرتفعة في العالم ، رغم ان نسبة الكسبة بين القادمين لم تزد عن ٣٠٪ الا قليلا كما ذكر سابقا ، فأين ذهب الباقي من الذين يمكن استخدامهم في عملية الانتاج .

لقد كان التعيش منذ الثلاثينات في معظمه على الأله العسكرية اذ كان القسم الأعظم من المادة البشرية يعمل اما مباشرة في خدمة المعسكرات البريطانية في فلسطين او في الصناعات التي أقيمت خصيصا لتلبية احتياجات هذه المعسكرات وليس في الزراعة كما تحاول الصهيونية ان توهم العالم»[٢]. وبذا يمكننا القول ان التجمع الصهيوني كان ذا طابع رأسمالي عسكري في عام ١٩٣٩ وهو طابع اذا ما ظهر في أي تجمع فلا بد من أن يجنح الى التوسع الذي يحمل معه الاستغلال .

مقابل هذا العدد السكاني الذي بلغ حوالي ٣٠٪ من مجموع السكان تمكنت الحركة الصهيونية رغم كل القوانين البريطانية التي صدرت لصالحها من امتلاك ١,٤٩٥,١٩٨ دونما في عام ١٩٣٩[٣] من اصل ٢٧ مليون دونم هي مساحة فلسطين الكلية أي بنسبة ٥,٧٪ من مجموع مساحة البلاد ، ولكن ما يلفت النظر في الوجود الصهيوني على هذه المساحة المحدودة هو التركز والتوزيع .فقد تركزت معظم المستعمرات اليهودية في السهل الساحلي لفلسطين ما بين يافا وحيفا وفي مرج ابن عامر كما تركزت في مدن معينة هي : تل أبيب كمدينة يهودية خالصة وفي مدن حيفا، يافا، القدس، صفد، طبريا وهي مناطق تشكل عصب الانتاج الاقتصادي في فلسطين. كما توزع الوجود الصهيوني في مناطق مختارة

---

(١) ريما الخالدي ـ القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ـ المرجع السابق ـ ص ١٣١ .
(٢) نزيه قوره ـ المشروع الصهيوني في مواجهة التحدي ـ مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية ـ دمشق ص ١٣٠ .
(٣) ريما الخالدي ، القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ، ملحق رقم ١ . المصدر السابق .

تشكل حزاما استراتيجيا. وقام اليهود بتأسيس المستعمرات المحصنة فيها وذلك كي يسهل تدريب الشباب وتخزين السلاح فيها في مأمن عن الاعين .

ان اقتصاد فلسطين قائم على الزراعة وبالذات زراعة الحمضيات، الا أن ٣٠٪ من السكان يملك ٥,٧٪ من الاراضي فكيف كان يتم التوازن بين الاعداد القادمة من المهاجرين وبين نسبة الارض التي تملكها الصهيونية . كان اول عامل في سد هذه الثغرة هو الانتاج الصناعي اليهودي الذي بلغ في عام ١٩٣٩ ما قيمته ٨,٨٤١,٧٩١ جنيها فلسطينيا بربح صاف قدره ٢,٤٧٠,٠٧٦ جنيها فلسطينيا وبرأسمال مستثمر في مجال الصناعة قيمة ٤,٣٩٠,٥٥٢ جنيها فلسطينيا[١] بالاضافة الى امتلاك القيادة الصهيونية لمؤسسات اقتصادية اساسية تساهم في عملية الانتاج مثل الحصول على امتياز شركة كهرباء فلسطين ١٩٢١ ، شركة كهرباء القدس والخدمات العامة ، امتياز الملح والبوتاس في البحر الميت عام ١٩٣٠ ، امتياز استغلال منطقة الحولة في شمال فلسطين سنة ١٩٣٤[٢] .

كذلك لم تكن المقولات التي طرحتها الصهيونية سابقا لتذهب عبثا. فقد طرحت نفسها نموذجا حضاريا غربيا كما أسست مجتمعا رأسمالي الملامح عسكري النزعة وهي امور اذا ما استخدمت في الدعاية في الغرب ستجد من يؤيدها لذا فان التجمع اليهودي عاش ولا يزال على التبرعات التي كانت تصل هذا التجمع من الخارج لدعمه اذ كان يسانده نشاط صهيوني منتشر في واحد وخمسين قطرا قبل عام ١٩٣٩ واصبح بعد اعلان الحرب العالمية الثانية محصورا في ٢٥ قطراً[٢] وكانت من مهمات هذا النشاط جمع المال اللازم للمشروع الصهيوني .

اما الاتجاه السياسي لهذا التجمع فقد سيطرت عليه في عام ١٩٣٩ ما يمكن تسميته الصهيونية الدولانية أي بمعنى العمل على تأسيس الدولة اليهودية بجهود اليهود أنفسهم وجعل التأييد الخارجي لهذا العمل ثانويا وليس هو الأساس كما كان يدعو حاييم وايزمان . ورغم سيطرة الفكر الصهيوني على هذا التجمع الا ان يهود فلسطين لم يكونوا جميعا اعضاء في المنظمة الصهيونية فقد بلغ اعضاء المنظمة عام ١٩٣٩ بما يقدر بـ ١,٤١٦,٢٨٠ عضوا[٣] .

وقدره جورج مكاي بـ ١,٤٠,٥٤٥عضوا،من بين هذا العدد كان ١٦٧٥٤٠ عضوا

(١) جامعة الدول العربية ـ الاستعمار الاستيطاني ـ المرجع السابق ، ص ١٣٠ ـ ٢٣٤ .
(٢) اسعد عبد الرحمن ـ المنظمة الصهيونية ـ المرجع السابق ص ١٣٢ .
(٣) اسعد عبد الرحمن ـ المنظمة الصهيونية ـ المرجع السابق ص ١٢٢ .

يقيم في فلسطين اي بنسبة ١٢,١٪ من مجموع الاعضاء في المنظمة الصهيونية[١] . توزع هؤلاء الاعضاء على احزاب صهيونية هي : ماباي ، هاشومير هاتسعير ، بوعيل زيون الصهيونيون العموميون أ ، ب ، مزراحي بالاضافة الى احزاب ثانوية مثل حزب الهجرة الجديدة ، الاتحاد Ihud. وكانت هذه الاحزاب مشاركة في المنظمة الصهيونية يضاف اليها حزب التصحيحيين الذي انسحب من المنظمة الصهيونية وشكل المنظمة الصهيونية الجديدة .

كان حزب الماباي الذي قاده دافيد بن جوريون أقوى هذه الاحزاب واستطاع بن جوريون ان يصعد في سلم الزعامة الصهيونية الفلسطينية ثم العالمية بعد عام ١٩٣٥ محققا انتقال زعامة الحركة الصهيونية من يهود المنفى (خارج فلسطين) الى يهود فلسطين انفسهم اذ اصبح في عام ٣٩ ما نسبته ٣٨٪ من مقاعد المؤتمرات الصهيونية للصهاينة المستوطنين في فلسطين على ان تمثل احزاب التجمع اليهودي الفلسطيني ضمن هذه النسبة وذلك حسب نسبة الاصوات التي يحصل عليها كل حزب في انتخابات المجلس الوطني اليهودي (فئاد لؤمي) وقد حقق الماباي كذلك تفوقا على الاحزاب في كل المؤسسات الصهيونية في فلسطين سواء في المجلس الوطني ام في المجلس الصهيوني ام في لجنة العمل الصهيونية ؛ لذا فانه كان قادرا على فرض شعار الصهيونية الدولانية في عام ١٩٣٩ م على هذا التجمع .

لقد رافق وجود التجمع اليهودي منذ البداية اهتمام بالدورالاعلامي ،فقد تم تأسيس الوكالة اليهودية للانباء في عام ١٩٣٤ كما تم تأسيس وكالة التلغراف اليهودية التابعة لوكالة رويتر ومقرها نيويورك بالاضافة الى ظهور الصحف الناطقة باسم الاحزاب والمؤسسات والنشرات الاعلامية والتثقيفية التي كانت تصدر دائما .

واخيرا يمكننا القول ان أوساط الحركة الصهيونية مع بداية الحرب العالمية الثانية سيطر عليها ظاهرتان هما :

الاولى : تتعلق بالوضع العمالي الطبقي الذي بدأ يتسلم زمام القيادة الصهيونية اذ سيطر على هذه المجموعة النزعة العسكرية وكان اعلان الكتاب الابيض فرصة للتعبير عنها : « ان عملية التحول الطوعي الى الطبقة العاملة استمرت حتى الثلاثينات وتوقفت مع بداية الحرب العالمية الثانية . ان عملية التحويل الى طبقة عاملة والتي تجري حاليا لها

(١) جورج مكاي ، ترجمة اسد قاسم عن المجرية المرجع السابق ص ١٢٣ .

طابع مختلف كليا انها تجري تحت سوط الضرورة وتمارس في الغالب على المهاجرين الجدد »[1] .

اما الثانية فهي تمس العلاقات الصهيونية السياسية الخارجية اذ بدأ الالتفات الصهيوني الجاد الى الاوساط اليهودية الاميركية في محاولة للسيطرة عليها وتوجيهها نحو الضغط على الحكومة الاميركية من اجل تأييد المشروع الصهيوني وذلك لما لهذا المشروع من أثر في الحفاظ على المصالح الاميركية مع الابقاء في الوقت نفسه على العلاقات الوطيدة مع بريطانيا صاحبة السلطة في فلسطين : ان ارتباط القيادة الصهيونية المقرر آنذاك بالامبريالية البريطانية لم يلغ وجود تيار يرغب في جذب المنظمة الصهيونية ومشروعها في فلسطين الى جانب الامبريالية الاميركية التي بدأت تتسرب الى الشرق الأوسط »[2] .

لذا فان النشاط الصهيوني بعد عام ١٩٣٩ تركز في الاستمرار في عملية انتقاء المهاجرين اليهود والاستعداد العسكري ثم ايجاد علاقات دبلوماسية نشطة مع القوى الاستعمارية الموجودة في المنطقة والقوى التي يحتمل ان تكون موجودة في المستقبل .

---

(١) نزيه قوره . المشروع الصهيوني في مواجهة التحدي ـ المصدر السابق ص ١٧٣ على لسان فربناند تسفايح في « العامل الاسرائيلي » .

(٢) اميل توما جذور القضية الفلسطينية ، المصدر السابق ص ٢٦٧ .

الفصل الثاني

الهجرة اليهودية الى فلسطين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥

يعتبر استمرار الهجرة اليهودية الى فلسطين عاملا اساسيا في تطور المشروع الصهيوني كما أنه يشكل قوة الدفع الرئيسية للحركة الصهيونية ككل ، ويعتبر بن جوريون « الهدف الاساسي للصهيونية والدولة وسيلة لهذا الهدف ولم تصبح الدولة هدفا الا فيما بعد[١] .

لذا فليس غريبا ان ينال هذا الموضوع الاهتمام الأكثر من تفكير قادة المنظمة الصهيونية وليس غريبا ان ينال الجزء الأكبر من الأموال التي اعتادت المنظمة الصهيونية جمعها من مختلف بلاد العالم ، فوجود الصهيونية كحركة مرتبط ارتباطا وثيقا بقضية المهاجرين اليهود ولولاها لما كان هناك مبرر لوجود الصهيونية : « اننا لو سمحنا لهم أن يفصلوا فلسطين عن قضية المهاجرين اليهود لعرضنا للخطر وجود الصهيونية ذاتها »[٢] . ويرى بن جوريون ان الاختبار الوحيدلصهيونية أي يهودي هو في ذهابه الى فلسطين والاقامة فيها وما عدا ذلك فتعتبر صهيونيته زائفة : « ان كل يهودي باستطاعته الرجوع الى فلسطين ولكن من لا يرجع ويفضل المعيشة خارجها يعتبر خارجاً عن الدين تاركا لله »[٣] .

الا أن الهجرة اليهودية الى فلسطين لم تكن وفق رغبات قادة الصهيونية ، فقد تأثرت بعوامل محددة ، منها عوامل صهيونية وعوامل غير صهيونية . فعلى الصعيد الصهيوني كانت الهجرة المطلوبة هجرة من نوع معين كما أسلفنا في الفصل الأول .

كانت فترة الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ فترة مميزة في تاريخ البشرية في العصر الحديث . وتركت هذه الحرب آثارها على معظم بقاع الأرض وكانت فلسطين من أكثر

---

(١) Avraham Avi Hai , Ben Gurion - State buider , John Wiley and sons , N. Y. 1974 , (Ph . D.) p . 40 .
(٢) جورج مكاي : دولة اسرائيل والصهيونية ص ٦٦ المصدر السابق نقلا عن اليهود وفلسطين بالفرنسية ص ٨٣ .
(٣) محمود عباس - القضية - المرجع السابق ص ١١٧ - ١١٨ .

البلاد تأثرا بمجريات الامور خلال هذه الحرب بحكم وضعها تحت سلطة الحكومة البريطانية التي كانت طرفا أساسيا فيها .

وكانت الهجرة اليهودية مرتبطة بالسياسة التي رسمتها بريطانيا نحو فلسطين منذ بداية الانتداب البريطاني متعاونة مع قيادة المنظمةالصهيونية .ويمكننا في بداية الحديث عن الهجرة أن نحدد ملامحها اثناء الحرب العالمية الثانية على النحو التالي :

١ ـ ظهور الهجرة غير المشروعة : لجأت الصهيونية الى ما أسمته « العليابت » وما أسماه البريطانيون بالهجرة غير المشروعة أي دخول اليهود الى فلسطين دون الحصول على شهادات هجرة من سلطات الانتداب ، بحجة ان بريطانيا لا تسمح بالاعداد التي تريدها الصهيونية .اما بالنسبة للفلسطينيين العرب فقد كانت هذه تسميات لا تختلف في نتائجها النهائية ، فجميعها يؤدي الى وصول المزيد من اليهود الصهيونيين الذي يستعدون ويعملون لتحقيق الهدف الصهيوني على حساب الشعب الفلسطيني . لذا فكل هجرة يهودية هي في الأصل هجرة غير شرعية وغير قانونية اذا ما كان العدل والقانون هما حكمنا ، ولكننا هنا لسنا في معرض مناقشة العدالة والقانون بقدر ما نحن بصدد عرض امر واقع ، رغم انه مرفوض من قبلنا منذ البداية وحتى النهاية .

٢ ـ ان مفهوم الهجرة « غير المشروعة » الذي لجأ اليه الصهاينة يعطي الانطباع أنه كان أمام المنظمة الصهيونية فرصة لادخال عدد من اليهود أكثر من العدد الذي سمحت به السلطات البريطانية ، وهو انطباع خاطىء اذا ما دققنا النظر في النهايات ،فقد كانت المنظمة الصهيونية بكل مؤسساتها عاجزة عن ادخال اليهود الى فلسطين سواء بالطرق المشروعة أو غير المشروعة باعداد تفوق الاعداد التي قررتها بريطانيا وحددتها في الفترة ما بين ١٩٣٩ و ١٩٤٥ ، فمن المعروف حسب الاحصاءات ان عدد اليهود الذين دخلوا فلسطين في هذه الفترة كلها هو ثمانون الف مهاجر ، بينهم ثمانية عشر الف مهاجر غير شرعي[١].ومن المعروف ايضا أن الكتاب الابيض حدد عدد اليهود المسموح لهم بدخول فلسطين في الفترة مـن ١٩٣٩/٤/١ الى ١٩٤٤/٣/٣١ بخمسة وسبعين الف مهاجر ، أي أن القيادة الصهيونية نجحت في ادخال خمسة الاف فقط زيادة عما حددته بريطانيا . ولكننا اذا علمنا ان سياسة الكتاب الابيض حددت المدة من أول ابريل سنة ١٩٣٩ وحتى نهاية مارس ١٩٤٤ ، واذا ما علمنا ان بريطانيا سمحت بادخال ١٥٠٠ مهاجر يهودي شهريا بعد انتهاء

(١) الياس سعد ، الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ١٨٨٢ ـ ١٩٦٨ مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٦٩ ، ص ٣٤ .

مدة الكتاب الابيض فاننا نصل الى ان الخمسة الاف لم تكن تغطي فترة سنة كاملة لم تدخل في المدة التي حددها الكتاب الابيض اي بمعنى ان القيادة الصهيونية كانت عاجزة عن ادخال عشرين الف مهاجر يهودي على الاقل كانت ستسمح لهم بريطانيا اذا أخذنا المعدل الوسطي لدخول اليهود خمسة وعشرين الفا في السنة حسب سياسة الكتاب الابيض المعلنة . ولدينا ما يفيد أن القيادة الصهيونية كانت عاجزة عن ادخال العدد الذي سمحت به بريطانيا بدليل أنه كان لدى هذه القيادة الفا شهادة هجرة لم تستغل من الاعداد التي سمح بها الكتاب الابيض حتى ١٩٤٥/٦/٢٥[١] اي بعد انتهاء مدة الكتاب الابيض بسنة ونصف السنة ، وفي ابريل عام ١٩٤٤ اي نهاية الموعد المحدد لدخول ٧٥ الف يهودي في فترة خمس سنوات كان عدد اليهود الذي دخلوا فلسطين خمسين الفا فقط، وفي نهاية عام ١٩٤٤ أضيف اليهم عشرة الاف يهودي» .[٢] ومن هنا فاننا نستطيع القول ان الادعاء الصهيوني بوقوف بريطانيا في وجه الهجرة الصهيونية هو ادعاء باطل لا أساس له في الواقع اذ كانت الحركة الصهيونية هي العاجزة عن احضار الاعداد التي سمحت بها سياسة الكتاب الابيض البريطاني .

٣ ـ لقد استهدفت القيادة الصهيونية من افتعال موضوع منع البريطانيين للمهاجرين اليهود امورا سياسية تتلخص في خلق عطف دولي على الحركة الصهيونية حتى اذا ما طالبت هذه الحركة بدولة يهودية وجدت نتائج هذا العطف على هيئة مباركة دولية لهذاالمطلب .ولقد اعترف ايجال الون (أحد القادة العسكريين الصهيونيين والذي تسلم بعد عام ١٩٤٨ اكثر من منصب وزاري) ان الادعاء الصهيوني لم يكن صحيحا .فلقد كان « النضال في ذاته : الهجرة ، المستعمرات ، العمليات العسكرية ضد بريطانيا بطبيعة الحال وسيلة وليس هدفا . كان القصد منه تمهيد الارض لنشاط صهيوني في لندن وغيرها من عواصم العالم وفي الامم المتحدة توجهه وتنسقه الادارة السياسية للمجلس التنفيذي للصهيونية العالمية »[٣] كما أن التركيز على التطلعات القومية اليهودية وعلى تعرض هؤلاء للقتل والابادة من قبل النازيين واقتران هذه الاعمال بمنع بريطانيا دخول هؤلاء المعذبين الى فلسطين التي يصر هؤلاء على اختيارها كان القصد منه جعل العالم لا يلتفت الى جوهر القضية الاساسي وهو ان تنفيذ ما يطالب به الصهاينة لن يتحقق الا على حساب الشعب الفلسطيني إما بابادته أو

(١) Howard M . Sacher , P . 450 . Opcit .

(٢) Esco , Vol . 2 , P . 952 , Opcit .

(٣) ايجال آلون : انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي ـ ترجمة عثمان سعيد وناجي علوش ، دار العودة ، بيروت ١٩٧١ ، ص ١٨٠ .

بإجلائه عن أرضه ، وهو امر حرصت الصهيونية ان تبعده عن ضمير العالم كما حرصت على ان لا تجعله يفكر فيه ، وعندما كان بعض ذوي الضمائر يتنبهون الى النوايا الصهيونية تجاه هذا الأمر ويحاولون كشفه او الاشارة اليه فانهم كانوا يتعرضون لحملات التشهير والاضطهاد .

٤ - رغم ان الحركة الصهيونية انطلاقا من عقيدتها كانت تدعو الى تجميع اكبر عدد ممكن من اليهود في فلسطين الا ان هذه العقيدة لم يعمل بها من جانب الصهيونيين انفسهم ولم تعد القيادة الصهيونية راغبة في ادخال اعداد كبيرة من اليهود الى فلسطين لأن ذلك لم يكن متلائما مع الوضع الاقتصادي اليهودي في فلسطين . ولم يخف المسؤولون الصهاينة هذه الرغبة فقد أبلغ احدهم القنصل الاميركي العام في القدس في ٢٤ يناير ١٩٤٠ بان الوكالة اليهودية لا تشجع في الوقت الحاضر الهجرة غير الشرعية وذلك لان وصول الاف المفلسين يؤثر في فرص العمل واعمال الاغاثة ويخلق ظروفا سياسية غير متناسقة قد لا تقوى المنظمة الصهيونية على مواجهتها وتحمل اعبائها في ظروف الحرب العالمية الثانية »[1] .

ولنا ان نتساءل كيف تطالب الوكالة اليهودية بانقاذ اليهود مما يتعرضون له من موت وتشريد يواجههم وكيف تريد لهؤلاء الهاربين ان يأتوا اليها وجيوبهم ملأى بالمال ؟ لقد كان المهاجر اليهودي وسيلة لا هدفا في نظر قيادته واذا لم يكن هذا المهاجر من النوع الذي يحقق الهدف فلا داعي له . ذلك هو الخلاص اليهودي الذي دعت اليه الصهيونية .

القوانين البريطانية والهجرة اليهودية :

عملت بريطانيا على اكساب الهجرة اليهودية الى فلسطين الصفة القانونية حتى قبل ان تقر عصبة الأمم الانتداب البريطاني على فلسطين سنة ١٩٢٢ وكان أول قانون تم صدوره في ١٩٢٠/٨/٢٦ اعطى بموجبه المندوب السامي البريطاني حق تحديد عدد المهاجرين كما صدر قانون ١٩٢١/٦/٣ الذي حدد الفئات المسموح لها بالهجرة .

وجاءت مواد صك الانتداب موافقة لمطالب المنظمة الصهيونية حول الهجرة وعلى الاخص البند ٦ الذي فرض على حكومة فلسطين تأمين الهجرة اليهودية والبند ٧ الذي اقر منح الجنسية الفلسطينية لليهود القادمين .

وجاء قانون ١٩٢٥/٧/٢٤ مكملا للقانونين السابقين اذ اعتبر أن كل من يتزوج

(١) Foreign Relations , 1940 , Vol . 3 , 867n , 55 / 200 .

فلسطينية يصبح فلسطينيا كما صدر قانون ٣٧/٢٤ الذي سهل من أمر الهجرة عندما نصت المادة الرابعة منه على عدم استيفاء رسم جمركي على الامتعة التي يستوردها اي شخص يعتبر مهاجرا وقد يستوردها بعد وصوله أو تصل قبل وصوله .

وزيادة في التعاون البريطاني مع المنظمة الصهيونية جعل أمر الهجرة اليهودية موكولا الى الوكالة اليهودية التي كانت تقدم كل ستة شهور في ١١/٣٠ ، ٣/٣١ ، من كل عام قوائم بالعمال اللازمين ، وكانت تسلم شهادات الهجرة الاصلية الى الوكالة دون تعبئة وهو أمر توافق مع ما جاء في دستور الوكالة اليهودية عن أهدافها : « ان أول هدف من أهداف الوكالة هو تشجيع الهجرة اليهودية ومساعدتها الى أبعد حد ممكن »[1] .

ان جميع ما ذكر من قوانين ومن مواد في صك الانتداب وان جميع التسهيلات التي قدمتها بريطانيا بدءا من منح الاراضي للمنظمة الصهيونية ونهاية بمنحها المشاريع الاقتصادية الكبرى وجعل أمر الهجرة بيد الوكالة اليهودية كل هذا ادى في النهاية الى اتهام بريطانيا بالتقصير من قبل القيادة الصهيونية في عملية الهجرة وانها خانت عهودها للصهيونية . لم يبق شيء في رأينا لم تقدمه بريطانيا للقيادة الصهيونية الا شيء واحد وهو طرد الفلسطينيين وهو ما بدأت تعمل القيادة الصهيونية على تنفيذه منذ الثلاثينات « ان النجاح التام للمشروع (تقسيم بيل) يعتمد على ما اذا كانت الحكومة البريطانية راغبة صدقا في تنفيذ هذه التوصية فالنقل لا يمكن تنفيذه الا بواسطة الحكومة البريطانية وليس اليهود »[2] .

الاساليب الصهيونية لاحضار المهاجرين :

لم يكتف الصهاينة بكل العوامل السابقة التي تساعد على الهجرة ، ولجأوا الى القيام بمخالفات صريحة ومفارقات غريبة ، ورغم ذلك كانت سلطات الانتداب البريطاني تسكت عنها ان لم تباركها ، ومن أمثلة هذه المخالفات : تزييف شهادات هجرة من الوكالة اليهودية والادلاء بمعلومات كاذبة لا يخفى زيفها على ابسط البسطاء ويبدو انها كانت تسجل عن عمد كي يجد الصهيونيون مبررا دعائيا يستندون اليها اذا ما تم كشفها او تكذيبها .

فقد كان من السهل ان نجد في بعض شهادات الهجرة اسم رجل تزوج وعمره ثلاثون سنة بامرأة عمرها عشرون سنة وله منها ولد عمره ١٢ سنة أي انها تزوجت وعمرها ثماني

(١) من اجل المزيد من الاطلاع على قوانين الانتداب البريطاني ، انظر : عادل الجاور ، اثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي ، بغداد ، ١٩٧٦ ، رسالة ماجستير مطبوعة .

(٢) عصام السبع ، الارهاب الصهيوني ، رسالة ماجستير غير مطبوعة ، جامعة القاهرة سنة ١٩٧٩ م ص ٢١٥ .

سنوات ، كما كنت ترى رجلا عمره ثلاث وعشرون سنة متزوجا من امرأة عمرها عشر سنوات وابنها عمره خمس سنوات اي انها تزوجت وحملت قبل ان تبلغ الخامسة من العمر[1] .

بالاضافة الى ما تقدم كان يسهل على اي يهودي (ترغب الوكالة في احضاره الى فلسطين) الحصول على مستند يفيد بأنه يملك الف جنيه فلسطيني. وظهرت عصابات من السماسرة تقدم هذه المستندات كما ظهرت مجموعة سميت بالازواج المحترفين مهمتها عقد الزواج الصوري ليتسنى لكل من يتزوج فلسطينية او فلسطيني ، الحصول على الجنسية الفلسطينية[2] .

واخيرا اختارت الحركة الصهيونية طريق الهجرة غير المشروعة كما دعتها المصادر البريطانية ، و«العليابت» كما دعاها الصهيونيون ، وحجة الصهيونيين في هذا الأمر ان بريطانيا خانت عهودها للصهيونية ولم تعد تسمح لليهود الراغبين في الهجرة الى فلسطين بدخولها . ان هذا الادعاء تدحضه الوثائق التي اتيح لنا الاطلاع عليها* .

من المعروف ان الحركة الصهيونية قامت على أساس مفاده ان مشكلة التشرد اليهودي لا يمكن حلها الا من خلال فتح ابواب فلسطين لليهود كي يقيموا فيها ويستطيعوا ممارسة الخلاص القومي بتأسيس دولة يهودية هناك، كما ادعت الحركة الصهيونية ان يهود العالم يتطلعون الى هذا الهدف وينتظرون الفرص التي تتيح لهم العودة الى «أرض الميعاد».
ان مناقشة هذا الادعاء من خلال الواقع المنظور يجعله ادعاء غير قابل للتصديق ان لم يكن باطلا. ودليلنا على ذلك هو وجود التجمع اليهودي في الولايات المتحدة الامريكية حتى الآن ، وبعد اعلان الكيان السياسي الصهيوني في عام ١٩٤٨ وعدم ظهور ما يشير الى رغبة هذا التجمع في الهجرة الى فلسطين مما يثبت ان مقولة ارض الميعاد لا يعيشها اليهود كما تدعي الصهيونية، ولعلنا لسنا بحاجة الى القول ان جميع الظروف متاحة ليهود الولايات المتحدة كي يهاجروا الى فلسطين .

وعندما تدعي الصهيونية ان ظروف الحرب العالمية الثانية عززت مقولاتها السابقة وجعلت اليهود يتطلعون بلهفة اكثر الى العودة الى فلسطين نجد ان هذا الادعاء حتى في ظروف الحرب القاسية لا يخلو من المغالطة . بل لدينا من الوثائق ما يثبت ضغط القيادة

(١) عادل الجادر ـ قوانين الانتداب (عن تقرير سميسون ص ١٧٦) .
(٢) عصام السبع ، الارهاب الصهيوني ، المصدر السابق . ص ١٦٣ .
(*) الوثائق البريطانية والاميركية التي سنستخدمها في هذا البحث .

الصهيونية على الشباب اليهودي واجبارهم على دخول فلسطين على غير رغبة منهم ، هذا الضغط الصهيوني جعل الشباب اليهودي يستنجد بالمؤسسات العالمية مطالبا اياها بالعمل على ارجاعهم الى اوطانهم الاصلية حيث يعيشون بحرية وأمان ، ويعلنون رفضهم للحياة في فلسطين حيث سيطرة القيادة الصهيونية. ففي رسالة بتاريخ ٢٤/١/١٩٤٤ موجهة الى السير هربرت ايمرسون المندوب السامي للاجئين من حركة النمسا الحرة ببريطانيا بتوقيع كولمر Colmer تلفت فيها الحركة نظر المندوب السامي الى ما يتعرض اليه عدد من النمساويين اليهود الموجودين في الشرق الأوسط وبالذات الذين يعملون مع قوات جلالة الملك البريطاني بالاضافة الى بعض اللاجئين الآخرين، كما تذكر الرسالة الحقيقة المعروفة والمتلخصة في تطلع اللاجئين حتى الذين ذهبوا منهم الى فلسطين الى العودة الى بلادهم بعد الحرب، وينطبق هذا الامر على اليهود اللاجئين الذين انضموا الى القوات البريطانية ، او قوات الحلفاء الأخرى وعلى النمساويين والتشيكيين والبولنديين . . . الخ . وتستطرد الرسالة . .

وفيما يخص هؤلاء الجنود نجد مقالة بعنوان ما مصير الجندي اليهودي في نشرة بتاريخ ٢٣/١٠/١٩٤٣ استشهد فيها كاتب المقال بما نشرته جريدة دافار العبرية حين قالت : اذا ما اعطي جميع هؤلاء الجنود الخيار (بعد الذهاب الى اوروبا مع الجيوش المحررة)فمن الممكن ان الكثير سيفضل البقاء في اوروبا .

لذا فان كاتب المقال يقترح اتخاذ الخطوات اللازمة من جانب الصهيونيين مع الحكومات المعنية لمنع هؤلاء الجنود من أي خيار حتى يضطروا للعودة الى فلسطين على غير رغبة منهم .

لقد وصل الكثير من الرسائل وبالذات من النمساويين في الشرق الاوسط ونرفق لكم نسخة من امرأة نمساوية في قوات A . T . S . تظهر استياء اليهود من السياسة الصهيونية .

وبينما يؤثر الامر في اليهود من جميع الجنسيات فان النمساويين الذين لا تتوافر لهم حماية الحكومة التي يقدمون اليها احتجاجاتهم ـ يتطلعون الى ما يطمئنهم بان سيكون لديهم الحرية في العودة الى وطنهم للمساعدة في عملية اعادة بناء ـ التي ستكون ضرورية عندما ينتصر السلام[1] .

(١) Co 733 /461/ 7935 , Jan . 24 , 1944.

من المعروف ان يهود النمسا تعرضوا للاضطهاد النازي كما كانت مقر قيادة الجستابو الخاصة باليهودفيها .ورغم ذلك فان هؤلاء اليهود الذين يعملون مع قوات الحلفاء يرفضون الذهاب الى فلسطين ويذكرون علنا ان القيادة الصهيونية تمارس عليهم ضغوطا من أجل اجبارهم على دخول فلسطين . وفي الرسالة المرفقة مع رسالة كولمر نشاهد اصرارا يهوديا على رفض المقولة الصهيونية التي تدعي تطلع اليهود الى العودة الى فلسطين.فقد ورد في الرسالة : « ليس لدينا شيء ضد فلسطين وضد طريقة الحياة فيها اذ ان ذلك ليس من شأننا لكننا نود العودة الى وطننا (النمسا) كما نود أن يترك أمر مستقبلنا بيدنا لا بما يسمى بزعماء السكان اليهود في فلسطين فليس هؤلاء زعماءنا ولا شأن لنا بهم ، ان الأمر يقلقنا لأن احدى صحف هذه القيادة (الصهيونية) طالبت بتسريح جميع الجنود اليهود العاملين مع قوات الحلفاء وادخالهم فلسطين ان لم يكن برضاهم فبالقوة».

« أن هؤلاء الذين يمثلون اقلية بين اليهود في العالم يدعون حقوقا ليست لهم وبدأوا بممارسة الارهاب ضد اللاجئين النمساويين وضد اليهود الذين هاجروا الى فلسطين ويرغبون في العودة الى وطنهم الأصلي».

انهم يمارسون الضغط عليهم لاجبارهم على تبني آرائهم وتستطرد الرسالة قائلة : «إننا مواطنون نمساويون واعضاء في حركة النمسا الحرة نطالبك بمساعدتنا في الحصول على حقنا بالمشاركة في تحرير بلادنا وعدم اقحامنا في أمور لا تخصنا ، اننا نأمل في تحرير بلادنا والى اللقاء في النمسا»(١).

مما سبق نستنتج ان الادعاء الصهيوني القائم على رغبة كل اليهود في العودة الى فلسطين ، ادعاء تدحضه الوثائق وما دعاية القيادة الصهيونية ضد منع دخول بريطانيا لليهود الى فلسطين الا غطاء للافلاس الصهيوني بين اليهود انفسهم ، فقد كانت القيادة الصهيونية تسعى الى احضار مليوني يهودي الى فلسطين بعد الحرب بمعدل مائة الف سنويا، كما أعلن ذلك وايزمان أمام الدوائر الصهيونية في عام ١٩٤٤ بينما كان يطالب بدولة تتسع لـ ٣ ـ ٤ ملايين يهودي من تشرشل في بداية الحرب وأمام الافلاس الصهيوني اضطرت القيادة الصهيونية الى تبني شعار الدولة اليهودية لان في الدولة امورا تجعل اليهودي راغبا في المجيء الى فلسطين ،وقد عبر عن هذه الفكرة حاييم وايزمان امام المجلس الصهيوني المنعقد بلندن في يناير ١٩٤٤ فقد طرح مسألة الهجرة وربطها بمنح الصهيونية حقوق سيادة معينة : « لا نريد الدولة من أجل الدولة ولكن نريدها لان الدولة تجعلنا قادرين على تنمية

(١) والرسالة المرفقة مع الوثيقة السابقة .

البلاد وهذا ما يعطي الدولة حق البقاء »(١).وهنا اعترف وايزمان ان الدولة هي التي تجعل الصهيونية قادرة على التنمية مرتبطة بوجود العنصر البشري ، اذن فان هذا هو مصدر شكوى وايزمان وهو مصدر تبريره للمطالبةبالدولة ،كما أعلن وايزمان امام المجلس ان مفهوم دولته التي يطالب بها يختلف عما يشاع انه (دول) في الشرق الأوسط، فقد كان يريد أفضل الشروط لأكبر عدد من اليهود . وفي رأينا ان اعلان وايزمان هذا يعبر عن النظرة التوسعية الاستغلالية للمشروع الصهيوني فقد أعلن ان دول الشرق الأوسط يشاع عنها أنها دول كما كان يريد افضل الشروط . من أين كان يريد وايزمان الأفضل ؟ لم يكن امامه لتحقيق أفضل الشروط الا استغلال المنطقة والسيطرة على مواردها .

وما يجعلنا نؤكد نظرة وايزمان الاستغلالية هو استمراره امام المجلس في القول بأن الدولة اليهودية ستحقق المساواة للعرب ان وجدوا فيها ولن ينالهم ما تناله الأقلية اليهودية في بغداد على حد تعبيره .

وهنا كان وايزمان بحكم مسؤوليته عاجزا عن طرح النوايا الحقيقية فيما يتعلق بالعرب ، وقد تولى شرح الأمر عنه امام المجلس سيلج برودتسكي احد المسؤولين الصهاينة فقد أنكر وجود شيء اسمه فلسطين العربية « ان مثل هذا البلد غير موجود » من اجل ان لا تكون فلسطين عربية (هو الهدف الأصيل للصهيونية)» ينبغي علينا ان نكون مستعدين لمواجهة الصعاب التي نأمل في التغلب عليها»(٢).

ان الافلاس الصهيوني امام اليهود جعل القيادة الصهيونية تربط بين الهجرة ومفهوم الدولة اما عن الضغط الصهيوني على اليهود لاجبارهم على دخول فلسطين فقد بررته القيادة الصهيونية بما يرضي الغربيين انفسهم فقد كان يخشى وايزمان من تسمم اوروبا بلا سامية جديدة تختلف عن اللاسامية القديمة وأوضح ان هذه اللاسامية الجديدة لن ترضى بغير قتل اليهود وسيمر اكثر من جيل حتى يتم محو هذا النوع من اللاسامية»(٣).

لقد أغرى وايزمان اليهود في بداية كلمته عندما أعلن عن الدولة بأن المهاجر اليهودي سينال فيها حقوقا كاملة ولكنه هنا يهدد وينذر اذ ان اليهود الباقين خارج هذه الدولة لن يكون امامهم غير الموت وعليهم ان يواجهوه على مدى جيل كامل . كما ان وايزمان يرى في اوروبا كلها موطنا للاسامية وكان مضطرا الى تجافي الحقيقة في القول : « لقد كانت المانيا

(١) نشرة وكالة التلغراف اليهودية ١٩٤٤/١/٣١ ص ٤ .

(٢) (٣) نشرة وكالة التلغراف اليهودية ١٩٤٤/١/٣١ ، ص ٤ .

على وشك الهزيمة النهائية في عام ١٩٤٤، واذا ما هزمت المانيا معقل اللاسامية في نظر الصهيونية فان اوروبا كلها ستكون كذلك وبذا ليس امام اليهود غير الهجرة ، فاللاسامية باقية بزوال المانيا الهتلرية ام ببقائها واذا كان اليهود في خشية من الوجود العربي فالعرب على حد تعبير برودتسكي غير موجودين .

الموقف البريطاني من الهجرة اليهودية

لقد كانت الدعاية الصهيونية ضد بريطانيا شيئا وكان الموقف الرسمي شيئاً آخر. ففي عام ١٩٤٤ عند انعقاد المجلس الصهيوني كانت القيادة الصهيونية تظهر وكأنها في قمة النقمة على السياسة البريطانية من خلال ما رافق مؤتمر بلتمور ١٩٤٢ ، ومن خلال الدعاية الصهيونية النشطة في الولايات المتحدة الاميركية ضد بريطانيا ، ولكن هذه القيادة امام مؤسساتها الرسمية كانت تعلن الحقيقة ، فقد اعترفت القيادة الصهيونية ان الكتاب الابيض لن يعيش فترة هذه الحرب كما اعترفت «ان بريطانيا هي القوة الحاسمة فيما يخص شؤون فلسطين وستظل كذلك وينبغي العمل معها ، فقد كان وسط المأساة التي شرحتها القيادة فرصة فريدة يجب على هذه القيادة انتهازها »[1] . على حد تعبير ناحوم جولدمان احد قادة صهيونيي الولايات المتحدة الاميركية .

لم تكن الفرصة التي ذكرها ناحوم جولدمان امام المجلس الصهيوني الا ما كانت بريطانيا تستعد للاعلان عنه في تلك الفترة سواء على مستوى الهجرة اليهودية او تأسيس الدولة اليهودية فقد كانتا فرصتين متلازمتين ليستا فرصة واحدة . اذ كان المسؤولون البريطانيون يفكرون جديا في منح التسهيلات العملية للهجرة اليهودية الى فلسطين والتغاضي عن العدد المحدد في الكتاب الأبيض بخمسة وسبعين الف مهاجر اذا ما استطاع الصهيونيون جلب المزيد من اليهود وجعله مائة وخمسين الفا الى أن يصبح عدد اليهود ٤٠٪ من مجموع سكان فلسطين على ان يعلم العرب بهذه السياسة البريطانية الجديدة صراحة[2] كما كان مجلس الوزراء البريطاني منذ يوليه ٤٣ قد قرر تشكيل لجنة وزارية لوضع توصيات بشأن مستقبل فلسطين على أن يكون اساسها مشروع لجنة بيل في عام ١٩٣٧ الذي دعا الى التقسيم ، وكان وايزمان بالذات على علم بكل مجريات الأمور في هذه اللجنة التي كان صديقه امري أحد أعضائها وكان معروفاً أنه يطلع وايزمان أولا بأول على كل ما يجري .

وأصل الى القول ان بريطانيا لم تكن حجر عثرة في طريق الهجرة الصهيونية ولكن الافلاس الصهيوني وعدم قدرة هذه القيادة على اقناع اليهود بالحضور الى فلسطين ـ حتى الذين اتيحت لهم فرصة الهرب من الاضطهاد النازي ـ هي التي شكلت العقبة أمام الهجرة اليهودية .

(١) نشرة وكالة التلغراف اليهودية بالانجليزية ١٩٤٤/١/٣١ .
(٢) مؤتمر السفراء البريطانيين حول فلسطين ٦ ـ ٤٤/٤/٧ فقرة ٦ في القاهرة .
Co 733 /461/ 175872 /1921 4/ Part 2, 7939.

ولعل تفكير احد السفراء البريطانيين بالسماح لدخول ١٥٠ الف مهاجر يهودي خير دليل على حسن نوايا بريطانيانحو الصهيونية ،واذا كان ما جاء في مؤتمر السفراء البريطانيين في البلاد العربية الذي عقد في ابريل ١٩٤٤ بالقاهرة لا يعتبر قرارا رسميا فان رأي وزير المستعمرات البريطاني المسؤول الاول عن الهجرة اليهودية الى فلسطين لا يقبل النقض والتشكيك،فقد أوضح الوزير موقف حكومته وقام بابلاغ بعض المهتمين بشؤون الهجرة ان تاريخ ١٩٤٤/٣/٣١ المحدد لأنهاء دخول اليهود الى فلسطين الا بموافقة العرب حسبما جاء في الكتاب الابيض يعتبر غير ذي قيمة .ويفسر الوزير موقفه بقوله انه حتى ١٩٤٣/١٢/٣١ هناك أكثر من ثلث العدد ٧٥ الف لم يحضر الى فلسطين بسبب ظروف الحرب وحسب بيانه في مجلس العموم بتاريخ ١٩٤٣/١١/١٠ فان عدد المهاجرين الباقي والمصرح له بالدخول هو ٣١٠٧٩ مهاجراَيصل الى ٢٥٥٧٥ مهاجرا في ١٩٤٣/١٢/٣١ نتيجة لوصول البعض المسموح لهم بالدخول[1] .

لقد كانت بريطانيا وفية للصهيونية ملتزمة بتصريح بلفور وصك الانتداب البريطاني حتى النهاية ،ولكن ينبغي القول ان الالتزام البريطاني كان مرتبطا بمصالح الامبراطورية لذا فان القيادة البريطانية عندما رأت ان الصهيونية لن تفي بتعهداتها التي استوجبت تصريح بلفور اضطرت الى اعادة النظر في موقفها .

رغم وضوح الموقف البريطاني من أمر الهجرة اليهودية فإن الدعاية الصهيونية لم تكف عن اثارته في الولايات المتحدة الامريكية وبالذات في عام ١٩٤٤ وكان ذلك في رأينا منسجما مع مقولة الصهيونية في ربط الهجرة بالدولة لان الكف عن طرح موضوع الهجرة يجعل المطالبة بالدولة امرا غير مقبول والعكس صحيح .

بريطانيا تدافع عن نفسها :

عمدت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة الى اخفاء الموقف البريطاني الحقيقي نحو الهجرة وذلك كي تجعل من مساندة الحكومة الاميركية لها في هذا الشأن أمراً ممكنا ، واضطرت الحكومة البريطانية أمام هذا الوضع للدفاع عن نفسها أمام حليفتها خاصة وان عام ١٩٤٤ شهد خلافات بريطانية ـ اميركية حول اكثر من أمر مثل النفط في الخليج العربي، واليونان، والاطلاع على سير الأبحاث الذرية، والمصالح التجارية في الشرق الأوسط .وكانت الحكومة البريطانية تحس بموقفها الضعيف امام حكومة الولايات المتحدة ولم

(١) رسالة ستانلي الى كريل هندرسون بتاريخ ١٩٤٤/٣/١٤ .
Co /733 /461 Part I 7935 - 75812 /22/ 44

تكن راغبة في جعل أمر الهجرة اليهودية موضوع خلاف لا مبرر له لا سيما وان بريطانيا تعطيه كل الفرص الممكنة .

أبرق السفير البريطاني (هاليفكس) في واشنطن الى وزارة خارجيته بتاريخ ١٩٤٤/٩/١ يعلمها بالنشاط الصهيوني المتزايد ضد بريطانيا ونجاح هذا النشاط في خلق الاهتمام العام بفلسطين بين الشعب الأميركي . واستند السفير في رأيه هذا الى مطالبة الشيوخ والنواب الاميركيين والرئيس الاميركي ووزير خارجيته بالضغط على حكومة جلالته من أجل السماح ليهود المجر بالدخول الى فلسطين، كما استند أيضا الى زيارة وفد الحاخامين اليهود في الولايات المتحدة للبيت الأبيض والكابيتول، وسفارة بريطانيا في واشنطن واستقبال بعض المسؤولين الاميركيين لهذا الوفد واستلام مذكرة منه تطالب بفتح أبواب فلسطين فورا لليهود لان الالمان ينوون القضاء على ما تبقى منهم في أوروبا . وبينما يؤكد السفير مسؤولية حكومته كدولة منتدبة على فلسطين الا أنه ينقل اليها التساؤل حول عدم سماحها للاجئين اليهود بينما سمح لآلاف من البولنديين واليونان، واليوغسلاف منذ عام ١٩٣٩[1] .

ردت الخارجية البريطانية على سفيرها بتاريخ ١٩٤٤/٩/١٤ م بالبرقية رقم ٨١٦٢ وقد جاء فيها لا نرى أساسا للهياج ضدنا . لقد أوضح البيان الانجلو اميركي بتاريخ ١٧ اغسطس ضرورة استقبال اليهود الفارين من المجر،وبالاضافة الى ذلك ـ كما تعلم ـ فقد تم تأمين مكان لكل يهودي نجح في الوصول الى تركيا من المناطق التي يحتلها هتلر (سهلت تركيا عبور ١٩ الفا من اراضيها الى فلسطين) ولكن ذلك لا يعني السماح لجميع اللاجئين بدخول فلسطين اذ ان هناك فرقا كبيرا وكما اوضحه الاميركيون انفسهم ـ بين استقبال المهاجر واستقبال اللاجىء ويبدو أن الضغط موجه لاستقبال المهاجرين وليس لتأمين اللجوء لهؤلاء الفارين» .

«إن حكومة جلالته يجب ان تحتفظ بحقها في نقل اللاجئين الذين لم يقبلوا في فلسطين الى أي جهة امنة وعلى سبيل المثال شمال افريقيا . آمل ان تقترح الوسائل لمواجهة هذه الحملة الجديدة ضدنا في الولايات المتحدة كما لا يفوت وزارة الخارجية ان تلفت نظركم الى ضرورة التنبيه بأن الحملة في اميركا ضد بريطانيا لا تخلو من اهداف انتخابية اميركية »[2] .

وفي رأينا ان الدعاية الصهيونية في هذا العام كانت اداة اميركية ضد بريطانيا للضغط عليها وجعلها تنثني امام المطالب الاميركية ولم تكن الدعاية من أجل الهجرة ، فقد أشارت

(١) Co 733 /461 / 75872 parts2 7935 1 - 9 - 1944.
(٢) Co 733 /461 / 75872 parts 7935 14 - 9 - 1944.

الخارجية البريطانية ، الى ظهور العامل السياسي في الموقف الاميركي من خلال الانتخابات كما ان وزارة الخارجية ذكرت بوضوح التسهيلات التي توضع امام الفارين من النازية ولكنها فرقت بين اللاجىء والمهاجر، بينما كانت القيادة الصهيونية ترى في كل لاجيء مهاجرا . ونلاحظ من خلال برقية السفير هاليفكس ان المطلب الصهيوني انصب على فتح أبواب فلسطين ولم يشر السفير الى موقف الصهيونية الاميركية من عملية الانقاذ التي كان ينبغي التفكير فيها بالنسبة ليهود المجر ، وهذا يقودنا الى الاستنتاج ان القيادة الصهيونية رأت في اوضاع يهود المجر فرصة لها لتطالب بادخال هؤلاء الى فلسطين فقط ولم تلتفت الى أي مكان آخر اذ لم يكن الانقاذ هدفها بل كانت المادة البشرية التي تسهم في تحقيق المشروع الصهيوني هي الهدف .

كما نلاحظ أيضا أن وفد الحاخامين اليهود تجاهل بيان ١٧ أغسطس الذي أشارت اليه وزارة الخارجية البريطانية كما تجاهل التمييز بين وضع اللاجىء والمهاجر وهو أمر يتعلق بالسياسة الاميركية نحو الهجرة لان الوفد لو طالب بهذا الأمر لوصل الى نتيجة لا تؤدي الغرض المطلوب من الحملة وهو توفير العجز الذي تعانيه الصهيونية من نقص المهاجرين اليهود .

ورغم الحملة الصهيونية التي أشرنا اليها فان المطلب الرسمي للوكالة اليهودية حول المهاجرين اليهود لم يلق أدنى معارضة من السلطات البريطانية . ففي الوقت الذي أوضحت فيه الخارجية البريطانية موقفها من قضية الهيجان الصهيوني في الولايات المتحدة الاميركية ضدها ، عقد اجتماع بين وزير المستعمرات البريطاني (ستانلي) وممثلي الوكالة اليهودية في مكتب الوزير بتاريخ ١٩٤٤/٩/١٤ نوقش فيه أمر الهجرة اليهودية وطالب موسى شرتوك رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية باعادة النظر في توزيع الاعداد المتبقية من العدد الذي حدده الكتاب الابيض على النحو التالي :

رومانيا وبلغاريا ٥,٠٠٠ ، ايطاليا ٩٠٠ ، فرنسا (أطفال ٢٠٠٠) ، سويسرا (أطفال) ١٠٠٠ ، بلجيكا ٢٠٠٠ طفل ، يهود عدن ١٠٠٠ ، تركيا ١٠٠٠ طفل المجموع الكلي ١٠٣٠٠ (عشرة الاف وثلثمائة) .

وبعد التشاور بين وزير المستعمرات وحكومة فلسطين اتخذت القرارات التالية من جانب الحكومة البريطانية :

١ ـ تمت الموافقة على ما اقترحته الوكالة اليهودية .

٢ ـ لا يسمح لاكثر من ١٥٠٠ مهاجر يهودي في كل شهر بالدخول الى فلسطين بدءاً من

١٩٤٤/١٠/١ على ان يعاد النظر في هذا المعدل في ١٩٤٥/١/١ م على ضوء الوضع عندئذ .

٣ ـ لن يسمح باضافة اعداد اخرى ما لم يستنفد العدد المذكور اعلاه[1] .

ونلاحظ من الوثيقة السابقة التراجع البريطاني كليا عن سياسة الكتاب الابيض والانصياع التام لمطالب ممثلي الوكالة اليهودية اذ أقرت الاعداد التي طلبتها الوكالة دون تعديل. كما نلاحظ ان معظم الذين طلبت الوكالة ادخالهم من الأطفال، وهو امر يتمشى مع سياسة الوكالة في انتقاء المهاجرين وكانت الفرصة سانحة لمثل هذا الانتقاء بسبب ظروف الحرب ، كما نلاحظ ان مطالب ممثلي الوكالة اليهودية لم تذكر يهود المجر على عكس مذكرة وفد الحاخامين الاميركيين التي ركزت على انقاذ يهود المجر والذين يفترض ان تقوم القيادة الصهيونية ببحث موضوعهم مع سلطات الانتداب. والسبب في ذلك في رأينا يعود الى تسليم الوكالة اليهودية بعجزها عن عمل أي شيء لهؤلاء على المستوى العلني فقد كانت تعرف الحقيقة كاملة حول هذا الأمر ولم يعرفها العالم إلا بعد محاكمة كستنر مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر في عام ١٩٥٤ وكيف ثبت ان كستنر عضو حزب الماباي والمسؤول الصهيوني عن يهود المجر تآمر على هؤلاء وتنازل عنهم جميعاً للنازيين مقابل انقاذ بضع مئات من الصهيونيين وأقرباء كستنر نفسه وهذا ما سنبينه في بحث العلاقة بين النازية والصهيونية .

لذا فان الهياج الصهيوني في الولايات المتحدة ضد بريطانيا قصد به امور مختلفة لم يكن انقاذ يهود المجر من بينها .

بالاضافة الى ما تقدم فان الوثائق الصهيونية الرسمية لا تشير الى تقصير الحكومة البريطانية في مجال الهجرة اليهودية ،ولعل تقارير الوكالة اليهودية الرسمية هي أدق المصادر في نظرنا اذ انها كانت تقدم الى الجهات الصهيونية الرسمية. ففي تقرير الوكالة اليهودية لعام ١٩٤٠ ورد ما يلي :

سمح بادخال ٤٤٥٧ مهاجرا في عام ١٩٤٠ مقابل ١٦٤٠٥ مهاجرين في عام ١٩٣٩ وذكرت أن السبب يعود الى الكتاب الابيض وظروف الحرب العالمية الثانية وخضوع بعض البلدان للحكم النازي مما منع الهجرة، ويعترف التقرير بفشل الوكالة في هذا المجال[2]. الا ان التقرير سرعان ما ذكر عدم وقوف سياسة الكتاب الابيض في وجه الهجرة، فقد ورد فيه ان

---

(١) Co 733 461/75872 part 2/7935 , 75113/44 .

(٢) Report of the Jwish Agency for Palestine for the year 1940 , P . 2 .

بريطانيا منحت الوكالة في الفترة من ابريل الى سبتمبر ١٩٤٠ شهادات لـ ٩٠٥٠ مهاجرا اضيف اليها ثلاثمائة فيما بعد، اي ان المجموع ٩٣٥٠ شهادة هجرة[١]، ولما كان العدد الذي تمكنت الوكالة من ادخاله حسبما ورد في التقرير هو ٤٤٥٧ وما سمح به من بريطانيا هو ٩٣٥٠ فان الفائض لصالح الوكالة اليهودية هو ٤٨٩٣ شهادة هجرة لم تتمكن الوكالة من استخدامها لا بسبب بريطانيا ولكن بسبب عدم وجود يهود تمنحهم الوكالة هذه الشهادات،فأين التقصير البريطاني في هذا المجال وأين أثر سياسة الكتاب الابيض ؟

ويذكر التقرير نفسه أيضا أن خمسة الاف يهودي لن يتمكنوا من استخدام شهادات الهجرة حتى يونيه ١٩٤١ وفي الوقت نفسه يأتي على ذكر سبعة آلاف وثلاثة وثلاثين مهاجراً دخلوا فلسطين دون إذن من السلطات البريطانية .

والتساؤ ل هنا اذا كانت هناك فرصة لادخال خمسة آلاف شخص بشهادات هجرة رسمية فلماذا لم تستخدمها الوكالة ولجأت الى ادخال اعداد دون اذن من السلطات ؟

إننا نجد الاجابة عن التساؤ ل في التقرير نفسه اذ يذكر انه من بين ٦١٠٥ شباب يهود تعتني بهم دائرة الهجرة منذ عام ١٩٣٣ هناك ٣٠٨٤ شابا اتموا تدريبهم (دون ذكر لنوع التدريب) وهناك ٣٠٢١ شابا لا يزالون تحت التدريب . نستطيع القول هنا أن الذين دخلوا البلاد دون اذن هم من الفئات التي نجحت القيادة الصهيونية في تربيتهم تربية صهيونية وهؤلاء كانوا مدربين عسكريا ولم تكن الوكالة ولا الحكومة البريطانية في تقديرنا راغبين في الاعلان عن دخول هؤلاء حرصا على الوضع الامني في البلاد في فترة حرجة من تاريخ بريطانيا في المنطقة ، ويرجح هذا الاستنتاج ما جاء في التقرير حول حجم الانفاق المالي على الشباب اذ بلغ مقدار الانفاق الكلي في عام ١٩٤٠ لدائرة الاستيطان اليهودي ربع مليون جنيه فلسطيني انفق منه على الشباب فقط مائتان وعشرة الاف جنيه وانفق الباقي وقدره أربعون الفا على مختلف حاجات الاستيطان مثل المزارع، والنباتات والتدريب على المهن الزراعية ، والقروض والمتفرقات[٢] . من خلال الارقام السابقة يمكننا استنتاج ما يلي :

ركزت القيادة الصهيونية في تلك الفترة على تدريب الشباب اليهودي وتسليحه، واحضار السلاح بشتى الوسائل ولو كان غير ذلك فلم هذا الانفاق ؟ وخاصة اذا ما علمنا ان عدد الشباب الذين أتموا تدريبهم حسب تقرير الوكالة هو ٣٠٨٤ شابا أي أن معدل

(١) Ibid , P . 3 .

(٢) Report of the Jewish Agency , P . 4 ., opcit .

الانفاق على الشاب الواحد بعد انهاء تدريبه بلغ سبعمائة جنيه فلسطيني هذا عدا توفير السكن والعمل له حتى يصل الى فلسطين ، ويرتفع رقم الانفاق على الشاب الواحد الى ٢٨٠٠ جنيه فلسطيني اذا ما اقترن رقم الانفاق مع الشباب اليهودي المدرب والذي دخل فلسطين، اذ ذكر التقرير ان عدد الشباب الذين وصلوا فلسطين بلغ ٧٥٠ شابا .

نستطيع القول ان الوكالة اليهودية حصرت اهتمامها في احضار نوع معين من المهاجرين في تلك الفترة وقد كان الشباب اليهودي والسلاح هما المطلوبان ولم يكن انقاذ اليهود او السعي لخلاصهم من الاضطهاد النازي هو الهدف كما لم تكن بريطانيا وسياستها هما العائقان .

ولم يخف هذا الهدف الصهيوني على المسؤ ولين الاميركيين في فلسطين .فقد ذكر القنصل الاميركي في برقيته رقم ١١٨٧ بتاريخ ١٩٤٠/١/٨ « ان كل ما يريده اليهود هو ضرورة تدريب جيش يهودي للخدمة في دولة ما بعد الحرب» . كما ذكر القنصل نفسه ايضا بتاريخ ١٩٤٠/١/٢٤ في برقيته تحت رقم ١٢٠٧ والتي شرح فيها وضع الهجرة اليهودية بالتفصيل ما يلي :

رغم اعتقال المهاجرين غير الشرعيين الا انه سرعان ما أطلق سراحهم ، لقد نقضت الهجرة غير الشرعية لا بسبب منع الحكومة البريطانية لها ولكن لاسباب هي :

١ ـ أخلت الحرب بالترتيبات (المعدة لهذا الغرض) وجعلت الحصول على السفن صعبا .

٢ ـ اعلمني أحد المسؤ ولين في الوكالة اليهودية سرا بان الوكالة في الوقت الحاضر لا تشجع الهجرة غير الشرعية لان وصول الاف المفلسين يؤثر في فرص العمل واعمال الاغاثة وتخلق ظروفا سياسية غير متناسقة[١] .

وما دامت رغبة الوكالة اليهودية هي في عدم تشجيع الهجرة اليهودية لظروف شرحها المسؤ ول الصهيوني للقنصل الاميركي فما مبرر ضغط بريطانيا لمنع هذه الهجرة ؟ وفي تقديرنا كان الامر مرتبطا بهيبة بريطانيا في المنطقة وتخوفها الحقيقي من وصول عملاء النازيين على ظهر هذه البواخر والا لما أعلن القنصل براءة بريطانيا من كل تقصير عندما ذكر ان المهاجرين الذين يتم اعتقالهم سرعان ما يطلق سراحهم ويسمح لهم بالدخول .

« يضاف الى ما سبق أنه كان تحت تصرف الوكالة اليهودية حتى ١٩٤١/٩/١ ما

(١) Foreign Relations , 1940 , vol . 3 , 867.N . 55 / 200

مجموعه ٤٢١٣٢ شهادة هجرة يمكن استخدامها بشرعية بريطانية بالاضافة الى عزم بريطانيا على الاستمرار في منح شهادات الهجرة »[١] .

لقد كانت كل الظروف لصالح الحركة الصهيونية في احضار المهاجرين اليهود وحتى ظروف الحرب التي أشار اليها القنصل الاميركي في ١٩٤٠/١/٢٤ سابقا لم تكن سببا في عدم احضار اللاجئين في تلك الفترة بالذات، فقد كان النازيون انفسهم يشجعون على الهجرة اليهودية ومن هنا جاء التخوف البريطاني من هذه الهجرة ولجأت الى اعتقال المهاجرين عند وصولهم ثم أطلقت سراحهم فيما بعد ، يؤكد هذا الرأي مذكرة السفارة البريطانية بواشنطن الى وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٤٠/١١/٢٢ فقد ورد في المذكرة البريطانية ان « هناك دلائل تشير الى تشجيع المحور على الهجرة لا لاثارة الشعور العربي فحسب ولكن لتمييع القانون في فلسطين والتأثير على الوضع العسكري في الشرق الأوسط »[٢] .

لذا كان ادعاء الصهيونية بوجود حواجز امامها من قبل البريطانيين او النازيين في بداية الحرب لمنع الهجرة اليهودية او عدم تسهيلها وتشجيعها ادعاء تدحضه الوثائق البريطانية والاميركية كما يدحضه اعتراف المسؤولين الصهاينة انفسهم .

لقد كان الأجدر بقيادة الصهيونية ـ انطلاقا من ادعائها في تمثيلها لكل يهود العالم وتحمل مسؤولية قيادتهم ـ كان الاجدر بها ان تتوجه لانقاذهم ولكنها لم تفعل ذلك ووجهت نشاطها من أجل الاعداد العسكري وكان همها تدريب جيش يهودي لا انقاذ اليهود . لذا فان الاتجاهات الصهيونية نحو الهجرة كان اساسها هذا المنطلق العسكري في تلك الفترة واستدعى هذا الأمر « تركيز الجهد على الاستمرار في التوسع الاقتصادي في الاعداد لحل دائم للمسألة اليهودية في فلسطين فيما بعد الحرب[٣]» حسب اعتراف قيادة الوكالة اليهودية .

وكان العمل السياسي موجها نحو انتزاع قرار بريطاني بتشكيل جيش يهودي كما كان النشاط الاقتصادي موجها لخلق قاعدة اقتصادية وتوفير اكبر قدر من الربح من خلال الفرصة التي اتاحتها ظروف الحرب للتجمع اليهودي في فلسطين اما العمل التنظيمي فقد استهدف اختيار الشباب اليهودي والضغط عليهم وإجبارهم على الالتحاق بالعمل العسكري أو ادخالهم الى فلسطين .

---

(١) Foreign Relations , 1941 , 867N . 55 / 239

(٢) Foreign Relations , vol 3 , 1940 , 840 . 48 Refugees 2358

(٣) Report of the Jewish Agency for Palestione , London , 1943 , P . 1 .

الهجرة غير المشروعة

تختلف رواية بن جوريون الخاصة بالهجرة غير المشروعة عن واقع هذه الهجرة .

فقد ذكر ان الهجرة « غير المشروعة » بدأت في عام ١٩٢٧ عندما خفضت الحكومة البريطانية عدد شهادات الهجرة عمليا الى الصفر (بلغت في عام ٢٧ ما مقداره ٣٠٣٤ شهادة وفي عام ١٩٢٨ ما مقداره ٢١٧١ شهادة وفي عام ١٩٢٩ ما مقداره ٥٢٤٧ شهادة وفي عام ١٩٣٠ ما مقداره ٤٩٤٤ شهادة) وقد تمت أول خطوة في تنفيذ الهجرة غير المشروعة بمساعدة الحكومة الفرنسية التي كانت تمارس الانتداب على سوريا ولبنان آنذاك .

كما ذكر أيضاً أن أول دفعة من المهاجرين غير الشرعيين نفذت بحرا كانت في عام ١٩٣٣ عندما وصل ٣٥٠ يهوديا بولنديا على ظهر السفينة فيلوس . وفي عام ١٩٣٨ بدأت الهجرة غير المشروعة في التوسع عندما مارست الحكومة البريطانية سياسة الحد من الهجرة بعد تقرير لجنة وود هيد البريطانية[١] (التي أوصت بإلغاء التقسيم الذي أقرته لجنة بيل البريطانية أيضا في عام ١٩٣٧) .

اننا لا نغالي اذا قلنا بأن القصة من بدايتها قامت على غير أساس من الدقة والوضوح . ففي عام ١٩٢٧ ذلك العام الذي لجأت فيه قيادة الصهيونية الى تهريب اليهود داخل فلسطين دون علم السلطات البريطانية عبر الحدود السورية الفلسطينية كان أسوأ عام بالنسبة لقدرة القيادة الصهيونية على احضار المهاجرين اليهود الى فلسطين، ذلك لأنه في هذا العام ولأول مرة منذ الحرب العالمية الأولى « غادر فلسطين يهود أكثر من الذين هاجروا اليها »[٢] وقد أكد هذا القول الكاتب Sacher في كتابه « اسرائيل اقامة دولة » صفحة ١٠ فقد ذكر « ان الهجرة الى البلاد تضاءلت والبطالة تضخمت وفي عام ١٩٢٧ كانت الهجرة من البلاد ضعف الهجرة اليها »[٣] .

وكان واضحا ان المشروع الصهيوني اصبح على حافة الانهيار الذاتي وأن يهود العالم أداروا ظهرهم اليه ، كما أصبحت القيادة الصهيونية في موقف لا تحسد عليه من الحرج والضيق وعلى الأخص امام الحكومة البريطانية اذ يمكننا تلخيص موقف هذه القيادة في حينه على النحو التالي : هذه فلسطين وقد منحتها بريطانيا لكم حسب تصريح بلفور والانتداب

---

(١) Ben Gurion , Israel , Personel History , P . 52 , opcit .

(٢) دزموند ستيوارت ، تاريخ الشرق الاوسط الحديث ، ترجمة دار النهار للنشر بيروت ، ١٩٧٤ ، ص ٢٧٤ .

(٣) اميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، المرجع السابق ص ١٦١ .

فأين اليهود الذين تطالبون لهم بوطن قومي ؟

كان على القيادة الصهيونية أمام هذا الواقع إما ان تستسلم للفشل واما ان تلجأ الى افتعال كل الوسائل التي تثير مشاعر اليهود في العالم وتجعلهم يلتفتون الى ما تدعو اليه . وقد لجأت هذه القيادة الى استخدام الطريق الثاني المتمثل في افتعال الأحداث مهما كان ثمنها .

وكانت أول فرصة لهذه القيادة في عام ١٩٢٩ عندما افتعلت حادث البراق وتحدت مشاعر المسلمين فجأة في أغسطس من ذلك العام وأساءت اليها دون سبب :فقد اعتاد اليهود على زيارة حائط المبكى ، والذي يسميه المسلمون حائط البراق قرب حرم القدس الشريف ، في شهر أغسطس من كل عام دون اعتراض أحد لهم او التدخل في سلوكهم وهو أمر اتفق عليه منذ بداية الانتداب البريطاني على فلسطين وحددت الحكومة البريطانية أماكن وجود اليهود عند الحائط كما حددت سلوكهم في ذلك اليوم . وقد رضي المسلمون بذلك تسامحا منهم « رغم اعتراف حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية لملك ايطاليا بعدم ملكية اليهود « لحائط المبكى » وعدم وجود أماكن مقدسة يدعيها اليهود في فلسطين فعلا غير قبر راحيل الذي لم يكن في يوم من الأيام موضع نزاع »[٢] .

الا ان اليهود في أغسطس سنة ١٩٢٩ تجاوزوا ما كان مسموحا لهم دون حق وأرادوا الاعتداء على وقف المسلمين وانتشروا خارج حدود المنطقة المخصصة لهم وبدأوا في الاساءة الى الشعائر الاسلامية مما دفع المسلمين الى الرد عليهم ومنعهم من تنفيذ اي عمل مخالف لما هو متفق عليه . وقد كان هذا الحادث بداية لانفجار الوضع في فلسطين في عام ١٩٢٩ وأدى الى احداث دامية في البلاد كما انتهى الوضع باعلان بريطانيا كتاب باسفيلد الأبيض الذي حد من الهجرة اليهودية والتي سرعان ما تراجعت عما اعلنته في عام ١٩٣٠ م واعتبر كتاب باسفيلد كأنه لم يكن .

الا أن تدبير هذا الحادث وما تبعه من أحداث دامية كان من فعل القيادةالصهيونية ،فقد وصف احد المهتمين بالشؤ ون الصهيونية والمتحمسين لها والذي كان أثناء الحادث في زيارة للقدس ولفلسطين ليكتب تقارير عنها وعن تقدم المشروع الصهيوني فيها الى الصحيفة الصهيونية New Palestine ولكنه فوجىء بوجود عربي كامل في البلاد مما جعله يبدأ في تغيير رأيه عن الصهيونية كما التقى هذا الشخص نفسه في رحلته الى فلسطين بسيدة اميركية جاءت لتكتب تقارير هي الأخرى عن فلسطين ايضا لصحيفة نيويورك تايمز . New York

(١) دزموند ستيوارت ، تاريخ الشرق الأوسط الحديث ، المرجع السابق ص ٢٨٩ .

Times وعند لقائه بالسيدة فوجىء الرجل بها تخبره « أن مئات الحالوتزيم (الرواد) من حزب جابوتنسكي سيذهبون الى حائط المبكى بعد غروب الشمس مسلحين ليحدثوا المتاعب للعرب . وقالت ان الشجار سيكون مفيدا جدا للقضية الصهيونية لانه سيثير يهود العالم ويزيد تبرعاتهم للوكالة اليهودية ثم دعته لمرافقتها ومشاهدة ما سيحدث »[١] .

وفعلا حدث ما قالته السيدة الاميركية وكانت حوادث ١٩٢٩ في فلسطين ونجحت القيادة الصهيونية التي خططت ونفذت الحادث في تحقيق ماأرادته وبدأ حاييم وايزمان ومجموعته يلتقطون انفاسهم من جديد .

لقد رويت الحادثة السابقة للتدليل على انه لم يكن بوسع القيادة الصهيونية احضار مهاجرين يهود الى فلسطين سنة ١٩٢٧ وكانت الحكومة البريطانية وسلطات الانتداب البريطاني على فلسطين مستعدة لاستقبال اي عدد من اليهود يمكن لهذه القيادة ان تأتي به ولكنها كانت عاجزة عن ذلك ولجأت الى افتعال الحوادث التي تلفت النظر الى ما تدعواليه . وعلى ذكر الهجرة غير المشروعة التي ادعاها بن جوريون ، ليس امامنا من استنتاج غير ان الشباب الرواد الذين ذكرتهم السيدة الاميركيةوهم الذين ذكرهم بن جوريون وقد دخلوا فلسطين مستعدين عسكريا لتنفيذ غرض معين وهو اثارة الفتنة في فلسطين والاعتداء على شعبها ومقدسات المسلمين فيها لعل في افتعال الحوادث ما ينقذ المشروع الصهيوني من الدمار .

اما ما ذكره بن جوريون حول وصول مهاجرين لا شرعيين (٣٥٠ بولنديا عن طريق البحر سنة ١٩٣٣) فلا نجد له مبرراً والسبب في ذلك ان معدل الهجرة اليهودية منذ عام ١٩٣٠ بدأ في الارتفاع وذلك مع بداية صعود الحزب النازي في ألمانيا ونجاح هتلر في تسلم الحكم عام ١٩٣٣ ، وبسبب ما بذلته القيادة الصهيونية من نشاط بين اليهود الالمان وممارسة الضغوط عليهم بالاتفاق مع الحزب النازي وبسبب التسهيلات التي منحتها الحكومة البريطانية في محاولة منها لاثبات حسن نواياها نحو الصهيونية بعد الغاء كتاب باسفيلد في عام ١٩٣٠ م اذ بلغ عدد المهاجرين اليهود في عام ١٩٣٣ ما مقداره ٣٠٣٢٧ حسب الرواية البريطانية او ٣٨٦٥٦ مهاجرا حسب الرواية الصهيونية[٢] لذا فاننا نرى عدم وجود مبرر لتهريب ثلاثمائة وخمسين مهاجرا عن طريق البحر امام عشرات الآلاف المسموح لهم بالدخول اللهم الا اذا كان هؤلاء من نوع لا ينبغي لأحد أن يعلم عنه .

(١) دزوموند سيتوارت ـ تاريخ الشرق الاوسط الحديث ، المرجع السابق ، ص ٢٩٠ .
(٢) اميل توما ، جذور القضية الفلسطينية ، المرجع السابق ص ١٩٦ ، هامش ١ .

أما ما ذكره بن جوريون عن تبني الحكومة البريطانية لتقرير وود هبد الذي اقترح إلغاء التقسيم ووقف الهجرة فهي رواية لا تصمد أمام النقد الموضوعي إذ إنه كان قد اقترح في تقريره ـ على ضوء حالة فلسطين الاقتصادية والبطالة المنتشرة بين العرب ـ العمل على تحسين إمكانيات الانتاج في البلاد واذا تم ذلك فإنه يمكن لفلسطين ان تستوعب مائة ألف زيادة على سكانها خصص منهم خمسون الفا لليهود»[١] كما روى بن جوريون نفسه ان وود هيد اقترح دخول ١٢ ألف يهودي سنويا الى فلسطين[٢] (دون تحديد المدة).

ولكن التساؤ ل الذي يثار هنا هو هل اخذت حكومة بريطانيا بما جاء في اقتراحات وود هيد فيما يخص الهجرة اليهودية ؟ ان الارقام المتوافرة لدينا تنفي ذلك فقد بلغ عدد المهاجرين اليهود في عام ١٩٣٨ ما مقداره ١٢٨٦٨ يهوديا حسب الاحصاءات البريطانية وفي عام ١٩٣٩ بلغ هذا العدد ٢٧٥٦١ مهاجرا مما يتعارض مع ما ذكره بن جوريون بتبني الحكومة لتقرير وود هيد حول الهجرة[٣] .

ومما يلفت النظر حول الادعاءات الصهيونية ان لجنة « عليابت » (الهجرة غير المشروعة) ظهرت الى الوجود في عام ١٩٣٧ وهي اللجنة الصهيونية التابعة للوكالة اليهودية والتي اشرفت على تنفيذ عمليات الهجرة غير المشروعة . ومعنى ذلك ان هذه اللجنة شكلت قبل صدور تقرير وود هيد بعام على الأقل وهو العام نفسه الذي صدرت فيه اقتراحات لجنة بيل بتقسيم فلسطين الى ٣ مناطق : احداها دولة عربية والأخرى يهودية اما منطقة القدس وهي المنطقة الثالثة فتبقى تحت الاشراف البريطاني . وتأسيسا على ما ذكرنا فان لجنة الهجرة غير المشروعة والتي قامت بتأسيس هيئة اطلق عليها اسم « الموساد » لتنفيذ عمليات الهجرة توافقت مع الاقتراح البريطاني بتأسيس الدولة اليهودية التي ستكون فيها القيادة الصهيونية حرة في استقبال من تشاء من المهاجرين اليهود .

أهداف الهجرة غير المشروعة :

« تألفت لجنة الهجرة غير المشروعة سنة ١٩٣٧ » أثناء اجتماع عقده الزعماء الصهيونيون العمال وقادة الهاجانا (المؤسسة العسكرية الصهيونية شبه السرية) حضره كل

(١) Christopher Sykes Cross Roads to Isreael , collins London , 1965 , P . 150 .

(٢) Ben Gurion , Israel Personel History , p . 52 , opcit .

(٣) حول ارقام الهجرة راجع :
١ ـ وليم فهيم ـ الهجرة اليهودية .
٢ ـ الياس سعد ـ الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ـ مصدر سابق .

من بيرل كاتزنلسون(*) والياهو جولمب(**) « في مدينة تل أبيب »[١] وتشكلت لجنة عرفت باسم الموساد لتنفيذ عمليات الهجرة غير المشروعة كما أسلفنا ، وتبنى المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرون في أغسطس ١٩٣٩ م فكرة هذا النوع من الهجرة واستمرار العمل بموجبها .

ونلاحظ منذ بداية تشكيل اللجنة اشتراك كل من كاتزنلسون الذي يعتبر من أكبر دعاة ومنفذي الوحدة العمالية الصهيونية ، والياهو جولمب الذي يعتبر المؤسس الأول للهاجانا في لجنة الهجرة غير الشرعية وهما من حزب الماباي . ونرى في اشتراكهما تعبيرا عن معنى هذه الهجرة والمتمثل في القصد العسكري من ورائها ولكن القيادة الصهيونية جعلت مبررات هذه الهجرة أمرين :

الأول تصميم اليهود على العودة الى بلادهم رغم وقوف بريطانيا في وجههم عندما أصدرت الكتاب الأبيض ١٩٣٩ م وهو أمر أعلنت الصهيونية تصميمها على تحديه ، الا أننا أثبتنا عند الحديث عن الهجرة ان بريطانيا لم تقف في يوم من الايام في وجه الهجرة اليهودية وكان عجز القيادة الصهيونية عن اقناع اليهود هو السبب في عدم حضورهم .

أما الثاني فقد ارتبط بمحاولة القيادة الصهيونية انقاذ أكبر عدد من اليهود من « جحيم النازية » في أوروبا على حد تعبيرها وهو أمر أفردنا له فصلا خاصا سنتحدث فيه عن علاقة الصهيونية بالحكم النازي في المانيا لكننا نود القول ان ربط الهجرة غير المشروعة بانقاذ اليهود استهدف إثارة نوازع العطف الانساني في العالم أجمع إذ يسهل جدا التأثير على النفس الانسانية من خلال عرض حالة مجموعة من الناس تتعرض للموت وفي الوقت نفسه يجد من يقوم بانقاذ هؤلاء ممن يتصدى له ويمنعه . وهنا يسهل اثارة السخط على الطرف المانع للانقاذ وفي مثل هذه المواقف يصعب على أي انسان الالتفات او التنبه الى البحث عن الحقيقة إذ يقع تحت تأثير الانفعال العاطفي . وفي هذا الجو نجحت القيادة الصهيونية في غرس مفاهيمها في نفوس من ارادتهم من اليهود ومن أرادتهم لمساعدتها .

ولكن المتفحص لموقف القيادة الصهيونية نحو مشكلة انقاذ اليهود من جحيم النازية يجده مخالفا لما اعلنت عنه هذه القيادة، ونستشهد هنا بموقف القيادة الصهيونية في مؤتمرين عقدا لبحث مشكلة اللاجئين الأول مؤتمر ايفيان في ٦/٦ سنة ١٩٣٨ وحضرته احدى

(*) كاتزنلسون : مسؤول عمالي صهيوني اشتهر بدعوته الى وحدة الحركة العمالية الصهيونية وتوفي في عام ١٩٤٤ اثر اصابته بجلطة في الدماغ .

(**) الياهو جولمب : ١٨٩٣ ـ ١٩٤٥ يعتبر أباً للهاجانا شارك في تأسيس البالماخ .

(١) John and David Kimche , P . 25 , opcit .

وثلاثون دولة وفي هذا المؤتمر عرض مندوب الدومنيكان استقبال مائة ألف يهودي من ألمانيا على أن تكون نفقاتهم على حساب غير حكومته ، كما عرض مندوب المجر خطة لحل المشكلة اليهودية تتلخص في اقامة دولة يهودية في أفريقيا[١]،كما أعلنت الولايات المتحدة عن قبول ثلاثين الفا كل سنة. وحسب الاحصاءات البريطانية التي قدمت للمؤتمر كان عدد اليهود المهددين بقوانين نورمبرج التي أصدرها هتلر في عام **١٩٣٥** والتي فرضت قيودا على حرية العمل بالنسبة ليهود المانيا ـ حوالي ستمائة الف شخص .

ولم يربط مؤتمر ايفيان أبدا بين حل المشكلة اليهودية وفلسطين ولكنه نظرا الى المشكلة من الزاوية الانسانية وهو أمر لو نفذ لأدى الى انهيار الصهيونية لذا فقد نظرت قيادة الصهيونية الى المؤتمر نظرة لا مبالاة وكأن الأمر لا يعنيها وعملت على إفشاله .

أما المؤتمر الثاني فقد عقد في جزيرة برمودا في ابريل **١٩٤٣** وفي هذه الفترة كانت مشكلة اللاجئين في أوروبا واضحة كما كانت اخبار ممارسات الحكم النازي ضد اليهود معروفة . وكأي مؤتمر يبحث في اغاثة المنكوبين ركز على الجانب الانساني ولم يربط بين مشكلة اللاجئين اليهود وبين الأهداف الصهيونية التي كانت معروفة في ذلك العام وتسعى الى اقامة الدولة اليهودية لذا فقد أصدر المؤتمر قرارا بتشكيل وكالة اغاثة واعادة توطين اللاجئين الدولية . United Nations Relief and Rehabitation Agency . UNRWA ولكن القيادة الصهيونية لم تعر المؤتمر اهتماما ولم تأسف عليه[٢] وعبرت عن غضبها ضد قراراته .

وكان غضب القادة الصهيونيين سببه عدم اعتبار مشكلة اللاجئين في المؤتمر متصلة بأشخاص من جنس معين وليس باللاجئين عامة أيا كان جنسهم او عقيدتهم ذلك لأن الاجراءات النازية ضد الاقليات سببت هرب اشخاص من مختلف الاجناس والعقائد كما تسببت في تشريد أشخاص بسبب عقيدتهم السياسية[٣] .

وافق تأسيس وكالة اغاثة توطين اللاجئين UNRWA التي أقرها مؤتمر برمودا انشاء هيئة لاجئي الحرب War Refugee Board الاميركية بقرار من الرئيس روزفلت في أواخر عام **١٩٤٣** م وقد اعلنت هذه الهيئة في أول بياناتها ان الحكومة الاميركية أصدرت تعليماتها لممثليها الدبلوماسيين في العالم باعطاء الاولوية القصوى لانقاذ الذين يواجهون الخطر على حياتهم في المناطق التي يسيطر عليها النازيون ، والاتصال بالدول الاخرى لازالة أية عقبات

---

(١) Christopher Sykes , P . 225 , opcit .
(٢) Christopher Sykes , p . 289 , opcit .
(٣) Robert John and Sami Hadawi , The Palestine Diary , PRC . Beirut , 1970 , p . 352 .

تقف في طريق إنقاذ هؤلاء الناس . الا ان القيادة الصهيونية ردت رسميا على هذا البيان بما يفصح عن أهدافها وتغاضت عما اعلنته الهيئة عن مسؤولياتها نحو كل اللاجئين واعتبرت ان تأسيس الهيئة مرتبط باليهود فقط . فقد أعلن اسحق بن زفي رئيس المجلس الوطني اليهودي (فثاولؤمي) في ذلك الوقت ما يلي :

ان كلا من اليهودية العالمية واليشوف في فلسطين يقدران بحرارة خطوة الرئيس روزفلت بتشكيل هيئة خاصة تكون مهماتها الرئيسية منع المزيد من قتل اليهود وستثبت فعالية هيئة لاجئي الحرب اذا ما التفتت فورا الى عمل الانقاذ الحقيقي لا الى اجراء التحقيقات،اذ ان هناك احتمالات ثلاثة للتخفيف من أزمة اليهود في اوروبا ، الاحتمال الاول : ارسال الطعام لهم كما حدث في اليونان ، والثاني عدم وضع العراقيل في وجه اليهود الفارين من السيطرة النازية ، الثالث تأمين انتقالهم عبر البلاد المحايدة . وقد ربط بن زفي كل هذه الامور بضرورة التعهد بعمل خاص وهو تأمين الحد الأعلى من استيعاب هؤلاء اللاجئين في فلسطين . وقد ارسل هذا الرد الصهيوني الى حكومات كل من الولايات المتحدة الاميركية ، والاتحاد السوفياتي ، وبريطانيا العظمى[١] .

وقد كان موقف بن زفي صريحا فقد أعلن ان انقاذ اليهود معناه ادخالهم الى فلسطين ولا حل غير ذلك . واذا لم يتحقق هذا الغرض فلا معنى من الانقاذ وذلك لأن هذا يبقي على مشكلة اللاجئين اليهود قائمة ويسهل استغلاله بين اليهود وبين شعوب العالم من أجل تحقيق الهدف الصهيوني وأصبحت مشكلة اللاجئين اليهود الاوروبيين مرتبطة بتأسيس دولة يهودية في فلسطين العربية . لذا كان لا بد من الابقاء على مشكلة اللاجئين حية وعدم التعاون في حلها على غير ما يرضي الصهيونية لأن القيادة الصهيونية كانت على ثقة تامة ان أكثر يهود اوروبا إن لم يكن جميعهم لا يودون الذهاب الى فلسطين وان أراد بعضهم ذلك فقد أرادوه من أجل اللجوء المؤقت لا من أجل الاقامة الدائمة اذ كان هناك أقلية من اليهود الذي اجبروا على تغيير أوطانهم Displaced Persons تود اختيار فلسطين[٢].

بالاضافة الى المحاولات السابقة لانقاذ يهود اوروبا لجأ الرئيس الاميركي روزفلت الى التفكير في حل مشكلة اللاجئين اليهود وانتهى به الأمر مع مستشاريه الى اقتراح برنامج محدد لانقاذ هؤلاء يتلخص في استيعاب نصف مليون منهم في مختلف بلدان العالم مع توفير المال اللازم لهم.وكان موريس ارنست وهو يهودي مستشار روزفلت حول هذا الأمر قد شعر

---

(١) نشرة وكالة التلغراف اليهودية بالانجليزية ١٩٤٤/١/٣١ .
(٢) Walid Khaldi , from Haven to conquest , (Morris - Earnest) , IPS , Beirut , 1976 , P . 490 .

بأنه حقق شيئا كبيرا لبني جنسه . ولكنه فوجيء بتراخي الرئيس الاميركي عن هذا البرنامج ولم يعد يدفع باتجاهه لا لشيء الا لأن المجموعة القيادية اليهودية (صهيونيون) لم تبد حماسا لهذا البرنامج .

وعندما أعلن موريس ارنست رأيه ـ والذي تلخص في استعداد بريطانيا لقبول مائة وخمسين الف لاجيء اذا قبلت الولايات المتحدة الاميركية العدد نفسه وتوزيع المائتي الف الباقية على دول العالم ـ هاجمه قادة الصهاينة كما لو كان خائنا ولم تخف القيادة الصهيونية سبب اتهامها له لانها رأت في خطة الرئيس روزفلت وتشجيع موريس ارنست لها اهمالا للصهيونية السياسية[1]. ولم يكن هذا الموقف غريبا من القيادة الصهيونية فقد جعلت تشكيل الدولة اليهودية هدفا تهون دونه الامور وقد تم الاعلان عن ذلك صراحة وفي أكثر من مناسبة بعد الاعلان الصهيوني عن تبني برنامج بلتمور في عام ١٩٤٢ نذكر منها ما أعلنه مندوب المنظمة الصهيونية في مؤتمر الحاخامين اليهود الاميركيين في ١٩٤٣/٣/٩ فقد طالب المندوب اعتبار « اليهود امة » (وليس دينا) كما طالب بالضغط على بريطانيا من أجل السماح لليهود بدخول فلسطين والاقامة فيها[2] ولم يطالب المندوب لا بانقاذ اليهود ولا بسماح الولايات المتحدة لهم بالدخول اليها ولم يذكر من قريب او بعيد المحاولات العالمية لانقاذ اليهود وكأنه اراد القول :«اما الدولة اليهودية أو موت اليهود » . اذ ان انقاذ اليهود اذا ما نفذ حسبما يتحدث العالم عنه سيؤدي الى هدم كل الطموحات الصهيونية لذا كان لا بد من الخروج من هذا المأزق الذي وجدت الصهيونية نفسها فيه أمام العالم وذلك بتحويل أنظار الدول التي بدأت تفكر في حل مشكلة اليهود وأبدت استعدادها لقبولهم ـ الى مشكلة أخرى مرتبطة باليهود ومرتبطة بالدول التي ستقبل لجوؤ هم اليها ولم يكن هناك من سبيل غير اثارة اللاسامية واستغلالها ولكن بطريقة أخرى وجديدة أيضا .

ففي هذه الفترة أمكننا الاطلاع على الرسائل المتبادلة بين حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية وبين صديقه الجنرال سمطس رئيس وزراء جنوب أفريقيا . وفي احدى هذه الرسائل ذكر وايزمان : أن الهجرة (اليهودية) ضرورة ملحة اذا لم يسمح لليهود بالذهاب الى فلسطين فربما يجبرون على التوجه الى مكان آخر . . . . وما لم تفتح أبواب فلسطين للهجرة فسيوجه الضغط نحو الولايات المتحدة الاميركية والامبراطورية البريطانية حيث يوجد فيها لكل يهودي قريب أو صديق[3] .

---

(١) Ibid , P . 493 .

(٢) John Robert and Sami Hadawi , P . 360 , opcit .

(٣) Richard p . Stevens , Weizmann and Smuts , IPS , Beirut , 75 , P . 80 .

ثم يستطرد قائلا :«ان المشكلة اليهودية هي مشكلة الكومنولثين الكبيرين : بريطانيا والولايات المتحدة واللذين سيكون لديهما أكثر من نصف اليهود ، وبدون دولة يهودية في فلسطين ستجلب هاتان الدولتان اليهما مشكلة غائبة منذ الفي سنة ، انهما هنا تواجهان خطر التسمم بالمسألة اليهودية كما حدث وسبق لغيرهما » .

ونلاحظ في رسالة وايزمان تركيزا على أمرين : الأول ضرورة الهجرة اليهودية الى فلسطين والثاني مصلحة كل من الولايات المتحدة الاميركية وبريطانيا في هذه الهجرة لأنها ان لم تكن الى فلسطين فستوجه اليهما وستكون مرتبطة بظهور اللاسامية فيهما .

والمفارقة في رسالة وايزمان واضحة اذا ما قورنت بما كان يطرحه الصهيونيون : إذ ادّعت القيادة الصهيونية ان العالم أغلق أبوابه في وجه اليهود كما أن الولايات المتحدة بالذات رفضت السماح لهؤلاء بالدخول وحددت من نسب دخول اليهود وغير اليهود اليها في فترة الحرب ، واذا كان الأمر كذلك فمعنى ان ما أقدمت عليه الولايات المتحدة يتفق وأغراض الصهيونية ولكننا نرى وايزمان في رسالته السابقة الى سمطس يذكر عكس الادعاء الصهيوني اذ يحذر من دخول اليهود الى الولايات المتحدة والى بريطانيا .

كما طرح وايزمان في رسالته فرضية رآها لا تقبل الجدل فقد جعل ظهور اللاسامية (كره اليهود) امرا خالدا ما دام اليهود خارج فلسطين .

وفي رأينا ان وايزمان طرح في سالته منطلق الفكر الصهيوني الاساسي الى صديقه سمطس اذ لم يكن قادة الصهيونية يفكرون في انقاذ اليهود أو حل مشاكلهم بقدر ما كانوا يفكرون في السيطرة على الحكومة في فلسطين بعد الحرب، وقد رأوا في عام ١٩٤٣ م أن الفرصة أصبحت وشيكة : « لقد كان وايزمان منذ ١٩٣٩/١١/٢٠ يفكر في السيطرة على الحكومة بعد الحرب في فلسطين في الوقت المناسب وذلك عندما تكون أوروبا وبريطانيا لا تستطيعان التدخل فيها »[1] .

وما دام التحذير من ظهور اللاسامية أصبح محور تفكير القيادة الصهيونية لذا لا بد من القيام بأعمال واحاطتها بدعاية موسعة وجعل هذه الاعمال وما يقابلها او ما يعارضها مظهرا من مظاهر اللاسامية التي نبهت اليها القيادة الصهيونية ، وبذا ينتقل التفكير من الانقاذ الى مواجهة الوضع الجديد وكانت الهجرة غير المشروعة أمرا يحقق ذلك في نظر القيادة الصهيونية .

---

(١) Richard Minertzhagen , P . 192 , opcit .

والمفارقة هنا تبدو غير قابلة للحل ، فالعالم يفكر في انقاذ اليهود والقيادة الصهيونية ترفض ذلك بحجة ظهور اللاسامية من جديد .

ان وضع العراقيل الصهيونية في وجه الحلول المقترحة لمشكلة اللاجئين اليهود في أوروبا في فترة الحرب العالمية الثانية كان ينبغي ان ترافقه جهود وانجازات صهيونية في هذا المجال . ولربما كانت الهجرة غير المشروعة سبيلا رأته القيادة الصهيونية بديلا لرفضها جهود الآخرين ولكن التساؤ ل هنا ما الذي حققته القيادة الصهيونية في هذا المجال ؟

« لقد ازدادت حركة الهجرة اليهودية غير المشروعة الى فلسطين في بداية عام ١٩٣٩ ونظمت من موانىء البحر الأبيض المتوسط الا ان هذه الهجرة كانت بمساعدة يهود فلسطين في جزء منها اما الجزء الاكبر فقد تم بمساعدة الجستابو الالماني وعملائه »[١].

وهنا نلاحظ الارتباط القوي بين الهجرة غير المشروعة وبين سياسة المانيا النازية معقل اللاسامية في فترة الحرب العالمية الثانية، ولكن هذه العلاقة الصهيونية النازية لم تكن بذلك الأمر الذي تستهين به بريطانيا في حربها مع النازيين وفي ظل تحالفها مع الصهيونية . ورأت في الخطوة النازية امرا يسهل من خلاله ادخال الجواسيس الالمان الى منطقة حساسة بالنسبة لبريطانيا . وعندما تواترت اخبار تواطؤ الجستابو النازي مع القيادة الصهيونية على ارسال اليهود الى فلسطين دون اذن مسبق من الحكومة البريطانية وهي إلتي تعطي كل التسهيلات لهذه القيادة من خلال التقارير التي وصلت الى المسؤ ولين البريطانيين في خريف ١٩٤٠ والتي تفيد بتسهيل ايخمان الضابط النازي لتسهيل هذه الهجرة اليهودية قررت الحكومة البريطانية ارسال اليهود القادمين من المانيا في حالة احتجازهم الى احدى المستعمرات البريطانية (لفترة مؤقتة) وكان قرارها في ١٩٤٠/١١/٢٠[٢] .

والقرار البريطاني رغم وجود ما يبرره فانه نص على إرسال المحتجزين الى احدى المستعمرات البريطانية ولم ينص على إرجاعهم الى البلاد التي قدموا منها، إذ ان مثل هذا القرار لم يصدر ضد أي يهودي دخل فلسطين او احتجزته الحكومة البريطانية قبل دخوله طوال فترة الحرب العالمية الثانية . وقد صدر عن المسؤ ولين البريطانيين بعض التصريحات التي تعلن عكس هذا الأمر تماماً فقد صرح لورد لويد وزير المستعمرات البريطاني في نوفمبر ١٩٤٠ ما يلي :

---

(١) Christopher Sykes , P . 264 , opcit .

(٢) Robert John and Sami Hadawi , p . 337 , opcit .

« دخل فلسطين في الـ ١٨ شهرا الماضية (أي منذ يونيه ١٩٣٩) ٣٥ الف يهودي كما دخلها خلال عامي ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ما مجموعه ٢٣ سفينة مختلفة تحمل لاجئين غير شرعيين عددهم ١٣ألفا، وقرر مجلس الوزراء البريطاني بقاءهم في البلاد كنوع من الرحمة »[١] وهنا نلاحظ ان العدد الذي استطاعت الصهيونية ادخاله بطريقة غير مشروعة وعلمت به بريطانيا هو ١٣ الفا ولكنها قررت السماح لهم لان جميع الاعداد اليهودية لم تزد عن النسبة المقررة في الكتاب الأبيض .

وحسب تصريح اوليفر ستانلي في ١٩٤٣/٢/٣ وزير المستعمرات البريطاني بعد لورد لويد «وافقت الحكومة البريطانية على السماح لـ ٤ آلاف طفل يهودي من بلغاريا دخول فلسطين كما وافقت على دخول ٢٧٠ طفلا من رومانيا والمجر وستسمح بدخول خمسمائة آخرين كما أن هناك ٢٩ الف شهادة هجرة من أجل هذا الغرض يمكن للمنظمة الصهيونية الحصول عليها[٢]».

يمكننا القول ان بريطانيا بعد أن أعلنت القيادة الصهيونية تبنيها لسياسة الهجرة غير المشروعة لم تقف في وجه هذه الهجرة وسمحت لكل من وصل فلسطين من اليهود بدخولها ومن ثم حجزهم بعد التخوف من التجسس النازي ثم اطلاقهم كما أن الادعاء الصهيوني بارجاع البريطانيين للسفن التي كانت تصل فلسطين محملة باليهود الى المعكسر النازي هو ادعاء كاذب اذ لا يستطيع أي مصدر صهيوني ذكر اسم سفينة واحدة طبق عليها اجراء من هذا النوع بعد ابريل ١٩٣٩[٣] وخلال فترة الحرب . أي في الفترة التي ازداد فيها نشاط الهجرة غير المشروعة وبعد أن علمت بريطانيا ان هذه الهجرة تتم بالتعاون مع الجستابو النازي الذي تخوض الحرب العالمية الثانية ضد حكومته .

ولكننا نلاحظ دعاية صهيونية واسعة يرافقها الكثير من القصص حول هذا الأمر لذا فاننا نستطيع القول ان الهجرة غير المشروعة كان هدفها هنا الدعاية وتحويل أنظار العالم عن الموقف الصهيوني الرافض للانقاذ اليهودي الى تأييد الموقف الصهيوني الذي يبذل الجهد في احضار اليهود الى فلسطين هربا من الموت ولكن بريطانيا تمنعهم من ذلك . وهو أمر في رأينا نجحت الصهيونية في تحقيقه .

ونرى في استعراض بعض الحوادث والتدقيق فيها ما يثبت عدم صدق الادعاءات

---

(١) Nicolson Bethel , p . 95 , opcit .

(٢) Esco , Vol . 2 , p . 949 , opcit .

(٣) Christopher Sykes , p . 266 , opcit .

الصهيونية في عرضها لقضية الهجرة غير المشروعة وكان أكثر حادثة استرعت انتباه العالم بعد القرار البريطاني باحتجاز اليهود القادمين بمساعدة النازيين هي حادثة اغراق السفينة باتريا في ميناء حيفا الفلسطيني بتاريخ ١٩٤٠/١١/٢٥ .

اغراق السفينة باتريا :

لخصت معظم الروايات الحادث على النحو التالي :

١ - في ١٩٤٠/١١/١ ، ١٩٤٠/١١/٣ ، وصلت السفينتان « باسفيك » و « ميلوس » على التوالي وعلى ظهرهما ١٧٧١ مهاجرا تقرر تهجيرهم الى جزر مورشيوس . وفي ١٩٤٠/١١/٢٤ وصلت السفينة اتلانتيك وعلى ظهرها ١٧٨٣ مهاجرا ونقل هؤلاء الى السفينة باتريا لكنهاغرقت في ١٩٤٠/١١/٢٥[1] .

٢ - في ١٩٤٠/١١/٢٥ غرقت السفينة « باتريا » وعليها حوالي ألف لاجىء فقد منهم ٢٥٧ اما الاحياء فقد حجزوا في عتليت ، ورحل ١٧٥٠ مهاجرا الى مورشيوس وصلوا على ظهر السفينة « اتلانتيك »[2] .

٣ - وصلت سفنتان في ١١/١/ ، ١٩٤٠/١١/٣ ترفعان العلم البنمي هما باسفيك ، وميلوس واحضرتا ما مجموعه ١٨٠٠ مهاجر « غير شرعي » الى حيفا ، احتجز هؤلاء على ظهر السفينة باتريا بعد أن تم نقلهم وعوملوا بلطف وفي ١٩٤٠/١٠/١٢ نشرت أهم ثلاث صحف عبرية أسماء ١١٠٠ من هؤلاء المحتجزين رغم حذر النشر المفروض ، يتبنى المندوب السامي البريطاني فكرة تسفيرهم الى مورشيوس ، احتجت الوكالة اليهودية على ذلك وتسود المرادة بين يهود فلسطين ، هناك سفينتان تقتربان من مياه فلسطين هما اتلانتيك (بنمية) و « ونبتشو » بلغارية تحملان ما مجموعة ٢٤٠٠ مهاجر [3] .

٤ - في ١٩٤٠/١١/٢٢ كان الاعداد جاريا لابحار السفينةباتريا . وفي ١٩٤٠/١١/٢٤ وصلت معلومات تفيد بحجز السفينة اتلانتيك وعلى ظهرها ١٩٠٠ يهودي من رومانيا لذا أخر ابحار السفينة باتريا حتى يتم نقل خمسمائة من ركاب السفينة اتلانتيك اليها وفي صباح ١٩٤٠/١١/٢٥ بعد أن تم نقل مائة مهاجر اليها حدث انفجار في السفينة

(١) John Robert and Sami Hadawi , p . 338 , opcit .

(٢) Report of Jewish Agency for Palestine for the year 1940 , p 5 .

(٣) برقية القنصل الاميركي الى وزير خارجيته .
Foreign Relations , 1940 , vol . 3 , Telegram No . 165 , 22 /11/ 1940 .

(باتريا)[1] .

ونلاحظ مما سبق في سرد الروايات ان هناك إجماعاً على غرق السفينة باتريا في ١٩٤٠/١١/٢٥ وذلك أثناء عملية نقل اليهود في ميناء حيفا من السفينة « اتلانتيك » وهو أمر لم نجد حتى الآن ما يشكك في صحته أو عدم حدوثه .

أما الروايات عن كيفية الغرق فقد ندر ان وجدنا تفصيلا له ، اذ ان تقرير الوكالة اليهودية عن اعمالها في عام ١٩٤٠ يكتفي بذكر غرق السفينة دون أن يعطي تفصيلا له ، كما أن كتاب Palestine Diary وبرقيتي القنصل الاميركي في القدس رقم ١٦٥ ، ١٧٥ لعام ١٩٤٠ تذكر الغرق أيضا دون مزيد من التفصيلات . وهو أمر يدعو الى الشك وعلى الاخص ما جاء في تقرير الوكالة اليهودية ذلك لأن المصادر الصهيونية اعتادت الاسهاب والتفاصيل في مثل هذه الحوادث فلم الاشارة العابرة هنا والقضية تتعلق بغرق المئات؟ .

القى كرستوفر سايكس في كتابه Cross Roads Israel ضوءاً على كيفية وقوع الحادث فقد ذكر ان انذارا وجه للركاب في الساعة الثامنة مساء للقفز الى البحر من السفينة يوم ١٩٤٠/١١/٢٥[2] بدليل ان المسؤولين عن سلامة السفينة أحسوا بوجود شيء ما سيحدث وسيؤدي الى ما يستوجب القفز من السفينة في البحر وهو أمر سيتعرض فيه الكثير من الركاب الى خطر الموت الا اذا افترضنا ان جميعهم قادرون على السباحة .

وعندما غرقت السفينة أعلنت اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في حينه أن اغراق السفينة وليس غرقها كان مظاهرة جماعية من قبل ركابها ضد قرار المندوب السامي البريطاني على فلسطين (ماكمايكل) بترحيل اللاجئين الى مورشيوس ،ويؤيد هذا الاعلان الكاتب الصهيوني كوستلر في عام ١٩٤٩ بقوله ان المهاجرين الذين كانوا على ظهر السفينة هم نسفوها[3] مما يدل على أن المسؤولين الصهيونيين كانوا على علم بما حدث على ظهر السفينة فقد ذهب البيان الى التأكيد وليس الاحتمال بالنسبة لاقدام الركاب على اغراق سفينتهم .

ذكر القنصل الاميركي في برقيته رقم ١٧٥ لعام ١٩٤٠ ما يلي :

« يسود الاعتقاد ان بعض الجهات اليهودية هي المسؤولة عن « تدبير الحادث » اذ شوهد بعض الأفراد يقفزون من السفينة قبل الانفجار ». ولكن القنصل الاميركي لا يذكر

(١) Ibid , Telegram No . 175 , 2 /12/ 1940 .

(٢) Christopher Sykes , P . 268 , opcit .

(٣) Ibid , p . 269 .

اسم الجهة اليهودية المسؤولة كما لا يذكر مصدر الاعتقاد مما جعل الشك في الحادث امرا ضروريا .

ان مثل هذه الحوادث في التاريخ يصعب كشفها والوصول الى الحقيقة حولها لذا ينبغي اتباع الحذر الشديد في الروايات التي تصل الينا اذ يندر ان تخلو رواية من هوى شخصي او غرض سياسي . على أي حال شكلت لجنة من قبل السلطة البريطانية في فلسطين بتاريخ ١٩٤٠/١٢/٧ للتحقيق في الحادث. وقد القت اللجنة ضوءاً جديدا على تدبير الحادث بالاضافة الى ما ذكره القنصل الاميركي عندما ذكرت ان الحادث « دبر من الخارج دون علم أحد الا ثلاثة اشخاص أو أربعة من ركاب السفينة[1] .

وهو قول يتعارض مع بيان اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية الذي ذكر أن الحادث كان مظاهرة جماعية من ركاب السفينة .

وفي عام ١٩٤٢ أي بعد حادث السفينة بحوالي سنتين حدث ما يسترعي الانتباه حول هذا الأمر. فقد استنكر رئيس لجنة اليهود الالمان في فلسطين سياسة الوكالة اليهودية ضد بريطانيا كما اعتبر اسطورة الانتحار الجماعي لركاب السفينة باتريا مجرد دعاية ولكنه بعد هذا الاستنكار تعرض للقتل أثناء عودته الى بيته[2] .

وهنا أصبح الشك في قيادة الوكالة اليهودية التي أصدرت بيان الانتحار الجماعي في عام ١٩٤٠ واردا . والا لماذا قتل مسؤول لجنة اليهود الالمان ؟ لا بد أنه في بيانه أشار الى أمر تعتبره القيادة من أدق اسرارها ويؤدي كشفه الى التأثير على سياستها .

ولكن سرعان ما ظهرت الحقيقة داخل الكيان الصهيوني بعد تأسيسه في عام ١٩٤٨ اذ لعبت المنافسات بين الاحزاب الصهيونية المختلفة دورا في كشف أكثر من حادث سياسي ولعل الكشف عن كيفية اغتيال الكونت برنادوت الذي عينته الامم المتحدة في عام ١٩٤٨ وسيطا دوليا بين العرب واليهود خير دليل على ذلك ، فمن المعروف ان كيفية الاغتيال رغم صدور البيانات المتناقضة في حينه حولها لم تعرف الا في عام ١٩٧١ عندما تحدث باروخ نادل رئيس مكافحة التجسس في منظمة ليهي (شتيرن) سابقا لمراسل مجلة ليروبيو الايطالية عن دوافع الجريمة بقوله :

«إن اللجنة المركزية لمنظمة ليهي (شتيرن) كانت تعتقد بأن مشروع برنادوت للسلام

(١) Christopher Sykes , p . 269 , opcit .
(٢) Ibid , p . 270

ليس الا مؤامرة بريطانية ضد « دولة اسرائيل » وان برنادوت نفسه صديق للنازيين ، كما كانت اللجنة المركزية لمنظمة ليهي لا تثق ببن جوريون وهكذا تقرر تصفية برنادوت جسديا واوكلت المهمة الى (باروخ نادل) واعداد اربعة من القتلة لتنفيذها[1] . وقد قصدنا بهذا الاستطراد أنه من المعقول جدا أن يكون إغراق باتريا مفتعلا للفت نظر العالم الى القضية الصهيونية والتأثير على اليهود .

أما عن حادثة باتريا فقد تغيرت اللهجة في الكتابات الصهيونية ولم يعد ذكر لعملية الانتحار الجماعي ، فقد ذكر ايجال الون « ان تفجير السفينة باتريا في حيفا في ١٩٤٠/١١/٢٥ كان على يد الهاجانا كرد على سياسة بريطانيا »[2] .

أما اسرائيل جاليلي أحد قادة الهاجانا فقد ذكر ان أحدا لم يكن يتصور الغرق كما حدث ، اما أنه كان هناك خطأ في كمية المتفجرات أو ضعف في جدار السفينة ، لقد ارتكب المهنيون خطأ[3] .

كما يذكر سامي هداوي في كتابه جريمة بلا عقاب ص ٣٠ الكشف عن تدبير الحادث على لسان الدكتور هرزل روزنبلوم المحرر في صحيفة يديعوت احرونوت وصفا للاجتماع الذي اتخذ فيه القرار بنسف السفينة من قبل قيادة هاجانا كما يذكر تبرير القادة الصهيونيين لعملية النسف من أمثال موسى شرتوك لهذا الحادث والمتلخص في «قتل القليل من أجل نجاة الكثير»[4] . والجديد هنا أن القادة الصهيونيين كانوا على علم مسبق بحتمية حدوث القتل وليس كما ذكر جاليلي ان الحادث كان مرده الى خطأ الفنيين .

إن في اعتراف ايجال الون بأن الحادث كان من تدبير الهاجانا ينفي التهمة التي وجهت الى منظمة ليهي شتيرن والتي ساد الاعتقاد بأنها كانت وراء الحادث .

لذا فان حادث اغراق السفينة باتريا نفذ بتخطيط وبعلم قيادة الهاجانا وبعلم قيادة الوكالة اليهودية في فلسطين . وقد نفذ هذا الأمر خدمة لهدف حددته القيادة الصهيونية لذا لا بد من استغلال الحادث احسن استغلال لا سيما وان الحادث تبعه موت بعض اليهود من الذين كانوا على ظهر السفينة . فقد ذكرت الروايات أن عدد القتلى كان حوالي ٢٦٠ قتيلا

(١) جورج مكاي ، دولة اسرائيل والصهيونية (مترجم عن المجرية) ص ١٨١ المصدر السابق .
(٢) Yigal Allon , p . 110, opcit .
(٣) Nicolson Bethel , P . 93 , opcit .
(٤) عصام السبع ، الارهاب الصهيوني ، المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

في الحادث .

١ ـ ورد في تقرير الوكالة اليهودية لعام ١٩٤٠ في الصفحة الثالثة ما يلي :

فقد من بين ٢٠٠٠ لاجىء على ظهر السفينة اتلانتيك ٢٥٧ شخصاً في ١٩٤٠/١١/٢٥ واما الاحياء فقد حجزوا في عتليت (جنوب مدينة حيفا) . ويفترض ان يكون هذا العدد هو العدد الرسمي الذي تلتزم بذكره المصادر الصهيونية .

إلا أننا نلحظ تناقضاً في ذكر عدد هؤلاء القتلى مع ما جاء في تقرير الوكالة اليهودية .

لم يكن أحد يتصور الغرق كما حدث . . . مات مائتا شخص (على لسان اسرائيلي جاليلي)[1] وهنا نلاحظ نقصا في عدد القتلى الذين يوردهم اسرائيلي جاليلي عما جاء في تقرير الوكالة اليهود بسبعة وخمسين شخصا .

اما ايجال آلون احد القادة العسكريين الصهيونيين في تلك الفترة فقد ذكر ان عدد الذين غرقوا بلغ ٢٧٥ شخصا من ركاب « باتريا » بعد تفجيرها على يد الهاجانا[2] وهنا نلاحظ تناقضا جديدا في عدد القتلى .

وبالاضافة الى ما سبق فقد ذكر ان عدد القتلى فقط ٢٤٠ : « أغرقت السفينة وقتل ٢٤٠ لاجئا و١٢ شرطيا »[3] .

يلاحظ من الروايات السابقة ما يلي : ذكرت الوكالة اليهودية ان عدد المفقودين ٢٥٧ ولم تزد على ذلك اذ لم يرد في التقرير ما يشير الى موت هؤلاء جميعا أو الى نجاة بعضهم أو العثور على أحد منهم . أما ايجال آلون فقد ذكر أن عدد الغرقى ٢٧٥ موحيا ان جميعهم ماتوا ولم يذكر فيما اذا تم انقاذ أحد من الذين غرقوا . ولكن الروايات جميعا تذكر الرقم مقرونا بالغرق وهو ايحاء بان جميع من ذكروا لاقوا الموت .

أما القنصل الاميركي العام في القدس ودز ورث فقد ذكر ما حدث بالنسبة للخسائر في الأرواح مفصلا في برقية رقم ١٧٥ [4] بتاريخ ١٩٤٠/١٢/٢ الساعة العاشرة صباحا وتم

---

(١) Nicolson Bethel , p . 93 , opcit .

(٢) Yigal Allon , p . 110 , opcit ..

(٣) Christopher Sykes , p . 94 , opcit .

(٤) Foreign Relations , 1940 , vol , 3 ; 867N ; 55 / 215 .

تسليمها في ١٩٤٠/١٢/٣ الواحدة والنصف صباحا الى وزير الخارجية الاميركي عى النحو التالي :

من بين ألف وتسعمائة لاجىء بالتقريب كانوا على ظهر السفينة علم أن ٣٠ منهم غرقوا ومات اثنان في المستشفى وهناك مائتان مفقودون أما الآخرون ـ باستثناء ١٣ منهم هربوا من مستشفى هداسا ـ فقد احتجزوا في معسكرات الحجز. ومن المفقودين يعتقد أن أغلبيتهم قد نجوا وفروا هاربين كما فقد شرطي بريطاني وأحد ضباط السفينة . وأما باقي ركاب « اتلانتيك » الذين كان يفترض ترحيلهم فقد تم حجزهم .

واذا اعتبرنا ان الغرقى الثلاثين ماتوا جميعا فان برقية القنصل لا تورد عدد الموتى المؤكد أكثر من اثنين وثلاثين شخصا فقط اذ ان غالبية Majority المائتين المفقودين نجوا من الموت وفروا الى داخل البلاد .

إن ما أورده القنصل العام في برقيته يتطابق الى حد كبير مع الروايات الشفوية لبعض من شاهدوا وقوع الحادث من سكان مدينة حيفا. فقد روى أكثر من مصدر عند سؤالهم عن هذا الحادث بان عدد الموتى من اليهود لم يزد على اثنين بينما روى البعض الآخر ان عدد الموتى كان لا شيء وهي روايات لم نشأ التعويل عليها لا لعدم صدقها ولكن لعدم وجود أدلة تثبت هذا الصدق. وقد جاءت رواية القنصل الاميركي متطابقة مع الروايات الشفوية حول تضخيم اليهود لعدد القتلى وهو أمر نميل الى تصديقه . فقد ذكر القنصل الاميركي بتاريخ ١٩٤٠/١١/٢٠ ان ثلاث صحف عبرية نشرت أسماء الف ومائة شخص من الذين كانوا على ظهر السفينة باتريا ولكننا بعد الحادثة لا نجد ذكرا لاحد المتوفين الذين ذكرتهم الصحف العبرية، كما أنني وحسب اطلاعي لم ألاحظ ذكر اسم شخص يهودي ينتسب الى أحد من هؤلاء الغرقى الذين ادعتهم المصادر الصهيونية خاصة وأن المصادر الصهيونية تشير ببعض معاني الافتخار عندما يذكر اسم شخص يهودي وله صلة من قريب أو بعيد ببعض ضحايا النازية او ببعض الذين تعرضوا للاضطهاد في روسيا او بمن تعرضوا لحوادث لافتة للنظر أثناء محاولات القيادة الصهيونية تنفيذ اهدافها مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد ان عدد القتلى الذين ذكرتهم المصادر الصهيونية غير قابل للتصديق وجنحوا الى المبالغة فيه لا من أجل الذين قتلتهم قيادة الهاجانا ولكن من أجل الاستفادة من هذا الحادث بما يخدم الغرض الصهيوني .

ان حادثة باتريا شاهد حي على ما استهدفته قيادة الصهيونية من الهجرة غير المشروعة . فلم يكن الهدف هو ادخال اليهود فذلك امر كانت تعلم هذه القيادة انه موفر وسهل ولكنها

اختارت طريق الدعاية لتثير الحماسة في نفوس اليهود الذين أداروا ظهورهم للمشروع الصهيوني وكي لا تجعل العالم يلتفت الى انقاذ اليهود في أوروبا من جحيم النازية على حساب الهدف الصهيوني .

وفي الختام فاننا نورد أدق الاحصاءات الصهيونية عن الهجرة في الفترة التي نحن بصددها وذلك لأنها مأخوذة عن موسوعة الصهيونية واسرائيل التي أشرف على تحريرها لفائيل باتاي وشارك في كتابتها اساتذة وعلماء صهيونيون كما كان في مجلس امنائها أكثر من مسؤول صهيوني .

عدد المهاجرين اليهود في الفترة ما بين سبتمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤٥

السنة	مهاجر شرعي	مهاجر غير شرعي	المجموع
١٩٣٩	٤٠٩٢	٤٣٣٠	٨٤٢٢
١٩٤٠	٤٥٤٧	٣٨٥١	٨٣٩٨
١٩٤١	٣٦٤٧	٢٢٣٩	٥٨٨٦
١٩٤٢	٢١٩٤	١٥٣٩	٣٧٣٣
١٩٤٣	٨٥٠٧	لا يوجد	٨٥٠٧
١٩٤٤	١٤٤٦٤	لا يوجد	١٤٤٦٤
١٩٤٥	١٢٧٥١	٣٧٠	١٣١٢١
المجموع	٥٠٢٠٢	١٢٣٢٩	٦٢٥٢٣[1]

ونرى في هذا الإحصاء الدليل القاطع على عدم صحة الادعاء الصهيوني بمنع بريطانيا من دخول اليهود الى فلسطين .

مما سبق عرضه يمكننا تلخيص السياسة الصهيونية نحو الهجرة على النحو التالي :

١ ـ انتقاء الشباب اليهود القادر على حمل السلاح واقناعهم بالهدف الصهيوني .

٢ ـ التركيز على هجرة الاطفال وهو هدف في ظاهره انساني ولكن الصهيونية هدفت من وراء ذلك الى تربية هؤلاء الأطفال تربية صهيونية محضة حتى يشبوا صالحين عسكريا

(١) Encyclopedia of Zionism and Israel, Edited by R. Patai, Herzlpress. Mcgraw Hill, New York, 1971, p. 537.

ومعنويا ومستعدين للدفاع عن الهدف الصهيوني .

٣ ـ لم تركز الصهيونية في مسعاها لجلب المهاجرين من أوربا وسلمت بصعوبة الظروف التي تحد من هذه الهجرة في نهاية ١٩٤١ بعد اغلاق نهر الدانوب على يد النازيين وبعد أن بدأ النازيون في تغيير سياستهم نحو الصهيونية ، والتفتت الى يهود البلاد العربية في نهاية عام ١٩٤١ وحثّ من تراه مناسبا منهم على الهجرة الى فلسطين ولم تحقق الصهيونية بعد النتائج المرجوة في هذا الميدان الجديد إلا في خريف ١٩٤٢[1] .

٤ ـ لجأت القيادة الصهيونية رغم تسليمها بعدم قدرتها على جلب اليهود الى فلسطين ورغم كل الامكانات المتاحة لهم الى افتعال حملة دعائية حول الهجرة لا من أجل الهجرة نفسها ولكن من أجل الغرض السياسي الذي كانت تسعى اليه الصهيونية وهو تأسيس جيش يهودي ، في خطوة تسبق اعلان الدولة اليهودية .

٥ ـ لجأت القيادة الصهيونية الى استخدام الضغوط المختلفة وتزييف الحقائق من أجل اجبار الشباب اليهود الذين التحقوا بجيوش الحلفاء على دخول فلسطين .

٦ ـ لم تلتفت القيادة الصهيونية الى امر قبول اليهود كلاجئين في البلاد التي سمحت لهم بذلك أثناء الحرب ورفضت هذا الموقف الانساني وأصرت على هجرة اليهود الذين تريدهم هي الى فلسطين فقط ، اما ما تبقى من اليهود فكانوا مادة طيبة للدعاية الصهيونية تستغلها في كسب عطف الشعوب وتأييد الحكام لأن ذلك أكثر خدمة ونفعا للهدف الصهيوني من انقاذ اليهود أنفسهم .

(١) John and David Kimche, P. 60, opcit.

الفصل الثالث

تشكيل اللواء اليهودي والتسليح

النزعة العسكرية الصهيونية :

اتسم الوجود الصهيوني بالنزعة العسكرية منذ أن وطئت أرض فلسطين اول موجة للهجرة اليهودية ، وكان ذلك في عام ١٨٨٢ عندما وصل جماعة البيلو الذين كان يتلقون الدعم المالي من جمعية حب صهيون والتي تأسست حوالي منتصف القرن التاسع عشر (١٨٦٠ تقريبا) في روسيا .«فقد سعت هذه الجماعة الى اعمار ارض فلسطين عن طريق الزراعة وبناء المصانع تدريجياً وتدريب الأجيال اليهودية واستعمال الأسلحة النارية »[١] .

وفي عام ١٩٠٧ اجتمع عشرة أشخاص في يافا واقسموا يمين الاخلاص للقضية اليهودية ورفعوا علم جمعية اطلقوا عليها اسم بارجيورا وكان شعار الجمعية بالدم والنار سقطت يهوذا وبالدم والنار ستنهض ثانية[٢] .

وعندما أصبح اسم هذه الجمعية الحارس (هاشومير) سنة ١٩٠٩ (حددت اهدافها بتربية الاحساس بالدفاع عن النفس وجعلت من نفسها نواة لاعمال التوسع الدفاعي واحتكار الدفاع عن المجتمع اليهودي في فلسطين[٣] . الا أن العمل العسكري الصهيوني أصبح من مهمات منظمة الهاجانا (الدفاع) التي ظهرت الى الوجود في ١٩٢١/٦/٢٥ وكانت تابعة للهستدروت تأتمر بأمره[٤] وأصبح لها قيادة عسكرية متفرغة في عام ١٩٣٣ م .

وعندما نشبت الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ وبدأت الاشتباكات بين الثوار الفلسطينيين والقوات البريطانية كانت «الهاجانا» محدودة الاستراتيجية العسكرية

---

(١) Thomas R . Bansten , Recollections , David Ben Gurion , London , 1970 , P . 30 .

(٢) Yigal Allon , p . 23 , opcit .

(٣) عبد الرحيم حسين ، حزب الماباي ، رسالة ماجستير غير منشورة ـ جامعة القاهرة سنة ١٩٧٤ ، ص ١٧٣ .

(٤) المصدر نفسه ص ١٨٧ .

والتنظيم ، لذا قامت بريطانيا بتدريب أفراد هذه المنظمة وامدادهم بالسلاح من أجل مشاركتهم في العمل العسكري ضد العرب ورغم ذلك لم تغير الهاجانا من أدائها العسكري المحدود، إلى أن ظهر على مسرح الأحداث في فلسطين الضابط الانجليزي شارلس اورد وينجت وكان ظهوره نقطة تحول في التاريخ العسكري الصهيوني .

ظهور وينجت :

ولد شارلس اورد وينجت من أبوين اسكتلنديين في الهند سنة ١٩٠٣ ، ونشأ في بيئة دينية مسيحية ، ولما شب درس العلوم العسكرية وتخرج برتبة ملازم ثان في احدى وحدات المدفعية في الجيش البريطاني ، الا أنه بدأ تعليمه للغة العربية بعد تخرجه مباشرة استعدادا لتسلم عمله في المشرق العربي .

وفي عام ١٩٢٨ م انضم وينجت الى قوة دفاع السودان على الحدود الاثيوبية السودانية وهناك تعلم الدرس الأول في صد الغارات اذ كانت منطقة الحدود السودانية الاثيوبية تشهد غارات من أجل خطف الرقيق .

وفي سبتمبر من عام ١٩٣٦ وصل وينجت الى فلسطين للعمل كضابط في جهاز المخابرات البريطانية هناك وفي هذا الشهر كانت الثورة الفلسطينية ضد السياسة البريطانية في فلسطين في أوج عنفوانها ، ومنذ أن وصل وينجت الى فلسطين انصب تفكيره على كيفية التأثير على سلوكية وطريقة دفاع اليهود خلال السنوات المقبلة . وحسبما يصفه حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية « كان وينجت يملك عاطفتين : الكتاب المقدس والعلم العسكري »(١) .

وبعد وصول وينجت الى فلسطين اجتمع الى دافيد هاكوهين رجل المقاولات الصهيوني والذي قام بتنفيذ مهمات عدة لصالح المخابرات البريطانية ولصالح هاجانا ، وتجول وينجت في أرجاء فلسطين وخصوصاً في منطقة الجليل في الشمال. ووصف دافيد هاكوهين تلازم العاطفتين اللتين ذكرهما وايزمان بما سمعه من وينجت اثناء مرورهما في مرج ابن عامر قرب أحد التلال وذلك عندما فاجأه وينجت بالقول : كيف هزم هذا الرجل ، كان ينبغي ان يكسب المعركة ، لقد كان غبيا ، وعندما سأله هاكوهين عمن يقصد بقوله، أجاب وينجت : شاول . لقد كان يملك موقعا استراتيجيا وكان في الوقت نفسه ملك اليهود أعظم شعب في العالم ، الشعب الذي اكتشف الآلة(١). لقد سيطر على فكر وينجت

(١) Haim Weizmann , Trial and Error , Philad ., 1949 , part2 p . 398 .

(٢) Christopher Sykes Orde Wingate , Cleveland , 1959 , p . 117 .

تشكيل الجيش اليهودي . فقد كتب الى حاييم وايزمان في عام ١٩٣٧ يبلغه برغبته في تدريب الجيش اليهودي . ويبدو ان وينجت قابل القادة الصهيونيين في فلسطين وأطلعهم على خططه لتأسيس الجيش اليهودي .

وبعد شهور ثلاثة من اقامته في فلسطين كتب وينجت الى قريبه ريجنالد وينجت حاكم عام السودان سابقا والمعتمد البريطاني في مصر ما بين ١٩١٦ ـ ١٩١٩ يخبره بأنه رأى اليهود في المستوطنات الجماعية وأكد له بأنه سيكون لدى اليهود جنود أفضل من جنود بريطانيا ووصف قوة اليهود المرتقبة وعبر عن رغبته في البقاء في فلسطين لتنظيم هذه القوة .

وفي نهاية عام ١٩٣٧ م طلب ويفل قائد القوات البريطانية في فلسطين من وينجت اعداد تقرير عن النشاط العربي ، واستطاع وينجت عن طريق الاستعانة بالمخابرات البريطانية وخبير الشؤون العربية في الوكالة اليهودية الياهو ساسون اعداد التقرير المطلوب . ووصل في تقريره الى قناعات محددة حول ضرورة التغيير في الاستراتيجية والتنظيم العسكريين اليهوديين . بعدها قام قائد الهاجانا الياهو كولمب بتزويد وينجت بتوصيات تؤمن له مساعدة ضباط الوحدات في الهاجانا إذا ما طلب من أحدهم شيئاً أثناء التعرف على الواقع العسكري في فلسطين . وأثناء تجوله في فلسطين لمراقبة الوضع العسكري لاحظ أن قوات الهاجانا تستخدم الأسلوب الثابت في حماية خط أنابيب نفط كركوك ـ حيفا ـ رغم ان قوات الهاجانا قوات يهودية وليس هناك من قوة رسمية في فلسطين غير قوة السلطات البريطانية . وقد رأى وينجت أنه أسلوب عقيم لا يجدي نفعاً ولا بد من تغييره بتبني ذات التكتيكات العربية والمتلخصة في إضرب واهرب الى أقرب مدينة أو قرية حيث يسهل عليك الاندماج مع الناس وإخفاء سلاحك . كانت أولى خطوات وينجت في التغيير هي أخذه الموافقة على تشكيل وحدة عسكرية مكونة من ١٨ جنديا بريطانيا و٢٤ جندياً من الهاجانا أسماها وحدة النار . وبدأ يسير دوريات مختلطة يهودية بريطانية لحماية خط أنابيب نفط كركوك ـ حيفا ـ ولما رأى وينجت أن تغير الأسلوب العسكري أدى الى بعض النتائج الايجابية اقترح على قيادته البريطانية تأسيس زمر ليلية خاصة تنضم اليها قوات من البوليس اليهودي للمستعمرات التي أنشأتها بريطانيا، كما قام بتقديم الاقتراح نفسه الى قيادة الهاجانا ولخص مهمات الزمر الليلية S.N.S بأنها ستكون اختراق مناطق وجود العدو والتجسس على طرق إمداده ومراكزها ، ومراقبة تحركات أفراده ، وعن طريق المعلومات التي تتوافر عن العدو تستطيع الدوريات حماية المستعمرات اليهودية (رغم أنه في تلك الفترة لم تكن اشتباكات بين الفلسطينيين واليهود وكانت الاشتباكات بين الفلسطينيين والبريطانيين) بواسطة الهجمات الوقائية ومباغتة الثوار ومنعهم من القيام بأي هجمات(١) .

(١) Thomas Sugrue , Watch for the morning , N . Y . 1950 , p . 70 .

قبلت القيادتان البريطانية والصهيونية اقتراح وينجت وبدأ بتدريب ٧٥ من بوليس المستعمرات Notrim اليهودي على القتال الليلي وأعطي الأذن لحماية خط أنابيب نفط كركوك حيفا من غارات الثوار عليه . ومنذ ذلك الوقت تفرغ وينجت كليا لمهمة الزمر الليلية الخاصة وأعطى جميع صلاحياته كمدير مخابرات في مدينة الناصرة الى من هو أدنى منه مرتبة .

اتخذ وينجت من مستعمرة عين حارود بشمال فلسطين مقرا لقيادته ولتدريب الزمر الليلية التي أعطاها كل وقته وشكل ثماني زمر اتخذت كل اثنتين منها مستعمرة من المستعمرات القريبة مركزا لقيادتها ومارست هذه الزمر عملها المزدوج :

١ ـ حماية خط أنابيب النفط ، ٢ ـ مهاجمة الثوار العرب .

وهنا وصل التلاحم البريطاني الصهيوني قمته في محاولة القضاء على الحركة الوطنية الفلسطينية وثورتها التي طالبت باستقلال شعبها .

كان أول مهمة رئيسية لزمر وينجت الجديدة تم تنفيذها في ١٩٣٨/٦/١١ وفيها مارس وينجت التطبيق العملي لنظرياته وذلك عندما هاجم قرية دان الفلسطينية مرتبا دورياته التي قام بتدريبها على النحو التالي : اثنان في المقدمة مسلحين بالقنابل يسيران متباعدين عن بعضهما ٢٠ ياردة يتبعهما اثنان للاستكشاف يسيران متباعدين على نفس المسافة أيضا وبعدهما يأتي باقي أفراد الدورية يسيرون في خط مستقيم متباعدين وذلك من أجل تغطية أكبر مساحة ممكنة بأقل عدد ممكن من الجنود .

كما أتبعها بمهاجمة خربة بيت ليد الفلسطينية . وبعد أن أحس بنجاحه في التجربتين السابقتين اقترح تشكيل ٤ وحدات قتالية جديدة كل وحدة مكونة من ٣٦ يهوديا ومعهم ١٢ انجليزيا مسلحين بالبنادق والرشاشات ، وفى ١٩٣٨/٩/١٣ كان هناك في عين حارود مائة من أعضاء الهاجانا يتدربون على يد وينجت الذي علمهم كيفية القتال الليلي ومدى خطره على العدو ، كما علمهم مزيدا من القسوة في التعامل مع الفلسطيني والاقدام على قتله ببرود وهدوء . وتروى عنه أكثر من حادثة لجأ فيها الى قتل أحد الفلسطينيين دون سبب واضح أمام اليهود . «ففي أول غارة لوينجت أجبر جنديا يهوديا يافعا على اطلاق النار بهدوء على شاب عربي بحجة رفض الشاب الادلاء بمعلومات عن مخابىء السلاح العربي » .

كما ثبت في أذهان أعضاء الهاجانا والذين أصبحوا فيما بعد إما ضباطاً في البالماخ أو في جيش الدفاع الاسرائيلي ضرورة بناء جيش يهودي اذ كان يردد في اول كل لقاء معهم : ان

هدفنا هنا هو بناء جيش يهودي ،كما علم جنوده اساليب الخداع العسكري مما كان له أثر في حرب سنة ١٩٤٨ م .

كان تدريب وينجت لوحداته يتم على مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى : دورات في النظام والاستراتيجية العسكرية .
المرحلة الثانية : التدريب على الرياضة والمشي .
المرحلة الثالثة : اكتساب الخبرة وممارسة الغارات الليلية .

لقد كانت الدورة الأساسية في خطة تدريب وينجت هي دورة (تخريج رقباء يهود) والتي أصبحت جزءاً من برنامج التدريب في الجيش الاسرائيلي الحديث . اذ كانت محاضرات وينجت الثماني في هذه الدورة تعالج دور وحدات الجيش المختلفة في الحرب وبالذات قوات المشاة كما كانت تعالج واجبات وسلوك الجندي المقاتل وصفاته المميزة بالاضافة الى التشديد على مزايا القيادات العسكرية .

كان وينجت يرى أن أسوأ صفات للجندي هي المشاحنات والكسل واللامبالاة كما أن أفضل الجنود في نظره هو ذلك الجندي الذي يستطيع السيطرة على نفسه في كل الظروف ، وبالاضافة الى المحاضرات النظرية وضع وينجت جدولا زمنيا لتدريب وحداته يتلخص في :

١ ـ ممارسة الجندي للتدريب والتعليم لمدة أيام يتبعها قيام بدوريات ليلية .

٢ ـ ممارسة الجندي على فترة اسبوعين للواجبات النشطة والمتمثلة في قضاء ٩ ـ ١٠ ليالٍ في الدوريات الليلية .

٣ ـ اجازة للجندي لمدة اسبوع يعود بعدها لممارسة الخدمة الفعلية لمدة أسبوعين ومن ثم يصبح الجندي متمرسا .

وعندما تكشفت أعمال وينجت لدى العرب والفلسطينين وأصبح واضحا أن بريطانيا تستعين بالصهيونين لضرب الفلسطينيين من ناحية ولتدريب قواتهم على القتال وخلق كوادر عسكرية يهودية من ناحية اخرى ، وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تلوح في الأفق ، لجأت بريطانيا الى سحب وينجت من فلسطين في عام ١٩٣٩ م . ولكنه قبل مغادرته كان قد أرسى نواة القوة الضاربة في الهاجانا والتي غدا اسمها عام ١٩٤٠ قوات

البالماخ بل انه أرسى نواة الجيش الاسرائيلي . كما أصبحت دروسه في القتال الليلي دليلا عسكريا من أسس تدريب الجيش الصهيوني فيما بعد ، لقد علم اليهود امكانية خلق جيش يهودي متمرس يستطيع أن يكون أداة نافعة لتحقيق الهدف الصهيوني بدلا من الاساليب العسكرية الصهيونية المستخدمة ، كما علم اليهود أهمية الاحساس بالوحدة والتي كانت اساس قيام الجيش اليهودي المتحد بعد سنة ١٩٤٨ م .

وبعد مغادرته فلسطين لم يتخل وينجت عن صهيونيته التي تحول اليها بعد شهر من وصوله فلسطين وبقي على اتصال دائم مع القيادات الصهيونية. وما أن أعلنت الحرب العالمية الثانية حتى بادر بتقديم خطة الى تشرشل الذي كان وزيرا للبحرية البريطانية تقضي بتكوين جيش يهودي يشارك في القتال الى جانب الحلفاء ، الا أن اقتراحه لم ينفذ . وفي عام ١٩٤٤ انتهت حياة وينجت في حادث تحطم طائرة عسكرية بريطانية في بورما الا أن تعاليمه في نظرنا تعتبر أساس العسكرية الصهيونية الحديثة .

وهنا يبرز التساؤ ل : هل كان وينجت يعمل بدافع شخصي أم بمهمة من حكومته ؟

ان الجواب عن ذلك تحدده طبيعة مهمة وينجت . ورغم أننا لا نستبعد الحماس الشخصي لوينجت نحو الصهيونية الا أن عمله ضد الثورة الفلسطينية كان علنا وكانت حكومته على علم بكل خطواته ووافقت عليها أولا بأول كما أمدته بكل ما طلب من مدربين وسلاح للقوات اليهودية ، لذا فان وينجت في نظرنا كان الشخص المناسب الذي وجدته حكومة بريطانيا ملائما لتنفيذ سياستها في قمع الثورة الفلسطينية ، وليس أدل على ذلك من تخليه عن مهماته كمدير لمخابرات منطقة الناصرة لمن دونه مرتبة وهو أمر يستحيل تنفيذه دون موافقة المسؤ ولين ، وعندما رأت بريطانيا ان الأمر يتطلب تهدئة العرب قامت بسحب وينجت من فلسطين باعتباره رمزا واضحا من رموز العداء البريطاني للشعب الفلسطيني .

محاولات تكوين الجيش اليهودي في فترة الحرب العالمية الثانية :

المحاولة الأولى :

بعد اعلان الكتاب الابيض في ١٩٧٩/٥/١٧ م « طلب فئاد لؤمي (المجلس الوطني) اليهودي في فلسطين من الشباب اليهودي ما بين سن ١٨ و ٣٥ سنة التسجيل من أجل الخدمة الوطنية استعدادا للطوارىء كما رسم الخطط الايجابية للمقاومة اذا ما طبق الكتاب الابيض[١] ». وما إن بدأت الحرب حتى أعلن بن جوريون شعاره المعروف سنقاتل

(١) George Kirk . Middle East in the War , 1939 - 1949 , Oxford Press , 1952 , p . 229 .

الى جانب الحلفاء كما لو لم يكن الكتاب الأبيض موجودا ، وسنقاوم الكتاب الأبيض كما لو لم تكن الحرب موجودة .

وقامت القيادة الصهيونية بتقديم المسجلين لديها والذين كان عددهم في نهاية سبتمبر ١٩٣٩ (١٣٦,٠٤٣) رجلا وامرأة بينهم (٨٥٧٨١) رجلا ، (٥٠٢٦٢ امرأة) الى السلطة البريطانية للخدمة العسكرية في فلسطين[١] وأرفقت عرضها السابق باقتراح تطلب فيه أن تكون الاعداد السابقة في وحدات يهودية عسكرية منفصلة ومعترف بها الا أن طلبها رفض منذ البداية .

والجديد في هذا الأمر ما ذكره جورج كيرك اذ ان جميع المصادر الصهيونية تشير الى تقدم الشباب اليهودي للتسجيل العسكري بعد اعلان الحرب العالمية الثانية الا أن كيرك يرى أن الاعداد التي تقدمت بها القيادة الصهيونية كان قد تم تسجيلها للخدمة العسكرية منذ مايو ١٩٣٩ اي أن التطوع اليهودي لم يرتبط في بدايته بالحرب ولكنه ارتبط بهدف صهيوني وهو أمر تحاول جميع المصادر الصهيونية اخفاءه وعدم ذكره .

رافق العرض اليهودي السابق اقتراح تقدم به الضابط البريطاني وينجت بعلم القيادة الصهيونية وموافقتها الى ونستون تشرشل وزير البحرية البريطانية في وزارة تشمبرلين بتاريخ اكتوبر ١٩٣٩ م يطلب فيه تعبئة جيش يهودي في فلسطين مع تدريب مائة ضابط يهودي في انجلترا كي يصبحوا قادرين على قيادة ثلاثين الف يهودي من أجل السيطرة على الوضع الأمني في فلسطين. على أن يتم تنفيذ الاقتراح خلال أربعة شهور، كما اقترح وينجت أيضاً تشكيل وحدات لحرب الصحراء مكونة من خمسة عشر ألف جندي يهودي تكون تحت امرة الحكومة البريطانية لاستخدامها في أي مكان[٢].

عرض تشرشل خطة وينجت على مجلس الوزراء البريطاني بطريقة معتدلة اذ اقترح الاستعانة بالقوى البشرية في فلسطين واستغلالها بدلا من القوات البريطانية المحاربة الموجودة في فلسطين ولكن هذا العرض لم يلق موافقة الوزارة البريطانية .

وفي رأينا كان اقتراح وينجت وعرض تشرشل تمهيدا للمطالب الصهيونية الرسمية في محاولة لتحقيق الهدف او الوصول اليه عن طريق أطراف غير صهيونية وهي عادة كثيرا ما تلجأ اليها القيادة الصهيونية . وعندما فشلت لجأت الى الطلب مباشرة وعرض حاييم

(١) Esco , vol . 2 p . 1021 , opcit .

(٢) Michael Cohen , p . 98 , opcit .

وايزمان باسم الوكالة اليهودية في ديسمبر ١٩٣٩ م على الحكومة البريطانية تشكيل فرقة يهودية تحارب تحت علمها الخاص للخدمة العسكرية في أي مكان ،الا أن الحكومة البريطانية استجابت جزئيا الى الطلب وفضلت تجنيد الفلسطينيين العرب واليهود على حد سواء[1] اذ كان رأي ماكدونالد وزير المستعمرات البريطانية حسب تقريره المقدم الى مجلس الوزراء في فبراير ١٩٤٠ ان انسحاب القوات البريطانية من فلسطين سيؤدي الى انفجار الاضطرابات مما يستدعي عودة القوات البريطانية خلال وقت قصير من انسحابها وهو امر لا ينسجم ومصالح بريطانيا ووضعها العسكري[2] . وكان رأي ماكدونالد مخالفا لرأي تشرشل السابق .

وفي رأينا ان التردد البريطاني منذ البداية في عدم الاستجابة التامة للمطالب الصهيونية كان مرده إدراك المسؤولين البريطانيين للنوايا الصهيونية والتي كانت تتلخص في استفادة الصهيونيين للخبرة العسكرية استعدادا لفترة ما بعد انتهاء الحرب وتشكيل الشباب اليهودي المدرب جيشا للدولة الصهيونية ، ولم تر القيادة الصهيونية فرصة أفضل من فرصة الحرب تنتهزها لهذا الهدف ، لا سيما وان حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية حدد اولويات الاهداف الصهيونية بعد اعلان الحرب بما يلي :

« ١ ـ ان الهدف الصهيوني الأول ينبغي أن يكون تعبئة القوات اليهودية من أجل هزيمة هتلر ومشاركتها في القتال تحت علمها الخاص ومن ثم يستطيع الشعب اليهودي بعد النصر المطالبة بالحقوق الوطنية»[3] ، كما قامت الهاجانا في اجتماعها بتاريخ ٨/٩/١٩٣٩ باقرار هدفين ملحين الأول تأسيس دولة يهودية والثاني تشكيل جيش يهودي[4] .

ومن هنا جاء انشغال القيادة الصهيونية منذ خريف ١٩٣٩ م في فكرة تشكيل « القوة اليهودية » وبدأت حملتها الدبلوماسية المكثفة من أجل تحقيق هذه الفكرة وكان حاييم وايزمان رائد هذه الحملة فقد أجرى اتصالات في الفترة ما بين سبتمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٣٩ بمعظم الشخصيات البريطانية السياسية والعسكرية .

تمخضت حملة وايزمان هذه عن انقسام في الرأي بين المسؤولين البريطانيين بالنسبة لتشكيل جيش يهودي منفصل . وقد حقق وايزمان بعض النجاح في مسعاه إذ وافقه لورد هاليفكس وزير الخارجية البريطاني آنذاك «على أن الوقت ليس مناسبا لتنفيذ بنود الكتاب

(١) George Kirk , p . 231 , opcit .
(٢) Michael Cohen , p . 99 , opcit .
(٣) Sacher , p . 255 , opcit .
(٤) Michael Jansen , The U . S . and the Palestinian people , IPS , Beirut , 1970 , p . 14 .

الأبيض كما أنه من المستحيل ترك مثل هذه الأمور ان تبرز الآن»[1] . وهذا يؤكد عدم صدق النوايا البريطانية نحو العرب ، كما يؤكد التفاهم البريطاني الصهيوني حول هذا الأمر من البداية ولكن هاليفكس لم يعط رأياً حول تشكيل الجيش اليهودي . إلا أن ملاحظاته التي أبداها كان التعاطف فيها واضحاً مع الأهداف الصهيونية .

وفي ١٤/١١/١٩٣٩ قام رئيس أركان الامبراطورية الجنرال ادموند ايرنسيد بابلاغ وايزمان اطلاق سراح الـ « ٤٣ » يهوديا الذين احتجزتهم سلطة الانتداب في فلسطين بتهمة حيازتهم أسلحة نارية وممارستهم التدريبات العسكرية دون اذن من السلطات البريطانية والذين حكم عليهم بالسجن مددا طويلة ـ وكان موشي دايان من بين هؤلاء » . وكان تعليق رئيس الاركان : انه لمن السخرية ان يسجن تلاميذ وينجت بدلا من منحهم نوط الخدمة الممتازة مكافأة لهم .

وعندما ابلغ رئيس الأركان باعتراض ماكدونالد على تكوين الجيش اليهودي اجاب : «حسنا . ولكن الجيش اليهودي لا بد قادم . بالاضافة الى ذلك فان اليهود سيحصلون على فلسطين اذا أصبح هناك عالم أفضل بعد الحرب العالمية »[2] .

وجاء تصريح رئيس الاركان مطابقا لآمال وايزمان لكنه لم يوافقه على فكرة تشكيل الجيش اليهودي في الحال ولم يزد موقف رئيس الاركان في نظرنا عن اظهار التعاطف مع وايزمان وموافقته على اقتراحاته عندما تسمح الظروف .

ولكن العون الرئيسي لوايزمان جاء كما هو متوقع من ونستون تشرشل . ففي ١٧/١٢/١٩٣٩ أبرق أبا ايبان الى قيادة الوكالة اليهودية في القدس لخص فيها المحادثات التي جرت بين تشرشل ووايزمان كما يلي :

لقد كان تشرشل وديا ومهتما اهتماما عميقا بزيارة وايزمان المقبلة الى الولايات المتحدة الاميركية . كما أبدى تفاؤ له حول مجريات الحرب . شكره وايزمان على اهتمامه غير المنقطع بالشؤون الصهيونية وأبلغه بما يلي :

لقد شهدت مولد هذا المشروع وآمل ان تستمر في دعمه حتى النهاية ، وعندما سأل تشرشل عما يعنيه وايزمان بالاستمرار في الدعم أجاب وايزمان : ـ يأمل الصهيونيون ان تكون لهم دولة قوامها ٣ ـ ٤ ملايين يهودي في فلسطين ،رد تشرشل : حقيقة انني متفق تماما

(١) Abba Iban , Auto biography , p . 31 , opcit .
(٢) Abba Iban , p . 32 , opcit .

معك في ذلك[1] .

ورغم تعاطف من سبق ذكرهم من المسؤولين البريطانيين الا أن المعارضة لطلب وايزمان بتشكيل جيش يهودي منفصل في ذلك الوقت كانت قوية من أكثر من مسؤول . فقد أعلن ايفلين باركر رئيس أركان القوات البريطانية في فلسطين أننا سنكون مضطرين لخوض حرب عظمى ثانية ضد العرب حول فلسطين وخوض حرب ضد الثوار العرب داخل فلسطين ومعنى ذلك أننا سنخوض ثلاثة حروب مرة واحدة وهو شيء كثير بالنسبة لي[2] .

وتعود قيمة رأي باركر في أنه ناقش المطلب الصهيوني على ضوء الواقع الذي كان يريده ويتخوف منه في آن واحد . كما أيد باركر وزير الدولة البريطاني لشؤون الحرب في وزارة تشمبرلن ليسلى هوبيليشيا فقد رفض الفكرة وطلب من سفير بريطانيا في الولايات المتحدة الاميركية عدم (الحديث مع الصهيونيين الاميركيين ،حول هذا الأمر وأكد على فكرة مفادها « يجب ألا يكون هناك سوء فهم لامكانية مكافأة اليهود على دعم الحلفاء »[3] .

لقد كان الموقف الرسمي لوزارة تشمبرلين تشجيع اليهود على الالتحاق بالقوات البريطانية كأفراد وهو ما أغضب تشرشل وهاجم سياسة الحكومة نحو فلسطين وطلب ضرورة ملكية اليهود للاسلحة لانهم هم الاصدقاء الوحيدون لبريطانيا وفي نفس الوقت تحت سيطرة بريطانيا أكثر العرب المبعثرين كما أن بناء القوة اليهودية العسكرية في نظره يمكن بريطانيا من استخدام قوات بريطانيا الموجودة في فلسطين وهي قوات تعادل ربع القوات البريطانية في الهند[4] .

رغم ما حققه وايزمان من نجاح محدود فـإن فكرة تشكيل جيش يهودي منفصل رفضت في عهد تشمبرلن ولم يتخذ اي خطوة عملية في اتجاهها أو الموافقة على أي قرار لصالحها .

وما أن ذهبت وزارة تشمبرلن وتولى ونستون تشرشل رئاسة الوزارة البريطانية في مايو ١٩٤٠ حتى تجددت المساعي الصهيونية من أجل تكوين جيش يهودي وانضم في هذه المرة دافيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية الى حاييم وايزمان في لندن من

(١) Abba Iban , p . 32 , opcit .
(٢) Sacher , p . 256 , opcit .
(٣) Ibid , p . 256 .
(٤) Michael Cohen , p . 100 , opcit .

أجل هذه المساعي كما انضم اليها في المطالبة بتكوين الجيش اليهودي جابوتنسكي رئيس المنظمة الصهيونية الجديدة « المنشقة عن المنظمة الصهيونية ورئيس حزب التصحيحيين وكان اول المطالبين بالجيش اليهودي في عهدتشرشل ،فقد طالب تشرشل بعد يومين من توليه الوزارة بتشكيل جيش يهودي[1] كما كرر حاييم وايزمان نفس الطلب،الا أن هذه المطالب لم تلق الاستجابة الفورية رغم تأييد تشرشل لها . فقد ووجه المطلب الصهيوني مرة أخرى بمعارضة من المسؤولين البريطانيين الذين لهم علاقة بالمشرق العربي وبالذات العسكريين منهم،وكانت القيادة البريطانية في الشرق الأوسط اكثر الجهات معارضة لأنها رأت ان تشكيل مثل هذه القوات يؤثر على الوضع الامني في منطقة المشرق العربي وخشيت من اثارة المشاعر العدوانية ضد قوات الحلفاء في المنطقة . وتبنى هذا الرأي وزير الدولةلشؤون الحرب في وزارة تشرشل (ايدن) عندما رد على الكولونيل ودجود Wedgood المؤيد للصهيونية حين سأل في ١٩٤٠/٢/٢٢ في مجلس العموم البريطاني عما تم بشأن طلب اليهود العسكري على النحو التالي :

« في رأي حكومة جلالته ان تشكيل وحدات عسكرية يهودية منفصلة سيثير صعوبات جمة وسيكون أكثر فائدة لو أن اليهود الحريصين على الخدمة تجندوا في قوات حكومة جلالته بالطريقة العادية »[2] .

وهنا اتخذ الخلاف البريطاني بالنسبة لتشكيل الجيش اليهودي منحى آخر. فقد قامت حكومة تشمبرلن مجتمعة برفض الفكرة اما في عهد تشرشل فكان واضحا ان تشرشل يمثل رأيا مغايرا لآراء المسؤولين البريطانيين ورؤساء الأركان حول مكانة فلسطين الاستراتيجية بالنسبة لبريطانيا وليس حول تشكيل القوة اليهودية فقط .

وجه تشرشل مذكرة الى اللورد لويد وزير المستعمرات البريطاني في وزارة تشرشل بتاريخ ١٩٤٠/٦/٢٥ ايد فيها فكرة نقل القوات البريطانية من فلسطين والاعتماد على اليهود بدلا منها واستخدامها في القتال وتساءل في مذكرته : ما الذي يملكه اليهود للدفاع عن أنفسهم ؟ ان اجراءكم بعقاب اليهود بعدم تسليحهم جعلكم تستخدموا قوات لحمايتهم »[3] .

وهنا رأى تشرشل ان القوة اليهودية العسكرية هي البديلة للقوات البريطانية في

(١) Michael Cohen , p . 100 , opcit .
(٢) Esco , vol . 2 , p . 1022 , opcit .
(٣) Sacher , p . 257 , opcit .

فلسطين،ولكن لورد لويد لم يوافق رئيسه على رأيه ورد عليه قائلا : « ان الاقتراحات بتشكيل قوات يهودية سواء من الصهيونية التصحيحية او الصهيونية تهدف أولا الى الاعتراف باليهود كأمة تمثل في مجلس حرب الحلفاء وفي مؤتمر السلم . وفي كلا الحالين فالهدف هو تحويل فلسطين الى دولة يهودية كمكافأة على اشتراك اليهود في الحرب[١] » . واقترح لويد تجنيد العرب واليهود في القوات البريطانية الموجودة في فلسطين . كما كان رأي لويد لا يختلف كثيرا عن رأي انطوني ايدن الذي رأى ضرورة تأدية اليهود للخدمة العسكرية في أي مكان تراه حكومة جلالته سواء كان داخل فلسطين أم خارجها وان عمل الوكالة اليهودية يجب ان ينتهي بعد اختيار الجنود.

كان تشرشل ضد فكرة الخوف من اثارة المشاعر العربية في المنطقة وضد اثارة المشاعر الاسلامية في الهند اذا ما شكلت قوات يهودية وكان يرى في كسب تركيا الى جانب الانجليز عاملا يجعل الوضع في منطقة الشرق الأوسط أكثر أمانا[٢] وهو رأي طرحه حاييم وايزمان أثناء مفاوضات سان جيمس في عام ١٩٣٩ م . كما عرض تشرشل رأي لورد لويد حول هدف الصهيونية من تشكيل الجيش اليهودي كوسيلة تجعلهم يحضرون مؤتمر السلم وأصر على ضرورة نقل الأحد عشر كتيبة بريطانية من فلسطين الى ساحات القتال اذ ان الاضطرابات في فلسطين تستطيع بريطانيا السيطرة عليها من خلال حصار بحري بريطاني[٢] .

لم يترك تشرشل الفرصة تفوته لتدعيم وجهة نظره.فبعد تقدم القوات النازية في الاراضي المنخفضة خاطب رؤساء الاركان البريطانيين بقوله : ليس لدينا قوات كافية للدفاع عن انجلترا . وعلى وسائل النقل التي أحضرت الاستراليين الى قناة السويس ان تنقل ثماني كتائب مشاة من فلسطين عن أي طريق ممكن الى انجلترا وآمل في استخدام طريق البحر الأبيض المتوسط لهذا الغرض[٤].

الا أن رؤساء الأركان العسكريين عارضوا تشرشل ورأوا ان القوات البريطانية في فلسطين هي القوات الاحتياطية المدربة وان سحبها سيؤثر في معنويات أصدقاء بريطانيا المهتمين باستراتيجية الشرق الأوسط ، كما أوضح نائب رئيس الأركان البريطاني الجنرال

(١) Michael Cohen , P . 100 , opcit .
(٢) Sacher , p . 257 , opcit .
(٣) Michael Cohen , P. 101 , opcit .
(٤) Ibid , p . 101 .

بيرسفال أن نقل القوات سيجعلها في وضع يمنعها من الحرب في أي مكان . وقد انضم الى هؤلاء جميعا هارولد ماكمايكل المندوب السامي البريطاني على فلسطين .

ظل تشرشل على موقفه وطالب بضرورة سحب ثماني كتائب مشاة ورأى أن موقفه صائب خاصة بعد ١٠ يونيه ١٩٤٠ أي بعد أن دخلت ايطاليا الحرب الى جانب المانيا ضد الحلفاء وعندها وافق جميع المسؤولين البريطانيين على نقل القوات البريطانية من فلسطين للدفاع عن قناة السويس بسبب الخطر الخارجي الذي أصبح وشيكا .

وهنا أكدت الأحداث رأي الاستراتيجيين العسكريين الانجليز قبل الحرب والذين رأوا في فلسطين مركز احتياط للدفاع عن قناة السويس عندما تدعو الحاجة الى ذلك وبالذات عند دخول ايطاليا الحرب .

واصبح الجدل دائرا حول أفضلية خطتين هما :

١) تشكيل قوات يهودية منفصلة .
٢) تشكيل قوات داخل جيش بريطانيا .

وقد رأى لورد لويد وزير المستعمرات البريطانية أن عدم تشكيل الوحدات اليهودية يعود الى صعوبات تراها وزارة الحربية ، واقترح تجنيد اليهود في الجيش البريطاني في أي بلد ولكن ليس في فلسطين حرصا على مشاعر العرب ومسلمي الهند والذين يرون في تجنيد اليهود اجراء يستهدف اخضاع فلسطين للسيطرة اليهودية . ولكن تشرشل رفض هذا الرأي وظل على مطلبه بشأن تشكيل قوات يهودية لتحل محل القوات البريطانية في بعض الميادين . وقد أصبح الخلاف بين تشرشل والمسؤولين البريطانيين واضحا،فبينما يتبنى تشرشل فكرة دعم تشكيل جيش يهودي ليحل محل القوات البريطانية في فلسطين دون التفات الى ما سيسببه هذا الأمر من اثارة للمشاعر ، رفض المسؤولون الآخرون هذا الأمر لأنه يؤثر على المشاعر العربية الاسلامية . والخلاف في رأينا تركز حول ما سيتحقق من مصالح بريطانية أو ما يمكن ان يؤثر في هذه المصالح .

رأت القيادة الصهيونية في اعلان ايطاليا الحرب على الحلفاء فرصة يجب انتهازها وسارعت بتقديم طلب مستعجل الى الحكومة البريطانية طالبت فيه بما يأتي :

١ ـ السماح لليهود بتنظيم ما يستطيعون من وحدات عسكرية وتدريبها من أجل مساعدة القوات البريطانية في فلسطين على أن يكون هذا التنظيم باشراف الوكالة اليهودية

والمجلس الوطني اليهودي (فئاد لؤمي) مع سيطرة السلطات العسكرية البريطانية عليه .

٢ ـ توفير الاسلحة باشراف السلطات البريطانية لليهود الذين يتدربون على مسؤولية الوكالة اليهودية والمجلس الوطني اليهودي .

٣ ـ تخويل الوكالة اليهودية تقديم كل مساعدة اقتصادية وعسكرية لليهود في فلسطين وتحت اشراف السلطة البريطانية العسكرية .

٤ ـ معاملة التجمع اليهودي في فلسطين من قبل سلطة الانتداب كحليف لبريطانيا العظمى وتشجيع تعاونه الى أقصى حد في الدفاع عن البلد[١] .

وقد مهد حاييم وايزمان لطلباته السابقة بحملة دعائية واسعة من خلال إمطار المسؤولين البريطانيين بفيض من الطلبات والعرائض من المنظمات اليهودية في العالم .

كما قام جابوتنسكي (التصحيحي) في الوقت نفسه بحملة واسعة في الولايات المتحدة طالب فيها بتشكيل قوة يهودية تقدر بمائة الف مقاتل يهودي . وكان أبرز المؤسسات التي تولت المطالبة بتشكيل الجيش اليهودي هي :

لجنة لندن للنواب اليهود البريطانيين ، اللجنة الاميركية اليهودية ، لجنة الاصدقاء الاميركيين لفلسطين اليهودية .

وفي اعتقادنا ان هذا النشاط الذي قاده ووجهه وايزمان لم يكن بمنأى عن علم تشرشل رئيس الوزراء وموافقته بالاضافة الى استغلال الموقف الليبرالي في بريطانيا .

لم تؤثر الحملة الصهيونية في موقف بعض المسؤولين البريطانيين المعارض للمطلب الصهيوني فقد كتب W. Eyres أحد مسؤولي الخارجية البريطانية بتاريخ ١٩٤٠/٦/٣ «مهما قال حاييم وايزمان عن عرضه غير المشروط فان الهدف النهائي لليهود مع نهاية الحرب هو ملكيتهم لجيش يهودي في فلسطين تصبح السيطرة عليه فيما بعد بالقوة عملا دمويا[٢] » . كما كتب باكستر من الخارجية البريطانية أيضا الى سيرجون شكبرج في وزارة المستعمرات وطلب اليه ضرورة الكتابة الى وايزمان وابلاغه بأوضح العبارات الممكنة بأنه لا نية لارسال وحدات يهودية الى فلسطين اذا كان وصولها يسبب متاعب لبريطانيا في الشرق الأوسط[٣] .

---

(١) . Esco , vol . 2 , 1023 opcit

(٢) . Fo 371 / 2456612

(٣) . Fo 371 / 2712675

لذا فان جميع محاولات القيادة (حتى يونيو ١٩٤٠) الصهيونية في انتزاع قرار بريطاني بشأن تشكيل جيش يهودي لم تؤد الى نتيجة ، وجاء الوضـع في الشرق الأوسط ليعزز جانب المعارضين للمطلب الصهيوني. فقد ساء الوضع بالنسبة لبريطانيا عندما شهد عام ١٩٤٠ انهيار فرنسا أمام القوات النازية وظهور قوات حكومة فيشي الموالية للنازيين في كل من سوريا ولبنان ، وعندما أصبح الوضع في العراق ينذر بالخطر ضد بريطانيا بسبب التململ الوطني ضد سياسة بريطانيا وزاد الوضع سوءاً احتمالات الهجوم الالماني في شمال أفريقيا مع احتمال تفجر الوضع الداخلي في مصر .

انتهت المرحلة الأولى من محاولات القيادة الصهيونية في عهد تشرشل والمرحلة الثانية منذ اعلان الحرب بشأن تأسيس جيش يهودي الى نجاح محدود، فقد قررت اللجنة الوزارية البريطانية للسياسة العسكرية في الشرق الأوسط في نهاية ١٩٤٠ تشكيل ست سرايا فلسطينية توزع بالتساوي بين العرب واليهود وذلك استنادا الى اقتراح الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في فلسطين وسانده هارولد ماكمايكل المندوب السامي البريطاني على فلسطين على ان تكون حصة كل من الفريقين العرب واليهود الف جندي ضمن قوات كنت البريطانية وأطلق على هذه السرايا اسم بفس Buffs او الكتيبة الفلسطينية .

اعترضت القيادة الصهيونية على القرار السابق وتقدم وايزمان في ٤٠/٨/٩ باقتراحين محددين الى ونستون تشرشل اعتبرهما بديلا لسياسة المساواة التي أقرتها اللجنة الوزارية وهما :

١ ـ يعطى كل من العرب واليهود نسبة متساوية في التسجيل للجندية وستكون النتيجة تفوق اليهود على العرب .

٢ ـ يمنح اليهود حرية التسجيل للجندية والعدد الفائض من اليهود عن النسبة المقررة لهم يرسل الى مصر .

لم توافق وزارة المستعمرات بعد ابلاغها على أي من الاقتراحين السابقين ولكنها تحت ضغط رئيس الوزراء ، وضغط الصهاينة في كل من فلسطين وبريطانيا والولايات المتحدة الاميركية اضطرت الى اعادة النظر في سياستها العسكرية نحوفلسطين. وفي ١٩٤٠/٨/٢٣ قام لورد لويد بابلاغ حاييم وايزمان قرار الوايت هول (مجلس الوزراء) بالاستفادة من اليهود في المسرح العسكري الواسع لا أن يتم تركيزهم في فلسطين . ورأى لويد ان حجم القوات اليهودية في فلسطين يجب ان يكون من كتيبة (٥٠٠ جندي) كما وافق لويد على استخدام ما يزيد عن هذا العدد من اليهود المتطوعين كقوة يهودية خارج فلسطين ولكن لا

تحمل علمها أو اشارتها المميزة .

ان تصريح لويد السابق يتناقض مع طموحات وايزمان المعلنة والتي ادعى فيها أنه يستطيع تجنيد ما بين ١٠ ـ ١٢ الف رجل يهودي[1] ولكن أخطر ما في تصريح لويد انه اتفق مع وايزمان على المبدأ .

كما اتفق لويد مع وايزمان على عودة اليهود المجندين من خارج فلسطين ، الى بلادهم الاصلية بعد الحرب[2]. وقد حمل تصريح لويد انتصارا لسياسة حاييم وايزمان وخيبة أمل لدافيد بن جوريون الذي كان يشارك في المفاوضات الصهيونية البريطانيين حول تشكيل الجيش اليهودي ،وكان يصر على ضرورة عمل المجندين اليهود في فلسطين فقط ورفض ترك أمر اماكن وجود القوات اليهودية بيد بريطانيا ..

وقد كان موقف وايزمان السابق من العوامل التي أدت الى تصعيد حدة الخلاف بينه وبين بن جوريون اذ استخدم بن جوريون موقف وايزمان في المفاوضات مع بريطانيا كدليل على ضعفه أمام الساسة الانجليز والتضحية بالمصالح الصهيونية في سبيل المصالح البريطانية . الا أن قرار التجنيد بشأن الفلسطينيين من عرب ويهود كان قد تم صدوره .

سير التجنيد اليهودي :

رغم عدم صدور القرار البريطاني بما كانت تطالب به القيادة الصهيونية الا أن هذه القيادة لم تتأخر في تنفيذ القرار ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان .فقد افتتح باب التجنيد في الكتيبة الفلسطينية في سبتمبر ١٩٤٠ وتم تشكيل اربع سرايا بمعدل سريتين لكل من العرب واليهود في فلسطين وهنا فوجئت السلطات البريطانية بان ادعاءات وايزمان بقدرته على تجنيد ١٠ ـ ١٢ الف يهودي ، وتسجيل ما يقرب من ١٣٦ الف متطوع يهودي لا يقوم على أساس من الواقع ،كما أن ادعاء وايزمان والقيادات الصهيونية ومطالبتهم بتشكيل قوة يهودية لا يجد أي هوى في نفوس اليهود ، وكانت مفاجأة السلطات البريطانية الكبرى عندما وصل عدد المتطوعين العرب في الستة شهور الأولى من فتح باب التطوع أكثر من عدد المتطوعين اليهود ، وهنا وجد وايزمان نفسه مرة ثانية في الموقف الحرج اذ ان مطالبه لا تتفق وواقعه . وليس هناك غير التقارير البريطانية تثبت ما طرحته :

(١) Journal of Palestine Studies , issue No . 30 , p . 56 .

(١) Michael Cohen , p . 107 , opcit .

تاريخ التقرير	عدد العرب المسجلين في الكتيبة الفلسطينية	عدد اليهود المسجلين في الكتيبة الفلسطينية
١٩٤٠/١١/١٥	٤٧٧	٦١٤
١٩٤٠/١٢/٢٤	٧٣٠	٦٢٠
١٩٤١/١/٢٧	١٠٠٠	٨٠٧
١٩٤١/٣/٨	١٠٨٤	٩٠٠
١٩٤١/٤/١	١١٥١	٩٤٤
١٩٤١/٥/١	١٠٦٩	٩١٩
المجموع	٥٥١١	٤٦٠٤[1]

لم تعد للوكالة وسيلة تبرر فشلها في تجنيد اليهود لذا سارعت الى القول بأن مبدأ المساواة هو الذي سبب احجام اليهود عن التجنيد في الجيش البريطاني .

لجأ وايزمان الى تشرشل وطالبه ملحا بضرورة تشكيل جيش يهودي منفصل مستخدما مبدأ المساواة في التجنيد وسيلة لتحقيق هدفه ، ولا نستبعد ان يكون وايزمان قد اشار في حديثه الى أن تسليح العرب وتدريبهم يتناقض مع السياسة البريطانية المتفقة مع السياسة الصهيونية ، وبضغط من تشرشل شخصيا قام ايدن وزير الخارجية البريطاني حينئذ بالسماح لوايزمان ببحث امر تشكيل الجيش اليهودي مع رئيس الأركان البريطاني الجنرال هاننج وذلك في ١٩٤٠/١١/٥ وهو تاريخ اول تقرير رسمي عن سير التجنيد في كتائب البفس .

(١) نقلا عن تقارير وزارة الحربية المحفوظة في وزارة الخارجية البريطانية تحت عنوان فلسطين وشرق الاردن في الفترة ما بين ١٩٤٠، و١٩٤٥ .
Journal of Palestine Studies , Issue No . 30 , p . 63 .

لم تسفر اجتماعات وايزمان مع هاننج عن نتائج عملية اذ ان الأخير رأى تأجيل أمر تشكيل جيش يهودي ، رغم أنه قام بتسمية قائد للقوة اليهودية عند تشكيلها هو البريجادير ل . ا . هيوز Hawes ولو أن الأمور سارت دون عقبات لتسلم هيوز عمله الجديد في ١٩٤١/٢/٤ حسب رأي هاننج[١] .

بالاضافة الى عدم اقبال اليهود على التجنيد في قوات البفس أثار اللورد لويد وزير المستعمرات البريطاني مشكلة جديدة تبرر اصراره على رفض فكرة تشكيل القوةاليهودية . وتتعلق هذه المشكلة بأمر حيوي يتصل بمصلحة بريطانيا وامداد جيوشها بالوقود فيالحرب . ففي ١٩٤٠/٢/١٧ قام اللورد لويد بابلاغ حاييم وايزمان بأن نفط اميركا قد ينفد خلال ثلاثين سنة وان نفط الشرق الأوسط هو المورد الأساسي لبريطانيا على الاخص نفط العراق وايران ، بالاضافة الى الاكتشافات النفطية المحتملة في الجزيرةالعربية ،ومن هنا فان بريطانيا ستكون مضطرة لاخذ المعارضة العربية لتشكيل قوة يهودية بعين الاعتبار[٢] ، وهو أمر يتعارض مع التطلعات الصهيونية السياسية في المستقبل .

ان اثارة اللورد لويد لمشكلة النفط العربي في أول سني الحرب وضع القيادة الصهيونية امام مشكلة جديدة كان لها أثرها كما أعتقد في التحرك الصهيوني السياسي النشط في الولايات المتحدة الاميركية ، ولم يغب أثر النفط عن ذهن القيادة الصهيونية في كل تحركاتها ونشاطها بين الأوساط السياسية الاميركية في فترة الحرب العالمية الثانية اذ كان على هذه القيادة ان تعرض نفسها كأداة قوية يمكن للمصالح الاميركية ان تستخدمها في مستقبل علاقاتها بالمنطقة العربية وفي مستقبل علاقاتها مع بريطانيا لا سيما وان الاربعينات بدأت تشهد ظهور الشركات الاميركية التي نجحت في أخذ بعض الامتيازات النفطية في المنطقة العربية،كما كانت هناك شركات تحاول الحصول على امتيازات اضافية في مواجهة الامتيازات النفطية البريطانية . وستتم مناقشة هذا الأمر أكثر تفصيلا عند الحديث عن النشاط الصهيوني الدبلوماسي في فترة الحرب العالمية الثانية .

طالب وايزمان باذاعة بيان تتعهد فيه بريطانيا بتشكيل قوة يهودية على أن تذكر الوكالة اليهودية كطرف أساسي في البيان البريطاني ولكن مطالب وايزمان ووجهت بمعارضة من الوزيرين البريطانيين لورد لويد، وزير الدولة لشؤ ون الحرب (ووزير الخارجية) انطوني ايدنوانضمت اليهما وزارة الاعلام البريطانية عندما أعلن مدير دعاية الشرق الأوسط

(١) Michael Cohen , p . 108 , opcit .

(٢) Ibid , p . 108 .

البرفسور رش بروك وليامز عدم ارتياحه لاذاعة بيان بتشكيل جيش يهودي لان مثل هذا البيان سيستخدم من قبل الاعداء (المحور) كمستمسك ضد بريطانيا في حرصها فقط على مصالح اليهود في المنطقة وسيكون تأثير مثل هذا البيان مدمرا[١]،واقترح تأجيل اذاعة مثل هذا البيان . وحرص على أن لا تظهر بريطانيا أي سلوك يوحي باخلالها بسياسة الكتاب الأبيض .

وانضم ماكمايكل المندوب السامي البريطاني في فلسطين الى الجبهة المعارضة لاصدار بيان يشير الى تشكيل جيش يهودي لأنه كان يخشى من اكتشاف العرب لخداع الانجليز لهم . ولكن المعارضة التي أنهت النقاش حول هذا الأمر في تلك الفترة جاءت من الجنرال ويفل الذي أصبح قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط اذ كان رأيه صريحا « أفضل عدم تشكيل قوات يهودية نهائيا بسبب نقص المعدات »[٢]،مما حدا بالمسؤ ولين البريطانيين لعقد اجتماع حضره وزير المستعمرات الجديد اللورد موين والذي تسلم عمله في فبراير ١٩٤١ اثر وفاة لورد لويد فجأة ، وفي هذا الاجتماع اتفق على ضرورة تأجيل الاعلان عن جيش يهودي لمدة ستة شهور على أمل أن يكون الموقف في الشرق الأوسط قد أضحى أقل حراجة[٣] .

عندما أبلغ تشرشل باقتراح تأجيل الاعلان عن جيش يهودي وافق عليه على مضض منه وقد كان تشرشل هنا منصاعا لرأي ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط لا سيما وان قضية الاعلان عن تشكيل جيش يهودي ليست بتلك القضية التي يستحق ويفل ان يزعجه رئيس الوزراء من أجلها وذلك بسبب انشغال رئيس الوزراء في تلك الفترة بعملية ليستر العسكرية (عملية غزو اليونان) وبسبب حراجة الموقف العسكري في الشرق الأوسط . وفي رسالة لرئيس الوزراء تشرشل في ١٩٤١/٣/١ الى اللورد موين وزير المستعمرات الجديد أظهر موقفه من قضية الاعلان عن تشكيل جيش يهودي وكيف أنه مضطر لاحترام رغبات قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط على كره منه :

«ان ويفل ـ كمعظم الضباط الانجليز ـ مؤ يد متعصب للعرب ففي الوقت الذي سمح فيها للمهاجرين غير الشرعيين بالبقاء في فلسطين ارسل برقية يعلن فيها عن انتشار مصيبة في الوطن العربي مع احتمال فقدان خط البصرة بغداد حيفا الاستراتيجي ، ورغم ذلك

(١) Micheal Cohen , p . 109 , opcit .

(٢) Ibid , p . 109 .

(٣) Michael Cohen , p . 109 , opcit .

فقد صبرت ...... وسارت الأمور جيدا ولم ينبح كلب واحد . انني غير مقتنع بكل هذه المجموعة وانا على يقين أن العرب لن يعملوا شيئا يزعجنا الآن .على أي حال نظرا لعملية ليستر في اليونان فانني غير راغب في ازعاج ويفل بمنغصات لا شأن لها بالنسبة للوضع العسكري . لذا فان وايزمان يجب ان يبلغ بأن مشروع الجيش اليهودي سيؤجل ستة شهور وربما يعاد النظر فيه خلال اربعة شهور كما ان السبب الوحيد الذي يجب ان يعطى لهذا التأجيل هو نقص المعدات فقط »[1] .

وفعلا تم ابلاغ وايزمان بتاريخ ١٩٤١/٣/٤[2] بتأجيل مشروع الجيش اليهودي ستة شهور وقد عللت بريطانيا تأجيل المشروع بحجة نقص المعدات العسكرية في ذلك الوقت وذلك كما أمر رئيس الوزراء البريطاني . وهنا أسقط ثانية في يد القيادة الصهيونية .

ولكن بريطانيا عمدت الى سياسة التراخي فيما يخص المساواة في تجنيد العرب واليهود وفي الوقت نفسه غضت الادارة البريطانية في فلسطين الطرف عن ممارسات القيادة الصهيونية ضد الشباب اليهودي الذي يحجم عن التجنيد . وقد أدت نتائج سياسة التراخي البريطانية عن مبدأ مساواة وسياسة غض الطرف عن ممارسات الوكالة اليهودية الى تحسن الوضع لصالح اليهود في قوات البفس الفلسطينية . وحتى مايو ٤١ كانت نسبة العرب في قوات البفس أعلى من نسبةاليهود،ونتيجة للسياسة التي أشرنا اليها بالاضافة الى نشاط الوكالة اليهودية الزائد ، في مجال التجنيد بدت الاعداد على النحو التالي :

(١) Ibid , p . 111 .

(٢) Sacher , p . 258 , opcit .

التاريخ	عدد العرب الفلسطينيين	عدد اليهود
يونيو ١٩٤١	٩٧٥	١١٩٦
يوليو ١٩٤١	٩٢٠	١٢٩٨
أغسطس ١٩٤١	٩٦٠	١٣٢٥
سبتمبر ١٩٤١	١٠٠٠	١٣٤٠
اكتوبر ١٩٤١	١٠٣٠	١٣٦٠
نوفمبر ١٩٤١	١١٠٥	١٦٢٠
ديسمبر ١٩٤١	١١٨٠	١٦٣٠
يناير ١٩٤٢	١٢١٠	١٦٤٠
ديسمبر ١٩٤٢	١٣٤٤	٣٣٢٥
يناير ١٩٤٣	١٤٤٦	٣٢٨٠
ديسمبر ١٩٤٣	١٣٠٧	٣٤٠٧
يونيو ١٩٤٤	١٢٩٤	٣٢٣٤[1]

ويلاحظ هنا تأرجح النسبة بين المساواة والزيادة الطفيفة حتى يناير ١٩٤٢ ولم تقفز نسبة زيادة اليهود الا في ديسمبر ١٩٤٢ ، كما يلاحظ نقص الأعداد العربية لا لسبب الا لأن هؤلاء الشباب أحسوا بمحاباة للسياسة البريطانية تجاه اليهود على حساب ما أعلنته هي نفسها عندما أقدم الشباب العربي على الانخراط في الجندية .

والملاحظة التي تسترعي الانتباه ان الأقبال اليهودي زاد على التطوع بعد ديسمبر ١٩٤٢ وهي الفترة التي انتهى فيها خطر الهجوم الالماني على مصر وبذا زال التهديد الذي وقعت تحت تأثيره القيادة الصهيونية وأن الفترة التي تلت ديسمبر ١٩٤٢ لم تكن تلك الفترة التي كان الانجليز فيها بحاجة الى قوات محلية في منطقة الشرق الأوسط ، ولكن بريطانيا سمحت لليهود بالانخراط في الجندية كما استمرت القيادة الصهيونية في الضغط على الشباب اليهودي من أجل التجنيد مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن الطرفين الانجليزي والصهيوني كانا متفقين على الهدف من تأسيس القوات اليهودية وكان كل منهما ينتظر الفرص التي تلائمه للافصاح عن القصد الحقيقي .

(١) Journal of Palestine Studies , issue 30 , p . 57 .

لقد حقق التحول الجديد في السياسة البريطانية أمرين هما لصالح القيادة الصهيونية .

الاول : ان تطبيق سياسة التراخي في التجنيد ستحرم العرب من فرص التدريب على استخدام السلاح وهو أمر جوهري بالنسبة للفكر الصهيوني .

الثاني : ان سياسة التراخي تعتبر خطوة متقدمة نحو تحقيق الهدف الصهيوني في تشكيل جيش يهودي خاص . الا أن أخطر ما حققته القيادة الصهيونية في عام ١٩٤١ كان نجاحها في تشكيل كتائب البالماخ (القوة الضاربة للهاجانا) وذلك مع موعد الهجوم الثاني لروميل على القوات البريطانية في الجبهة المصرية الليبية .

تشكيل البالماخ : Plugot Mahtz (Palmach) - Striking forces -

ذكر ايجال الون أحد قادة البالماخ البارزين قبل عام ١٩٤٨ ما يلي أن تشكيل البالماخ تم في أعقاب هزائم الحلفاء المتلاحقة في سنوات الحرب العالمية الثانية اذ تبين للقادة الصهيونيين ان فلسطين قد تكون ميدان قتال لحملات عسكرية كبرى لذلك أقرت القيادة العلياللهاجانا وبموافقة المجلس التنفيذي للمنظمة الصهيونية اقتراحا بانشاء قوة يهودية ضاربة مستقلة وسريه في فلسطين كما قرر أن تعمل هذه القوات وحدها او بالتعاون مع قوات الحلفاء حسبما تمليه الظروف(١) .

ورغم أن ايجال الون تحدث كثيرا عن « البالماخ » بلهجة لا تخلو من الفخر والاعتزاز في كتابه درع داود Shield of David الا أنه لا يذكر تشكيل هذه القوة مقرونة باسمه او باقتراح منه وهو أمر ذكره صراحة اموس بير ليموتر Amos Perlmuter في كتابه Military and Politics in Israel . « ان تشكيل البالماخ اقترن في ذهن القيادة الصهيونية وبالذات قيادة حركة الكيبوتز المتحد (هاموشاد) UKM بالخوف من تحسن الموقف العربي في فلسطين بعد الحرب لذا طالب ايجال الون بقوة يهودية لحماية اليشوف في فلسطين وتحقيقا لطلب آلون انشأت قيادة هاجانا قوة « كوماندوس » في مايو ١٩٤١ سميت بالبالماخ »(٢) .

وعندما تم تشكيل البالماخ كانت قوة الهاجانا في أدنى الدرجات من ناحية القوة العددية والتنظيم وجاءت هذه القوة لتعطي القوة العسكرية الصهيونية على أرض فلسطين الحياة من جديد .

الا أن المصادر الانجليزية التي اطلعت عليها تذكر تشكيل البالماخ مقترنا بالسياسة

(١) ايجال آلون : انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي . ترجمة ناجي علوش ص ٨٤ . مرجع سابق .

(٢) Amos Perlnuter , Military and Politics in Israel , Fran Cass and Comp . London , 1969 , p . 34 .

البريطانية في عهد تشرشل نحو فلسطين وعلاقاته الحميمة بالقيادة الصهيونية، كما تذكر هذه المصادر ايضا ارتباط تشكيل البالماخ بعمل المخابرات العسكرية البريطانية في منطقة الشرق الأوسط في فترة الحرب العالمية الثانية . ولا تذكر أن تشكيل هذه القوة كان بمبادرة من بعض العسكريين الصهيونيين كما تروي المصادر الصهيونية او المؤيدة لها . مما يعطي الانطباع ان الطرفين الصهيوني والبريطاني شاركا في تشكيل البالماخ ولكن كان لكل منهما هدفه الخاص من ذلك .

لقد ذكرنا سابقا ان تشرشل جوبه بمعارضة قوية من أكثر من جهة بريطانية عندما طالب بتشكيل قوات يهودية خاصة وكان أقوى المعارضين له هو قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط ما بين عامي ١٩٣٩ ـ ١٩٤١ ، الا أن تشرشل تلافيا لخلق مواقف متضاربة مع المسؤولين العسكريين في جبهة قتال حادة ومؤثرة لجأ الى أسلوب غير مباشر في تشكيل القوة اليهودية مستخدما اختصاصاته كرئيس للوزراء وذلك بعمل الترتيبات اللازمة لتدريب أفراد من قوات الهاجانا للخدمات النشطة على أن يتم التدريب والاختيار بسرية مطلقة من خلال فرع المخابرات العسكرية البريطانية MI4 ومن خلال مؤسسة التجسس البريطانية المعروفة باسم Special Operations Ex ., SOE(١) وهي مؤسسة تخصصت في القيام بالاعمال التخريبية خلف خطوط العدو النازي كما تخصصت في خطف بعض القيادات العسكرية النازية وجمع المعلومات الدقيقة عن الاهداف العسكرية النازية . وقد تم تأسيسها رسميا في يوليو ١٩٤٠ وانتهت كمؤسسة مستقلة في عام ١٩٤٦ م .

انبثقت مؤسسة SOE من مؤسسات التجسس البريطانية MI4 (فرع المخابرات العسكرية البريطانية) المتخصص في الحرب غير النظامية ومن فرع التجسس E H التابع لوزارة الخارجية البريطانية والمتخصص في الدعاية ضد العدو . ومن مكتب المخابرات رقم D التابع لفرع المخابرات MI6 والذي شكل بعد الانشيلوص (بين المانيا والنمسا) في عام ١٩٣٨ م لبحث امكانية مهاجمة الاعداء المحتملين بوسائل غير العمليات العسكرية .

وكان « دالتون » رئيسا لـ SOE حتى فبراير ١٩٤٢ م وتولى بعده اللورد جيل بورن الذي اتخذ من منصب وزير اقتصاد الحرب « غطاء » له(٢) .

وفي الذكرى الأربعين لتأسيس هذا الفرع ظهر كتاب باسم رجال ونساء فرع العمليات الخاصة تأليف باتريك هوارت ذكر الكاتب فيه أن تأسيس الفرع كان بناء على

(١) Nicolson Bethel , p . 103 , opcit .

(٢) تعليق على كتاب Subversive Tendencies تأليف D . Staford T . L . S . 28 March 1980 , P. 372 .

اقتراح ونستون تشرشل رئيس الوزراء وكانت مهمة الفرع تنسيق الاعمال التخريبية ضد العدو وجعل أوروبا تشتعل نارا تحت أقدام النازية كما قال تشرشل الى دالتون الذي كلف بمسؤولية الفرع[1] .

وقد اقترن اسم هذا الفرع أثناء الحرب بعمليات أخذت طابع الشهرة أشهرها خطف الجنرال كريب قائد القوات النازية في كريت الى القاهرة ، وخطف عالم الذرة الدانمركي بوهر الى انجلترا ، وتحطيم معمل المياه الثقيلة في النرويج .

انسجاما مع رغبات تشرشل السابقة وتنفيذا للاتفاقية التي عقدها وايزمان مع الاديرال البريطاني أ . هـ . جودفري رئيس مخابرات الاسطول البريطاني والتي لم يكن تشرشل على غير علم بها - قام تعاون رسمي بين الدائرة السياسية للوكالة اليهودية وبين المنظمة الخاصة التي كلفت باعداد قوات سرية للعمل في أوروبا وفلسطين[2] . وقدم الى فلسطين في نهاية عام ١٩٤٠ ثلاثة أشخاص تابعين لمنظمة SOE التي سبق ذكرها هم : ارنولد لورانس (استاذ في علم الآثار وشقيق لورانس العرب المشهور) ومعه كل من نقولاس هاموند (محاضر جامعي) وهنري بارنس (مغامر من أحياء لندن الفقيرة Cocknes) واقاموا في نزل على جبل الكرمل المطل على مدينة حيفا من أجل تأسيس الجيش اليهودي الحديث[3] .

لم تكن سلطات الانتداب البريطاني على علم بمهمة هؤلاء الثلاثة باستثناء الكولونيل شيلي من سكرتارية المندوب السامي البريطاني والذي قام بتأمين الاتصال بين هؤلاء الثلاث وبين قيادة SOE في القاهرة كما قام بتأمين الاتصال لهم مع سلطات ميناء حيفا من أجل احضار الاسلحة الخفيفة مثل الرشاشات والقنابل اليدوية والمتفجرات البلاستيكية .

لم ينته الامر عند حضور هؤلاء الثلاثة بل قدم أكثر من ضابط بريطاني وتولى مسؤولية تدريب الشباب اليهودي في دورات عسكرية تدريبية مدة كل منها ثلاثة اسابيع . ومع انقضاء بضعة شهور أصبح لدى المجموعة البريطانية ثلاث سفن صغيرة شكلت فيما بعد نواة الأسطول اليهودي على حد تعبير هاموند . كما تم انشاء مدرسة تدريب ME/02 مهمتها تدريب اليهود على التجسس ضد الالمان[4] .

---

(١) تعليق على كتاب Men and Women نقلاً عن Books and book June 1980 , p . 11
(٢) Shabtai Teveth , Moshe Dayan , P . 116 , opcit .
(٣) Nicolson Bethel , p . 102 , opcit .
(٤) Ibid , p . 102 .

اشترك أكثر من مسؤول صهيوني في العمل مع هذه المجموعة نذكر منهم ايجال يادين الذي أصبح نائبا لرئيس الوزراء في الكيان الصهيوني عام ١٩٧٧ م وابا ايبان الذي عمل في حينه كضابط اتصال بين قيادة الهاجانا ومؤسسة SOE وكان برتبة نقيب في الجيش البريطاني وأصبح فيما بعد رئيس وفد الكيان الصهيوني في الامم المتحدة ثم وزيرا للخارجية ، ودافيد هاكوهين أحد مسؤولي مخابرات اهاجانا في ذلك الوقت ، والنائب في الكنيست سنين طويلة ورئيس لجنة الشؤون الخارجية ، وموشى دايان وايجال آلون .

ويعترف هؤلاء عندما يتحدثون عن فترة تأسيس البالماخ ان البريطانيين كانوا يعلمون بعلاقة من سبق ذكرهم من الصهيونيين مع القيادة الصهيونية السياسية وقيادة الهاجانا كما يعترف هؤلاء بأن البريطانيين كانوا يعلمون ان من يتعاون معهم من الصهيونيين يساعد على الهجرة « غير الشرعية » التي كانت بريطانيا تعلن مقاومتها وبالذات دافيد هاكوهين[1] ، ولكن البريطانيين كانوا يلتزمون جانب الصمت رغم مخالفة ذلك لسياسة الحكومة البريطانية المعلنة . مما يؤكد استنتاجنا السابق ان الحكومة البريطانية منذ مايو ١٩٤٠ لم تعد تولي تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض الاهتمام الجدي .

وأخيرا لقد كان هؤلاء البريطانيون الذين قدموا بايعاز من تشرشل رئيس الوزراء هم الذين ساعدوا وساهموا في تشكيل قوات البالماخ .

مما سبق يمكننا القول ان تشكيل البالماخ ارتبط بأمور أهمها :

١ - تشكيل قوة عسكرية يهودية نشطة تحسبا لتحسن الموقف العربي الفلسطيني اثناء الحرب وبعدها،وذلك حتى تكون هذه القوة قادرة على الرد على الاعمال الفلسطينية ضد اليهود اذا ما حدثت . وهو هدف صرح به الصهيونيون،الا أننا نرى أن ما صرح به الصهيونيون يجانب الحقيقة.فقد كانت قوة البالماخ عند تشكيلها اداة بريطانية لا ضد الفلسطينيين ولكن ضد احتمالات الغزو النازي ولكن الصهيونيين رأوا فيها أداة للعدوان العسكري الصهيوني على الشعب الفلسطيني بعد أن تنفذ الدور البريطاني .

٢ - كان تشكيل البالماخ مرتبطا في ذهن المسؤولين الصهيونيين بهزيمة الحلفاء في أكثر من ميدان أمام القوات النازية لذا فان مهمتها كانت العمل خلف خطوط العدو النازي اذا ما تقدم وهو أمر طبيعي سعت القيادة البريطانية الى تحقيقه من تشكيل البالماخ .

٣ - كانت رغبة تشرشل الملحة في الاستفادة من المجهود الصهيوني وراء تشكيل

---

(١) Nicolson Bethel , p . 103 , opcit .

البالماخ ، وذلك لأن تشرشل كان يعتقد باخلاص الصهاينة لبريطانيا ولا يثق في العرب، وحتى يتخلص من معارضة المسؤولين البريطانيين لجأ الى تأسيس هذه القوات وربطها بالمخابرات العسكرية وهو أمر من صلاحيات تشرشل كرئيس للوزراء .

٤ ـ أظهر تشكيل البالماخ نوايا السياسة البريطانية الحقيقية نحو عرب فلسطين عندما استخدمت هذه القوات وسيلة لممارسة الهجرة غير الشرعية كما استخدمت لتدريب أكبر عدد ممكن من الشباب اليهودي يفوق الحاجة المطلوبة من تشكيل هذه القوات استعدادا للمستقبل وبمساعدة ضباط بريطانيين .

ان ما يهمنا هنا هو ظهور البالماخ الى الوجود وكان عددها في البداية لا يزيد على مائة شاب يهودي(١) وهو أول جهاز عسكري صهيوني متفرغ للعمل العسكري البحت ومرتبط بقيادة الهاجانا مباشرة ويعمل باستقلالية تامة عن المؤسسات الصهيونية الأخرى باستثناء قيادة اهاجانا وتحت اشراف دافيد بن جوريون .

باشرت البالماخ اعمالها لصالح بريطانيا منذ بداية تأسيسها اذ ان البريطانيين اضطروا للجلاء عن كريت بعد تكبدهم خسائر فادحة امام الهجوم النازي عليها في نهاية مايو ١٩٤١ واصبحوا قاب قوسين أو أدنى من منطقة النفوذ البريطاني في شرق البحر الأبيض المتوسط وكان يمكن لأية قوة المانية اذا ما تعاونت مع قوات حكومة فيشي الفرنسية الموالية للنازيين في سوريا ولبنان أن تهاجم هذين البلدين وتحتلها وتقطع طريق المواصلات البريطانية الى الشرق والى الهند . لذا قرر البريطانيون دون تردد مهاجمة قوات فيشي في سوريا ولبنان والسيطرة عليها وبدأوا بالاستعانة بأفراد البالماخ التي تم تدريبها انطلاقا من أن هؤلاء الافراد يجيدون اللغة العربية . واعتمادا على مقولة أدخلتها القيادة الصهيونية في روع البريطانيين وهي أن أفراد البالماخ على علم بالطرق المؤدية الى النقاط الاستراتيجية العسكرية الفرنسية وذلك بغية ارسال هؤلاء الافراد الى سوريا ولبنان لرصد تحركات القوات الفرنسية وامداد القيادة البريطانية بالمعلومات التي يحصلون عليها وارشاد القوات المهاجمة الى أسلم الطرق المؤدية الى الاهداف العسكرية الفرنسية .

كان أول ميدان استخدمت فيه قوات البالماخ هو القتال ضد حكومة فيشي في سوريا ولبنان.ففي ١٨/٥/١٩٤١ قاد الميجور انطوني بالمر البريطاني ٢٣ شابا من البالماخ مستخدما زورقا بحريا باسم اسد البحر Sea Lion وكان هدفه تدمير محطة تكرير النفط في طرابلس

(١) Yigal Allon , p . 119 , opcit .

بلبنان ، الا أن هذه العملية فشلت وحتى هذه اللحظة لا يعرف احد شيئا عن مصير الذين شاركوا فيها .

وعندما بدأ البريطانيون يستعدون لهجومهم الرئيسي ضد قوات فيشي في أوائل يونيو ١٩٤١ استعد موشي دايان تنفيذا لأوامر القيادة العسكرية البريطانية ومعه خمسة من أفراد البالماخ وعشرة أفراد من القوة الاسترالية للقيام بعمليات استطلاع داخل الأراضي اللبنانيةولكن ما ان بدأت المهمة حتى اكتشف دايان عدم وجود من يعرف الطرق المؤدية الى الأهداف العسكرية الفرنسية بين أفراد وحدته كما اكتشف عدم وجود أحد من بينهم يتحدث اللغة العربية(١) . وهما امران كانا ضروريين للعملية كما كانا الاساس الذي قام عليه التعاون بين البالماخ والمخابرات العسكرية البريطانية .

والا ما الفائدة من تشكيل هذه القوات البريطانية ؟ ونجد أنفسنا أمام مثال واضح لاساليب الخداع من أجل تحقيق الهدف .

وحتى يتمكن موشي دايان من تنفيذ ما أوكل اليه لجأ الى الاستعانة بمرشد من عرب فلسطين خبير بالطرق المؤدية الى لبنان(٢)،وهو في نظرنا أمر طبيعي ، اذ لا يعقل ان يقوم الاغراب مهما أوتوا من قوة الدعاية بقدرة التعرف على بلاد رسموها هدفا سياسيا اكثر من انسان نبت في الارض وعاش عليها ومن اجلها وبدون هذا المرشد كان من المستحيل تنفيذ العملية(١) اذ قاد المجموعة بامان داخل الحدود اللبنانية وأوصلها الى أول هدف عسكري فرنسي بعد أن تمكن من تحديد عدد أفراده .

وفي هذه العملية التي تمت بنجاح في ٨/٦/١٩٤١ بفضل المرشد العربي ولا أحد غيره فقد موشي دايان عينه اليسرى التي فشلت كل المحاولات الطبية والتي كانت آخرها كما نعلم في عام ١٩٥٧ بجنوب أفريقيا في اصلاحها أو وضع عين زجاجية بدلا منها مما جعل دايان منذ تلك اللحظة يضع الرباط الأسود عليها وأصبح مشهورا به متخذا شكل القراصنة في التاريخ . ومن الجدير بالذكر ان هذا الرباط اثر في نفسية دايان وجعله ينفر من كل من يتحدث معه عنه ، كما سبب له المضايقات النفسية وبالذات من الاطفال كما سبب له الازعاج الصحي اذ كثيرا ما كان يشكو من صداع بسببه . وقد كانت اصابة دايان سببا في انقطاعه عن العمل العسكري لمدة سنوات سبع مما نتج عنه احباط اجتماعي وإعطاء

(١) Shabtai Teveth , p . 117 , opcit .
(٢) Ibid , p . 120 .
(٣) Shabtai Teveth , p . 120 , opcit

الفرصة لزملائه وبالذات ايجال آلون في التقدم عليه في سلم الترقيات العسكرية[1] .

لم يقم دايان أثناء انقطاعه عن العمل العسكري بعمل يستحق الذكر الا بمهمة ارتبطت بالمخابرات البريطانية أيضا وذلك بعد اصابته بشهرين عندما اقام دايان اثناء علاجه في القدس في البيت المجاور لرابين شلواح الذي كان يعمل عام ١٩٤١ رئيس دائرة الشؤون الخاصة التي انشئت بمبادرة من دافيد بن جوريون نفسه في عام ١٩٤٠ م[2] مرتبطة بالمخابرات العسكرية البريطانية .

ومع ازدياد احتمال الغزو النازي لفلسطين في عام ١٩٤١ بسبب تقدم قوات روميل النازية على الجبهة المصرية بدأت بريطانيا في وضع خطط الانسحاب من فلسطين تحسبا لما سيحدث ، لذا طلبت المخابرات البريطانية من روبين شلواح العمل من أجل تأسيس محطات لاسلكية صغيرة تعمل سرا خلف خطوط الالمان اذا ما تم الغزو . لجأ شلواح بدوره الى دايان وكلفه بالمهمة .وفي ١٩٤١/٦/١٥ قدم دايان خطة مفصلة تتلخص في تأسيس محطات لاسلكية في أربع مناطق في فلسطين : الجنوب ، السامرة ، حيفا ، بيسان . وبعد موافقة المخابرات البريطانية على خطة دايان افتتحت دورة تدريبية باشراف المخابرات البريطانية في ١٩٤١/٩/٢٦ مدتها ثلاثة شهور لتدريب دايان ومعه عشرون يهوديا على استخدام الاجهزة اللاسلكية وقد اشتهرت هذه الشبكة التجسسية باسم شبكة دايان وكان اسمها الرسمي الجهاز الفلسطيني Palestine System وقد انتهى عملها في سبتمبر ١٩٤٢ م .

حاول دايان تحسين مركزه واقترح في ١٩٤١/١٠/٢٠ تشكيل وحدتين يهوديتين للتجسس ضد المانيا إحداهما يتكلم أفرادها العربية، والثانية يتكلم أفرادها الالمانية ولكن اقتراحه رفض ولم ينفذ الا في يوليو ١٩٤٢ م عندما شكل الفصيلان اليهوديان اللذان اقترحهما دايان واستخدمت بريطانيا منهما ٣٣ مظليا انزلوا في كل من رومانيا وبلغاريا وايطاليا والنمسا ويوغوسلافيا في عمليات فدائية[3] وقد قام بتدريب هؤلاء المظليين الميجور جرانت تايلور البريطاني والملقب بالقاتل اذ أنه كان في نظرته العسكرية وتعاونه الصهيوني امتدادا لوينجت.فقد علم اليهود كيفية التخلص من التردد عند الاقدام على القتل كما علمهم كيف يقتلون الخصم دون أسف ، وكان موشي دايان مشرفا على هؤلاء المظليين .

(١) Ibid , pp . 120 - 122 .

(٢) Ibid , p . 126 .

(٣) Shabtai Teveth , p . 128 , opcit .

ولسنا في مجال تحليل السلوك النفسي لموشي دايان الا أنه يمكننا القول ان أصابة الفرنسيين لدايان لم تخلق في نفسه عدواة ضدهم بل انعكس شعور الانتقام عند دايان على العرب الذين أنقذوه في ساعة حرجة من حياته اذ قاده المرشد العربي دون أن يدرس الى حيث صنع سترته .

وعندما قامت حركة رشيد عالي الكيلاني الوطنية مطالبة باستقلال العراق التام نظر اليها بعض المسؤولين البريطانيين كحركة تعبر عن التململ العربي ضد السياسة البريطانية في المنطقة ولا بد من القيام بعمل بريطاني يسترضي العرب وحتى لا تخوض بريطانيا حربا ضدهم ، الا أن تشرشل رأى في حركة رشيد عالي الكيلاني حركة مرتبطة بالمعسكر النازي ولا بد من ضربها وهو اتجاه استعماري تقليدي في السيطرة على الشعوب من خلال القوة .
وكانت القيادات الصهيونية على مختلف مشاربها مؤيدة لهذا الرأي وتسابقت الى التعاون مع بريطانيا لضرب هذه الحركة الوطنية وتعاونت منظمة الارجون هي الأخرى مع مؤسسة التجسس البريطانية ،وقام دافيد يزرائيل قائد الارجون بقيادة مجموعة تخريبية لتدمير المنشآت النفطية في العراق وصلت الى قاعدة الحبانية قرب بغداد بمساعدة بريطانية وانطلقت في ١٣ مايو ١٩٤٢ لتنفيذ المهمة الا أن دافيد يزرائيل قتل بعد تحركه من قاعدة الحبانية في اتجاه بغداد ولم يتمكن من تنفيذ ما اوكلت اليه المخابرات البريطانية ، وتعكس عملية دافيد يزرائيل التعاون التام بين طرفين استعماريين للقضاء على أي حركة وطنية في الوطن العربي كما تعكس الهدف النهائي للصهيونية والمتمثل في ضرب قوى التحرر العربي في أي مكان متعاونة مع القوى الاستعمارية .

ومع نهاية شهر يونيو ١٩٤٢ وبينما كان رومل القائد النازي يسيطر على منطقة العلمين كان الطرفان البريطاني والصهيوني في قمة التعاون العسكري وبالذات بين المخابرات البريطانية والقيادة الصهيونية وكان الهدف المعلن للطرفين حول هذا التعاون هو أخذ الاحتياطات تحسبا لتقدم رومل الى القاهرة ومنها الى فلسطين .

في هذه الفترة رأت بريطانيا الأخذ باقتراح موشي دايان السابق حول تدريب مجموعات من الشباب اليهودي على التجسس وقامت بتدريب ثلاثمائة من أفراد البالماخ على عمليات النسف والتدمير . قسم أفراد البالماخ الى ثلاث وحدات الاولى منها تجيد اللغة العربية ، والثانية تجيد الالمانية واضيفت اليها وحدة ثالثة مهمتها العمل في جزيرة البلقان[1] .
وفي هذه الفترة قام جرانت تايلور الملقب بالقاتل بتدريب المظليين من أفراد البالماخ .

(١) Yigal Allon , p . 122 , opcit .

وتذكر المصادر الصهيونية في هذه الفترة مظهرا آخر من مظاهر التعاون العسكري البريطاني الصهيوني عندما وافقت المخابرات البريطانية أمام تهديد رومـل المحتمل على خطة أطلق عليها الكتاب الصهيونيون اسم « خطة الكرمل » وتتلخص في تجميع اليهود في المنطقة المحيطة بجبل الكرمل ومساحتها ٣٩٠ ميلا مربعا وقيامهم بممارسة الدفاع عن النفس ضد القوات النازية اذا ما وصلت حتى النهاية تشبها بما أقدم عليه بعض اليهود عندما حوصروا سبعة شهور أمام الغزو الروماني لفلسطين في قلعة ماسادا ، وانتهى بهم المطاف الى الانتحار مع قائدهم سنة ١٩٧٣ م[١] .

على كل حال لم يتقدم رومـل بعد العلمين وشهد عام ١٩٤٢ في أواخره بداية تحول المعارك العسكرية في منطقة العلمين لصالح الحلفاء وذلك عندما استطاع مونتجمري قائد الجيش البريطاني الثامن الانتصار على رومل في أوائل نوفمبر ١٩٤٢ وكبده عشرة الاف قتيل وخمسة عشر ألف جريح وثلاثين ألف أسير الماني كما كبده تحطيم أربعمائة دبابة من أصل ستمائة دبابة كان يملكها وخسر الحلفاء في المعركة ثلاثة عشر ألفا وخمسمائة بين قتيل وجريح ومفقود[٢] .

ومع نهاية عام ١٩٤٢ بدأ مظهر جديد من مظاهر العلاقة الصهيونية البريطانية سواء في المجال العسكري او المجال السياسي الا أن القيادة الصهيونية بمساعدة بريطانيا بحته حققت انجازات عسكرية فوق ما كانت تتمنى ، فقد أصبح عدد أفراد البالماخ ألفا من الشباب المتدرب على الأعمال العسكرية برا وبحرا وجوا ، وبذلك وضعوا أساس التشكيلات العسكرية المختلفة لجيش الدولة اليهودية في المستقبل .

لقد كان هدف تأسيس البالماخ كما ذكر آلون هو الوجود العربي والتحسب لقوته ، والغزو النازي المحتمل لفلسطين اما الآن في نهاية ١٩٤٢ فقد ذهب احتمال الغزو النازي لذا لم يعد من هدف وراء تأسيس البالماخ الا ضرب الوجود العربي وهذا ما نفذه البالماخ في عام ١٩٤٨ وما بعدها .

لقد تميزت قوة البالماخ كما تردد المصادر الصهيونية بميزات معينة أهمها :

١ ـ ان جميع أفرادها من اليهود الذين ولدوا في فلسطين Sapra وكانوا في معظمهم من أبناء المستعمرات الجماعية « الكيبوتز » وبالذات من حركة الكيبوتز المتحد (هاموشاد) لذا فقد تم تدريب البالماخ في مستعمراته التي ولد فيها وعاش تحت وطأة التثقيف

(١) Encyclopedia of Israel and Zionism , p . 810 , opcit .

(٢) George Kirk , p . 227 , opcit .

الصهيوني « ان لا حياة له بوجود العرب » .

٢ ـ ان أفراد البالماخ يمثلون الصفوة العقائدية من بين الشباب اليهودي اذ كرسوا حياتهم لنشر مبادىء الصهيونية الاشتراكية وانماء حركة الكيبوتز كما آمنوا بالانضباط الذاتي والمساواة وضرورة تدريب القيادات الصغرى المستمر وتميزها بالثقافة والذكاء وسرعة التصرف[١] .

الا ان أفراد البالماخ لم يكن جميعهم من أبناء الكيبوتز ويمكننا تفصيل مصادر البالماخ على النحو الآتي في عام ١٩٤٢ :

	المصدر	المزارع الجماعية	المدن
١	حركة الكيبوتز المتحد	٣٥٠	٤١
٢	هاتوميرها	٢٠٠	٢٤
٣	اتحاد الكيبوتز التابع للماباي	٧٠	٥
٤	متفرقات		٢٥٠

المجموع الكلي ٩٤٠ شابا وفتاة[٢] .

شهد عام ١٩٤٣ انتصار الحلفاء على المحور وخرجت القوات النازية مهزومة من كل شمال افريقيا كما شهد هذا العام انقلابا في السلوك الصهيوني متمثلا في التسرع بالمطالبة بالدولة اليهودية .

ورأت بعض الفئات الصهيونية المنشقة عن المنظمة الصهيونية وهي منظمة الارجون ، ومنظمة شتيرن (ليهي) عدم الثقة ببريطانيا وأعلنت ممارسة العنف ضد البريطانيين لاجبارهم على مغادرة فلسطين وهو رأي لم تتبنّه قيادة المنظمة الصهيونية ولا قيادة الهاجانا . لذا فإننا نجد عودة التعاون بين البالماخ والمخابرات البريطانية في أواخر عام ١٩٤٤ ، وأوائل ١٩٤٥ ضد المنشقين على قيادة المنظمة الصهيونية وقيادة الوكالة اليهودية وأطلق على هذه الفترة عملية الفصل Season وكان يقصد به فصل صيد الطيور .

عملية الفصل :

عندما أعلنت منظمة الارجون رأيها المخالف لقيادة المنظمة الصهيونية في التعاون مع

(١) Amos Perlmuter , p . 34 , opcit .

(٢) Amos Perlmuter , p 39 , opcit .

بريطانيا قام ايجال آلون بتدريب مائة وسبعين من أفراد البالماخ للمشاركة في قمع المنشقين[1] على قيادة الوكالة اليهودية وذلك بالتعاون مع المخابرات البريطانية والسلطات العسكرية في فلسطين .

وكان من بين الذين تعاونوا مع بريطانيا من المسؤولين الصهاينة في فلسطين تيدي كولك رئيس بلدية القدس حاليا والذي عمل ضابط اتصال بين الوكالة اليهودية والسلطات البريطانية في فلسطين وقام بالتعاون مع البريطانيين بحجز بعض المنشقين والتحقيق معهم وكان هؤلاء أما ان يطلق سراحهم أو يسلموا لدائرة C I D دائرة التحقيقات الجنائية Criminal Invistigation Department البريطانية . وقد حاول تيدي كولك نفي هذا الأمر عن نفسه الا أن المؤرخ الصهيوني Yaakov Shavit ذكر ان الاتصالات بين ضباط الاتصال الصهيونيين ومؤسسة CId كانت يومية وانضم ضباط الهاجانا الى البوليس البريطاني للتعرف على المشبوهين ومنع اعتقال أفرد الهاجانا ، وقامت مؤسسة Shai دائرة المخابرات التابعة للوكالة اليهودية والتي كانت تسمى فرع العمليات الخاصة باعطاء البوليس البريطاني معلومات دقيقة عن وضع المنشقين وقام أفراد البالماخ بقيادة شيمون أفيدون نائب ايجال آلون بملاحقة المشبوعين واعتقالهم حسب معلومات Shai وتكللت هذه المساعي باعتقال مائة وتسعة عشر من الارهابيين المشتبه فيهم حسب برقية لورد جورت المندوب السامي البريطاني على فلسطين في ٢٨/١١/١٩٤٤[2] .

وفي تقرير بريطاني بتاريخ ٢١/١٢/١٩٤٤ ورد ان الوكالة اليهودية أعطت جهاز CID اسماء ٥٦١ مشبوها اعتقل منهم ٢٨٤ كما قامت بارشاد البوليس الى كميات من الاسلحة والمواد المطبوعة[3] .

لقد نشطت قوات البالماخ وقيادة الوكالة اليهودية في التعاون مع أجهزة المخابرات البريطانية بعد اقدام أفراد من منظمة شتيرن على اغتيال اللورد موين في ٦/١١/١٩٤٤ في القاهرة وزير الدولة البريطاني لشؤون الشرق الأوسط في محاولة منها لارضاء تشرشل الذي أظهر استياءه الشديد وأسفه على اغتيال صديقه موين . وفي برقية حاييم وايزمان بتاريخ ١٨/١٢/١٩٤٤ الى تشرشل أبلغه : ان التعاون البريطاني الصهيوني في مطاردة الارهابيين يتقدم بارتياح ، اذ قمنا بتزويد البوليس البريطاني بأسماء خمسمائة من المشبوهين تم اعتقال

(1) Nicolson Bethel , p . 179 , opcit .
(2) Ibid , pp . 179 - 180 .
(3) Ibid , p . 188 .

٢٥٠ منهم ،لقد أثار اغتيال اللورد موين استياءاً شديداً بين أوساط اليهود جميعا مما جعلهم يساعدون في مطاردة المشبوهين وحرمانهم اجتماعيا[1] .

انطلاقا مما سبق يمكننا القول ان البالماخ القوة الضاربة للهاجانا تشكلت بمساعدة المخابرات البريطانية وقامت بتنفيذ عمليات لصالح المخابرات البريطانية رغم انها كانت محدودة وبقي البالماخ امينا مع من ساعدوا على تشكيله واستخدم لضرب المنشقين الذين قاموا بازعاج بريطانيا في فلسطين ولا يهمنا هنا مدى فعالية تعاون البالماخ مع المخابرات ولكن ما يهمنا هنا ان البالماخ نمت وترعرعت في ظل المخابرات البريطانية ومساعدتها ولا نجد في المصادر الصهيونية عملا واحدا من أعمال البالماخ ارتبط بأهداف تشكيلها التي ذكرتها هذه المصادر وهي التخوف من القوة العربية ، ومقاومة النازيين في تلك الفترة .

لقد أفرز البالماخ شخصيات صهيونية قيادية تسلمت مناصب حساسة بعد انشاء الكيان الصهيوني نذكر منها :

اسحق رابين الذي شغل منصب رئيس اركان الجيش الصهيوني من بين ١٩٦٣ - ١٩٦٧ م ثم تسلم رئاسة الوزراء قبل عام ١٩٧٧ م .

حاييم بارليف ، رئيس الاركان الصهيوني ما بين عام ١٩٦٨ ، ١٩٧٢ م .

موشي كرمل واسرائيل جاليلي الوزيران السابقان في الكيان الصهيوني .

وفي حرب ١٩٤٨ م (عام النكبة للشعب الفلسطيني كان في الجيش الصهيوني ١٢ ضابطا برتبة بريجادير جنرال منهم ثلاثة من البالماخ هم : آلون ، رتنر ، ساويه .

٤٥ ضابطا برتبة كولونيل منهم ١٢ من البالماخ كما كان ٤٠٪ من الرتب العسكرية ما بين رائد وملازم من اعضاء البالماخ أيضا[2] وكان عدد أفراد البالماخ في ذلك الوقت ستة الاف شاب .

وبعد الاعلان عن انشاء الكيان الصهيوني في ١٤ مايو ١٩٤٨ تولى دافيد بن جوريون رئاسة الحكومة المؤقتة بالاضافة الى وزارة الدفاع فعمل على انهاء استقلالية الفصائل العسكرية الصهيونية المختلفة وجعلها تنضم جميعا تحت اسم جيش الدفاع الاسرائيلي . وقد لقي بن جوريون معارضة من قادة البالماخ في دمج هذه المؤسسة في الجيش الا أنه نجح أخيرا وأصبح أفراد البالماخ أعضاء في جيش الدفاع ليست لهم اي صفة استقلالية .

(1) Nicolson Bethel , p . 189 , opcit .
(2) Amos Perlmuter , p . 36 , opcit .

يذكر اسم البالماخ في المصادر الصهيونية مقرونا بالتفوق والقدرة الخارقة الا أننا عند التدقيق لا نستطيع ذكر عملية عسكرية قام بها أفراد البالماخ وكانت ذات شأن ،فعملية محاولة نسف مصفاة النفط في طرابلس بلبنان فشلت ولم تحقق شيئا كما ان اشتراك ايجال آلون وموشي دايان في التمهيد للحملة البريطانية على سوريا ولبنان ضد قوات فيشي لا نجد فيه بطولة او عملا لافتا للانتباه .

فلقد وضح ان دايان لم يكن يعلم من أمره شيئا لولا استعانته بالمرشد العربي الذي قاده الى الهدف الفرنسي .

كما أن قائد المجموعة كان استراليا ولم يزد عدد اليهود في العملية عن خمسة أفراد ولكن الكتابات الصهيونية تسقط دور كل من المرشد العربي ودور قائد المجموعة الاسترالي وتنسب النجاح الذي حققته العملية الى موشي دايان شخصيا .

اما دور ايجال آلون فقد تلخص في تمكنه من أسر أربعة جنود من قوات فيشي وهو عمل اذا ما قيس بحجم عمليات التجسس التي شهدتها الحرب العالمية الثانية تبدو ضئيلة الاهمية . وما ينبغي ذكره اننا لم نطلع على خسائر مادية قدمها أفراد البالماخ في فترة الحرب العالمية الثانية باستثناء اصابة دايان التي سبق ذكرها في منطقة المشرق العربي .اما في مسرح العمليات العسكرية الاوروبية فان خسائر الارواح عند البالماخ كما نعلم لم تزد على عدد أصابع اليد الواحدة . ويمكننا الاستشهاد بما ذكرناه عن عدم أهمية دور البالماخ من خلال مطالعة الكتب التي صدرت بعد الحرب العالمية الثانية عن تاريخ المقاومة السرية المسلحة ضد النازيين منها على سبيل المثال : رجال ونساء فرع العمليات الخاصة لباتريك هوارت . ميول تخريبية لدافيد ستافورد وفيها شرح مفصل عن الرجال والعمليات ضد النازيين الا اننا لا نجد ذكرا لعملية واحدة قامت بها اجهزة الوكالة اليهودية او القيادة الصهيونية كما لا نجد ذكرا لاسم صهيوني واحد شارك في التفكير لعملية من هذه العمليات ولا نجد الحديث بافاضة عن دور البالماخ في مساعدة الحلفاء على الاعمال التجسسية الا في المصادر الصهيونية نفسها . وفي آخر مصدر عن العمليات ضد النازية اطلعت عليه تحت عنوان Most secret War بقلم R . V . Jones عن التجسس العلمي لم أجد كلمة واحدة تشير الى البالماخ اودوره في العمليات الحاسمة ضد العدو النازي مما يجعلنا نجزم بنجاح الدعاية الصهيونية في اضفاء هالة من البطولة على دور البالماخ اثناء الحرب لم يكن لها وجود .

المرحلة الثانية :

شهد عاما ١٩٤١ ، ١٩٤٢ تحقيق انجازات عسكرية لا يستهان بها من خلال التعاون بين القيادة الصهيونية وأجهزة المخابرات البريطانية ، وكان أهم انجاز في نظرنا هو تشكيل

قوات « البالماخ » ـ القوات الضاربة للهاجانا . الا أن القيادة الصهيونية لم تكف عن المطالبة بتحقيق الهدف الاصلي من سعيها العسكري وهو تشكيل جيش يهودي منفصل له علمه الخاص وشارته المميزة أثناء وجوده بين قوات الحلفاء .

وفي رأينا ان سياسة بريطانيا حول هذا المطلب الصهيوني هي التي شجعت القيادة الصهيونية على المضي قدما لتحقيقه ، اذ لم تعلن الحكومة البريطانية رأيا حاسما في هذا الموضوع وكان الصهيونيون ادرى الناس بالاسلوب البريطاني في التعامل مع القضايا التي يرون انها تؤثر في المصالح البريطانية بالاضافة الى ما تقدم فقد كانت بريطانيا تتصرف بما يوحي أنها في طريقها لتحقيق الهدف الصهيوني وكان أول ايحاء يمكننا الاستناد اليه هو تطبيق سياسة التراخي حول المساواة في التجنيد بين العرب واليهود . وبعد هذه السياسة انقلب ميزان التجنيد في كتيبة البفس الفلسطينية لصالح الصهيونية فقد أصبح عدد اليهود في أغسطس ١٩٤١ (١٢٩٥) يهوديا مقابل ٩٢٠ عربيا في حين كان٩١٩ يهوديا مقابل ١٠٦٩ عربيا في ابريل من السنة نفسها[١] .

ومع نهاية عام ١٩٤١ م ، وبداية عام ١٩٤٢ ارتفع عدد اليهود في جيوش الحلفاء عامة من ١٣١٦ يهوديا حسب بيان ماكدونالد في مجلس العموم البريطاني في شهر مارس ١٩٤٠[٢] الى أكثر من تسعة الاف يهودي حسب بيان هل وكيل وزارة الحربية البريطانية ٢٢/١٠/١٩٤١[٣] . وفي ٢٥/١١/١٩٤١ أثناء مناقشة موضوع الجيش اليهودي في مجلس اللوردات البريطاني أفاد لورد كروفت بأن هناك ٧٩٨٥ يهوديا في الجيش البريطاني يمكن توزيعهم على النحو التالي ، وقارنهم بما كان موجودا من العرب :

القوات	يهود	عرب	المجموع
المشاة	١٣٥٩	١٠٣٢	٢٣٩١
الهندسة	٣٣٢٤	٥٠٢	٣٨٣٦
الاستكشاف	٢٨٣٥	١٣٢١	٤١٥٦
الموانىء	٤٥٧	٥٢٨	٩٨٥[٤]

(١) George Kirk , p 245 , foor Note , 1 , opcit .
(٢) Esco , vol . 2 , p . 1026 , opcit .
(٣) Ibid , p 1027.
(٤) Esco , vol . 2 , p . 1027 , opcit .

مما يدل على ان المطالب الصهيونية وجدت آذانا صاغية عند المسؤولين البريطانيين ولكنهم في الوقت نفسه كانوا حريصين على ان لا يأخذ تنفيذ هذه المطالب طابع العلنية حرصا على الوضع الأمني في منطقة توجد فيها القوات البريطانية في حالة حرب دائمة ، والتي كان قائدها (ويفل) يرى ان مطالب الصهيونية لا تستهدف المشاركة في المجهود الحربي بقدر ما تستهدف أغراضا سياسية لا تتفق والوضع العسكري : « اعتقد ان خطوة اليهود هي شكل آخر لمحاولاتهم تأسيس جيش في فلسطين يتمكن في نهاية الحرب من السيطرة عليها »[1] .

ورغم اعتراض ويفل فقد ابلغت الوكالة اليهودية في ١٩٤١/٥/٦ بموافقة الحكومة البريطانية على زيادة التعبئة اليهودية العسكرية ، وهنا يبدو لنا الصمت البريطاني واضحا حول القرار السابق ، اذ لم يكن يعلم به الا قلة من المسؤولين الصهاينة ، ودليلنا على ذلك ان ستيفن وايز المسؤول الصهيوني الاميركي طلب من وكيل الخارجية الاميركية Welles في التاريخ نفسه ١٩٤١/٥/٦ م حث الحكومة البريطانية على تشكيل فوج يهودي وحرس داخلي في فلسطين بسبب الوضع غير المستقر في الشرق الأوسط وبسبب خوف وايزمان من أن يكون اليهود في خطر ، وقام وكيل الخارجية بابلاغ رغبة وايزمان السابقة الى السفير البريطاني هاليفكس في واشنطن بتاريخ ١٩٤١/٥/٨[2] .

قامت السلطات البريطانية بتنفيذ ما وعدت به الوكالة اليهودية في ١٩٤١/٥/٦ وكانت وعود الحكومة البريطانية مستندة الى اقتراح المندوب السامي البريطاني على فلسطين هارولد ماكمايكل الى حكومته والتي ذكرها الوزير المفوض البريطاني بتلر الى وكيل الخارجية الاميركية بتاريخ ١٩٤١/٦/٤ وتتلخص في :

١ - « زيادة قوة بوليس المستعمرات اليهودي الى قوته السابقة خلال الاضطرابات (يقصد ثورة ٣٦ - ٣٩) مع احتمال زيادة عدده في المستقبل .

٢ - زيادة التدريب وتكثيفه لشرطة المستعمرات اليهودية الخاصة .

٣ - زيادة قوة الشرطة في المدن .

٤ - الاستمرار في منح الفرص المتساوية للتجنيد في كتيبة المشاة « يقصد البفس) بين العرب واليهود وتنفيذ برنامج التعبئة من الجانب اليهودي بغض النظر عن عدد المتطوعين العرب .

(١) Michael Cohen , p . 113 , opcit .

(٢) Foreign Relations , 1941 , 876 , N . 01 / 1743

٥ - الحصول على المعدات والمساعدات اللازمة .

٦ - يمكن التوسع فيما ذكر أعلاه حسبما يلي :

أ - تحويل المستعمرات اليهودية الى مراكز قوية .

ب - تدريب بوليس المستعمرات من أجل :

١ - التعامل مع قوات المظليين والقوات المحمولة جوا .

٢ - التعامل مع الدبابات .

٣ - استخدام تكتيك حرب الغوار ضد العدو وطرق مواصلاته .

٤ - حماية المستعمرات دون مساعدات بريطانية ضد الثوار العرب .

لقد أبدت قيادة الوكالة اليهودية ارتياحها التام للقرارات البريطانية السابقة عندما ابلغت بها بسرية تامة عن طريق الدكتور نامير المسؤول في الوكالة اليهودية وحرصت على عدم الاعلان عن الاجراءات السابقة خشية ان يكون لها تأثير سيّىء على العرب بالاضافة الى أن هذه القرارات ستكون مادة اعلامية للعدو (المحور) ضد بريطانيا في الشرق الأوسط[1] .

يستنتج من الوثيقة الاميركية السابقة ان قيادة الوكالة اليهودية كانت راضية تماما عن سياسة بريطانيا نحو التجنيد اليهودي والتي كانت تمثل حقيقة السير نحو تشكيل الجيش اليهودي .

وقد ازداد رضا الوكالة اليهودية عندما قامت بريطانيا بتنفيذ كل ما ذكره الوزير المفوض البريطاني الى وكيل الخارجية الاميركية ، فقد ذكر السفير الاميركي في المملكة المتحدة في برقية الى وزير الخارجية الاميركي بتاريخ ١٩٤١/٧/١٤ ان الحكومة البريطانية قامت بمضاعفة بوليس المستعمرات (اليهودية) وتقوم بتدريبهم وتوفير السلاح لهم كما يتم زيادة بوليس المدن وفق خطوات ثابتة ، وينفذ التجنيد في البفس حسب ما هو متفق عليه ، كما تم أيضا تجنيد عدد لا بأس به من اليهود في فلسطين للخدمة في ميدان الشرق الاوسط في مختلف اسلحة الجيش البريطاني »[2] .

ومما يسترعي الانتباه ان الانجازات العسكرية الصهيونية تمت بعد ابلاغ بريطانيا حاييم وايزمان بتأجيل تشكيل الجيش اليهودي مدة ستة شهور في شهر مارس ١٩٤١ . ولم

(١) Foreign Relations , 1941 , 867N 01 / 1755 .

(٢) Foreign Relations , 1941 , 867N . 01 / 1760

ير وايزمان في كل ما انجزته بريطانيا خلال شهور ما يغني عن المطالبة بتشكيل جيش يهودي يرفع علمه الخاص ويحمل شاراته المميزة الى جانب جيوش الحلفاء الاخرى . وفي شهر اغسطس من عام ١٩٤١ استأنف نشاطه وعاد الى الاتصالات مع المسؤولين البريطانيين حتى يضمن الاعلان البريطاني لتشكيل الجيش اليهودي عند انتهاء مدة الستة شهور التي بدأت في مارس ١٩٤١ م ، ولكن وايزمان لم ينجح في حمل القيادة البريطانية على إعلان الموافقة على مطلبه ، وعند مناقشة مجلس العموم البريطاني لمشروع الجيش اليهودي في أكتوبر ١٩٤١ أعلن اللورد موين « ان وزارة الحرب البريطانية تعارض مشروع تأسيس جيش يهودي على أسس عسكرية محضة بسبب شكها في جدوى عشرة ألاف جندي يهودي »[1]. وبناء عليه فقد تقرر رفض المشروع الصهيوني وابلغ وايزمان في ١٩٤١/١٠/١٥ « بأن وزارة الحربية لا تجد جدوى في قبول الاقتراح بتشكيل الجيش اليهودي وذلك بسبب الظروف العالية »[2]. لكن وايزمان استمر في المطالبة والاتصالات استنادا حسب رأينا الى ثقته المطلقة في السياسة البريطانية وفي لقاء تم بين لورد موين وكل من وايزمان ودافيد بن جوريون « اقترح موين الاستمرار في زيادة قوات البفس لصالح اليهود وتشكيل سرايا يهودية منفصلة تحت علمها وشعارها » . الا ان بن جوريون اعتبر عرض موين اهانة لكبرياء اليهود الذين يتطلعون الى الانخراط في وحدات عسكرية أكبر من سرايا البفس .

لم يكن الموقف البريطاني المعارض لاعلان تشكيل الجيش اليهودي قائما على مبدأ الرفض المطلق ولكنه كان موقفا متخوفا من النتائج السياسية لمثل هذا الاعلان على المصالح البريطانية نفسها بعد الحرب من قبل الصهيونية فقد أعلن ماكمايكل المندوب السامي البريطاني على فلسطين في ١٩٤١/١١/١٤ الموقف كما يراه على النحو التالي :

يرى السياسيون الصهيونيون الموقف كما يلي : مع نهاية الحرب سيكون لديهم في فلسطين عدة الاف من الشباب اليهودي المدرب على السلاح وستواجه حكومة صاحب الجلالة بمهمة تنفيذ سياسة معينة في فلسطين واذا لم تكن هذه السياسة متمشية مع السياسة الصهيونية والتي لن يرضيها أقل من فلسطين دولة يهودية فانها ستهزم امام الصهيونيين لانه في النهاية ـ لا توجد حكومة بريطانية تفكر في اتخاذ اجراءات عسكرية حادة ضد اليهود . لذا فان الاهداف الصهيونية يمكن كشفها ببساطة وهي :

---

(١) Michael Cohen , p . 116 , opcit .

(٢) George Kirk , p . 245 , opcit .

١ ـ الحصول على اعتراف بدولة لليهود من خلال الاعتراف بجيش وطني لهم .

٢ ـ تركيز هذا الجيش في فلسطين من أجل دعم المطالب اليهودية بعد الحرب باستخدام القوة[1] .

انتهى عام ١٩٤١ دون ان تحقق القيادة الصهيونية انتزاع قرار بالاعلان عن تشكيل الجيش اليهودي وفي ١٩٤١/١١/٩ اعترف وايزمان بفشله في اعلان تشكيل الجيش اليهودي[2] .

التوجه الصهيوني لاستخدام الضغط الاميركي :

كان الصهيونيون على علم تام بدقة الموقف العسكري البريطاني في المنطقة وحراجته كما كانوا على علم تام بأثر الموقف الاميركي على الحكومة البريطانية في تلك الفترة الحرجة وقد وجدوا في هذين الامرين فرصة مناسبة للضغط على الحكومة البريطانية من أجل اعلان تشكيل الجيش اليهودي .

وبدأت حملة دعائية ضد بريطانيا في صحف الولايات المتحدة تطالب بتأسيس جيش يهودي لاقت قبولا لدى بعض مشاهير المجتمع الاميركي ولكنها لم تنجح في حمل حكومة الولايات المتحدة على الانضمام الى تأييد المطلب الصهيوني . فلقد كان لدى الحكومة البريطانية ما تبرر به موقفها أمام الحكومة الاميركية من خلال الاقبال اليهودي الفاتر على التجنيد - ففي يناير ١٩٤٢ كان عدد الذين سجلوا في كتيبة البفس من اليهود ١٦٤٠ شابا مقابل ١٢١٠ من عرب فلسطين وهو عدد كان بعيدا عن ادعاء وايزمان بقدرته على تجنيد ١٠ ١٢ ألفا من اليهود وقد وجدت الخارجية البريطانية في الأرقام السابقة وسيلة شرحت فيها موقفها الى سفيرها في واشنطن . تولت الوكالة اليهودية مسؤولية تجنيد اليهود في فلسطين وحتى الآن لم تفلح في تجنيد ما طلبه الجيش البريطاني ، مما جعلهم يلقون اللوم على السلطات البريطانية ، ان الأمر ليس بهذه السهولة والحقيقة هي في عدم حماس اليهود للخدمة العسكرية وذلك عكس ما يدعيه زعماؤهم حول هذا الأمر ويقومون بتوكيده . . . وتستطرد الرسالة الى شرح وجهة نظر القيادة الصهيونية الى التجنيد فتقول : منذ اوائل ١٩٣٩ وشرتوك رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودي يأخذ خطا واحدا مع القيادة العسكرية البريطانية مفاده بأن اليهود في عرضهم لخدماتهم لا يستطيعون النظر بارتياح الى الترتيبات التي تؤدي الى نقل الآلاف من الشباب اليهودي في فلسطين كما أنه كان يعارض

---

(١) Michael Cohen , p . 117 , opcit .

(٢) Oboe , p . 117 .

خدمة اليهود المشتركة مع العرب ولم يوافق عليها وكان يعلن عن قدرته على نصيحة اليهود للالتحاق بالوحدات اليهودية الخاصة فقط »[١] .

لقد جاء في الوثيقة البريطانية السابقة معلومات محددة حول سياسة الوكالة اليهودية العسكرية فهي تطالب ان تكون الخدمة اليهودية في فلسطين ، وان تكون الخدمة في وحدات يهودية خاصة والا فلا مجال امام الشباب اليهودي الا العمل فيها له علاقة بعمل المخابرات البريطانية . ولكننا نجد تناقضا بين ما أوردته المصادر البريطانية حول عدد اليهود بين قوات الحلفاء وبين ما جاء في الوثيقة. ونلاحظ هنا التركيز البريطاني على قوات البفس فقط واهمال المجالات الأخرى التي يشترك فيها اليهود وفي رأينا ان المقصود هنا هم يهود فلسطين اما الاعداد الاخرى التي سبق ذكرها فتشمل كل اليهود . والوثيقة هنا تعالج موقف اليهود في فلسطين ونظرتهم الى التجنيد ولا تعالج موقف يهود العالم والذين انضم كثير منهم الى جيوش الحلفاء بدافع غير صهيوني . كما نلاحظ ذكرا لاسم موشي شرتوك كشخصية صهيونية مؤثرة في مجال العمل العسكري الصهيوني ، وقد أعطى شرتوك كل ما يملك من قدرة من أجل تشكيل قوة يهودية منفصلة وبدأ اسمه في الظهور منذ أوائل سنة ١٩٤٢ في الوثائق والمصادر التي تتحدث عن النشاط العسكري الصهيوني كشخصية سياسية تنوي التخطيط للعمل من أجل تشكيل الجيش وهو أمر أشرت اليه لما له من دلالة تفيد بإخضاع العمل العسكري الصهيوني للسياسة الصهيونية العليا وجعلها صاحبة القرار الأخير في هذا الشأن .

قام شرتوك (شاريت فيما بعد) بمطالبة اوكنلك قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط بعد ويفل ـ في ابريل عام ١٩٤٢ م بالتوسع في تدريب كتيبة الفبس الفلسطينية كما طالب زيادة عدد الشرطة اليهود الى خمسين ألفا .

ولكن اوكنلك رأى في طلب شرتوك امرا يحتاج الى قرار سياسي رغم انه عند بداية تسلمه للقيادة طالب بزيادة عدد اليهود العاملين في الجيش البريطاني . على اي حال سرعان ما انشغل اوكنلك في رد هجوم رومل في ١٩٤٢/٥/٢٦ ولم يعد لديه الوقت للتفكير في غير وضعه العسكري .

وفي اعتقادنا ان طلب شرتوك السابق جاء تنفيذا لقرار الهستدورت بتاريخ ١٩٤٢/٤/٢٤ الخاص بتجنيد الشباب اليهودي اذ أقر مؤتمر الهستدروت « الاجراءات

(١) Fo 371 /313 78/ 90

التي يجب اتخاذها ضد الذين يرفضون الالتحاق بالجيش البريطاني (من اليهود) كما أقر المؤتمر ضرورة تجنيد عشرة الاف متطوع يهودي (زيادة عما هو موجود) في الجيش البريطاني واستخدام طاقات الهستدروت لهذا الغرض »[١] .

من الوثائق السابقة نلاحظ نقدا بريطانيا لاذعا لتقصير الوكالة اليهودية في تجنيد اليهود الموجودين في فلسطين كما نلاحظ في رد أوكنلك الذي كان متحمسا لتجنيد اليهود اعطاء الاهمية للقرار السياسي البريطاني ، كما نلاحظ ايضا قرار مؤتمر الهستدروت الخاص بتجنيد اليهود وتحديد عددهم وهي أمور شكلت في نظرنا مقدمات لقرار كانت الحكومة البريطانية بصدد اتخاذه وكانت القيادة الصهيونية على علم به فقد كشف مايكل كوهين ان « وزارة الحربية البريطانية بالتعاون مع وزارة المستعمرات كانت قد بدأت باعداد خطة واسعة لتأسيس فيلق يهودي[٢] وكان المبرر البريطاني لهذه الخطة ارضاء قادة اليهود في فلسطين وتحييد الحملة التي بدأها الصهاينة في الولايات المتحدة ضد بريطانيا .

ونرى من قراءة الوثائق الاميركية ضعف المبرر البريطاني اذ ان الحملة الصهيونية ضد بريطانيا لم تترك أثرا على موقف الحكومة الاميركية بل نرى العكس تماما فقد كان المسؤولون الاميركيون ضد الحملة الصهيونية الموجهة ضد بريطانيا وذكر ولاس موري Murray في مسودة بيان اقترحه على وزير الخارجية الاميركي بتاريخ ١٩٤٢/٦/٢ م ما يلي :

ان أهداف هذه الحكومة من الحرب كما وردت في بيان الاطلنطي تشتمل على : الرغبة في عدم اجراء تغييرات اقليمية لا تتفق مع رغبات الشعوب المعنية المعبر عنها بحرية تامة « واحترام حق جميع الشعوب في اختيار شكل الحكومة التي يعيشون تحتها » . . . . اننا نرغب في حل المشكلة الفلسطينية من خلال تفاهم عربي يهودي .

ان الحكومة البريطانية كسلطة منتدبة هي المسؤولة عن حماية فلسطين ونود الفهم بأن الجيش البريطاني مفتوح للقادرين من الفلسطينيين الذين تم تجنيد اعداد منهم . واذا ما اقتضى الامر تشكيل وحدات عربية ويهودية منفصلة واذا ما توافر لهم التجهيز الضروري فان حكومة الولايات المتحدة توافق على ذلك »[٣] .

وهنا نجد موقفا اميركيا لا يشجع المطالب اليهودية العسكرية كما نجد بداية تحول في الموقف البريطاني في اتجاه تأسيس فيلق يهودي وما نود قوله هنا ان الموقفين كانا بعد اقرار

(١) Co /733 488 /761 471 / A , 020 69 .
(٢) Michael Cohen , p . 118 , opcit .
(٣) Foreign Relations , 1942 , 867 . 01 / 1812

برنامج بلتمور الصهيوني في ١٩٤٢/٥/١١ والذي طالب بتأسيس جيش يهودي بالاضافة الى تأسيس الكومن ويلث اليهودي . وعلى عكس ما هو متوقع فاننا نلاحظ في الموقف البريطاني استجابة لبرنامج بلتمور بينما نلاحظ في الموقف الاميركي تحفظا تجاه البرنامج نفسه ، مما يؤكد رأينا ان الحملة الصهيونية ضد بريطانيا لم تنجح على المستوى الرسمي في الولايات المتحدة الاميركية في ذلك الوقت ، ولم يكن استخدام بريطانيا لتحييد الحملة في الولايات المتحدة الاميركية ضدها الا وسيلة بررت فيها تلبية الرغبات الصهيونية وقد كان القرار البريطاني خير دليل على ذلك .

انتهز حاييم وايزمان فرصة تراجع القوات الانجليزية امام قوات المحور في ١٩٤٢/٦/٢٨ الى العلمين وكرر الطلب الصهيوني بتشكيل قوات يهودية وكانت الاستجابة البريطانية هنا سريعة وملبية وسقطت كثير من التحفظات البريطانية حول المطلب الصهيوني فقد أعيدت مناقشة موضوع انشاء قوة دفاع يهودية في مجلس العموم البريطاني في أواخر يوليو ١٩٤٢ م وبعد مناقشة مستفيضة للموضوع اعلن وزير الحربية البريطاني بتاريخ ١٩٤١/٨/٦ تشكيل القوات الفلسطينية تحت اسم « الفوج الفلسطيني » Palestinian Regiment على ان يتكون من كتائب عربية ويهودية منفصلة تقوم بالخدمة في الشرق الاوسط وعلى ان تضم كتائب البفس السابقة الى التشكيل الجديد كما أعلن الوزير البريطاني عن أمله في انضمام عشرة الاف متطوع جديد الى القوة الجديدة دون أخذ مبدأ المساواة (بين العرب واليهود) بعين الاعتبار[١] .

وفي رأينا ان القرار البريطاني يعتبر انصياعا للمطالب الصهيونية وتعزيزا في الوقت نفسه لموقف حاييم وايزمان ضد دافيد بن جوريون الذي بدا منافسا قويا لوايزمان منذ مايو ١٩٤٢ بعد اقرار برنامج بلتمور ويرجح رأينا هذا تعمد الحكومة البريطانية ابلاغ القرار الى حاييم وايزمان شخصيا الذي يمثل المعتدلين من القيادة الصهيونية في نظر المسؤولين البريطانيين ان لم يكن يمثل وجهة النظر البريطانية وعلى الاخص في الولايات المتحدة الامريكية :«ان اعتدال وايزمان يعتبر هاما بالنسبة لبريطانيا في الولايات المتحدة الامريكية حيث يخوض معارك ضارية ضد خصومه السياسيين ولكن الاعتدال يعتبر غير ذي قيمة في نظر الامريكيين ما لم يكن له نتائج ملموسة »[٢] .

وعند صدور الاعلان البريطاني السابق في أغسطس ٤٢ كان هناك ١٨ الف يهودي

(١) George Kirk , p . 246 , opcit .
(٢) من احدى رسائل هاليفكس السفير البريطاني في واشنطن الى وزير الخارجية . Michael Cohen , p . 119 , opcit .

يخدمون في الجيش البريطاني ٢٥٪ منهم في الخطوط الامامية للقتال (أي حوالي ٤٥٠٠) اشترك منهم في القتال الذي دار حول بير حكيم اثناء تراجع القوات البريطانية امام قوات روميل في يونيو ٤٢ حوالي الف مقاتل[١] . وفي مصادر أخرى كان عدد اليهود عشرين الفا[٢] .

لم يبق من عقبة امام الاعلان عن تشكيل الجيش اليهودي وفق المتطلبات الصهيونية الكاملة غير تحفظات بعض العسكريين البريطانيين والذين اضطرت القيادة السياسية البريطانية مراعاة آرائهم بسبب حراجة الوضع العسكري الذي كانوا يعيشونه فذكر من هذه التحفظات رأي الجنرال الكسندر الذي تسلم القيادة من اوكنلك فقد رفض تشكيل جيوش منفصلة بين قواته المقاتلة فلديه من مثل هذه الجيوش ما يكفي[٣] « مشيرا بذلك الى فرق حكومات المنفى التي شاركت في الحرب ضد المانيا . كما جاء في تقرير Grigg وزير الدولة البريطاني لشؤون الحرب بتاريخ ١٩٤٢/١٢/١٥ الى مجلس الوزراء ما يفيد بمثل هذا التحفظ فقد أوضح جرج ان واجب القوات اليهودية يجب ان يكون مرتبطا بمتطلبات الدفاع عن الشرق الأوسط ككل وان دور هذه القوات القتالي لم يقرر بعد الا ان جرج أكد على عدم استخدام مبدأ المساواة بين العرب واليهود في التجنيد[٤] ولكنها تحفظات لم تؤثر لا في التطبيق العملي للسياسة البريطانية ولا في مستقبل القرار البريطاني الخاص بتشكيل الجيش اليهودي .

فمن الناحية العملية كانت المنجزات الصهيونية العسكرية في أواخر عام ١٩٤٢ أقرب ما تكون الى جيش يهودي ان لم تكن جيشا .فقد تم تشكيل البالماخ ، كما تم تشكيل الفيلق اليهودي والغي مبدأ المساواة عمليا في التجنيد بين العرب واليهود الذي كانت القيادة الصهيونية تطالب به ، ولم يبق من المطالب الصهيونية غير صدور اعلان بريطاني برفع العلم الصهيوني بين الاعلام التي كانت تقاتل الى جانب الحلفاء ، وهو أمر عمدت القيادة البريطانية الى تأجيله ولربما كان ذلك تفاديا لاغضاب العرب بشكل مباشر وعلني .

نخلص الى القول ان القيادة الصهيونية في نهاية عام ١٩٤٢ ـ وهي الفترة التي كان مونتجمري خلالها قد سجل انتصاره على رومل الالماني (١٩٤٢/١١/٤) في معركة غزال ـ استطاعت ان تغير موقف السلطات البريطانية المعارض لتشكيل القوة اليهودية

(١) George Kirk , p . 246 ,
(٢) Esco , vol . 2 , p . 1027 , opcit .
(٣) Michael Cohen , p . 120 , opcit .
(٤) Ibid , p . 121 .

الخاصة لصالحها رغم أنه لم يكن تغييرا كليا ، مما يؤكد ان موقف المسؤولين البريطانيين دون استثناء كان مرتبطا بمصلحة بريطانيا ولم يكن الشعور العربي ذا قيمة عند البريطانيين الا من زاوية المصالح البريطانية مما ينفي بعض المقولات التي تنسب بين الحين والآخر الى بعض المسؤولين البريطانيين ودعمهم للعرب .

أفرز مؤتمر بلتمور الصهيوني عام ١٩٤٢ قوة بن جوريون السياسية كقائد صهيوني منافس لحاييم وايزمان الصديق المخلص لبريطانيا ، مما جعل القرار الصهيوني يبتعد الى درجة ما عن التأثير المباشر لرغبات بريطانيا في المنطقة وجعله مرتبطا بسياسة بن جوريون التي تجد في دعم اليشوف السند الاساسي لها ، وكان ذلك يعني ان على السياسة البريطانية اذا ما استمرت في دعم المشروع الصهيوني ان تتعاون مع دافيد بن جوريون باعتباره القوة الصهيونية الصاعدة وليس مع حاييم وايزمان .

ومن جهة أخرى لوحظ عزوف اليهود في فلسطين عن الاقبال على التجنيد مع انحسار الخطر النازي في نهاية ١٩٤٢ ، وهنا لجأت قيادة الوكالة اليهودية ومعها قيادة الهاجانا الى ممارسة مختلف الأساليب ضد اليهود الذين لا يلبون اوامرهما ، وعندما أخذت سلطات الانتداب البريطاني علما بهذه الأساليب اعتبرتها مخالفة للقانون ولاغية لصلاحيات السلطات احبريطانية ، مما جعلها تصدر بيانا بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٤٣ تحذر فيه من استخدام الوسائل الآتية في التجنيد :

« وضع القنابل في البيوت ، الخطف والحجز ، فرض الغرامات ، التشهير بالافراد ، المقاطعة الاجتماعية والاقتصادية »[1] .

احتجت الوكالة اليهودية ضد تحذير سلطات الانتداب البريطاني ، ولم تستجب له واستمرت في ممارسة شتى الاساليب اللاقانونية ضد الشباب اليهودي لاجبارهم على الجندية ، ونرى رسالة المندوب السامي على فلسطين بتاريخ ١٩٤٣/٥/٦ الى اوليفر ستانلي وزير المستعمرات البريطاني خير شاهد على ذلك فقد ذكر المندوب ما يلي :

١ ـ احتجاج الوكالة اليهودية بتاريخ ١٩٤٣/٤/٢ ضد طرد موظف يعمل لصالحها من معسكر صرفند للجيش البريطاني ، وضد تفتيش قامت به الشرطة البريطانية حول مكتب تجنيد الوكالة في تل أبيب .

(١) George Kirk , p . 122 , opcit .

٢ ـ أصدرت الوكالة اليهودية تعليمات بتجاهل الأوامر التي اذيعت تحت رقم ٢٣ أ و ٢٣ ب ، وعبر عن هذا التجاهل باسم الوكالة اليهودية الدكتور برنارد جوزيف في خطابه أمام الاجتماع المشترك للمجلس الصهيوني الداخلي والمجلس الوطني اليهودي (فئاد لؤمي) بتاريخ ١٩٤٣/٣/٢٤ عندما قال :

« هناك شيء واحد واضح لي وهو الاستمرار في تعبئة قوانا الذاتية من اجل شعبنا ومستقبلنا في هذا البلد ، ولن نخضع أو نذعن لسلوك الحكومة غير العادل الذي يؤثر في مجهودنا في هذه الحرب » .

وقد أرفق المندوب مع رسالته نموذجا من الاستدعاء الذي كانت الوكالة توجهه الى الشباب اليهودي تأمرهم فيه بالمثول في ساعات محددة من أيام معينة امام محكمة البلدية بتل ابيب لمحاكمتهم بتهمة عدم الانصياع لأوامر تجنيد الوكالة اليهودية والمجلس الوطني ، وتهدد في الوقت نفسه هؤلاء الشباب بمحاكمتهم غيابيا في حالة عدم مثولهم .

واذا حدث ان أصر أحد الشباب على عدم الانضمام فان اجراءات محددة تتخذ ضده منها النبذ الاجتماعي ، اقناع رئيسه بطرده من العمل ، انكار حقوقه التي يتمتع بها في المجتمع ، بالاضافة الى الاعتداء المادي على البعض ، مثل ما حدث في حالة الاعتداء على الشاب صمويل جريمان من يهود تل أبيب[1] .

وفي يناير ١٩٤٣ كانت القيادة العسكرية البريطانية قد قامت بنقل كتيبة يهودية الى خارج فلسطين مما اغضب قيادة الوكالة ورأت فيه نقضا للتأكيدات التي أعطيت اليها عند تشكيل الكتائب الفلسطينية سنة ١٩٤٠[2] .

كما أعلنت حكومة الانتداب في فلسطين في ١٩٤٣/٣/٢٣ عن تعيين مفوض لاعادة تعمير فلسطين مهمته اعداد الخطط للانماء الزراعي والصناعي في البلاد الا ان دافيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية في فلسطين قام بمهاجمة قراري الحكومة البريطانية سواء فيما يخص نقل الكتيبة اليهودية او ما يخص خطط التعمير ، وذلك أمام اجتماع مشترك للمجلس الصهيوني ، المجلس الوطني (فئاد لؤمي) وأعلن موقفا صريحا يفصح فيه عن التطلعات الصهيونية السياسية « بكل صراحة لن نتعاون مع سلطات الكتاب الابيض لا في الحاضر ولا في المستقبل (فيما بعد الحرب) ولن نساهم في تنفيذ

(١) App/76147/448/Co 733/ 02069 .
(٢) Michael Cohen , p . 122 , opcit .

الخطط التي أعلنتها الحكومة لانها تقوم على ايقاف الهجرة اليهودية ، تنفيذ سياسة الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ ، حرمان اليهود من وطنهم . وبالنسبة لنا (الصهيونيين) فاننا نعد الخطط الخاصة بنا والقائمة على وجود ١٨ مليون دونم من أراضي فلسطين بدون سكان ووجود شعب عانى أكثر من كل شعوب الأرض »[١] .

وقصد بن جوريون بوجود ١٨ مليون دونم تلك الاراضي التي لم تزرع في فلسطين ولكنه لم يذكر ان هناك ١١ مليون دونم من هذه الاراضي هي صحراء قاحلة تشكل منطقة النقب كما لم يذكر مساحة الاراضي التي تصلح فقط للرعي ومساحتها حوالي ٤,٥ مليون دونم وكذلك الاراضي المزروعة غابات ولا تصلح لغير ذلك ومساحتها ١,٥ مليون دونم كما لم يذكر في بيانه حتى مساحة الاراضي التي تقوم عليها المدن في فلسطين وتقدر بنحو مليون دونم[٢] .

وواضح من اشارة بن جوريون هذه ان نواياه هي السيطرة على هذه الاراضي التي ذكرها ، بغض النظر عن ظروفها الطبيعية أو وجود السكان البدو فيها أو مدى تأثير سيطرته عليها فيما يخص الآخرين .

ان احتجاجات بن جوريون السابقة عززت اثارة الشكوك والمخاوف في نفوس المسؤولين البريطانيين حول موقف القيادة الصهيونية الجدي من قضية الحلفاء في الحرب ، ومما زاد في هذه الشكوك اكتشاف زيادة عدد وحجم السرقات في الاسلحة والمتفجرات من مخازن المؤسسات العسكرية البريطانية في منطقة الشرق الأوسط،وفي شهر مارس ١٩٤٣ بالذات[٣] . وقد قامت السلطات البريطانية في المنطقة بالبحث عمن يقومون بهذه السرقات والتي أصبحت لافتة للأنظار واعتقدت أنها ليست أعمالا فردية بسبب ضخامة حجمها .

وتبين لقائد الجيش البريطاني في فلسطين دوجلاس مالكونيل ان وراء السرقات هذه عصابة ابتزاز عالية التنظيم . وفي مايو ١٩٤٣ كتب القائد البريطاني الى فرع المخابرات MI2 تقريرا ذكر فيه ان وراء سرقة الاسلحة عصابة ابتزاز عالية تضم شخصية هامة من الوكالة اليهودية على الاقل وتقوم هذه العصابة بسرقة السلاح بانتظام لصالح الهاجانا وتتبع وسائل مختلفة في السرقة منها اجراء اتصال مع الجنود البريطانيين وعقد صداقات معهم ثم تقديم الرشاوى لهم بغية الاقدام على السرقة وتساعدهم على ذلك بتقديم جميع الوثائق

(١) George Kirk , p . 307 , opcit .
(٢) Ibid , p . 307 .
(٣) George Kirk , p 307 , opcit .

العسكرية المطلوبة بما في ذلك العربات العسكرية »[١] .

وقد أكد تقرير قائد الجيش موقف الدائرة الاستراتيجية في واشنطن إذ افادت هذه الدائرة بوجود سرقات ضخمة من مخازن أسلحة الحلفاء في فلسطين ومصر . وحسب بعض المصادر الموثوقة فقد تكونت احدى السرقات من ٦٠٠ بندقية و٢٢ رشاشا ، وطنين من المتفجرات و٨ الاف صاعق[٢] .

بلغ التوتر بين السلطات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط وبين قيادة الوكالة اليهودية قمته في صيف ١٩٤٣ اثر هذه الحوادث وذلك بعد ان شكلت محكمة عسكرية بريطانية لمحاكمة الذين تم القبض عليهم بتهمة سرقة السلاح من المخازن البريطانية .وقد كانت محاكمة سارقي السلاح فضيحة لقيادة الوكالة اليهودية .

فقد مثل أمام المحكمة العسكرية البريطانية في القدس بتاريخ ٤٣/٨/١١ جنديان بريطانيان هما ستونر وهاريس ومعهما يهوديان من حيفا هما سيركين ، وراشلين عملا كوسطاء بين الجنديين البريطانيين وبين الرأس الكبير (يهودا تاننبوم) والذي سمي فيما بعد يهودا ارازي وهو ضابط شرطة يهودي كان يعمل مع سلطة الانتداب البريطاني ، ولم يتم القبض عليه ، ولم يمثل أمام المحكمة .

كانت التهمة الموجهة الى المتهمين أمام المحكمة سرقة ٣٠٠ قطعة سلاح و ١٢٥ الف طلقة وسرعان ما اعترف الجنديان البريطانيان بذنبهما وباتصالهما برئيس حلقة يهودي لتهريب السلاح وقيامه برشوتهما من أجل الاقدام على السرقة من مخازن الجيش البريطاني كما قام الجنديان بذكر اسم دافيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية امام المحكمة وعلاقته بهذه العصابة، كما ذكر ايضا اسم بعض المؤسسات الصهيونية مثل الهستدروت ومنظمة العمل للشباب . واستمعت المحكمة الى شهادة اكثر من مسؤول صهيوني منهم جولدا مائير التي أصبحت فيما بعد رئيسة لمجلس وزراء الكيان الصهيوني . وقد أعلن رئيس المحكمة ان أمن ودفاع فلسطين قد تهدد من قبل منظمة ضخمة وخطرة تدعمها موارد مالية أضخم »[٣] .

امتدت جلسات المحاكمة وقد مثل الادعاء العام فيها الرائد البريطاني باكستر كما مثل الدفاع الرائد فيردين . وفي جلسة ١٩٤٣/٩/٢٥ كانت الحقائق التي تدين قيادة الوكالة اليهودية واضحة أمام المدعي العام باكستر مما اضطره الى القول بان سيركوكين وراشلين

(١) (٢) Nicolson Bethel , p . 140 , opcit .
(٣). Nicolson Bethel , p . 141 , opcit .

اليهوديين عضوان في منظمة خبيثة تمثل سرطانا للمجهود الحربي في الشرق الأوسط ولها سيطرة نازية على أعضائها . كما أشار في الجلسة نفسها إلى محاولة اغتيال اسرائيل برتزكي Pritzkie في ١٩٤٣/٩/٣ احد أعضاء مخابرات منظمة الارجون والذي أفضى بمعلومات من منظمة ليهي « شتيرن »[١] .

وفي معرض دفاع الميجور فيردين Verdin عن الجنديين البريطانيين ذكر بأن الجنديين وقعا في قبضة منظمة لها من القوة والقسوةمامنعتاتخلص هذين الجنديين منها . وتساءل فيردين هل هذا يعني وقوع بعض الجنود تحت تأثير هذه المنظمة ، وعملهم ضد مصالح الامم المتحدة بعد أن ابتعدت الحرب عن الحدود وعندما زال شبح معسكرات الاعتقال ؟ اذا كان الامر كذلك فينبغي كشف هذا الامر بين شعوب الامم المتحدة .

كما استطرد قائلا ايمكن ان تكون الوكالة اليهودية مصدر رسم السياسة اليهودية والتي ما فتئت تطالب الامم المتحدة بانقاذ شعبها واحلال السلام بين الجنس المضطهد هي التي تدعم عمليات ضد مصالح الامم المتحدة وضد مصالح الشرق الأوسط ؟ »[٢] .

قام دافيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية بالرد فورا على أقوال فيردين باسم الوكالة اليهودية « تحتج الوكالة اليهودية بعنف ضد هجوم فيردين اللاسامي وتعتبر أقواله في المحكمة أمرا قصد به اساءة سمعة الشعب اليهودي والتقليل من قيمة مجهوده الحربي والاساءة الى سمعة الجنود اليهود بين زملائهم البريطانيين .

ان الوكالة اليهودية تعتبر (ما حدث في المحكمة) جزءاً من حملة منظمة بدأت منذ زمن من قبل مجموعة لا سامية في البلد ضد الوكالة اليهودية والتجمع اليهودي في محاولة لتسميم الرأي العام الانجلو امريكي ضد اليهود للتأثير على المستقبل اليهودي لفلسطين .

ان الوكالة اليهودية تطالب حكومة جلالة الملك بالتحقيق في الامر واتخاذ الاجراءات المناسبة ووضع حد لمثل هذه الامور .وفي الوقت نفسه قام بن جوريون بالكتابة الى القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين مهاجما فيردين بعنف وقسوة .

لقد قام الميجور فيردين مستغلا وضعه كضابط دفاع بمهاجمة الشعب اليهودي والجنود اليهود الذين يخدمون مع حكومة جلالة الملك في الشرق الاوسط كما قام بمهاجمة الوكالة اليهودية . انني كممثل لشعب تعرض للاهانة بالاضافة الى اهانتي الشخصية أعلن ان

(١) Nicolson Berhel , p . 142 , opcit .
(٢) George Kirk , p . 308 , opcit .

فيردين تصرف بعيداعن الحق والادب وبأحط الطرق اللاسامية وانني اتحداه باثبات تهمه أمام لجنة محايدة أواجهه فيها »[١] .

لم يكتف بن جوريون بمهاجمة كل من المدعي العام والدفاع في المحكمة اذ ما لبث ان هاجم هيئة المحكمة نفسها بعد اصدارها احكامها بالسجن مددا مختلفة على الاربعة المتهمين.ففي ١٩٤٣/١٠/٤ أعلن بن جوريون سوء نوايا المحكمة كما أعلن موقفا تحدى فيه الحكومة البريطانية بقوله ان اليشوف (التجمع اليهودي) في فلسطين مستعد لحماية نفسه ضد من يتآمر عليه لسد الطريق امام مستقبل وجوده ولن يتردد في استخدام حقه من أجل الدفاع عنا النفس[٢] .

الا أن موقف بن جوريون السابق لم يؤثر في موقف السلطات العسكرية واستمرت في ملاحقة سارقي السلاح وقامت بحملة تفتيش بين المستعمرات اليهودية التي يشك انها تمثل ترسانات لاسلحة الهاجانا .

واثناء تفتيشها لمستعمرة هاكوفيتشي في نوفمبر ١٩٤٣ تعرضت القوات البريطانية لمظاهرة عنيفة من سكان المستعمرة تطورت الى اشتباك السكان مع الجنود البريطانيين مما أدى الى مقتل احد سكان المستعمرة وتبعتها مظاهرات عنيفة ضد السلطات البريطانية في فلسطين كما اعلن موشي شرتوك (شاريت فيما بعد) رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية اللجوء الى المقاومة اذا ما استمر تفتيش المستعمرات اليهودية .

ومع نهاية ١٩٤٣ وبداية عام ١٩٤٤ لاحظ قائد قوات بريطانيا في الشرق الاوسط « بأن موقف الوكالة اليهودية تجاه الحكومة البريطانية قد تصلب الى درجة المعارضة العنيفة لاي عمل يتعارض مع برنامج بلتمور الصهيوني ، وبدأت الوكالة اليهودية تتصرف كحكومة مستقلة ولم تعد تنكر تخبئة السلاح او المطالبة بالحق في حمله بل أصبحت تتحدى الحكومة وتقاومها مما يعني أنه تمرد يهودي ضد الحكومة[٣] .

امام هذا الوضع كان على السلطات البريطانية اما الاستمرار في الحملة ضد تصرفات الوكالة اليهودية او السكوت عنها . ولأمرٍ ينسجم مع السياسة العليا للقيادة البريطانية نحو الحركة الصهيونية نصح المندوب الساميٍ البريطاني في فلسطين وقف الحملة البريطانية وقد

(١) George Kirk , p . 308 , opcit .
(٢) George Kirk .
(٣) George Kirk , p ; 310 , opcit .

كان له ما أراد .

لقد كان وايزمان غائبا عن فلسطين منذ أواخر ١٩٣٩ م ولم يتابع التطورات التي حدثت بين التجمع اليهودي في فلسطين ، خاصة الاستعدادات العسكرية التي تمت والتي كان يشرف عليها بن جوريون شخصيا اذ تبين فيها بعد أن حجم السرقات الصهيونية من مخازن اسلحة الجيش البريطاني تفوق كثيرا ما أعلن عنها . ففي احدى المرات التي قامت بها السلطات العسكرية البريطانية بتفتيش احدى المستعمرات اليهودية والتي كانت تعتبر من مراكز الهاجانا اكتشفت هذه السلطات وجود ٣٢٥ بندقية و٩٥ مدفع مورتر، ١٢ انشاً ، ومدفعين مورتر ٣ انش و٧٨ مسدسا و١٠ رشاشات و١٤٠٤ مخازن ذخيرة بندقية ، وبندقية ضد الدبابات و٤٢٥ الف طلقة ذخيرة اسلحة خفيفة و١٠٨٥ قذيفة مورتر وقنابل بنادق و٥٠١٧ قنبلة يدوية و٥٢٦٧ قنبلة هاون و٢٦ قاذف قنابل للبنادق و٦٢ سنكي وحوالي ٨٠٠ رطل متفجرات شديدة ، بالاضافة الى أدوات تنظيف السلاح ، وصناديق قطع غيار البنادق ، وبعض الملابس والخوذ العسكرية (كما ذكر كيرك نقلا عن تريفر في كتابه (الكتاب الابيض ص ٢٢١ حاشية ١٩)[١] .

هذا يعني بوضوح أن مطالب الوكالة اليهودية في التجنيد والتسليح كانت بعيدة كل البعد عن مصالح الحلفاء العسكريين ضد المحور وكان القصد من كل المطالب السابقة تدريب الاداة العسكرية الصهيونية وانتهاز الفرص المختلفة لتزويدها بكل أنواع الاسلحة استعدادا لعدوانها على العرب . وفي رأينا أن سرقات السلاح من الجيش البريطاني على يد الصهيونيين ينفي كل ادعاء صهيوني حول حجم المشاركة العسكرية الصهيونية في الحرب العالمية الثانية اذ أصبح واضحا في نهاية عام ١٩٤٣ ان ما حاولت القيادة الصهيونية تقديمه الى المجهود الحربي باليمين تأخذه بالشمال وبشتى الطرق .

ورغم عدم فعالية الجنود اليهود في الحرب العالمية الثانية ، وعدم اشتراكهم في معارك حربية ذات معنى فقد ساهمت قيادة الوكالة اليهودية في اشاعة روح الانهزامية بين الجنود البريطانيين انفسهم ، ومارست التدمير الاخلاقي مع الذين نجحت في اغرائهم بالرشاوى وجعلتهم يقدمون على خيانة بلدهم وقضية الحلفاء في احلك الساعات . وذلك أمر حاولت القيادة الصهيونية نفيه عن نفسها بكل الوسائل لأن اشاعته بين الشعب البريطاني او الشعب الامريكي يؤدي الى أسوأ ردود الفعل ضد المطالب الصهيونية وتطلعاتها السياسية .

(١) George Kirk . p . 308 . Note . 19 .

تشكيل اللواء اليهودي :

بقيت قضية سرقة السلاح محصورة في فلسطين فقط ولم تؤثر على موقف القيادة البريطانية العليا ، واستمرت القيادة الصهيونية في مطالبتها بتشكيل جيش يهودي يقاتل تحت علمه الخاص منتهزة فرصة هجوم الحلفاء على ايطاليا في سبتمبر ١٩٤٣ . وقامت قيادة الوكالة اليهودية في ١٩٤٣/١١/٢١ بمطالبة كل من بريطانيا والولايات المتحدة الامريكية بتشكيل قوة عسكرية يهودية تأخذ دورها في تحرير أوروبا من النازية[١] .

كما قام حاييم وايزمان بتقديم اقتراح الى تشرشل رجاه فيه السماح لأربعة وعشرين الف يهودي متطوع بتشكيل فرقة يهودية خاصة لها علمها واشارتها المميزة لتشارك في ساحة المعركة الاوروبية[٢] .

لم تلق طلبات كل من الوكالة اليهودية وحاييم وايزمان استجابة لدى العسكريين البريطانيين بعد ان تكشف لهم دور الوكالة اليهودية ونواياها في تسليح اليهود وتجنيدهم ، وكانت أشد المعارضة من قادة الميدان الذين رأوا ان تشكيل القوة اليهودية وتدريبها كي تكون جاهزة للقتال يحتاج الى ستة شهور على الاقل تكون الحرب فيها قد انتهت ، كما ان حجم القوات اليهودية لن يكون له دور فعال في القتال[٣] . الا ان تشرشل انطلاقا من استعداده لانشاء الدولة اليهودية ـ بموجب خطة التقسيم التي أفضى بها الى وايزمان في سبتمبر ١٩٤٣ ـ استمر في الضغط على وزارة الحربية من أجل القبول بالمطلب الصهيوني والتي خضعت لرغبات رئيس الوزراء (تشرشل) ولكنها طلبت من الوكالة اليهودية تقديم ٣٥٠ ضابطا ، ٦٥٠٠ جندي كما طلبت باصرار عدم السماح لليهود غير الفلسطينيين بالبقاء في فلسطين بعد الحرب ، وتسريح القوة اليهودية عندما يرتبط باعتبارات عسكرية وعدم استخدامها لعلم خاص بها[٤] .

وافق تشرشل على تحفظات وزارة الحربية السابقة ما عدا استخدام العلم اليهودي .

ومن ناحية أخرى نجحت القيادة الصهيونية في الحصول على موافقة البرلمان البريطاني على طلبها عندما تقدم ٥٣ عضوا في ابريل ٤٤ برغبتهم في تشكيل جيش يهودي ، وساندهم اللورد سترابولوجي بتقديم رغبتهم الى مجلس اللوردات في ١٩٤٤/٧/٤ كمتحدث رسمي باسمهم ، وأكد ان الهدف من الرغبة هو تجنيد من لا يحملون جنسيات

(١) George Kirk . p . 320 . opcit .

(٢) Michael Cohen . p 123 . opcit .

(٣) (٤) Michael Cohen . p 123 . opcit .

من اللاجئين اليهود ومواطني الدول المحايدة وان هذه الرغبة لا علاقة لها بفلسطين او بساستها[١] .

وعندما رفع أمر تشكيل الجيش اليهودي الى مجلس الوزراء بعد الخلافات السابقة وافق على تشكيل قوة يهودية مقاتلة تحت علمها الخاص واشارتها المميزة (نجمة داود) في ١٩٤٤/٩/٤ م . وفي ١٩٤٤/٩/١٨ اعدت مسودة بيان أذاعته وزارة الحربية البريطانية في ١٩٤٤/٩/٢٠ م معلنة تشكيل القوة اليهودية كما طالبت به القيادة الصهيونية وبعد ان أخذ تشرشل موافقة روزفلت رئيس الولايات المتحدة الامريكية ، وقد جاء في البيان البريطاني :

« قررت الحكومة البريطانية تلبية لطلب الوكالة اليهودية تشكيل لواء يهودي من أجل المشاركة العسكرية الفعالة وستكون الكتائب اليهودية في الفوج الفلسطيني اساس تشكيل لـواء المشاة ويجري التدريب حاليا من اجل ارسال القوات الى مسرح العمليات كما يجري اعداد القوات المساندة على أساس الوحدات الفلسطينية الموجودة وتقوم الوزارة بالتفاوض مع الوكالة اليهودية لانجاز القرار وتنفيذه »[٢] .

وبالاعلان عن تشكيل القوة اليهودية حققت بريطانيا ما سعت القيادة الصهيونية الى المطالبة به منذ بداية الحرب وفي فترة كانت متطلبات الحرب العالمية ابعد ما تكون عن الحاجة لمثل هذه القوات وأقرب ما تكون الى مطامع القيادة الصهيونية السياسية في انشاء الدولة اليهودية بعد الحرب ، ولم يخف الصهيونيون هذا الموقف فقد عبرت جريدة بالستين بوست في ١٩٤٤/٩/٢٢ عن الموقف الصهيوني على النحو التالي :

« سيشارك الجنود اليهود الفلسطينيون في المعركة لا من أجل حاضر اليشوف بل من أجل مستقبله . وان تشكيل اللواء اليهودي يحمل معنى أكبر ، فهو يعلن للعالم بان اليهود من الامم المتحدة متساوون مع أعضائها في المسؤولية والحقوق[٣] . والغريب في الأمر أن هذا الهدف الصهيوني كان واضحا في أذهان القيادة السياسية البريطانية منذ أن بدأت القيادة الصهيونية في المطالبة بتشكيل الجيش وأعلنوا معارضتهم لفكرة تشكيل الجيش انطلاقا من ادراكهم لهذا الهدف الا أنهم أخيرا نفذوه .

لقد رافق الاعلان البريطاني عن تشكيل اللواء اليهودي في سبتمبر ١٩٤٤ ظهور الخلاف الانجلو امريكي حول استغلال منطقة الشرق الأوسط واضحا حينما ظهرت في هذا

---

(١) George Kirk , p 320 , opcit .

(٢) (٣) George Kirk , p . 321 , opcit .

العام « المعركة » الامريكية ضد انجلترا من أجل السيطرة على الأسواق العربية التجارية وبذا أضيف موضوع آخر الى موضوع « النفط » العربي ليكونا أساس الخلاف الامريكي البريطاني وليلعبا دورا في سياسة كل من البلدين نحو منطقة الشرق الأوسط .

كما توافق الاعلان البريطاني مع النهايات الاخيرة للحرب العالمية على الساحة الاوروبية لذا لم يقم اللواء اليهودي بالمشاركة في أية عمليات عسكرية ورغم ذلك فقد حققت القيادة الصهيونية هدفها ونجحت في انتزاع اعتراف بريطاني بوجود علم خاص لقواتها كما نجحت في تدريب اكبر عدد ممكن من شباب الهاجانا على القتال وتمكنت من الحصول على أكبر كمية ممكنة من السلاح الذي عملت على تخزينه .

عاد الوئام بين قيادة الوكالة اليهودية التي كان يرأسها دافيد بن جوريون وبين السلطات البريطانية وتراجع بن جوريون عن التهديد باستخدام القوة ضد بريطانيا واصبح التعاون بينه وبين البريطانيين أكثر وضوحا من التعاون بين وايزمان وبريطانيا الذي كان بن جوريون يتهمه دائما بالتفريط بمصالح الصهيونية أثناء المفاوضات مع بريطانيا . ودليلنا على ذلك أن مناحم بيجن رئيس منظمة الارغون (اتل) الذي تسلم قيادتها في عام ١٩٤٣ رفض الثقة ببريطانيا وأعلن عن استمرار منظمته في ممارسة الارهاب ضدها وشاركه في هذه السياسة منظمة شتيرن (ليهي). الا أن اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وقيادة الهاجانا قامتا بمعارضة الارغون وشتيرن وتعاونتا مع السلطات البريطانية وامدتها بأسماء الكثير من اعضاء المنظمتين الصهيونيتين المنشقتين[١] ولم يكن هناك من مبرر صهيوني لتعاون بن جوريون ضد منظمات صهيونية أخرى الا اذا كان بن جوريون طامعا في تقسيم أكثر كرما من مشروع بيل سنة ١٩٣٧ لا سيما وان القيادة الصهيونية كانت على علم منذ يوليو ١٩٤٣ بتشكيل اللجنة الوزارية البريطانية التي كلفت بوضع حل لمشكلة فلسطين .

استمرت القيادة الصهيونية في التعبئة العسكرية.وعند انتهاء الحرب العالمية الثانية كان مجموع من نجحت في تدريبهم من اليهود على يد البريطانيين ٣٢ الف شخص بينهم ٤٥٠ ضابطا ، ١٥٠ امرأة . وقد وزع ايجال آلون الرقم السابق على النحو التالي :

«٤٨٠٠ مشاة ، ٣٣٠٠ سلاح مهندسين ، ٤٤٠٠ سلاح النقل ، ١٢٥٠ اعمال المساحة ، ١١٠٠ الخدمات العامة ، ٦٥٠ سلاح مدفعية ، ٢٠٠٠ سلاح طيران ، ١١٠٠ بحارة ، ٣٤٠٠ اعمال يدوية اضافة الى ٤٠٠٠ امرأة يهودية في وحدات A.T.S.W.A.

---

(١) راجع ما ذكر عن هذا الامر في عملية الفصل Season عند الحديث عن البالماخ .

. A . F الترفيهية[١]». ولم يشارك من هذه القوات في الساحة العسكرية الاوروبية غير « ٣٥٠٠ يهوديا قامت بريطانيا بارسالهم الى ايطاليا في أوائل عام ١٩٤٥»[٢]وهذا ما يؤكد رأينا السابق ان جميع الانشطة العسكرية الصهيونية قصد بها الاستعداد للمستقبل ولم يقصد بها المساهمة في المجهود الحربي للحلفاء .

الانجازات العسكرية الصهيونية الاخرى :

يمكننا اجمال ما أنجزته القيادة الصهيونية عسكريا عند انتهاء الحرب العالمية على النحو التالي :

١ ـ تشكيل الجيش اليهودي بعلمه الخاص وشاراته المميزة وتدريب أكبر عدد ممكن من الشباب اليهودي على السلاح .

٢ ـ قامت القيادة الصهيونية بتنمية الصناعات العسكرية المحلية والتي بدأت في انتاجها منذ عام ١٩٢٩ بصناعة البنادق وتطورت في عام ١٩٣٦ الى صنع القنابل اليدوية ثم الى صنع قنابل مدافع المورتر ٢ ـ ٣ انش وأخيرا تأسيس مصنع للذخيرة بمعهد ايلون[٣] وكان حجم هذه الصناعات في نهاية عام ١٩٣٧ اي قبل الحرب بسنتين وبعد اعلان مشروع بيل للتقسيم على النحو التالي : ١٧٥٠ قنبلة يدوية ، ١٦ قنبلة بندقية ، ٢٨٠٠ كغم متفجرات واستخدام مادة T . N . T. بدلا من الجلانجيت وبداية صنع مدفع المورتر ٣ انش ، وفي ١٩٣٨/١٠/٢١ م تم تجربة استخدام مدفع المورتر المصنع محليا بنجاح في كيبوتز سيقيام . وفي عام ١٩٣٩ تم صناعة ٥٠ مدفع مورتر مع ٥٠ الف قذيفة لها وفي ربيع ١٩٣٩كان لدى الهاجانا ٦ آلاف بندقية ومليون طلقة و٦٠٠ مدفع خفيف ورشاش و٢١ الف قنبلة يدوية و١٢ الف قنبلة بندقية ، ما عدا اسلحة شرطة المستعمرات المرخصة من السلطات البريطانية[٤] .

ولم تكتف الهاجانا بما يصنع محليا من السلاح بل سعت الى سرقته من مخازن الجيش البريطاني كما سعت الى تهريبه من خارج فلسطين وادخاله سرا ولم يكتشف الا في ١٩٣٥/١٠/١٦م . وكانت أشهر صفقة تهريب أسلحة نجحت الهاجانا في عقدها وتوصيلها الى فلسطين سالمة تلك التي حدثت في عام ١٩٣٨ بعد ان تمكن (ارازي) من

(١) Yigal Allon . p 140 . opcit .
(٢) Sacher . p 440 . opcit .
(٣) Yigal Allon . p . 164 . opcit .
(٤) Walid Khaldi . p . 402 . opcit .

عقد هذه الصفقة مع بولندا وكانت مكونة من ٢٧٥٠ بندقية و ٢٢٥ رشاشا و ١٠,٠٠٠ قنبلة و ٧٠٠ طن ذخيرة وطائرتين و ٦ زحافات مائية اضافة الى فتح معسكر لتدريب الشباب اليهودي عسكريا في بولندا[١] .

وفي عام ١٩٤٣ كان ٦٣٪ من قوة العمالة اليهودية موجهة للنشاط العسكري انتجت ألفي مصنع سلاح ظهر منها ٤٠٠ مصنع في سنة واحدة ، وتمت صناعة الغام الدبابات ، قطع غيار الرشاشات والملابس والاحذية والادوات الطبية[٢] .

وفي عام ١٩٤٥ م توقع بن جوريون الحرب مع العرب، فسافر الى الولايات المتحدة من أجل الحصول على السلاح . واذا كان بن جوريون توقع الحرب مع العرب في عام ١٩٤٥ فقط فلماذا كان الانتاج العسكري قبل هذا العام ؟

واذا كان هذا الانتاج للاستخدام ضد النازيين فما مبرر الاستمرار في انتاجه بعد هزيمة النازيين في عام ١٩٤٣ وخروجهم من منطقة الشرق الاوسط ؟ ليس صعبا ان نصل الى حقيقة الهدف العسكري الصهيوني ولكن المحير في الأمر ان العالم صدق المقولة الصهيونية التي زعمت ان العرب هم الذين ارادوا حرب الصهيونيين اما بريطانيا فقد بررت موقفها من تشكيل اللواء اليهودي بنقله الى ساحة العمليات العسكرية في أوروبا مؤكدة انه لن يؤثر على مستقبل البلاد السياسي .

بعد وصول بن جوريون الى الولايات المتحدة عقد اجتماعا بتاريخ ١٩٤٥/٧/١ م . في بيت سون بورن حضره ١٩ غنيا من أغنياء اليهود واستمر الاجتماع طيلة الليل اخبرهم فيه بن جوريون أن الدولة هي الحل الوحيد ، وربما يكون هناك حرب وقد يقع عليهم عبء ثقيل .

وعد هؤلاء الاغنياء بالمساعدة السرية وأطلق على العملية (اسم معهد سون بورن) وهي عبارة عن منظمة سرية لمساعدة الهاجانا تمكنت من شراء ١٢ سفينة وبعض الطائرات والمدافع وجميع أنواع الاسلحة وتم تخزينها[٣] . وقد تمت الصفقة بعد استدعاء حاييم بلافين الى الولايات المتحدة الامريكية وهو المسؤول عن صناعة الأسلحة السرية لفحص الاسلحة السابقة وشحنها الى أماكنها في فلسطين بسرية[٤] .

(١) Ibid . pp . 399 - 400 .
(٢) Sacher . p . 255 . opcit .
(٣) Robert John . Ben Gurion . Biography . pp . 98 - 102 opcit .
(٤) Moshe Pearlman . p . 40 . opcit .

واستكمالا لبناء المؤسسة العسكرية الصهيونية قامت القيادة الصهيونية بتشكيل جهاز المخابرات السري وأسست في خريف ١٩٤٠ مكتب Shai برئاسة شاول افيجور مهمته التجسس والتجسس المضاد وتزوير البطاقات الشخصية لافراد الهاجانا، وتوفير المعلومات عن مؤسسة CID البريطانية كما اهتمت المخابرات الصهيونية بفحص ارقام السلاح الذي تصادره بريطانيا من العرب ، اضافة الى قيامها بحماية صناعة الاسلحة والاشراف على تأمين الحماية والسرية لها كما قامت بتوفير وسائل الامان لوصول السلاح المهرب سالما . واستخدمت من أجل ذلك اناسا عاملين في الجمارك والبريد وفتحت ملفات لمخاتير (عمد) القرى العربية (الفلسطينية) والزعامات العربية ايضا(١) وأخيرا أشرفت على تأسيس موساد سنة ١٩٣٧ التي قامت بتنفيذ عمليات الهجرة غير المشروعة .

وما ان انتهت الحرب العالمية الثانية حتى كان الجهاز العسكري الصهيوني تام التأسيس : افرادا ، وتسليحا وصناعة وأمنا .

الرد على الادعاءات الصهيونية :

كثيرا ما يردد الصهيونيون ان دور العرب في الحرب العالمية الثانية كان سلبيا نحو الحلفاء بل اساء إلى مجهودهم الحربي ولعبت القوة اليهودية دورا هاما في هذه الحرب . والحقيقة حول هذا الأمر واضحة ونثبتها هنا ثانية اذ ان العرب لم يقدموا على عمل من شأنه الاساءة الى المجهود الحربي للحلفاء ، باستثناء حركة رشيد عالي الكيلاني التي قصد بها (في رأي) العمل الوطني من أجل تخليص العراق من حكام لم ير فيهم الشعب صلاحا لحكمه ومن أجل التخلص من السيطرة البريطانية على العراق . بينما نرى العكس تماما في الجانب الصهيوني فبالاضافة الى الالحاح المتكرر من أجل تشكيل قوات يهودية لم تؤد أي دور في العمليات العسكرية التي شهدتها الحرب العالمية لاحظنا ضغطا صهيونيا لغير صالح قضية الحلفاء :

١ ـ عقد في عام ١٩٤١ مؤتمر الصندوق الفلسطيني المتحد (صهيوني) بحضور الفين من اليهود الامريكيين واعلن عن مطالبته بفلسطين ككومن ويلث يهودي(٢) وهو أمر نرى فيه اشعار البريطانيين بقدرة الصهيونيين على استغلال الموقف الامريكي لصالحها والتأثير فيه .

٢ ـ في أحرج ساعات الحرب العالمية التي عاشها الحلفاء في عام ١٩٤٢ على مختلف

(١) Yigal Allon , pp . 165 - 166 , opcit .
(٢) George Kirk , p . 231 , opcit .

جبهات القتال انعقد مؤتمر بلتمور الصهيوني في الولايات المتحدة الامريكية وطالب بتأسيس كومن ويلث يهودي في فلسطين. وهما امران ندلل بهما على استغلال الصهيونيين لوضع الحلفاء الحرج وعرض مطالبهم السياسية وعلى تقدير العرب لموقف الحلفاء اذ لم يثر هؤلاء اي قضية سياسية تحرج الحلفاء اثناء الحرب ، وشهد عام ١٩٤٢ بالذات تقديرا مصريا لوضع الحلفاء الحرج على جبهة العلمين نلحظه في طلب اعضاء نادي Turf البريطاني في القاهرة من السفير البريطاني بها ابلاغ مصطفى النحاس رئيس وزراء مصر « عظيم تقديرهم لموقفه الذي اتخذه في الساعات الحاسمة من الحرب والذي اعطى مثلا أثار الالهام فيهم وفي كل بلادهم »(٢).كما نلحظه ايضا « عندما قدمت مصر ثلاثين الف جندي لحراسة الحدود وتأمين الامن الداخلي »(٣) لتخفيف العبء عن قوات الحلفاء .

عندما تأسس مركز امداد الشرق الأوسط في عام ١٩٤١ بهدف التخفيف من أعباء الادارة والمشاكل الداخلية عن القيادة العسكرية البريطانية وتوفير بعض متطلباتها لجأ المركز الى الاستفادة من الموارد المحلية في المنطقة لخدمة الاغراض العسكرية ، وقد استفاد اليهود من هذه السياسة الجديدة ، ولكن ينبغي العلم بأن فلسطين تنقصها المواد الخام اللازمة للصناعة ، وعندما نجح يهود فلسطين في زيادة حجم بعض الصناعات مثل المنسوجات والصابون والاحذية كانت المواد الخام التي استخدمت فيها اما من مصر حيث القطن او من سوريا حيث الصوف الخام والجلود . ولم تكن المنطقة بحاجة الى صناعة صقل الماس التي ازدهرت بين التجمع اليهودي في فلسطين ، الا أن نمو الاقتصاد اليهودي في فلسطين انعكس سلبيا على الشعب العربي الفلسطيني ، ذلك لأن هذه الصناعات الاستهلاكية لم يكن العربي بحاجة ماسة اليها ـ وكانت في معظمها لصالح الجنود الحلفاء ـ وواجهت مصير الكساد بعد نهاية الحرب ، وأصبح احضار المهاجرين اليهود الجدد ضرورة ملحة لاصحاب هذه الصناعات من اليهود . وهو أمر زاد من وضع العرب سوءاً في بلادهم .

عانت المنطقة في ظروف الحرب من مشاكل محددة ارتبطت بحياة الفرد العادي وكان اهمها هو النقص في استيراد المواد الغذائية وعلى الأخص الحبوب منها ، بسبب اغلاق موانىء البحر المتوسط ، وعندما بدأ مركز امداد الشرق الأوسط محاولته لحل هذه المشاكل ، وجد كل تعاون من العرب ، ولا يستطيع اي طرف صهيوني الادعاء بمساهمته في توريد الحنطة للجنود المقاتلين ، والتي بلغ مقدارها ٩٥ الف طن في عام ١٩٤٢/١٩٤٣ و ٦٠٠

(١) Ibid , p . 222 .
(٢) Sacher , p . 119 , opcit .

الف طن للمنطقة ككل في عام ١٩٤١ و ٢٧٠ الف طن في عام ١٩٤٣/٤٢[1] .

وكان تخفيف عبء الاستيراد في عام ١٩٤٣/٤٢ على حساب العرب وبرضى منهم لحل الازمة ، اذ حولت مصر مساحة واسعة من اراضيها من القطن الى زراعة الحنطة ، كما تشكلت هيئات للاشراف على جمع الحبوب في كل من سوريا ومصر وتوزيعها .

أما في فلسطين فقد كان الانتاج الزراعي اليهودي ضئيلا اذا ما قيس بالانتاج العربي الفلسطيني وحده ، ففي احصائية صهيونية ورد أن الانتاج الزراعي العربي واليهودي في فلسطين كان على النحو التالي خلال الحرب العالمية الثانية :

السلعة	الوحدة	الانتاج اليهودي	الانتاج العربي	نسبة الانتاج اليهودي الى الانتاج العربي
الخضار	طن	٤٠,٠٠٠	١٨٩,٠٠٠	٢٠٪
الفواكه	طن	١١١٥٠	٧٣,٠٠٠	١٥٪
اللحوم	طن	٢٠٠٠	٥٠,٠٠٠	٤٪
حبوب الخبز	طن	١٣,٠٠٠	٤٥٠,٠٠٠	٣٪
الزيتون	طن	١٢٠٠	٧٨,٠٠٠	١,٥٪[2]

واذا ما علمنا ان نسبة اليهود في فلسطين كانت حوالي ٣٠٪ من مجموع السكان فان الاحصائية السابقة تثبت ان التجمع اليهودي في فلسطين اعتمد على الانتاج العربي وبالذات في مجال المواد الضرورية وهي الخبز واللحوم اذ لم تتعد نسبة انتاجه ٤٪ و ٣٪ على التوالي .

وفي محاولة من الحكومات العربية وشعوبها لحل الازمات التي واجهتها جيوش الحلفاء اخليت الموانىء العربية لتفريغ المتطلبات العسكرية وأصبح مجموع استيراد المواد المدنية ١/٤ ـ ١ مليون طن في عام ٤٣/٤٢ مقابل ١/٥ ـ ٥ مليون طن في عام ١٩٣٩[3] ولم يقم اضراب عمالي او مظاهرة عرقلت من هذا العمل .

كان اعلى رقم ذكر عن اشتراك اليهود في الحرب العالمية الثانية هو ثلاثون الف جندي في

(١) George Kirk , p . 181 , opcit .
(٢) Supplement to Palestine Econmic Review , 1946 , p . 31 .
(٣) George Kirk , p . 179 , opcit .

مختلف الاسلحة ، الا أن هذه القوات لم تشارك في أية معركة ذات شأن من معارك الحرب ، ولم يزد عدد القوات اليهودية التي شاركت في العمليات بعد تشكيل الجيش اليهودي على ٤٨٠٠ من المشاة وصل منهم ٣٥٠٠ جندي الى ايطاليا في نهاية الحرب ولم يشاركوا في العمليات الحربية وهو عدد يبدو عديم الشأن اذا ما قيس بعدد الجنود المصريين وحدهم الذين قاموا بتأمين حدود مصر في احلك اللحظات ، كما أن خسارة اليهود من الافراد في الحرب كانت ٧٤,٠٪ من بين كل الف من مجموع السكان[1] ، واذا ما علمنا ان عدد اليهود في فلسطين كان خمسمائة الف فان مجموع القتلى والاسرى منهم لم يزد على ثلاثمائة وسبعين فردا ويبدو هذا الرقم ضئيلا اذا ما قيس بالاعداد الهائلة من القتلى والاسرى بين الجيوش المتحاربة فقد خسرت الولايات المتحدة الامريكية ٢٩٥ الف جندي وبريطانيا ٣٨٦ الفا والاتحاد السوفياتي ١٣,٦ مليون والمانيا ٤,٢ ملايين[2] .

كان المبرر الصهيوني المعلن عند مطالبته بتشكيل جيش يهودي هو امكانية استخدام القوات البريطانية الموجودة في فلسطين في جبهات القتال والاعتماد على اليهود المسلحين في تأمين الوضع في فلسطين وحماية اليهود من الهجمات العربية ، ولكن مجريات الامور اثبتت عكس هذا المبرر ، فقد عطلت القيادة الصهيونية اعدادا من القوات البريطانية لا تقل عن عدد المتطوعين اليهود بغية الحفاظ على الامن الذي أخلت به القيادة الصهيونية ، ولا اعتقد ان سرقات السلاح من الجيش البريطاني ، والاقدام على ممارسة الارهاب وتدمير المؤسسات العامة قصد به توفير القوات البريطانية للاشتراك في جبهات القتال ، كما ان التدمير الاخلاقي للجنود البريطانيين يزيد في خطورته وتأثيره عليهم أكثر من اشتراك الالاف من اليهود في القتال .

يضاف الى ذلك ان اليهود كانوا عاجزين عن حماية انفسهم او الدفاع عن البلاد اثناء الحرب فقد جاء في مذكرة بعث بها Murray رئيس قسم الشرق الأدنى التابع لوزارة الخارجية الامريكية الى Berl وكيل الوزارة في ١٩٤١/٥/٣ م . ما يلي :

« في هذه الظروف نقترح ما يلي : « ارسال رسالة من الرئيس (الامريكي) عن طريق مبعوثنا السياسي في القاهرة الى ابن سعود كخطوة اولى نستثير فيها نخوة ابن سعود لاستخدام نفوذه بين اخوانه في الدين في فلسطين لمنع المذبحة ضد اليهود . . . . وتذكر في الرسالة ان مهاجمة العربي لليهود العاجزين عن الدفاع سيكون مأساة للعرب »[3] .

(١) Ibid , p . 321 , foot Note , 1 .
(٢) Airie Neave , Nurmberg , p . 319 , opcit .
(٣) Foreign Relations . 1941 , N . 0/ 1778

اننا نرى في اقتراح المسؤول الامريكي امورا معينة تتنافى مع الادعاءات الصهيونية القائلة بالخطر العربي عليهم ، وضرورة تسليحهم لدرء هذا الخطر ، كما تتنافى مع الادعاء الصهيوني بقوة اليهود ودورهم الفعال في الحرب ، وذلك لأن المسؤول الامريكي رأى استثارة النخوة العربية لحماية اليهود كما وسصف اليهود بالعاجزين وهو أمر يعطي فرصة للعرب بابادتهم ، ورغم ذلك لم يقم عربي في فلسطين او خارجها باستغلال هذا العجز والاعتداء على أي يهودي لا في فلسطين ولا خارجها ، ولم يلجأ العرب الى حمل السلاح الا عندما اصبح واضحا ان الوجود اليهودي في فلسطين اصبح مرتبطا بفكرة القضاء على الفلسطينيين وطردهم من بلدهم .

واذا كان اليهود كما وصفهم المسؤول الامريكي « عاجزين عن الدفاع » فماذا سيكون دورهم ضد الغزو النازي الذي كان محتملا في ذلك الوقت .

واذا ما سلمنا جدلا مع الادعاء الصهيوني- رغم كل ما اوردناه- بان العرب لم يقدموا للمجهود الحربي شيئا وان اليهود هم الذين قاموا بمؤازرة الحلفاء من اجل النصر وان مساعدة بريطانيا في حربها ضد المحور كان عاملا ايجابيا في حياة الافراد والشعوب فاننا نصل الى استنتاج مفاده ان من شارك في المجهود الحربي لصالح بريطانيا من العرب لا بد وان ينال عطف القيادة الصهيونية بحكم ادعائها القائل بتحملها عبئا في المجهود الحربي . ولكننا نلحظ عكس ذلك حتى على المستوى الفردي فمن المعروف ان عدد الفلسطينيين العرب الذين تطوعوا في الجيش البريطاني خلال الحرب بلغ ٩,٢٠٠ جندي[١] وكانت مشاركة النساء العربيات في التطوع محدودة جدا بحكم التقاليد العربية وقد كانت آسيا الحلبي من بين النساء العربيات القليلات اللواتي خدمن في الجيش البريطاني ووصلت الى رتبة ميجر (رائد) وهي معروفة في مجتمع القدس ولها هواية بالآثار سكنت وهي واختها صوفيا في بيتها في جبل سكوبس قرب المتحف الفلسطيني بالقدس وفي عدوان ١٩٦٧ احتل الجيش الصهيوني مدينة القدس بما في ذلك بيت آسيا الحلبي وكان موشي دايان وزيرا للدفاع ولا أعتقد انه وكثير من ضباطه الصهيونيين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية يجهلون آسيا الحلبي . ورغم انها سيدة وشاركت في الحرب العالمية الثانية لصالح الحلفاء الا ان ذلك لم يحل دون استيلاء الصهيونيين على بيتها وطردها منه وتحويل البيت الى نقطة حراسة صهيونية[٢] .

---

(١) George Kirk , p . 231 Notel , opcit .

(٢) Evan M . Wilson , Jerusalem Key to peace , p . 37 , opcit .

لقد استهدف الاستعداد العسكري الصهيوني الاعداد لتأسيس الدولة اليهودية في فلسطين وهي جزء من منطقة المشرق العربي تميزت دون سواها عن مناطق العالم بمحاولة الدول الكبرى السيطرة عليها على امتداد التاريخ ، وقد بدأ الصراع بين الدول الكبرى مع بداية الحرب على هذه المنطقة ولم تكن القيادة الصهيونية بمنأى عن ملاحظة هذا الصراع وتتبع مساره ، لذا فان نشاطها العسكري رافقه نشاط دبلوماسي مع هذه القوى ولم يستثن من ذلك ألمانيا النازية كما سنوضح ذلك في الفصل التالي .

الفصل الرابع

العلاقات الصهيونية النازية

اللاسامية

يذهب بعض الكتاب الى جعل اللاسامية ظاهرة أزلية خالدة تتحكم في سلوك غير اليهود من البشر نحو اليهود . « إن الحقد على اليهود موجود منذ الأزل وهو الذي مهد الطريق أمام ظاهرة الابادة لكي تأخذ مكاناً في التاريخ كما أن اللاسامية رغبة مشتركة بين جميع الأمم[1] » . وهنا نواجه تفسيراً جديداً لمسيرة التاريخ البشري تقف بموجبه البشرية كلها في جانب تناصب اليهود فيه الحقد والعداء، وأسقط هذا التفسير جميع العوامل الاقتصادية والاجتماعية والروحية وغيرها التي لا ينكر أحد أثرها في صنع التاريخ .

ويقرن الصهيونيون الوجود اليهودي في التاريخ بالابداع الحضاري والتفوق على غيره من شعوب الأرض وهو أمر يفهم منه عن قصد أو عن غير قصد أن اللاسامية سببها الحسد البشري لليهود على تفوقهم وتلك مقولة لو استطردنا فيها لقادتنا الى أمور متعددة تدخلنا في مجالات بعيدة عن بحثنا .

إلا أننا منذ البداية نرى في اليهود بشراً يمكن ان يبدعوا كما يمكن الا يفعلوا ذلك غير متميزين عمن سواهم ، لذا فاننا في بداية هذا الفصل نرى مناقشة ظاهرة اللاسامية بقدر ما نستطيع .

يعرف محمد عادل شكري اللاسامية بقوله : « إنها المبدأ المناهض لاندماج العنصر السامي في العناصر الانسانية التي تنادي بعلو مرتبتها وذلك بغية الحفاظ على خصائصها الموروثة وحمايتها من الضعف والاندثار نتيجة لمثل هذا الاختلاط العنصري[2]». واذا ما سلمنا بصحة التعريف السابق وهو أمر ليس سهلاً إذ ان اللاسامية مصطلح لغوي وليس

---

(١) Claude Lanzman , in les temps Modernes , No. 395 , June 1979 .

(٢) محمد عادل شكري ـ النازية بين النظرية والتطبيق ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة (بدون تاريخ) .

مصطلحاً عنصرياً فان الصهيونية في دعواها بالتفوق اليهودي تذهب الى اكثر مما ذهب اليه التعريف السابق ، فعندما سئل بن جوريون عن تفسيره لمعنى « شعب الله المختار » رفض المقولة من أساسها لأنها في نظره ليست صحيحة ولا ينبغي استخدام العبارة ويجب استخدام عبارة « الشعب الذي اختار الإله » فاليهود هم الذين اختاروا الإله وليس الاله هو الذي اختارهم [١] . وهو قول قصد به بن جوريون ـ في رأينا ـ تميز اليهود عن غيرهم بسمو التفكير وتقدمهم على الآخرين والدليل عنده أنهم ادركوا وجود الله فاختاروه قبل غيرهم من الأمم .

ونرى أن اللاسامية ليست ظاهرة أزلية ولم ترتبط لا برغبة مشتركة بين الأمم ولا بتميز شعب معين ، فتلك اقوال لا تصمد كثيراً أمام النقد العلمي ولا يؤ يدها الواقع .ولم تكن اللاسامية الا محاولة لايجاد الترابط اليهودي بشكل سلبي أي عن طريق توحيد عداء الآخرين لليهود ، وجذورها اقتصادية ذلك لأن خوف اليهود على مصالحهم هو الذي انعكس عليهم بمحاولة ايجاد الرابطة الواحدة ومقاومة المزاحمة الاقتصادية من الآخرين . وخير مثالين نقدمهما لتوضيح قولنا السابق ما حدث في كل من روسيا وألمانيا ، البلدين اللذين نجح الصهاينة في ربطهما بأشد وأعنف مظاهر اللاسامية في القرنين التاسع عشر والعشرين .

وكما نعلم فان القوانين التي صدرت في أيار سنة ١٨٨٢ في عهد الكسندر الثالث قيصر روسيا حينئذ والتي جعل منها الصهاينة مستنداً لا ساميا لم ترتبط بكره الروس لليهود ، ولكنها ارتبطت حسبما ورد في الموسوعة اليهودية على لسان وزير داخلية القيصر في ذلك الوقت بالوضع الاقتصادي : « إن السبب الرئيسي لهذه الحركة المعادية لليهود هو بالفعل الوضع الاقتصادي. فخلال العشرين سنة الأخيرة اكتسب اليهود تدريجياً السيطرة على التجارة والصناعة ، وقد أحرزوا ايضا ارضا كثيرة عن طريق الشراء والاستئجار وعن طريق وحدتهم بذلوا كل جهد ممكن لاستغلال السكان وخاصة الطبقات الفقيرة جدا »[٢].

لذا فاننا نرى أن قوانين أيار لم تكن ضد اليهود لأنهم يهود ولكنها كانت ضد الاستغلال اليهودي لفئات معينة من المجتمع الروسي ولم يرتبط صدور هذه القوانين بشعور معين نحو عنصر محدد .

ونجد ظهور الشيء نفسه في ألمانيا وذلك بعد أن شهدت في منتصف القرن التاسع

(١) Moshe Pearlman , P. 231 , opcit .

(٢) الموسوعة اليهودية ، مجلد ١١ ، ص ١١٤٧ ، (ترجمة) .

عشر الميلادي نهضة صناعية رافقها نزوح اليهود اليها ، كما رافق النزوح اليهودي السيطرة على مواقع اقتصادية متميزة تركزت في مجالي التجارة والصناعة على حساب بعض الفئات الألمانية . مما جعل هذه الفئات تتململ ضد الوجود اليهودي ذلك القادم الجديد . وهو في نظرنا أمر طبيعي نلاحظ حدوثه في عصرنا الحديث ضد كل وافد الى بلد ينجح في تحقيق وضع مميز سواء أكان هذا الوضع سياسياً أم اقتصادياً أم اجتماعياً .

التفت بعض الكتاب الألمان الى مناقشة هذا التململ ضد اليهود والى تحليله وقد كان الفيلسوف الألماني مورس أول من استخدم إصطلاح « اللاسامية » في عام ١٨٧٣ تعبيراً عن ذلك التململ وشرح في الوقت نفسه نظرته الى ذلك الواقع الجديد وطالب « باحاطة اليهود بسياج قانوني يمنع تقلدهم المناصب الرئيسية في الدولة أو السياسة أو المال »[١] . ويبدو واضحاً في قول الفيلسوف مورس ان العامل الاقتصادي هو الذي لعب الدور الأول في التفكير الألماني وجعله يعمل على الحد من سيطرة اليهود القادمين وبذا كان الحفاظ على مكاسب معينة هو أساس اللاسامية لا كره العنصر اليهودي نفسه .

وفي رأينا ان القيادة الصهيونية كانت مدركة لابعاد ظهور اللاسامية ولكنها انطلاقاً من التمييز الفكري عند اليهود الذي أشار اليه بن جوريون وجدت في اثارتها ما يمكنها من إجبار اليهود على الالتفاف حول قيادة الحركة الصهيونية باعتبارها المنقذ لهذه الجماهير. ويدعم هذا الرأي لقاء قادة الصهيونية في مطلع القرن العشرين مع مشاهير اللاسامية فيأوروبا . فمن المعروف ان اللورد بلفور وزير خارجية بريطانيا صاحب التصريح المشهور في ٢/١١/١٩١٧ كان مشهوراً بلاساميته وينسب اليه القول : لن يكون مفيداً لحضارة البلاد (بريطانيا) وجود عدد كبير من الأشخاص والذين بأعمالهم ظلوا شعبا منفصلا ، والذين لا يعتقدون بدين يختلف عن دين غالبية سكاننا فحسب بل ويصرون على الزواج من بعضهم بعضا فقط[٢] . ورغم ذلك فقد كان بلفور أقرب المقربين الى قادة الصهاينة وكان الصديق الحميم لحاييم وايزمان اثناء وجوده في بريطانيا في فترة الحرب العالمية الأولى والذي يعزى الى نشاطه ظهور تصريح بلفور .

لم يكن بلفور وحده مقربا اليه ، بل أضاف وايزمان الى قائمة مؤ يديه شخصيات لا سامية وإمبريالية معروفة من أمثال سيسيل رودس ، ولويد جورج . ونجح وايزمان في استخدام المقولة اللاسامية ومدى ارتباطها بالأهداف الامبريالية من أجل كسب التأييد

(١) محمدو عادل شكري ، النازية بين النظرية والتطبيق ـ المصدر السابق ، ص ٤٧ .

(٢) Faris Yahaya , Zionist Relations with Nazi Germany , PRC , Beirut , 1978 , unpublished print , P. 11 .

البريطاني للمشروع الصهيوني في فلسطين ، إذ لم تكن مصالح انجلترا شرق قناة السويس بعيدة عن الظروف التي أدت الى تصريح بلفور الشهير .

لذا فان الادعاء الصهيوني حول اللاسامية وأبديّتها ورغبة الشعوب الخالدة فيها إدعاء لا نستطيع الاقرار به . ولكن المفارقة الصهيونية تظهر بوضوح بعد أن اصبحت اللاسامية سياسة المانيا بعد تولي الحزب النازي للحكم في المانيا سنة ١٩٣٣ . فقد اقترنت اللاسامية على حد التعبير الصهيوني في ألمانيا النازية لا بوضع القوانين التي تمنع فرص العمل لليهود فحسب ولكنها ذهبت الى اضطهادهم وقتلهم . والمقارنة هنا هل يجوز لحركة تدعي حفاظها على مصالح اليهود أينما وجدوا والعمل على خلاصهم ان تتعاون مع نظام تتهمه هي بقتل اليهود ؟

بداية التعاون الصهيوني النازي :

نقرأ في الموسوعة اليهودية ان عهد الارهاب في ألمانيا بدأ ضد اليهود في عام ١٩٣٣ (أي في العام الذي تسلم فيه الحزب النازي حكم المانيا) وذلك عندما القي القبض على أربعمائة مواطن يهودي من الأغنياء والبارزين في ١٩٣٣/٧/٣٠ م وعوملوا بقسوة في مدينة نورمبرج الألمانية . مركز الحزب النازي[١] . وهي فترة اعلنت فيها معظم قوى العالم موقفها المناهض للنازية كما أعلنت معظم المنظمات اليهودية مقاطعتها وإدانتها لهذا النظام . إلا أن القيادة الصهيونية على عكس ما هو متوقع منها أعلنت الترحيب بمجيء هتلر الى الحكم . فقد أعلن حاخام برلين الصهيوني في ١٩٣٣/١/٣٠ ان حكم هتلر هو « بداية عودة اليهود الى يهوديته »[٢] .ولم يكتف هؤلاء بالترحيب النظري بل سعوا الى ايجاد علاقات اقتصادية مع هذا النظام الجديد تخدم الحكم النازي وتحقق بعض المنافع للحركة الصهيونية على حساب اليهود الذين ذكرت الموسوعة اليهودية أن بداية اضطهادهم بدأت مع تسلم النازيين للحكم .

ففي عام ١٩٣٣ كان هناك ٥٠٣ آلاف يهودي في ألمانيا ، ٤١٪ منهم يسكنون برلين ،ولم يكن بينهم أكثر من ٢٪ اعضاء في المنظمة الصهيونية[٣] ،وكانت الفكرة الصهيونية تلقى المعارضة من يهود المانيا وكان الاتحاد الصهيوني الألماني ZVED يجد صعوبة في توصيل الأفكار الصهيونية الى اليهود ، كما كان هذا الاتحاد عاجزاً عن التحدث باسم اليهود أو

(١) الموسوعة اليهودية مجلد ١٢ ص ١٢٧٤ (مترجمة) .
(٢) مجلة المختار من مجلة دراسات فلسطينية عدد ١ ص ٢٧٣ ، ترجمة عن الانجليزية .
(٣) المصدر نفسه ، ص ٢٦٩ .

تمثيلهم ، وكان الاتحاد المركزي للمواطنين اليهود الألمان هو الذي يتولى أمر العناية باليهود ويجد منهم آذاناً صاغية عند التحدث اليهم ، كما كان الاتحاد المركزي يكافح اللاسامية بوسائل تمنع الأذى عن اليهود عن طريق اتصالاته الهادئة مع المسؤولين النازيين مما جعل الصهاينة يضيقون ذرعاً بهذا الاتحاد ويرفعون أصواتهم متهمين الاتحاد بعدائهم والوقوف في وجه مخططاتهم . ففي تقرير للصندوق التأسيسي الصهيوني (الكيري هايسود) بتاريخ يوليه ١٩٣٢ قدم الى الاتحاد الصهيوني الألماني في دورته الرابعة والعشرين جعل من اليهود عقبة رئيسية في طريقه ، ووصف سلوكهم بالعداء واللامبالاة نحو الصهيونية :

« إننا في ألمانيا يتحتم علينا ألا نتعامل لا مع لا مبالاة الدوائر اليهودية الكثيرة فقط بل مع مواقفها العدائية أيضاً »[١] .

لقد كان تقرير الكيرين هايسود اعترافا بالافلاس الصهيوني بين اليهود الألمان وهذا ما كانت تخشاه القيادة الصهيونية دائماً ، لذا فانها رأت في التعاون مع الحكم النازي ما يكفل لها السيطرة على هؤلاء ويتيح لها الفرصة لنشر الأفكار الصهيونية وجمع المال لصالح الحركة الصهيونية ولم يخطر ببال القيادة الصهيونية الاحتجاج على الاضطهاد النازي أو إظهار الرفض له ومقاومته ودوعة اليهود الى ذلك، بل تصرفت العكس تماما عندما قامت اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في المؤتمر الصهيوني الثامن عشر سنة ١٩٣٣ م بمنع مناقشة المؤتمر لقضية اضطهاد النازيين لليهود كما نجحت اللجنة نفسها في حمل المؤتمر على عدم إصدار أي قرار يدعو الى مقاطعة البضائع الألمانية[٢] التي كان يطالب به قطاع عريض من اليهود والتي بدأت تأخذ طريق التنفيذ بينهم وعلى الأخص يهود الولايات المتحدة الأميركية ، وهي مقاطعة بدا الحكم النازي يشعر بخطورتها على الاقتصاد الألماني في أوائل سني حكمه وكان من الممكن ان تؤثر في مستقبل السياسة النازية لو نفذت .

وفي مقابل هذه القرارات اخذت القيادة الصهيونية الثمن على حساب اليهود فقد سمح النازيون للاتحاد الصهيوني الألماني بممارسة نشاطه علنا وبحرية تامة كما الغى التعامل مع الاتحاد المركزي ليهود ألمانيا من قبل النازيين، والتفتوا الى التعاون مع المنظمة الصهيونية ، وهنا تنفس الصهيونيون اصعداء واطمأنوا الى عدم وجود منافس لهم في التحدث الى يهود المانيا .

وخلال الأشهر الأولى من حكم هتلر وبعد تلك المقايضة العلنية بين الصهيونيين

(١) المختار من مجلة دراسات فلسطينية ، عدد ١ ، المرجع السابق ، ص ٢٧٠ .
(٢) المصدر نفسه ص ٢٧٥ .

والنازيين ازداد توزيع المجلة الصهيونية الأسبوعية Die Judische علنا من معدل ٥٠٠٠ و ٧٠٠٠ نسخة الى ٤٠ ألف نسخة[١] .كما سمح للاتحاد الصهيوني بجمع التبرعات من اليهود الألمان ونشر الكتب الصهيونية بينهم .

وفي السنة التي بدأ فيها اضطهاد النازيين لليهود بدأ التعاون الرسمي بين المنظمة الصهيونية والقيادة النازية .ففي ١٩٣٣/٥/١ م بدأت المفاوضات الاقتصادية بين شركة هانوتايا الصهيونية لتصدير الحمضيات من فلسطين وبين وزارة الاقتصاد الألمانية وانتهت هذه المفاوضات الى توقيع ما عرف في تاريخ العلاقة الصهيونية النازية باتفاقية النقل المتبادل Transfer Agreement هاعفارا وذلك بتاريخ ١٢ أغسطس ١٩٣٣ أي بعد بداية الاضطهاد النازي لليهود الذي ذكرته الموسوعة اليهودية بأيام قلائل .

اتفاقية النقل

وجه وزير الاقتصاد الالمان شويرل رسالة بتاريخ ١٩٣٣/٨/١٠ الى هوفين مدير البنك الانجليزي الفلسطيني تحت رقم ٣٦٠٥٥/٣٣ Dev. I جاء فيها :

« على أساس المباحثات التي جرت بين خبرائي من جهة وبينكم ومعكم سام كوهين ومدير شركة هانوتايا المحدودة السيد ناخنز وممثل الاتحاد الصهيوني الألماني من جهة أخرى أعلن عن رغبتي في وضع الاتفاقية مع شركة هانوتايا بتاريخ ١٩٣٣/٥/١٩ م على أسس اكثر شمولية وذلك بغية منح اليهود الألمان (الذين ينوون الهجرة الى فلسطين) فرصة أكبر لتحويل أموالهم وفي الوقت نفسه تشجيع الصادرات الألمانية الى فلسطين »[٢] .

كما حددت رسالة وزير الاقتصاد الالماني الوسائل التي يتم بها تنفيذ الاتفاقية وذلك من خلال الاتفاق على تأسيس شركة احتكارية صهيونية في فلسطين مقرها مدينة تل أبيب ولها فرع في برلين يتولى الاشراف على تنفيذ الاتفاقية .

كما حددت رسالة الوزير مسؤولية بنك الرايخ في ألمانيا عن التحويلات المالية التي يودعها اليهود الراغبون في الهجرة ، والبنك الفلسطيني ـ الانجليزي وبنك تمبل سويسيتي في فلسطين .

(١) Faris Yahaya , P. 15 , opcit .

(٢) ترجمة بالعربية عن الرسالة الأصلية المكتوبة بالألمانية ، تم الحصول عليها عن طريق منظمة التحرير .

ونصت الاتفاقية أخيراً على أن يكون اول مبلغ يتم تحويله هو ثلاثة ملايين مارك الماني .

ومن أجل ان تأخذ رسالة الوزير شكل الاتفاقية رد السيد هوفين مؤكداً موافقته على جميع ما جاء فيها . وتعهد ببدء التنفيذ فورا . ومن أجل ذلك أسست في تل أبيب شركة صهيونية احتكارية تحمل اسم هافارا في الشهر نفسه الذي وقعت فيه الاتفاقية مهمتها تسهيل هجرة اليهود الألمان الى فلسطين عن طريق السماح بتحويل رؤ وس اموال هؤلاء على شكل بضائع المانية مصدرة الى فلسطين .

كانت اتفاقية النقل ممثلة للمصالح النازية وذلك لأنها نصت على ترويج البضائع الألمانية في فلسطين بأسعار لا تنافسها البضائع الأجنبية الأخرى كما حققت الاتفاقية منع تطبيق أي مقاطعة يهودية في العالم للبضائع الألمانية وعملت على تحسين سمعة الحكم النازي في الوسط الدولي ونفت ما نسب اليه من اضطهاد او ضغط على اليهود لا بوسائل اعلام المانية ولكن عن طريق الصهيونية نفسها . كما ساهمت الاتفاقية في تنفيذ السياسة النازية الهادفة الى تنظيف ألمانيا من اليهود على يد الصهاينة انفسهم . وكل ما حققته القيادة الصهونية من هذه الاتفاقية هو منحها الفرصة لاختيار من ترغب في ترحيلهم من اليهود وهم الفئة الرأسمالية ، ولا يستطيع أي مصدر صهيوني الادعاء بأن القيادة الصهيونية أثناء مفاوضاتها مع الحكم النازي قد أشارت من قريب أو بعيد الى ما يعانيه اليهود على يد النازية .

إن توقيع الاتفاقية السابقة حدث في أول سنوات الحكم النازي واستمرار التعاون الصهيوني مع الحكم النازي رغم استمرار هذا الحكم في إصدار القوانين ضد اليهود .

ففي ١٩٣٥/٩/١٥ صدر في ألمانيا ما سمي بقوانين نورمبرج وهي تشريعات حددت فيها مواطنية الرايخ الألماني للشخص ذي الدم الألماني الآري فقط أو المتولد من أم ذات دم الماني والذي ثبت من خلال سلوكه انه راغب وملائم لخدمة الشعب الالماني والرايخ باخلاص . كما هدفت هذه التشريعات الى حماية الدم والشرف الألمانيين من الأجناس الأخرى ، وحرمت على الألمان الزواج من اليهود ، كما حرمت استخدام اي يهودي لأي امرأة المانية يقل عمرها عن ٤٥ سنة[١] . وبهذا كانت قوانين نورمبرج في مجملها موجهة ضد اليهود .

(١) الموسوعة اليهودية المجلد ١٢ ص ١٢٧٤ (ترجمة) .

لقد صادف عام ١٩٣٥ موعد انعقاد المؤتمر الصهيوني التاسع عشر (ما بين ٢٠/٨- ١٩٣٥/٩/٤) وارتفعت بين صفوفه اصوات تنادي بالغاء اتفاقية النقل مع الحكم النازي في محاولة من بعض الأعضاء لاظهار الاحتجاج أمام النازيين ضد ما يفعلونه باليهود في ألمانيا .

إلا أن المؤتمر أمام إصرار اللجنة التنفيذية الصهيونية قرر الاستمرار في العمل بموجب الاتفاقية بأغلبية ساحقة ووضع شركة هافارا تحت إشراف اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية مباشرة . ومن الجدير بالذكر أن هذا المؤتمر الصهيوني شهد سيطرة الجناح العمالي الصهيوني (حزب الماباي) على كل من المنظمة الصهيونية والوكالة اليهودية . ان قرار المؤتمر الصهيوني الذي سيطر عليه العمال الصهيونيون يعطي انطباعاً واضحاً عن السياسة الصهيونية نحو الحكم النازي والمتمثلة في التعاون مع هذا الحكم وعدم الربط بين التعاون معه وبين سلوكه تجاه اليهود الألمان . ونلحظ للمرة الثانية توافق الاضطهاد النازي لليهود مع تعاون الحركة الصهيونية معه وكأن الصهيونية هنا تعرض نفسها كطرف مؤ يد ومتعاون مع النازيين كلما زادوا في إلحاق الأذى والاضطهاد باليهود .

لقد ساهمت اتفاقية النقل في تسهيل هجرة ٦٠ ألف يهودي رأسمالي الى فلسطين في السنوات ما بين ١٩٣٣ و ١٩٣٩ من بين أكثر من نصف مليون يهودي الماني وبلغ إجمالي المبالغ التي حولت الى فلسطين على هيئة بضائع المانية بموجب الاتفاقية حوالي ٨,١٠٠,٠٠٠ جنيه فلسطيني أي ما يقارب ٤٠,٤١٩,٠٠٠ دولار اميركي في ذلك الوقت استخدمت في تنفيذ الأهداف الصهيونية على أرض فلسطين أي بمعدل ١٣٥٠ جنيهاً فلسطينياً لكل مهاجر يهودي .

وكما أسلفنا لقد وافق عام ١٩٣٥ سيطرة حزب العمل الصهيوني (الماباي) على قيادة المنظمة الصهيونية وعلى قيادة الوكالة اليهودية وعلى قيادة التجمع اليهودي في فلسطين (اليشوف) ،ونجد أنفسنا في هذا العام أمام تناقض ظاهري في السلوك الصهيوني وذلك لأن حزب العمل (الماباي) هو صاحب شعار العمل العبري ، وصاحب شعار السيف والمحراث وصاحب شعار العمل في الأرض من أجل احيائها والارتباط بها إلا أننا نلاحظ في هذا العام قدوم طبقة جديدة من المهاجرين الألمان لا تتفق مفاهيمها ومفاهيم الحزب المسيطر في اليشوف .

وبالاضافة الى ذلك كان قدوم هذه الطبقة الجديدة على حساب الطبقة العاملة اليهودية في ألمانيا إذ زادت نسبة المهاجرين الرأسماليين بين اليهود الألمان من ٣,١٠٪ قبل الاتفاقية

الى ١٨,١٪ ونقصت نسبة المهاجرين بين العمال اليهود من ٣٥,٨٪ قبل الاتفاقية الى ١٧,٢٪ بعدها[1] .وبذا ساهم حزب العمل في انقاذ طبقة يفترض أنها قائمة خارج اهتماماته، اذ يفترض فيه كحزب عمالي التوجه من أجل العمل لتهجير العمال وانقاذهم قبل غيرهم ان كان لا بد من التمييز بين فئات الشعب الواحد .

لكنه لم يساهم في هذه المرحلة الحرجة في بناء طبقة عمالية يهودية متضامنة (كما يفترض) بل ساهم وسعى ودافع عن ظهور طبقة رأسمالية بين التجمع اليهودي في فلسطين استطاعت بعد فترة وبحكم مواردها المالية ومهاراتها أن تسيطر على معظم مقدرات هذا التجمع الاقتصادي ـ كما ساهم حزب العمل في نمو الاقتصاد الرأسمالي ، وبدل أن يكون التضامن العمالي اليهودي وسيلة للدفاع عن اليهود المضطهدين على الأقل تمزق هذا التضامن امام الرأسمالية اليهودية التي رعتها قيادة عمالية صهيونية ، واذا كانت الصهيونية تسعى الى انقاذ اليهود دون تمييز فهي بعملها هذا وضعت أساس التفرقة وجعلت مقياس الانقاذ مقدار ما يملكه المهاجر اليهودي من مال وبذا فقدت مبدأ من مبادىءتكوينها ومقوما أخلاقياً أساسياً .

لكن التناقض في السلوك الصهيوني كان ظاهرياً فقط ذلك لأن فلسفة حزب « الماباي » الصهيوني قامت على النظرية البراجماتية ولم تقم على العقيدة ، لذا فان الحزب عندما رأى في العلاقات النازية ـ أياً كان نوعها ـ ما يخدم الهدف الصهيوني لم يتورع عن السير بهذه العلاقات الى الأمام . ولم يكن خلق طبقة عمالية مسيطرة هدفا من أهداف الحزب إذ ان هدفه كان هدف الصهيونية نفسها، ولقد وضع مؤتمر بال سنة ١٨٩٧ هذا الهدف ولخصه في تأسيس الأمة العبرية السياسية لذا فإن جميع المقولات الصهيونية التي ظهرت بعد مؤتمر بال سواء أكانت مقولات اجتماعية ، أم روحية ، أم سياسية ، أم اقتصادية وما رافق هذا المقولات من جدل صهيوني داخلي صبت جميعها في مسيرة ولادة الأمة اليهودية السياسية التي دعا اليها مؤتمر بال .

ولم يستمر العمل باتفاقية النقل بين النازيين والصهيونيين على وتيرة واحدة فقد بدأ الخلاف بين المنظمة الصهيونية والحكم النازي حول هذه الاتفاقية في أوائل عام ١٩٣٧ ، وكان منشأ الخلاف بروز العامل العربي في منطقة الشرق الأوسط إبان الثورة الفلسطينية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . وتلخص الخلاف في انقسام الرأي بين الأوساط النازية لا الأوساط الصهيونية حول الفائدة من الاستمرار في تنفيذ الاتفاقية للحكم النازي في المنطقة وكذلك

(١) المختار من مجلة دراسات فلسطينية عدد ١ ، ص ٢٨٢ ، المرجع السابق .

حول مدى ملاءمة تنفيذ الاتفاقية للمصالح الاقتصادية الألمانية المتمثلة في تحويل الأموال خارج المانيا ومدى تطابق تنفيذ الاتفاقية مع العقيدة النازية نفسها .

ومنذ بداية الحكم النازي احتل الشرق الأوسط مساحة هامة في استراتيجية هتلر وكان كل ما تريده المانيا النازية من منطقة الشرق الأوسط هو ايجاد علاقات اقتصادية وتجارية معها يضاف الى ذلك محاولة المانيا الحفاظ على المستوطنين الألمان غير اليهود في فلسطين ومستعمراتهم الزراعية التي كانت موجودة أصلا قبل الحكم النازي لألمانيا .

لذا فان ألمانيا حرصت في البداية على الابتعاد عما يسيء الى بريطانيا في المنطقة ، ولعل الامتناع الألماني عن امداد الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ بالسلاح خير دليل على ذلك[1] . كما أن تقرير Reichert مندوب وكالة الأنباء الألمانية D. N. B في فلسطين ـ والذي كان عميلا للجستابو النازي ـ عن بعض الاشاعات التي تفيد بتقديم القنصل الألماني في القدس (السيد دوهل) أسلحة الى العرب وتحذير Reichert في تقريره من تأثير هذا العمل على العلاقات بين ألمانيا ويهود فلسطين خير دليل على حرص النازيين على علاقاتهم مع الصهيونية واستخدامها كوسائل ضد المقاطعة الاقتصادية اليهودية لألمانيا[2] .

لكننا نرى في هذه الفترة ظهور اتجاهات نازية مخالفة لما سبق ذكره حاولت التقرب الى الجانب العربي الفلسطيني ، اذ أفاد الوزير الألماني المفوض في بغداد حينئذ (السيد جروبا) في لقاء تم بينه وبين دافيد ياسرائيل (صاحب رسالة الدكتوراه : الرايخ الثالث وفلسطين التي أعدها في عام ١٩٦٤) ان الجنرال كناري Canaris رئيس المخابرات العسكرية للرايخ منح المساعدات لمفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني [3] . ومع بداية عام ١٩٣٨ بدأت اجهزة الحزب النازية تطالب بتعديل اتفاقية النقل مع الصهيونية ، كما بدأت بعض الأجهزة الأخرى تطالب بإلغائها . ويستفاد من مذكرة نائب مدير دائرة السياسية الاقتصادية بالمانيا تاريخ ١٩٣٨/١/٢٧ ما يلي :

١ ـ ستجري مناقشة امر تعديل اتفاقية هافارا (النقل) أو الغائها بعد ١٩٣٨/٢/١ وذلك بعد أن لوحظ انها تخلق ظروفاً لم يعد ممكنا السماح بها فيما يتعلق بمعاملة الألمان وكذلك العرب في فلسطين .

٢ ـ ان المؤسسات النازية المهتمة بالأمر قد اتفق رأيها على الغاء هذه الاتفاقية .

---

(١) Middle Eastern Studies , vol . 7 , No. 3 , October 1971 , P. 343 .

(٢) Middle Eastern Studies , P. 343 , opcit .

(٣) Ibid , 344 .

٣ ـ ان المؤسسات الاقتصادية في ألمانيا وبالذات مكتب التجارة الخارجية يفكر في تعديل الاتفاقية وليس في الغائها .

٤ ـ ان الشروط الاقتصادية لتهجير اليهود تبدو ملائمة لألمانيا .

٥ ـ أن الهجرة اليهودية من ألمانيا لا تقترن في ذهن المسؤولين النازيين بتشكيل دولة يهودية وان وزارة الخارجية الألمانية مع إلغاء الاتفاقية رغم قرار هتلر باستمرارها[1] .

كما يستفاد من مذكرة قسم الشؤون الداخلية في وزارة الخارجية محاولات هذا القسم الغاء اتفاقية هافارا مع الصهيونيين لأسباب لخصتها المذكرة على النحو التالي :

١ ـ تقدم الاتفاقية الامكانية الوحيدة لليهودي الألماني بنقل أمواله الى الخارج .

٢ ـ تعزز الاتفاقية فرص تأسيس دولة يهودية في الخارج وهذا ليس في صالح المانيا لأن هذه الدولة لن تستوعب يهود العالم .

٣ ـ ان مصلحة المانيا في الهجرة اليهودية الجماعية وليس في هجرة الأغنياء من اليهود فقط .

إلا أن الاتفاقية لم يتم إلغاؤها بسبب قرار هتلر مرة أخرى بضرورة الاستمرار في تنفيذها وبقيت سارية المفعول حتى نهاية عام ١٩٣٩ . لقد كانت اتفاقية هافارا نموذجا للسلوك الصهيوني نحو اليهود والذي يتلخص في اختيار من تراه المنظمة الصهيونية صالحاً لتنفيذ مشروعها في فلسطين بغض النظر عما يلحقه هذا الاختيار من ضرر بجماهير اليهود .

الاتصالات بين أجهزة الجستابو وبين المسؤولين الصهاينة :

أحس المسؤولون الصهاينة بالخطر على اتفاقية هافارا في عام ١٩٣٨ لذا لجأوا الى أسلوب جديد يعزز مواقعهم في ألمانيا على حساب جماهير اليهود المضطهدة هناك ويلخص هذا الأسلوب الجديد في إيجاد التعاون بين المسؤولين الصهاينة وجهاز الجستابو النازي وذلك عندما قابل بار جيلعاد مندوب منظمة الموساد الصهيونية والمسؤولة عن الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين الضابط النازي إيخمان عام ١٩٣٨ في مدينة فينا حيث كان إيخمان يعمل مسؤولاً عن مكتب تهجير اليهود وطلب جيلعاد من ايخمان اقامة معسكرات لتدريب

---

(١) Zu - 83 Ag - 13 - 10 (109) , 375533 / 1541
وثيقة المانية تم الحصول عليها عن طريق منظمة التحرير الفلسطينية .

الشباب اليهودي في فينا قبل ترحيلهم الى فلسطين، ووافقه ايخمان على طلبه[1] ، رغم أن ايخمان كان مسؤ ولا عن تهجير اليهود في النمسا بالقوة ونجح في طرد ١٥٠ الف يهودي منها في عام ١٩٣٨ حسبما تروي حنا أرندت[2] .

كما يلقى ممثل الموساد في برلين المدعو جينسبورج نفس ما لقيه بارجيلعاد في فينا من نجاح .

مرة أخرى يتوافق التعاون الصهيوني والأجهزة النازية مع ظهور موجة جديدة من الاضطهاد النازي ضد يهود ألمانيا . ففي عام ١٩٣٨ م شهدت المانيا ما سمي في التاريخ بليلة الزجاج المكسور Crystal Nacht اذ حدث في ١١/١١/١٩٣٨ م ان هوجمت المحلات التجارية اليهودية في ألمانيا وجرى تحطيم واجهاتها الزجاجية والحاق الضرر بالمحلات وأصحابها .

والملاحظ هنا ان صاحب استخدام اصطلاح ليلة الزجاج هو « السيد فانك » مدير بنك الرايخ الذي يتولى بنكه مسؤ ولية تحويل الأموال من ألمانيا لحساب الوكالة اليهودية في فلسطين[3] . لقد كان التوافق هنا فاضحاً ولقي الاضطهاد اليهودي على يد النازيين الموافقة ان لم يكن المباركة والرضى . ففي رسالة بن جوريون بتاريخ ١٧/١٢/١٩٣٨ م الى اللجنة التنفيذية الصهيونية ما يعبر عن هذا الرضى الصهيوني اذ جاء في تلك الرسالة ما يلي : « اذا ما خُيِّرت الصهيونية بين الشعب اليهودي والدولة اليهودية فانها ستختار الدولة اليهودية ، واذا ما سمحنا بالفصل بين قضية اللاجئين اليهود وقضية فلسطين فاننا نغامر بوجود الصهيونية »[4] . وواضح ان اللاجئين الذين يقصدهم بن جوريون هم الذين يصلحون لتنفيذ الهدف الصهيوني والا لما ميز بن جوريون اصلا في اختيار اليهود الذين يرغب في تهجيرهم حسب اتفاقية هافارا . إن اللامبالاة الصهيونية في هذا العام ١٩٣٨ بمصير اليهود والذين كانت ترغب المانيا في اخراجهم منها جماعيا يظهر واضحا لا من رسالة بن جوريون السابقة فحسب ولكن من عدم اهتمام المنظمة الصهيونية بمؤتمر ايفيان سنة ١٩٣٨ ـ والذي عقد من أجل بحث مشكلة اللاجئين ووضع مشاريع الحلول لها لأنه لم يضع فلسطين في بؤرة اهتمامه . ومن هنا ايضا كان رفض الصهيونيين لمشروع توطين

---

(١) John and David Kimche , P. 18 , opcit .

(٢) Hanna Erindt , Eichman in Jerusalem , Penguin Books , 1979 , P. 44 .

(٣) Airie Neuve , Nurmberf , P. 117 , opcit .

(٤) Faris Yahaya , P. 80 , opcit

اللاجئين في منطقة كمبرلي بغرب استراليا والذي تبنته عصبة الأرض الحرة ذلك المشروع الذي لو نفذ لأنقذ مئات الألوف على الأقل من بين يهود ألمانيا[1] .

لقد شهد عام ١٩٣٨ تناقضاً في سلوك مؤسسات الحكم النازي والأجهزة الحزبية النازية حول النظرة الى الصهيونية واهدافها في فلسطين . ولم يشهد هذا العام خلافا بين الأجهزة النازية وبين المنظمة الصهيونية فالجانب الحزبي النازي كان يرى من خلال عقيدة الحزب ان الجنس الآري فقط هو المؤهل للدولة المستقلة أما الجنس اليهودي الوضيع فهو غير قادر على بلوغ الدولة . وعلى حد تعبير هتلر نفسه : « تستدعي الدولة مثالية من جانب العنصر الذي يشكل الدولة ومنهجا صحيحا لروح العمل . وما دام اليهود تنقصهم هذه المثالية وهذا الفهم فان أي محاولة من جانبهم لتأسيس الدولة محكوم عليه بالفشل »[2] . استنادا الى هذا القول فان العقيدة النازية لا تسلم بقيام دولة يهودية ولكنها في الوقت نفسه تسمح باعطاء الصهيونيين نوعا من المهاجرين اليهود يساهم في بناء هذه الدولة .

وفي الوقت الذي تقوم فيه النازية بعقد الاتفاقيات الاقتصادية مع الصهيونيين ، وتتعاون أجهزة مخابراتها معهم تقوم النازية ايضا بمد الجسور مع الجانب العربي الفلسطيني من خلال منح المساعدات المحدودة الى مفتي فلسطين سنة ١٩٣٦ اذا صحت رواية الوزير المفوض الألماني في بغداد حولها .

وحتى نهاية عام ١٩٣٨ كان في المانيا النازية عدة اتجاهات نحو اليهود :

١ ـ اتجاه كان ينادي بسحق اليهود منذ بداية الحركة النازية وهو اتجاه لم يجد فرصته إلا بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية . وقد مثل الاتجاه يوليوس سترايخر .

٢ ـ اتجاه اعتبر اليهود قوة عالمية سيطرت على الكنيسة المسيحية واعتقد ان اليهودية العالمية هي العقبة الوحيدة أمام العصر النازي الجديد لذا لا بد من التخلص منها عن طريق إنشاء معتقلات لليهود خارج المانيا ولكن ليس في فلسطين وكان روزنبرج فيلسوف النازية أحد مؤيدي هذا الاتجاه .

٣ ـ اتجاه رأى طرد اليهود من ألمانيا الى أي جهة في العالم بما فيها فلسطين وقد أيد هذا الاتجاه جهاز الجستابو النازي .

---

(١) Ibid , P. 80 .

(٢) Middle Eastern Studies , P. 344 , opcit .

ولكن جميع هذه الاتجاهات لم تكن قادرة على اتخاذ القرار الأخير،اذ ان هذا القرار كان بيد هتلر وقد كان قرارهتلر الاستمرار في نقل المهاجرين اليهود الألمان الى فلسطين بموجب اتفاقية هافارا .

يلاحظ مما سبق ان اكثر الاجهزة النازية معارضة للتعاون مع الصهيونية هي المؤسسات الحزبية انطلاقا من العقيدة النازية أما المؤسسات التي كانت تقف على الحياد في العلاقات النازية الصهيونية فهي المؤسسات الحكومية والتي تخضع تصرفاتها لاعتبارات دبلوماسية دولية .

لقد اوقف العمل باتفاقية هافارا سنة ١٩٣٩ ولكن التعاون النازي الصهيوني بقي مستمرا ولكن على هيئة تعاون بين الطرفين من أجل تسهيل الهجرة اليهودية غير الشرعية الى فلسطين.وفي هذه المدة كان التصرف النازي بدعمه للهجرة اليهودية منطلقا من محاولة النازيين ازعاج البريطانيين في الشرق الاوسط ومحاولة تشويه صورتهم أمام العرب . ويستمر التعاون النازي الصهيوني في مجال الهجرة غير الشرعية حتى عام ١٩٤١ عندما أوقفت الهجرة اليهودية بأمر من هملر رئيس جهاز الـ S. S النازي[1] ولم تنقطع العلاقة من جانب الصهيونيين رغم كل المعلومات المتوافرة لدى الأجهزة الصهيونية عن سياسة هتلر اللاسامية وعن تصرفات الحكم النازي ضد اليهود، اذ شهد هذا العام ١٩٤١ بداية نقل اليهود الى معسكرات التجميع في خطوة تستهدف ابادتهم . ويتضح من ذلك ارتباط سياسة النازيين بالهجرة غير المشروعة فقد لاحظنا من الاحصاءات السابقة كيف توقفت الهجرة غير المشروعة بعد إصدار أمر هملر .

ان عام ١٩٤١ الذي شهد بداية التحول في سياسة النازيين نحو اليهود بايقاف هجرة هؤلاء من ألمانيا أو البلاد التي سيطرت عليها ووضعهم في معسكرات خاصة بهم يتعرضون فيها لكل صنوف العذاب والقسوة والاحتمال يشهد في الوقت نفسه رغبة من بعض الفئات الصهيونية في ايجاد تحالف مع الحكم النازي وهنا نحن أمام مذكرة الملحق البحري الألماني بالسفارة الالمانية في تركيا بتاريخ ١٩٤١/١/١١ م . والفئة الصهيونية التي نقصدها هنا هي منظمة الأرغون اذ رأت هذه المنظمة حسب رواية الملحق البحري الألماني إقامة نظام جديد في أوروبا وفقا لمصالح النازية والأرغون المنظمة الممثلة للأماني الحقيقية للشعب اليهودي كما يمكن أن يحصل تعاون بين المانيا الجديدة والأمة العبرية الجديدة . كما أن اقامة الدولة اليهودية التاريخية على أساس وطني ديكتاتوري وارتباطها بمعاهدة مع الرايخ الألماني

(١)مجلة المختار من مجلة دراسات فلسطينية عدد ١ ، ص ٢٨٦ ، المرجع السابق ، ترجمة عن الانجليزية .

سيكونان في مصلحة المحافظة على مركز قوة المانيا في الشرق الأدنى وتقدميته في المستقبل[1] .

وعندما بدأت الاتصالات الصهيونية النازية تنكشف في السنوات الأخيرة ـ رغم تكتم المنظمة الصهيونية الشديد على وثائق هذه العلاقة ـ من خلال بعض المحاكمات لبعض الأشخاص لوحظ أن العلاقات النازية مع القيادات الصهيونية استمرت حتى عام ١٩٤٤ وهو العام الذي عقد فيه كستنر الصهيوني مع ايخمان النازي صفقة لم يشهد التاريخ لها مثيلا . اذ ارتضى كستنر الصهيوني تسهيل مهمة قتل بني جلدته من اليهود مقابل انقاذ عدد محدد من أقربائه ومن بعض الصهيونيين . وسنشرح ذلك فيما بعد .

من خلال ما سبق يمكننا ان نخلص الى الحقائق التالية :

١ ـ لم تنقطع العلاقات بين القيادات الصهيونية والحكم النازي منذ أن تولى النازيون الحكم وحتى قبل سقوطهم بأشهر قلائل .

٢ ـ ارتبطت هذه العلاقات بمفهوم صهيوني معين تلخص في مساعدة النازيين تهجير اليهود الرأسماليين الى فلسطين أما غيرهم من اليهود فلا شأن للصهيونيين بهم مما أفقد الصهيونية الجوهر الأخلاقي وجردها من ادعائها بحمايتها لليهود أينما وجدوا .

٣ ـ لم تؤثر ممارسات الحكم النازي ضد اليهود ولا القوانين التي أصدرها ضدهم في الموقف الصهيوني تجاه الحكم النازي بل لاحظنا العكس تماما . إذ ان القفزات الصهيونية من أجل التعاون مع النازيين تزامنت مع السنوات التي كان النازيون يبدلون من سياستهم نحو اليهود الى الأسوأ .

٤ ـ تطورت العلاقة الصهيونية مع النازيين من علاقة تستهدف جلب المهاجرين اليهود الى اتفاقية اقتصادية ثم الى تعاون مع جهاز الجستابو النازي ، ومن ثم الى محاولة عرض تحالف مع النظام النازي في أحلك لحظات التاريخ التي مر بها اليهود على يد النازيين .

٥ ـ نمت طبقة رأسمالية بين التجمع اليهودي في فلسطين (اليشوف) في ظل العلاقات الصهيونية النازية وفي ظل سيطرة حزب عمال اسرائيل (الماباي) على قيادات المؤسسات الصهيونية .

٦ ـ كان هناك توافق عقائدي بين النازيين والصهيونيين : إذ ان الصهيونية تؤمن بأن

(١) مجلة المختار في مجلة دراسات فلسطينية ص ٢٩٧ ، عدد ١ ، المرجع السابق .

اليهودي يجب الا يكون جزءاً من مجتمع الأغيار والنازية تؤمن بتفوق العنصر الآري على غيره من شعوب الأرض ومن هنا فان اللاسامية صفة مشتركة بين النازيين والصهيونيين على حد سواء .

٧ ـ سيطر الهدف السياسي على القيادة الصهيونية في أحلك اللحظات التي تعرض فيها اليهود للموت ولم يسمح الصهاينة لأنفسهم بتأجيل هدفهم السياسي من أجل محاولة انقاذ اليهود بل العكس تماماً رأوا في إبادة اليهود في ألمانيا فرصة لتحقيق هدفهم السياسي وهذا يجعلنا نتحدث عن ابادة اليهود على يد النازيين .

استخدم الصهاينة أساليب الدعاية استخداماً بارعاً من أجل تغطية علاقاتهم مع الحكم النازي ومن أجل استغلال ما حل باليهود لصالحهم عندما نجحت الصهيونية في كسب عطف شعوب العالم بعد الحرب على أهدافها وعندما نجحت من خلال الدعاية في تحويل نقمة اليهود أنفسهم الى الحكومات الديمقراطية التي اتهمها الصهاينة بالتخاذل في إيواء اللاجئين اليهود الذين طردهم الألمان وبقيت القيادة الصهيونية في منأى من عقوبة اليهود لها ولا تزال .

٨ ـ في غمرة العمل الصهيوني من أجل تحقيق الهدف السياسي تخلى هؤلاء عن مساندة أي مشروع يستهدف انقاذ اليهود في أوروبا مما حل بهم اذا لم يكن هذا الانقاذ موجها نحو فلسطين . رغم علمهم أنه من المستحيل ان تتسع فلسطين لتسعة ملايين يهودي كانوا يعيشون في أوروبا تحت وطأة الحكم النازي مما يجعل اتهام هذه القيادات بالتواطؤ على قتل اليهود سهلا .

كثر الحديث عن ابادة اليهود على يد النازيين خلال الحرب العالمية الثانية ولا نزال حتى اليوم نقرأ بين الحين والحين كتبا تؤلف حول هذا الأمر ونشاهد أفلاماً ومسلسلات تعرض الحادث كما تخيلته ، وحتى الان لا نستطيع ـ حسب علمنا ـ تحديد مصدر نازي تحدث عن هذه الفعلة ونكاد نجد صعوبة حتى في تحديد المصادر المحايدة التي تتحدث عن هذا الموضوع ، لذا فان الكتابة عنه هنا مرتبط بالنشاط الصهيوني خلال الحرب العالمية الثانية ومدى مسؤولية هذا النشاط عما حدث ودوره في الانقاذ اليهودي أو امداد اليهود بأسباب المقاومة انطلاقاً من المسؤولية التي تدعيها الصهيونية نحو كل يهود العالم . ورغم نشر بعض الروايات التي تنفى حدوث ما حصل لليهود على يد النازيين الا أن العالم لا يزال واقعاً تحت تأثير ما نشر عن الحدث ولا نستطيع نفيه من خلال ما توافر لدينا من مصادر ولكننا مقتنعون في التشكيك بمجمل ما قيل وكتب . وان ما قيل وكتب عن هذا الحدث لا يخلو من غرض سياسي يقصد به تسهيل مهمة الصهيونية من خلال الضغط على الحكومات والشعوب وانتزاع موافقتها وعطفها على هذا الهدف كما ذكرنا سابقا ، وتبرير ما حل بالشعب الفلسطيني على يد السياسة الصهيونية أمام العالم .

ان العالم واقع حتى الان تحت التأثير النفسي العنيف لما فعلته النازية بحوالي ٦ ملايين يهودي في أوروبا اذا ما سلمنا جدلا أنهم ليسوا أصلا من أخلاط مختلف الشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها وأنهم من عرق يهودي صاف . وسواء كان هذا الرقم صحيحاً أو غير ذلك فاننا نرى أن العدد مهما بلغت ضآلته لا يبرر اقدام أي جهة على قتل أي انسان بسبب دينه أو هويته . اذ اننا نؤمن أن قتل الانسان أياًكان، أمر مرفوض يعاقب صاحبه بالموت .

﴿ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ﴾ (صدق الله العظيم)[1] .

وانطلاقاً مما سبق فاننا ضد ممارسة أي نوع من القتل ارتكبه النازيون وضد قتل أي انسان بسبب دينه أو جنسه .

اختلفت المصادر في تسمية ما حدث لليهود في المانيا على يد النازية خلال الحرب العالمية الثانية . فلقد استخدمت محكمة « نورمبرج الدولية » التي شكلت لمحاكمة مجرمي الحرب لأول مرة في تاريخ البشرية بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية اصطلاح Genocide ـ ويعني ابادة الجنس ـ أثناء محاكماتها لكبار النازيين العشرين الذين قدموا للمحاكمة . ومن

(١) سورة الاسراء الآية رقم ٣٣ .

الجدير بالذكر ان محكمة نورمبرج لم تحاكم غير النازيين رغم أن وثائق الحرب لو دققت لكان هناك غير النازيين يجب تقديمهم كمجرمي حرب لهذه المحكمة . ومن هنا جاءت محاكمات نورمبرج معززة للمقولة التاريخية « سيظل المنتصــر دائمـاً هو القاضي Judge والمهزوم هو المتهم»، كما لفظ بها جورنج النازي عند مثوله أمام المحكمة المذكورة .

ولكن أكثر اصطلاح شاع عن تسمية ما حل باليهود على يد النازية هو كلمة Holocaust وهي اصطلاح استخدمه الاميركيون حديثاً بعد محاكمات نورمبرج ، الا أنه يوناني الاصل ويعنى بالانجليزية What is brought up ، ودخل اللغة الانجليزية بمعنى Burnt offering ومن هنا تجيء ترجمته الى العربية أقرب ما تكون « بالقربان » اكثر منها « المحرقة » . ، اما في اللغة العبرية فقد استخدم لفظ Olah لتؤدي نفس المفهوم ، واطلق على ذكرى هذا الحادث في فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٤٨ لفظ يادفاشيم Yad v'shem وهو اصطلاح ديني مأخوذ من سفر اشعيا ٥٦ : ٥ ويعني ان الله سيمنح الاتقياء الذين لا أولاد لهم اسما خالدا أبدياً .

انطلاقاً مما سبق فاننا نميل الى استخدام لفظ « الابادة » للتعبير عن الحادث مستخدمين اللفظ الذي استخدم في محاكمات نورمبرج باعتبارها هيئة قضائية، ، ولم نستخدم اللفظ الالماني الذي استخدمته بعض المصادر وهو الحل النهائي Die Endlo Sung وتعني بالانجليزية The Final Solution لا لشيء الا لان مثل هذا اللفظ ـ حتى اليوم ـ لم يوجد مكتوبا في أي من الوثائق الالمانية التي تم الاستيلاء عليها بعد هزيمة المانيا سنة ١٩٤٥ . ومما يعزز رأينا في عدم استخدام اللفظ ان جميع القادة النازين العشرين الذين قدموا لمحاكمات نورمبرج انكروا استخدام هذا اللفظ او على الأصح أنكروا وجوده مكتوباً .

بداية عمليات الابادة ضد اليهود على يد النازين :

حسبما ورد في محاكمات نورمبرج روى شهود المحكمة ان كيتل احد القادة النازين وقع في ١٣ مارس ١٩٤١ الامر الاداري لقوات الـ S. S. بتشكيل القوات المتحركة لقتل اليهود في روسيا . وفي ٣١ يوليه ١٩٤١ أصدر غورنج أمراً الى هملر مسؤول الأمن في الرايخ ببدء عملية القتل وكلف هايدرخ بهذه المهمة في أوروبا[1] .

عقد مؤتمر فانسي الالماني Wansee Conf. في ٢٠ يناير ١٩٤٢ وقام بمناقشة العلاج

(١) Airey Neave, Nurmberg, p. 325, opcit.

المناسب للمسألة اليهودية . . . وبدىء في تنفيذ برنامج الاعدام منذ صيف ١٩٤٢[1] .

نخلص هنا الى أن محاكمات نورمبرج لم تستطع تحديد يوم محدد لبدء عمليات « الابادة » اليهودية على يد النازين وخلصت إلى أنه حدث في صيف سنة ١٩٤٢ . وهي فترة تمتد ثلاثة شهور على الاقل . وتجعل الفترة ما بين مؤتمر فانسي ـ الذي يشار اليه دائماً بأنه المكان الذي اتخذ فيه النازيون « قرار الابادة » ـ وبين قرار غورنج ـ المسؤول عن الامور اليهودية في الرايخ بتشكيل قوات لتنفيذ قرارات مؤتمر فانسي وبين التنفيذ ـ ما يزيد على السنة بشهور .

الا أن هناك رواية تتعارض مع ما جاء في محاكمات نورمبرج حول بداية تنفيذ الابادة اذ تروي الكاتبة Lucy, S. Dawidwicz في كتابها الحرب ضد اليهود أنه تم اعدام ٣٠ ألفا من بين ٦٠ ألفا قبل ٦/ ٩/ ١٩٤١ في مدينة فيلنا البولندية كما أن عملية الغزو لحاملي البطاقات الصفراء (العمال اليهود الذين كان يستخدمهم الالمان للسخرة) بدأت في ٢٤/ ١٠/ ١٩٤١ .

كما تروي الكاتبة أيضاً أن الهاربين من معسكر شيلمنو Chelmno في نهاية ٤١ وبداية ٤٢ أفادوا باستخدام الغاز في قتل اليهود في الغيتو[2] وتضيف بأن التصفيات الجسدية لليهود بدأت في غيتو وارسو بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٩٤٢[3] .

كما تذهب الى أكثر من ذلك عندما تحدد بداية التصفية اليهودية في النصف الثاني لعام ١٩٤١ واستمرارها حتى نهاية الحرب[4] .

ان ما روته الكاتبة هنا يجعل بداية « الابادة » في النصف الثاني من عام ١٩٤١ م وهو موعد متقدم عما ذكر في محاكمات نورمبرج بعام كامل كما تجعل استخدام الغاز لقتل اليهود قبل نهاية ١٩٤١ أمراً مشكوكاً فيه وذلك لان استخدام الغاز كان آخر مرحلة من مراحل تنفيذ الموت يضاف الى ذلك ان النازين استخدموا الغاز في القتل أول ما استخدموه ضد بني جنسهم من أمثال نزلاء المصحات النفسية[5] اذا ثبت ان الغاز استخدم في القتل .

اننا لا نميل الى الأخذ برواية الكاتبة في تحديدها لبدء عمليات الابادة وذلك لان يوميات بعض المحتجزين في معسكرات الاعتقال لا تفيد بتنفيذ الابادة في هذا الموعد ،

(١) Ibid Neave, Nurmberg, p. 67, opcit.

(٢) (٣) (٤) Lucy S. Dawid wicz, The war against the Jews, weiden field and Nicolson, London, 1975.

(٥) En Counter, December 1978, p. 7.

الجدير بالذكر ان محكمة نورمبرج لم تحاكم غير النازيين رغم أن وثائق الحرب لو دققت لكان هناك غير النازيين يجب تقديمهم كمجرمي حرب لهذه المحكمة . ومن هنا جاءت محاكمات نورمبرج معززة للمقولة التاريخية « سيظل المنتصـــر دائمـاً هو القاضي Judge والمهزوم هو المتهم»، كما لفظ بها جورنج النازي عند مثوله أمام المحكمة المذكورة .

ولكن أكثر اصطلاح شاع عن تسمية ما حل باليهود على يد النازية هو كلمة Holocaust وهي اصطلاح استخدمه الاميركيون حديثاً بعد محاكمات نورمبرج ، الا أنه يوناني الاصل ويعني بالانجليزية What is brought up ، ودخل اللغة الانجليزية بمعنى Burnt offering ومن هنا تجيء ترجمته الى العربية أقرب ما تكون « بالقربان » اكثر منها « المحرقة » . ، اما في اللغة العبرية فقد استخدم لفظ Olah لتؤدي نفس المفهوم ، واطلق على ذكرى هذا الحادث في فلسطين المحتلة بعد عام ١٩٤٨ لفظ يادفاشيم Yad v'shem وهو اصطلاح ديني مأخوذ من سفر اشعيا ٥٦ : ٥ ويعني ان الله سيمنح الاتقياء الذين لا أولاد لهم اسما خالدا أبدياً .

أنطلاقاً مما سبق فاننا نميل الى استخدام لفظ « الابادة » للتعبير عن الحادث مستخدمين اللفظ الذي استخدم في محاكمات نورمبرج باعتبارها هيئة قضائية، ولم نستخدم اللفظ الالماني الذي استخدمته بعض المصادر وهو الحل النهائي Die Endlo Sung وتعني بالانجليزية The Final Solution لا لشيء الا لان مثل هذا اللفظ ـ حتى اليوم ـ لم يوجد مكتوبا في أي من الوثائق الالمانية التي تم الاستيلاء عليها بعد هزيمة المانيا سنة ١٩٤٥ . ومما يعزز رأينا في عدم استخدام اللفظ ان جميع القادة النازين العشرين الذين قدموا لمحاكمات نورمبرج انكروا استخدام هذا اللفظ او على الأصح أنكروا وجوده مكتوباً .

بداية عمليات الابادة ضد اليهود على يد النازين :

حسبما ورد في محاكمات نورمبرج روى شهود المحكمة ان كيتل احد القادة النازين وقع في ١٣ مارس ١٩٤١ الامر الاداري لقوات الـ S. S. بتشكيل القوات المتحركة لقتل اليهود في روسيا . وفي ٣١ يوليه ١٩٤١ أصدر غورنج أمراً الى هملر مسؤول الأمن في الرايخ ببدء عملية القتل وكلف هايدرخ بهذه المهمة في أوروبا[١] .

عقد مؤتمر فانسي الالماني Wansee Conf. في ٢٠ يناير ١٩٤٢ وقام بمناقشة العلاج

(١) Airey Neave, Nurmberg, p. 325, opcit.

المناسب للمسألة اليهودية . . . وبدىء في تنفيذ برنامج الاعدام منذ صيف ١٩٤٢[١] .

نخلص هنا الى أن محاكمات نورمبرج لم تستطع تحديد يوم محدد لبدء عمليات « الابادة » اليهودية على يد النازيين وخلصت إلى أنه حدث في صيف سنة ١٩٤٢ . وهي فترة تمتد ثلاثة شهور على الاقل . وتجعل الفترة ما بين مؤتمر فانسي ـ الذي يشار اليه دائماً بأنه المكان الذي اتخذ فيه النازيون « قرار الابادة » ـ وبين قرار غورنج ـ المسؤول عن الامور اليهودية في الرايخ بتشكيل قوات لتنفيذ قرارات مؤتمر فانسي وبين التنفيذ ـ ما يزيد على السنة بشهور .

الا أن هناك رواية تتعارض مع ما جاء في محاكمات نورمبرج حول بداية تنفيذ الابادة اذ تروي الكاتبة Lucy, S. Dawidwicz في كتابها الحرب ضد اليهود أنه تم اعدام ٣٠ ألفا من بين ٦٠ ألفا قبل ٦/ ٩/ ١٩٤١ في مدينة فيلنا البولندية كما أن عملية الغزو لحاملي البطاقات الصفراء (العمال اليهود الذين كان يستخدمهم الالمان للسخرة) بدأت في ٢٤/ ١٠/ ١٩٤١ .

كما تروي الكاتبة أيضاً أن الهاربين من معسكر شيلمنو Chelmno في نهاية ٤١ وبداية ٤٢ أفادوا باستخدام الغاز في قتل اليهود في الغيتو[٢] وتضيف بأن التصفيات الجسدية لليهود بدأت في غيتو وارسو بتاريخ ٢٠/ ٤/ ١٩٤٢[٣] .

كما تذهب الى أكثر من ذلك عندما تحدد بداية التصفية اليهودية في النصف الثاني لعام ١٩٤١ واستمرارها حتى نهاية الحرب[٤] .

ان ما روته الكاتبة هنا يجعل بداية « الابادة » في النصف الثاني من عام ١٩٤١ م وهو موعد متقدم عما ذكر في محاكمات نورمبرج بعام كامل كما تجعل استخدام الغاز لقتل اليهود قبل نهاية ١٩٤١ أمراً مشكوكاً فيه وذلك لان استخدام الغاز كان آخر مرحلة من مراحل تنفيذ الموت يضاف الى ذلك ان النازيين استخدموا الغاز في القتل أول ما استخدموه ضد بني جنسهم من أمثال نزلاء المصحات النفسية[٥] اذا ثبت ان الغاز استخدم في القتل .

اننا لا نميل الى الأخذ برواية الكاتبة في تحديدها لبدء عمليات الابادة وذلك لان يوميات بعض المحتجزين في معسكرات الاعتقال لا تفيد بتنفيذ الابادة في هذا الموعد ،

(١) Ibid Neave, Nurmberg, p. 67, opcit.

(٢) (٣) (٤) Lucy S. Dawid wicz, The war against the Jews, weiden field and Nicolson, London, 1975.

(٥) En Counter, December 1978, p. 7.

فعلى سبيل المثال يذكر احد المحتجزين والمدعو هرمان كيرك في يومياته بتاريخ ٤/ ٩/ ١٩٤١ ان اليهود يعانون متاعب شديدة ولم يأت على ذكر القتل او الموت رغم انه يصف المتاعب التي كان اليهود يواجهونها باسهاب . كما أن حاييم كابلان (محتجز آخر) روى بتاريخ ١٤/ ٩/ ١٩٤٠ « ان النازيين يحولون اليهود الى عبيد (وهو أمر يتطابق مع ما ذكرته بعض المصادر مثل محاكمات نورمبرج بالنسبة لاستخدام اليهود سخرة على يد النازيين في المصانع والمنشآت في تلك الفترة) وحتى منتصف نوفمبر ١٩٤١ لا نجد فيها ذكر عن وصف احوال اليهود حسب كتابات بعض المحتجزين منهم في المعسكرات أو الغيتوات اي ذكر للموت[١] .

ويصف المؤرخ اليهودي ايمانويل زنجلبوم بتاريخ ١٥/ ١١/ ١٩٤١ حال الاطفال اليهود وهم يبكون في الشوارع حفاة الاقدام ممزقي الملابس عراة الاجساد حتى الركب ولا يذكر اجراء عمليات قتل ضدهم أو ضد ذويهم[٢] .

ويذكر د . برانزبيل حاييم Dr. Brens Haim عند حديثه عن Holocaust ان قتل اليهود بدأ بعد معركة ستالنجراد عندما أصبح واضحا ان المانيا ستخسر الحرب[٣] ، وهي رواية جديدة تختلف اختلافاً جذرياً عما روته الكاتبة عن بداية قتل اليهود .

وفي آخر دراسة مفصلة حول هذا الامر أطلعنا عليها للكاتب Walter Laquer نشرتها مجلة Encounter في يوليه ١٩٨٠ جاء فيها ما يلي :

ان القتل المنظم لليهود بدأ ما بين يونيه وأكتوبر ١٩٤١ ، وفي نوفمبر كان النازيون قد أتموا قتل نصف مليون يهودي[٤] ، وفي يوليه ١٩٤٢ كان قد تم قتل مليون يهودي[٥] بعد مؤتمر فانسي بشهور ستة . كما أن أول تقرير عن القتل باستخدام الغاز كان تقرير الدكتور رينر Reigner ممثل المؤتمر اليهودي في سويسرا المؤرخ في يوليه ١٩٤٢[٦] .

ان التواريخ التي ذكرها لاكير تتعارض مع ما ذكرته الكاتبة Lucy كما تتعارض مع ما ذكر في محاكمات نورمبرج ، ولكننا نرى أن المصادر التي اعتمد عليها لاكير تعتبر مصادر اولية . اذ اعتمد على ما نشرته الصحف الالمانية والسويسرية والبريطانية في ذلك الوقت ،

---

(١) للمزيد من التفاصيل راجع كتاب الحرب ضد اليهود (بالانجليزية) لكاتبته لوسي دافيد فكس .
(٢) Lucy, Dawidwicz, pp. 201- 206, opcit.
(٣) Encounter, Dec. 1978, p. 8.
(٤) Encounter, July 1980
(٥) Ibid, July 1980 o. 10.
(٦) Ibid, July 1980 p. 11.

كما اعتمد في دراسته على بعض التقارير البولندية المتعلقة بما جرى لليهود في بولندا ، لذا فاننا نميل الى الاخذ برواية لاكير حول بدء تنفيذ الابادة . رغم أن ما يقلل من شأن مصادر لاكير هو عدم استناده الى اي مصدر الماني وثائقياً كان ام ثانويا تلك المصادر التي ما زلنا نفتقر اليها حتى الان وبدونها تبقى الحقيقة ناقصة .

الاجهزة النازية التي تولت تنفيذ عملية الابادة :

اشتمل النظام النازي على مؤسسات رئيسية تولت أمر تسيير شؤون الحكم بتوجيه هتلر نفسه وأهم هذه المؤسسات هي : المؤسسات الحزبية ، هيئة الاركان العسكرية ، الاجهزة الأمنية . وكأي نظام دكتاتوري ظهر في العصر الحديث اعتمد النازيون على أجهزة أمنية متعددة التسميات متفقة الاهداف (أمن البلاد) . ويمكننا ان نلقي نظرة سريعة على هذه الاجهزة وعملها :

منذ ظهور الحزب النازي في عام ١٩١٩ كانت له قوات حزبية خاصة أطلق عليها الـ S. A. وهي قوات العاصفة وكان يتبعها جهاز أمني أسسه هملر سنة ١٩٣٢ وأطلق عليه اسم S. D. مهمته التجسس على الحزبيين والاجهزة الحزبية ، ورغم ممارسات هذا الجهاز العنيفة ضد كل من اعتقد أنه معاد للحزب فإنـه كان يوصف بأنه جهاز للتوجيه الاعلامي .

وفي عام ١٩٢٥ اسس الحزب النازي قوات جديدة مهمتها الدفاع عن رجال الحزب وحراستهم حملت اسم قوات الـ S. S. أي قوات الدفاع ، وبدأت هذه القوات تأخذ دورها في تاريخ الحزب النازي بفعالية ونشاط منذ عام ١٩٢٩ كما بدأت تزداد عدة وعدداً على حساب جهاز الـ S. A. إثر خلافات داخلية بين أعضاء قيادة الحزب النازي نفسه وما تبع ذلك من تصفيات جسدية متمثلة في مقتل روم قائد الـ S. A. سنة ١٩٣٤ ، مما أعطى الفرصة لصعود نجم هملر ـ قائد قوات الـ S. S. ـ اليد المنفذة لاوامر هتلر . وجعل جهاز الـ S. D. تابعاً لقوات الـ S. S .

وفي السنة التي تسلم الحزب فيها السلطة في المانيا سنة ١٩٣٣ تشكل جهاز أمني جديد حمل اسم الجستابو (مكتب البوليس السري للدولة) أشرف على تأسيسه جورنج . وقد اقترن اسمه منذ البداية بالبطش والارهاب . واوكلت مهمة رئاسة الجستابو الى ضابط نازي اسمه هايدرخ باشراف هملر نفسه .

وقبل اعلان الحرب العالمية بشهور في ٧/ ٦/ ١٩٣٩ اعيد تنظيم الاجهزة الامنية في

دولة الرايخ على الشكل التالي :

١ ـ جهاز البوليس السري وأطلق عليه اسم Sipo برئاسة هايدرخ وينقسم الى شعبتين شعبة البوليس السري السياسي (الجستابو) وشعبة البوليس السري الجنائي Kripo .

٢ ـ وجهاز البوليس النظامي وقد تولى رئاسته الضابط كورت داليوج .

وبعد اعلان الحرب العالمية الثانية بفترة وجيزة دمج البوليس السري بتاريخ ٢٧ / ٩/ ١٩٣٩ Sipo مع جهاز الـ S. D ، والذي هو أصلا جهاز مخابرات لقوات الـ S. S تحت اسم مكتب الامن المركزي للرايخ وتولى رئاسته الضابط هايدرخ أيضاً . وما يهمنا هنا علاقة هذه الاجهزة باليهود .

في عام ١٩٣٤ كان رئيس فرع الـ S. D. الضابط النازي مايلدنشتين وقد أنشىء مكتب يتولى شؤون اليهود تابع لمايلدنشتين تحت رقم ١ ١ ـ ١١٢ ، ولما كان جهاز الـ S. Dتابعاً لقوات الـ S. S. فان مهمة الاشراف على اليهود الالمان كانت من مسؤولية قوات الـ S. S. أو بمعنى آخر تحت اشراف هملر . ومن الجدير بالذكر أن مايلدنشتين نفسه رئيس الـ S. D. زار المستعمرات الصهيونية في فلسطين سنة ١٩٣٤ وكتب في الجريدة الناطقة بلسان الحزب النازي Die Engrif مقالات يشيد فيها بالعمل الصهيوني ويباركه ويبدي إعجابه نحوه . وكان جهاز الـ S. D. برئاسة مايلدنشتين اكثر الاجهزة مباركة لاتفاقية النقل التي تمت بين الحكومة النازية والقيادة الصهيونية في عام ١٩٣٣ .

ومع تأسيس مكتب لشؤون اليهود تابع لـ S. D. يظهر اسم ايخمان كخبير للشؤون الصهيونية عند مايلدنشتين ومهمته كتابة التقارير عن المؤسسات الصهيونية وقادتها وكذلك اليهود ، وقد ارتبط اسم ايخمان لدى الاجهزة الصهيونية بعد الحرب العالمية الثانية بأبشع المجازر التي مورست ضد اليهود خلال الحرب .

وفي عام ١٩٣٤ أيضاً عندما كان غورنج لا يزال رئيسا للجستابو أسس مكتب مماثل تحت رقم H. F. 2 تحول الى H. I. B. يتولى شؤون اليهود في الجستابو برئاسة الضابط (كولونيل) بيشر Becher وهو اسم ظهر اثناء محاكمات نورمبرج ٤٥/ ٤٦ ، وأثناء محاكمة كستنر في تل ابيب سنة ١٩٥٣ مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر . ونسب الى كستنر دفاعه عن بيشر أمام محاكمات نورمبرج مما أدى الى تبرئته من تهمة مسؤولية قتل اليهود امام المحكمة الدولية .

---

(١) اخذ تشكيل الاجهزة النازية عن كتاب الحرب ضد اليهود ـ مصدر سابق بالانجليزية .

نرى هنا أنه منذ البداية تولى مسؤولية الاشراف على اليهود ضابطان أحدهما مايلدنشتاين (S. D.) والاخر بيشر (جستابو) وعمل ايخمان خبيراً للصهيونية مع الأول ، وسرعان ما أصبح خليفته[١] . لكن ما كتب في محاكمات نورمبرج حول ايخمان لا يورد معلومات متطابقة مع ما سبق ذكره تطابقاً تاماً اذ جاء في المحاكمات أن ايخمان كان يعمل في مكتب Amt 4 التابع لجهاز أمن الرايخ المركزي Rsha كما تذكر أنه جاء من قوات الـ S. D. ولم تكن له اتصالات شخصية مع أي من موظفي الجستابو[٢] .

الا أن اسم ايخمان يظهر في المصادر الصهيونية سنة ١٩٣٨ مقترناً بالتعاون مع الاجهزة الصهيونية المسؤولة عن الهجرة غير الشرعية وذلك عندما قام بارجيلاد مندوب الموساد بمقابلة ايخمان (برتبة نقيب) مسؤول المكتب المركزي للهجرة اليهودية في المانيا . وطلب جيلاد منه اذنا بتأسيس معسكرات للريادة لتدريب الشباب اليهودي على العمل في فلسطين وترتيب هجرتهم بالسرعة التي تسمح بها الظروف . ولبى ايخمان مطلبه[٣] .

وتورد المؤلفة اليهودية حنّة ارندت المعلومات التالية عن حياة ايخمان .

دخل ايخمان قوات الـ S. S. سنة ١٩٣٢ وفي عام ١٩٣٤ تقدم للعمل مع جهاز الـ S. D.ووفق على طلبه وفي سنة ١٩٣٨ يتولى ايخمان مسؤولية تهجير اليهود من النمسا بالقوة حسب اوامر هايدرخ وكان برتبة ملازم .

وفي سبتمبر ١٩٣٩ يستدعى ايخمان من النمسا الى برلين ليصبح رئيس مكتب الهجرة اليهودية المركزي في الرايخ وعندما توقف السماح لليهود بالهجرة في خريف سنة ١٩٤١ انتقل ايخمان ليتسلم عمله في الجستابو تحت امرة مولر في المكتب رقم B — 4 ومهمته التعامل مع الطوائف الدينية ومنهم اليهود . وعند ئذ أصبحت تركيبة الجهاز الامني الخاص باليهود على النحو التالي :

المكتب B — 4 برئاسة ايخمان يتبع فرع الجستابو 4 برئاسة مولر وتتسلسل الرئاسة الى هايدرخ ، ثم برنر ثم هملر وأخيراً هتلر . في ٣١/ ٧/ ١٩٤١ عندما تسلم هايدرخ رسالة من غورنج من أجل الاعداد للحل العام للمسألة اليهودية يستدعي ايخمان ويعلم بالأوامر . وهنا يظهر اسم مارشال الجوغورنج كمسؤول عن اصدار الامر بالاعداد للابادة اليهودية .

---

(١) Middle Eastern Studies, p. 346, opcit.
(٢) Airey Neave, p. 246, opcit.
(٣) John and David Kimche, p. 18, opcit.

وملاحظاتنا هنا حول عدم دقة المعلومات عن رجال اقترنت اسماؤهم بفعل الابادة اليهودية. فالمصادر الصهيونية تفيد ان ايخمان سنة ١٩٣٨ كان برتبة نقيب وكان مسؤول مكتب الهجرة اليهودية المركزي . ولكن حنة ارندت تورد في معرض حديثها عن ايخمان انه كان سنة ١٩٣٨ برتبة ملازم وكان مسؤولا عن الهجرة اليهودية في النمسا ولم يصبح مسؤول مكتب الهجرة المركزي الا في عام ١٩٣٩ . كما أن الاقوال لا تتفق حول الوظائف التي احتلها ايخمان ويبدو ان بعضها يكتفي بذكر آخر المناصب التي احتلها وهي مسؤولية الفرع 4. B في الجستابو بعد ١٩٤١ .

كما أن بعض المصادر تجعل أي قرار نهائي خاص باليهود من اختصاص هملر مسؤول الاجهزة الامنية والتي كان عددها ١٢ مكتباً في الرايخ ، في حين تجعل بعض المصادر ومنها محاكمات نورمبرج ان القرار النهائي الخاص بالحل النهائي كان من مسؤولية غورنغ بتاريخ ٣١ / ٧ / ١٩٤١ ، ولا يأتي ذكر للجنرال هملر .

وعند الحديث عن مؤتمر فانسي ـ الذي عقد في يناير ١٩٤٢ وحضره وكلاء الوزارات لتنسيق الجهود من أجل تنفيذ الابادة والوسائل التي ستستخدم في تنفيذها ـ تنسب الدعوة الى المؤتمر الى هايدرخ ، الرجل الثالث في تسلسل المسؤولين عن اليهود في المانيا ، كما تنسب هذه المصادر حماسة وزير الداخلية Stuckert لتنفيذ الابادة ، ولا تنسب الى أي مسؤول في قوات الـ S. S. بينما تقرن مسؤولية تنفيذ « الابادة » الى أجهزة الـ S. S. .

ان ما يسترعي انتباهنا هنا التشتت في الحديث عن المسؤولين النازيين ، وعدم تحديد المسؤوليات المنسوبة اليهم ، او وظائفهم بدقة ، وربما يعود ذلك الى عدم وجود وثائق نازية مكتوبة حول هذا الأمر وربما لامور اخرى لم نستطع تحديدها .

ان حدثا تاريخيا مثل قتل ٦ ملايين من البشر بقرار موحد لا يزال الكتّاب حتى الان مختلفين في تحديد موعده كما لا يزالون مختلفين في تحديد المسؤولية عنه ، مما جعلنا في حيرة من أمرنا لا سيما وأن الكثير من الحوادث الاقل أهمية وخطراً في تاريخ الحرب العالمية الثانية تم تسجيلها بدقة . ومما يزيد في حيرتنا ان النازيين من خلال ما ثبت في محاكمات نورمبرج ـ كانوا دائماً يحتفظون بسجلات دقيقة تحوي الاوامر الصادرة وما تم بشأنها من تنفيذ . .

ومع كل ذلك فقد نخلص في النهاية الى القول بأن الشخصيات المسؤولة عن الابادة بعد هتلر هي : غورنغ ، وهملر وهايدرخ وبرنر (بعد مقتل هايدرخ في ٢٧ / ٥ / ١٩٤٢) ومولر وبيشر وايخمان ، كما نخلص الى القول أن قوات الـ S.S. هي التي تولت التنفيذ رغم حماسة وكيل وزارة الداخلية في مؤتمر فانسي والذي لم يكن له أي علاقة بقوات الـ S. S. .

عدد اليهود الذين تم قتلهم على يد النازيين :

اذا ما سلمنا جدلا أن الابادة ضد اليهود على يد النازيين قد بدأت في صيف ١٩٤٢ بعد ترحيلهم من اماكن سكنهم الى معسكرات أعدت لتنفيذ الاعدام فيهم فان الفترة التي استمرت فيها عمليات الابادة لا تزيد على سنتين . اذ من المعروف ان عملية الانزال النورماندي في ابريل ١٩٤٤ شهدت توقف النازيين عن قتل اليهود في جميع بلدان غرب أوروبا ، وذلك بسبب الظروف الحرجة التي بدأت تعاني منها المانيا ، كما نلحظ في عام ١٩٤٤ أكثر من موقف يشهد بتردد النازيين في تنفيذ الاعدام ضد اليهود وذلك من خلال محاولات النازيين المساومة على عدم القتل مقابل صفقات مادية تعقد لصالح الرايخ في شرق اوروبا وفي المجر بالذات .

واذا ما سلمنا جدلا ان عدد القتلى الذي يذكره المؤتمر اليهودي العالمي هو ٥,٧٠٠,٠٠٠ فاننا نجد أنفسنا أمام صورة رهيبة يغلب عليها الخيال اكثر من الواقع . اذ ينبغي علينا تصور الجهد الذي بذل في تأسيس معسكرات يتسع الواحد منها لمئات الالاف من البشر كما تجعلنا نتصور عدد الجنود الذين استخدموا في حراسة هذه المعسكرات وعدد الجنود الذين استخدموا في عمليات الابادة وحجم وسائل النقل التي استخدمت في تجميع هذه الملايين . ثم الوسائل التي استخدمت للتخلص من جثثهم خاصة وأنه في المرحلة الأولى من مراحل الابادة حسب المصادر الصهيونية تم استخدام اطلاق النار والدفن ولم يلجأ النازيون الى استخدام الغاز وحرق الجثث الا في آخر مراحل التنفيذ ان صح الزعم الصهيوني حول هذا الأمر .

وبعملية حسابية بسيطة نجد أنفسنا أمام أجهزة تقوم بقتل ثلاثة ملايين من البشر في العام الواحد ـ في الوقت الذي كانت جيوشها تحارب على جبهات متعددة ـ أي بمعدل يومي ما بين ٨ الاف وعشرة آلاف .

ان العملية هنا تخضع للخيال وهو أمر يستعين به المؤرخ أحياناً لتقدير بعض الامور . ولكننا هنا مضطرون الى التسليم بأن الحقيقة أغرب من الخيال الى أن يثبت العكس .

حدد المؤتمر اليهودي العالمي عدد اليهود الذين تم قتلهم على يد النازيين بخمسة ملايين وسبعمائة ألف[1] . ونجد أنفسنا أمام تناقض في ذكر عدد القتلى في مختلف

(١) وليم شيرر، تاريخ المانيا الهتلرية ، تعريب خيري حماد ، مكتبة المثنى ، بغداد ، الطبعة الاولى القسم الرابع ، الكتاب الخامس ، سنة ١٩٦٦ ، ص ٨٤ .

المصادر ، ويصعب وجود مصدرين يذكران الرقم نفسه .فقد ورد في كتاب The war against the Jews « ان مجموع يهود اوروبا كان ٨,٨٦١,٨٠٠ تعرض منهم للموت على يد النازيين ٥,٩٣٣,٩٠٠ »[١] ، أي بزيادة حوالي ربع مليون عن العدد الذي حدده المؤتمر اليهودي العالمي . في حين رأى ابا ايبان أن عدد اليهود في أوروبا في الفترة نفسها هو ٩,٨٠٠,٠٠٠[٢] أي بزيادة اكثر من مليون عن العدد السابق .

كما ورد في كتاب Europe Leaver the Middle East أن مجموع من ابادهم النازيون من اليهود وصل الى ٥,٢٣٣,٠٠٠[٣] وهو عدد يقل عن تقدير المؤتمر اليهودي بحوالي نصف مليون . وحتى يسهل ادراك التناقض في ذكر الارقام اوردناها في جدول منفصل مع ذكر مصدر كل منها .

	المؤتمر اليهودي العالمي	الكاتبة Dawidwicz
مجموع القتلى من اليهود	٥,٧٠٠,٠٠٠	٥,٩٣٣,٩٠٠

ريتنلغر	ساخر	محاكمات نورمبرج
ما بين ٤,١٩٤,٠٠٠ و ٤,٥٨١,٠٠٠	٥,٢٣٣,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠

كما أوردنا تناقض عدد الموتى من اليهود في بعض البلدان الاوروبية في المصادر المختلفة :

	عدد القتلى حسب رواية ابا ايبان	عدد القتلى حسب رواية ساخر	رواية حنة ارندت
بولندا	٣,٢٢٦,٠٠٠	٢,٨٠٠,٠٠٠	
تشيكوسلوفاكيا	٣٤٢,٠٠٠	٢٢٣,٠٠٠	
هولندا	١٣٧,٠٠٠	١١٠,٠٠٠	
النمسا	ـ	٦٠,٠٠٠	٤٠,٠٠٠

(١) Lucy. S. Dawidwicz, p. 403, opcit.

(٢) Abba Eban, My People, Behrman house, inc. Random House, U. S. A, 1968, p. 428.

(٣) Sacher, pp. 447 — 448, opcit.

وعندما نحاول تحديد عدد اليهود الذين قتلوا على يد النازيين فاننا لا نجد غير ذكر لرقم ٦ ملايين يذكر عرضا على ألسنة بعض المدعين العامين في محكمة نورمبرج . ولم يلفظ قاض واحد في المحاكمات ما يحدد عدد اليهود القتلى رغم انه ورد في مجمل تقارير نورمبرج ان النازيين اعتادوا الاحتفاظ بمسجلات دقيقة في معسكرات الحجز يسجلون فيها ما يحدث بالدقة . الا أن الادعاء العام فشل في ابراز رقم معين انتزع من سجلات النازيين واعتمد في المحاكمات على اقوال الشهود المتناقضة . فقد ذكر في محاكمات نورمبرج انه تم قتل ١,٥ مليون يهودي في معسكر أوسشفنتز[١] باشراف هوس Hoss ولكن هوس نفسه في شهادته أمام المحكمة يذكر أن الذين قتلوا هم ٢,٥ مليون يضاف اليهم ١/٢ مليون ماتوا جوعاً في معسكر اوسشفنتز نفسه . ويعود هوس ليخفض الرقم الى ١,١٣٥,٠٠٠ في المحكمة أي الى اقل من نصف العدد الذي ذكره اولا[٢] .

قدم ريتنلغر بعد دراسة مستفيضة لما حدث لليهود رقماً مغايراً لما أوردته المصادر السابقة اذ رأى ان الرقم الاجمالي للقتلى اليهود على يد النازيين يتراوح ما بين ١,٤٩٤,٢٠٠ و٤,٥٨١,٠٠٠ (وهو رقم يقل عن الارقام السابقة بأكثر من مليون)[٣] .

وكما نلحظ التناقض في الرقم الاجمالي نلحظ الظاهرة نفسها عند قراءة اعداد القتلى من اليهود في كل بلد أوروبي وعلى سبيل المثال نورد المطالعة الاتية حول عدد القتلى في النمسا .

ذكرت حنة ارندت في كتابها ايخمان في القدس باللغة الانجليزية صفحة ١٦١ أن الهجرة الاجبارية اليهودية بدأت في النمسا في مارس ٣٨ وبعد ١٨ شهراً من بدء العملية غادرها ١٥٠ ألفاً بنسبة ٦٠٪ من يهود النمسا أضيف اليهم ٦٠ ألف مهاجر بعد اعلان الحرب .

أي أن عدد اليهود كان ٢٥٠ الفاً عند بدء التهجير هاجر منهم ٢١٠ الاف وبقي منهم ٤٠ ألفاً . الا أن Sacher في كتابه Europe Leaves the Middle E. ص ٤٤٨ ذكر أن عدد قتلى يهود النمسا هو ٦٠ ألفاً ، أي بزيادة ٢٠ الفا عمن بقي من اليهود في النمسا اذا افترضنا أنه لم ينج أحد منهم ، وتبلغ الزيادة هنا في التقديرات أكثر من ٣٠٪ .

لقد استندت الاحصاءات على مقولة ثابتة لم تخضع لغير ظروف الابادة الجماعية اذ ذكرت الاحصاءات عدد اليهود قبل الحرب العالمية وذكرت ما تبقى منهم بعد الحرب

(١) Airey Neave, P. 324, opcit.

(٢) وليم شيرر تاريخ المانيا الهتلرية ص ٧٦ المرجع السابق .

(٣) وليم شير ، تاريخ المانيا الهتلرية ص ٨٤ ، المرجع السابق .

والاحصاءات هنا تسقط الكثير من الظروف التي رافقت الحرب، فمن المعروف ان نسبة عالية من اليهود تركزت في المدن ، والمدن في ظروف الحرب اكثر تعرضا للغارات الجوية من غيرها كما أنها تكون عرضة للعمليات الحربية المباشرة أكثر من المناطق الاخرى عند الاحتلال ، لذا فان نسبة القتلى بين سكان المدن تزيد في ظروف الحرب عن نسبة القتلى في المناطق الاخرى . وعلى سبيل المثال كان نسبة عدد يهود برلين ٣١٪ من مجموع يهود المانيا وإذا ما علمنا أن عدد اليهود الالمان حوالي نصف مليون فان عدد السكان اليهود في برلين يصل الى حوالي ١٦٠ الف يهودي وبالتالي فان نسبة القتلى بينهم سترتفع بسبب الغارات على برلين ، وفي مثال آخر ترى أن ٢٠ الف يهودي من بين القتلى اثناء الهجوم على وارسو[١] من بين ٣٥٠ الف يهودي كانوا يقطنون وارسو[٢] . وبعد ٧/ ٩/ ١٩٣٩ هرب سكان وارسو بأمر حاكمها الى الشرق وكانوا في طريقهم عرضة للجوع والبرد ولا بد من سقوط القتلى بينهم كما قتل أثناء العمليات العسكرية في مدينة فيلنا ٢٠ ألف يهودي من بين ٥٥ ألف يهودي وتصل نسبة القتلى بين اليهود أثناء العمليات العسكرية والغارات الجوية مابين ٥ و ٢٠٪ كنسبة وسطية لمعدل الارقام التي ذكرها ساخر .

ان أعلى نسبة بين القتلى المدنيين خلال الحرب ظهرت في البلدان التي كان يسكنها اليهود، فحسب احصاءات نورمبرج بلغ عدد القتلى في الاتحاد السوفياتي ٢٠ مليوناً بينهم ١٣,٦ مليون جندي والباقي ٦,٤ ملايين من المدنيين كما بلغ عدد القتلى في المانيا ٧ ملايين بينهم ٤,٢ ملايين جندي والباقي ٢,٦ مليون من المدنيين[٣] اي أن نسبة القتلى المدنيين ارتفعت الى ٣٢٪ في الاتحاد السوفياتي والى ٤٠٪ في المانيا . واذا ما طبقنا هذه النسبة على يهود برلين البالغ عددهم فيها حوالي ١٦٠ ألفاً فان نسبة القتلى من اليهود تصل الى ٦٤ ألف يهودي واذا ما طبقت النسبة على مجموع اليهود البالغ عددهم حوالي نصف مليون فان العدد يصل الى مائتي ألف يفترض ان يكونوا لاقوا حتفهم أثناء العمليات العسكرية .

ان مقياسنا السابق قد لا يكون دقيقا إذ قد تختلف نسبة القتلى بين جهة وأخرى ولكننا اذا افترضنا ان اليهود جزء من سكان المانيا ينطبق عليهم في ظروف الحرب ما ينطبق على الالمان فان النسبة تبدو قريبة من التصور ونجد أنفسنا هنا أمام عدد من اليهود يفترض انه تعرض للموت بسبب الغارات والعمليات الحربية اكثر من العدد الذي تدعي المصادر الصهيونية قتله على يد الالمان انفسهم اذ يورد ساخر ان عدد قتلى اليهود في المانيا بلغ ١٨٠

(١) Sacher, p. 198, opcit.
(٢) Sacher, p. 197, opcit.
(٣) Airey Neave, p. 319, opcit.

ألفاً[١] .

كما أن الاحصاءات السابقة تسقط الظروف القاسية التي يتعرض لها المدنيون في ظروف الحرب لا سيما اذا كانت الحرب طويلة المدى قاسية الاساليب يستهدف المتحاربون تدمير كل مقومات الحياة عند بعضهم بعضا بغية انتزاع النصر فمن المعروف ان سكان أوربا في الحرب العالمية الثانية تعرضوا للجوع كما تعرضوا لبردها القارس بسبب اضطرارهم الى اللجوء من مكان الى آخر طلبا للأمن والمأوى وكما تعرض الاوروبيون جميعاً لهذه الظروف فقد تعرض اليهود لها أيضاً بل قاسى اليهود أكثر من غيرهم اذا ما سلمنا ان اليهود تم تجميعهم في غيتوات محددة، ازدحم فيها السكان وقلت فيها الخدمات الطبية والمواد الغذائية .

لذا فاننا يجب ان نتوقع تفشي الامراض بين سكان مثل هذا التجمعات وعلى سبيل المثال لا الحصر مات ١١ ألف يهودي في غيتو وارسو سنة ١٩٤١ من بين ٣٩٠ ألفاً[٢] كما مات من التيفوس عدد يتراوح ما بين ١٠٠ و ١٥٠ ألفاً أي ان عدد الموتى بسبب المرض والجوع بلغ حوالي ١٦٠ ألفا[٣] .

كما عانى اكثر من ٣٠٪ من سكان غيتو لودز في السنوات ما بين ٤٠ و ٤٢ وهي الفترة التي سبقت عملية الابادة من أمراض القلب والسل والهضم والتيفوس وهي أمراض ترتفع نسبة الموتى بين المصابين بها اذا لم يلقوا الرعاية الصحية الكاملة وتلك لم تكن متوافرة في ظروف الحرب .

نستنتج مما سبق أن نسبة لا تقل عن ٢٠ - ٣٠٪ من اليهود ماتوا في الغيتوات بسبب الجوع أو المرض كما أن نسبة لا تقل عن هذه ماتوا بسبب العمليات الحربية .

نخلص في نهاية هذه المطالعة للارقام السابقة الى أن عدد الذين تعرضوا للموت بسبب الحرب أو الجوع أو المرض لم تكن بأقل من ٥٠٪ من عدد اليهود مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن عدد الذين تعرضوا للابادة لم يزد عن ٢,٥ مليون من اليهود ؛ هذا اذا اتخذنا كأساس للتقدير الارقام التي توردها المصادر الصهيونية . ونعود هنا لنذكر مرة أخرى ان مثل هذه الارقام أو غيرها لم يستطع أحد العثور عليها في سجلات النازيين او وثائقهم . وحتى يرى العالم مثل هذه الوثائق يظل عدد الذين تعرضوا للابادة قابلا للتحليل والتصديق او التكذيب .

(١) (٢) Lucy, Dawid Wicz, p. 214, opcit.
(٣) Sacher, p. 448, opcit.

والاحصاءات هنا تسقط الكثير من الظروف التي رافقت الحرب، فمن المعروف ان نسبة عالية من اليهود تركزت في المدن ، والمدن في ظروف الحرب اكثر تعرضا للغارات الجوية من غيرها كما أنها تكون عرضة للعمليات الحربية المباشرة أكثر من المناطق الاخرى عند الاحتلال ، لذا فان نسبة القتلى بين سكان المدن تزيد في ظروف الحرب عن نسبة القتلى في المناطق الاخرى .وعلى سبيل المثال كان نسبة عدد يهود برلين ٣١٪ من مجموع يهود المانيا وإذا ما علمنا أن عدد اليهود الالمان حوالي نصف مليون فان عدد السكان اليهود في برلين يصل الى حوالي ١٦٠ الف يهودي وبالتالي فان نسبة القتلى بينهم سترتفع بسبب الغارات على برلين ، وفي مثال آخر ترى أن ٢٠ الف يهودي من بين القتلى اثناء الهجوم على وارسو[1] من بين ٣٥٠ الف يهودي كانوا يقطنون وارسو[2] . وبعد ٧/ ٩/ ١٩٣٩ هرب سكان وارسو بأمر حاكمها الى الشرق وكانوا في طريقهم عرضة للجوع والبرد ولا بد من سقوط القتلى بينهم كما قتل أثناء العمليات العسكرية في مدينة فيلنا ٢٠ ألف يهودي من بين ٥٥ ألف يهودي وتصل نسبة القتلى بين اليهود أثناء العمليات العسكرية والغارات الجوية مابين ٥ و ٢٠٪ كنسبة وسطية لمعدل الارقام التي ذكرها ساخر .

ان أعلى نسبة بين القتلى المدنيين خلال الحرب ظهرت في البلدان التي كان يسكنها اليهود،فحسب احصاءات نورمبرج بلغ عدد القتلى في الاتحاد السوفياتي ٢٠ مليوناً بينهم ١٣,٦ مليون جندي والباقي ٦,٤ ملايين من المدنيين كما بلغ عدد القتلى في المانيا ٧ ملايين بينهم ٤,٢ ملايين جندي والباقي ٢,٦ مليون من المدنيين[3] اي أن نسبة القتلى المدنيين ارتفعت الى ٣٢٪ في الاتحاد السوفياتي والى ٤٠٪ في المانيا .واذا ما طبقنا هذه النسبة على يهود برلين البالـغ عددهم فيها حوالي ١٦٠ ألفاً فان نسبة القتلى من اليهود تصل الى ٦٤ ألف يهودي واذا ما طبقت النسبة على مجموع اليهود البالغ عددهم حوالي نصف مليون فان العدد يصل الى مائتي ألف يفترض ان يكونوا لاقوا حتفهم أثناء العمليات العسكرية .

ان مقياسنا السابق قد لا يكون دقيقا إذ قد تختلف نسبة القتلى بين جهة وأخرى ولكننا اذا افترضنا ان اليهود جزء من سكان المانيا ينطبق عليهم في ظروف الحرب ما ينطبق على الالمان فان النسبة تبدو قريبة من التصور ونجد أنفسنا هنا أمام عدد من اليهود يفترض انه تعرض للموت بسبب الغارات والعمليات الحربية اكثر من العدد الذي تدعي المصادر الصهيونية قتله على يد الالمان انفسهم اذ يورد ساخر ان عدد قتلى اليهود في المانيا بلغ ١٨٠

(١) Sacher, p. 198, opcit.
(٢) Sacher, p. 197, opcit.
(٣) Airey Neave, p. 319, opcit.

ألفاً[1] .

كما أن الاحصاءات السابقة تسقط الظروف القاسية التي يتعرض لها المدنيون في ظروف الحرب لا سيما اذا كانت الحرب طويلة المدى قاسية الاساليب يستهدف المتحاربون تدمير كل مقومات الحياة عند بعضهم بعضا بغية انتزاع النصر فمن المعروف ان سكان أوربا في الحرب العالمية الثانية تعرضوا للجوع كما تعرضوا لبردها القارس بسبب اضطرارهم الى اللجوء من مكان الى آخر طلبا للأمن والمأوى وكما تعرض الاوروبيون جميعاً لهذه الظروف فقد تعرض اليهود لها أيضاً بل قاسى اليهود أكثر من غيرهم اذا ما سلمنا ان اليهود تم تجميعهم في غيتوات محددة، ازدحم فيها السكان وقلت فيها الخدمات الطبية والمواد الغذائية .

لذا فاننا يجب ان نتوقع تفشي الامراض بين سكان مثل هذا التجمعات وعلى سبيل المثال لا الحصر مات ١١ ألف يهودي في غيتو وارسو سنة ١٩٤١ من بين ٣٩٠ ألفاً[2] كما مات من التيفوس عدد يتراوح ما بين ١٠٠ و ١٥٠ ألفاً أي ان عدد الموتى بسبب المرض والجوع بلغ حوالي ١٦٠ ألفا[3] .

كما عانى اكثر من ٣٠٪ من سكان غيتـو لودز في السنوات ما بين ٤٠ و ٤٢ وهي الفترة التي سبقت عملية الابادة من أمراض القلب والسل والهضم والتيفوس وهي أمراض ترتفع نسبة الموتى بين المصابين بها اذا لم يلقوا الرعاية الصحية الكاملة وتلك لم تكن متوافرة في ظروف الحرب .

نستنتج مما سبق أن نسبة لا تقل عن ٢٠ ـ ٣٠٪ من اليهود ماتوا في الغيتوات بسبب الجوع أو المرض كما أن نسبة لا تقل عن هذه ماتوا بسبب العمليات الحربية .

نخلص في نهاية هذه المطالعة للارقام السابقة الى أن عدد الذين تعرضوا للموت بسبب الحرب أو الجوع أو المرض لم تكن بأقل من ٥٠٪ من عدد اليهود مما يجعلنا نميل الى الاعتقاد بأن عدد الذين تعرضوا للابادة لم يزد عن ٢,٥ مليون من اليهود ؛ هذا اذا اتخذنا كأساس للتقدير الارقام التي توردها المصادر الصهيونية . ونعود هنا لنذكر مرة أخرى ان مثل هذه الارقام أو غيرها لم يستطع أحد العثور عليها في سجلات النازيين او وثائقهم . وحتى يرى العالم مثل هذه الوثائق يظل عدد الذين تعرضوا للابادة قابلا للتحليل والتصديق او التكذيب .

(١) (٢) Lucy, Dawid Wicz, p. 214, opcit.
(٣) Sacher, p. 448, opcit.

الدور الذي لعبته المنظمة الصهيونية

مدى علم الصهيونيين ببداية الابادة :

من خلال مطالعة تحديد التواريخ التي بدأت فيها الابادة ضد اليهود نلاحظ أن الفترة الحرجة كانت ما بين يوليه ٤١ ونهاية ١٩٤٢ . فهل كانت القيادات الصهيونية على علم بما يجري لليهود في هذه الفترة وفي حينه وما الذي فعلته ؟

ليس هناك ما يجعلنا نعتقد أن العالم لم يعرف ما حدث لليهود الا في أغسطس ١٩٤٢ اي بعد انعقاد مؤتمر فانسي بسبعة شهور على الاقل وذلك حسب قول كريستوفر سايكس(١) وذلك لاسباب لا يصعب استنتاجها . فمن المعروف أن أميركا احتفظت بسفاراتها في برلين حتى ديسمبر ١٩٤١ ، وفي كل من بودابست وبخارست حتى يناير ١٩٤٢ م وفي فيشي حتى أواخر ٤٢ أيضاً . أي أن السفارات الاميركية كانت موجودة في أكثر من بلد احتله النازيون في الفترة الحرجة ، فهل كانت هذه السفارات مغمضة الاعين عما يجري في المعسكر النازي ؟

ذلك أمر يصعب تصديقه، واذ قدر للسفارات الاميركية ان تخضع لحصار نازي او مراقبة نازية صارمة فلا يعني ذلك ان هذه السفارات لم تكن تطلع على الصحف وتحاول التأكد مما ينشر، هذا اذا سلمنا جدلا ان جميع وسائل الاتصال مع المعسكر النازي قد انعدمت في هذه الفترة .

لم يكن ما جرى لليهود على يد النازيين بحاجة الى كبير جهد كي يعلمه الناس وفي تلك الفترة بالذات ، واذا كانت الفترة الحرجة بالنسبة لليهود هي ما بين يوليه ٤١ وديسمبر ١٩٤٢ فان العالم عرف أنباء ما يتم تنفيذه ضد اليهود في اكتوبر ١٩٤١ وذلك عندما نشرت جريدة Die Zeitung تقريراً بتاريخ ٢٥/ ١٠/ ١٩٤١ نقلا عن تقرير كتبته جريدة سويدية Social de M. بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٩٤١ ونشرته جريدة Sunday Times بتاريخ ٢٢/ ١٠/ ١٩٤١ . وقد جاء في التقرير ان النازيين يقومون بقتل اليهود . كما تشير هذه الصحف الى ذكر اسم الضابط النازي ايخمان كرئيس لعملية القتل الجماعي اليهودي(٢) .

واذا كانت الصحف السابقة صحفاً اجنبية لم يقرأها قادة الصهيونية لسبب من الاسباب ربما تكون خارجة عن ارادتهم فان قراءة نشرة وكالة التلغراف اليهودية التابعة

(١) Christopher Sykes, p. 279, opcit.

(١) Encounter, July. 80, p. 7, by W.Laquer

للوكالة اليهودية يعتبر أمراً مفروغاً منه بالنسبة لهؤلاء وعلى الاخص اذا ما نشرت هذه الوكالة أمورا ذات شأن تخص اليهود . ففي ٢٢/ ١١/ ٤١ قام مراسل J. T. A في زيورخ بابلاغ وكالته نقلا عن جريدة Krakovskevesti بان معسكر شيلمنو Shilmno الذي يتجمع فيه خمسون ألف يهودي لم يبق منهم احياء غير ستمائة .

كما قام مراسل وكالة التلغراف اليهودية J. T. A بتاريخ ٢٥/ ١١/ ١٩٤١ بنقل خبر مقتل ٥٢ ألف يهودي في كييف .

وهنا لا يخامرنا أدنى شك بان القيادات الصهيونية علمت بهذه الاخبار، كما يزيد من يقيننا ان بعض المصادر الموالية للصهيونية نشرت الاخبار نفسها . ففي ١٩٤٢/١/٢ نشرت جريدة جويش كرونيكل خبر قتل اليهود في مدينة روستوف ، كما نشرت كبريات الصحف البريطانية الاخبار نفسها .

أفاد مراسل الصنداي تايمز في تركيا في ابريل ٤٢ بمقتل ١٢٠ ألف يهودي روماني ، كما نشرت الديلي تلغراف اللندنية تقارير مفصلة في الفترة ما بين ٢٥ و ٣٠/ ٦/ ١٩٤٢ عن مقتل ٧٠٠ ألف يهودي في المعسكر النازي ، وقامت جريدة نيويورك هيرالدتريبيون بتاريخ ٥/ ١٢/ ١٩٤١ بنشر تقرير عن القتل المنظم لليهود . يضاف الى ذلك كله ما اذاعته هيئة الاذاعة البريطانية B. B. C في ٢/ ٦/ ١٩٤٢ عن مقتل ٧٠٠ ألف يهودي أيضاً .

ولا يمكن الاعتقاد بأن قادة المنظمة الصهيونية لم يكن من مهماتهم مراقبة الاحداث في العاصمة البريطانية ، كما لا يمكن ان يصدق أن مسؤولا في العالم لا يطلع على ما تنشره الصحف أو وكالات الانباء أو الاذاعات عن القضايا التي تخص بني جنسه .

واذا تركنا ما نشرته وسائل الاعلام جانباً على فرض ان ما نشر قد يكون عرضة للتصديق او التكذيب وعلى فرض انه ليس من واجبات القيادة التأكد من صحة خبر ينشر عن قتل حوالي مليون يهودي ، اذا فرضنا صحة ذلك فان تقارير المسؤولين داخل المعسكر النازي والذين تولوا مسؤولية مقاومة الحكم النازي في بولندا يجب ان تحمل محمل الجد. فقد حمل تقرير قيادة المقاومة البولندية المفصل ضد النازيين بتاريخ ٧/ ١٠/ ١٩٤١ رقم 40 /750/ MND أخبار قتل اليهود واستخدم التقرير ألفاظا محددة مثل Elimination, Extermination,Liquidation,(١) وقرنها بما يجري لليهود على يد النازيين .

كما حمل تقرير دافيد كيلي رئيس البعثة الدبلوماسية البريطانية في سويسرا بتاريخ ١٩/

(١) Encounter, p. 21, opcit.

١١/ ١٩٤١ نقلا عن الكسندر لادوس الممثل الدبلوماسي البولندي في برن ما يفيد بمقتل مليون ونصف مليون يهودي في بولندا الشرقية[٢] .

ان جميع ما ذكر سابقا بالاضافة الى العلاقة التي يفترض ان تكون قائمة بين القيادات الصهيونية واجهزة مخابرات الحلفاء من أجل مراقبة الوضع أو التنسيق ضد العدو المشترك ، وهو أمر لا نذكره كميزة فريدة للقيادات الصهيونية اذ من المعروف ان جميع حكومات المنفى في بريطانيا أثناء الحرب وجميع المؤسسات المعادية للنازية كانت تنسق مع اجهزة المخابرات البريطانية ، ولم تكن هذه الحكومات تخفي عن أجهزة المخابرات البريطانية الا الاخبار التي لا تمت للوضع العسكري او النازي بصلة ، مما يجعلنا نجزم ان القيادات الصهيونية كانت على علم بما يجري وبما سيجري لليهود من أول يوم بدأ النازيون في التحرك للعمل على قتلهم ، وليس أمامنا ما يجعلنا نشك في علم القيادات الصهيونية منذ البداية بنوايا او افعال النازيين ، فالمصادر التي نشرت اخبار القتل اليهودي على يد النازيين لم تكن واحدة، ففيها السويدي ، والسويسري ، والبولندي ، والانجليزي والاميركي والصهيوني ، وهي أخبار تراوحت بين احتمال الشك في صحتها وثبوت صحتها بما لا يقبل الجدل . واذا ما افترضنا أخيراً أن القيادات الصهيونية لم تعلم شيئا مما سبق ذكره فلا اعتقد انها لم تكلف مندوبيها الذين ارسلتهم الى المعسكر النازي بالكتابة اليها عما يرون ويسمعون . فمن خلال الاطلاع على نشاط منظمة الموساد الصهيونية اثناء الحرب العالمية الثانية نرى أن هذه المنظمة ارسلت عملاءها الى كل اوروبا من شمالها الى جنوبها من كونستنتزا على البحر الاسود الى أصغر ميناء على سواحل المتوسط الاوروبية وكان هؤلاء على اتصال دائم مع رؤسائهم يمدونهم بالتقارير الوافية ويتلقون منهم التعليمات والعون المادي ، ولا يعقل ان يكون هؤلاء العملاء النشطون في غفلة عما كان يجري لليهود ، لا سيما وان أساس عملهم يتلخص في الاختلاط باليهود لاختيار المهاجرين من بينهم .

وأخيراً جاء الاعتراف واضحاً فقد اعترف حاييم لنداو عضو الكنيست الاسرائيلي « بأن الوكالة اليهودية كانت تعلم عن ابادة اليهود عام ١٩٤٢ . هذه حقيقة رغم أن ابعاد الابادة لم تكن معروفة . ولكن حقيقة الابادة كانت معروفة لقيادة الوكالة اليهودية والاوساط الصهيونية في الولايات المتحدة . وجميع هؤلاء لم يلزموا الصمت فحسب ولكن صمتوا عمداً واخفوا ما يعلمونه »[١] .

---

(١) Ibid, p. 21.

(٢) الجوهر الرجعي للصهيونية ـ دمشق ، ص ٧٣ .

مسؤولية الابادة

بقدر ما يكثر الحديث عن تحديد المسؤولية عن « الابادة » التي تعرض لها اليهود في أوروبا يندر الحديث عن الاسباب التي دفعت هتلر الى الاقدام على مثل هذه الابادة أيضاً . وفي خضم الاحداث استغل حادث « الابادة » احسن استغلال من الاوساط الصهيونية بعد وقوعه من أجل تحقيق الهدف الصهيوني بعد انتهاء الحرب والمتمثل في الدولة اليهودية ، أما أثناء وقوع الحادث فليس بامكاننا ان نسجل جهداً بذلته الصهيونية على مستوى الحادث نفسه وبقيت الصهيونية حتى عام ١٩٥٣ مسيطرة على الموقف الاعلامي لصالحها بالنسبة لما حدث سيطرة كاملة ، ولم يحدث قبل عام ١٩٥٣ أن ارتفع صوت يشير باصبع الاتهام الى تقصير المنظمة الصهيونية فيما قامت به من أجل يهود أوروبا اثناء الحرب . الا أنه مع ارتفاع صوت الاتهام بالتقصير الصهيوني فتحت صفحة جديدة من خلال الجهد الصهيوني نفسه لرد الاتهام والتقصير الصهيوني . ومن ثم تحول التقصير الى تواطؤ وخيانة عند بعض الاوساط الصهيونية ، وذلك من خلال ما كشفت بعض المحاكمات التي حدثت بعد انشاء الكيان الصهيوني في عام ١٩٥٣ م وما بعدها . وسنتعرض لهذه المحاكمات فيما بعد .

لقد ارتفع الصوت الصهيوني بعد ان وضعت الحرب العالمية الثانية اوزارها في عام ١٩٤٥ مطالبا بايجاد مأوى لليهود الذين شردتهم الحرب وبقوا أحياء Displaced Persons . واستطاعت المنظمة الصهيونية ان تدخل في روع العالم ان معظم مشردي أوروبا بعد الحرب هم من اليهود . اذ كان روزفلت الرئيس الاميركي يعتد ان ٨٠٪ من D. P. هم من اليهود ولكن ثبت فيما بعد سنة ١٩٤٨ انهم كانوا ٢٠٪ كما ثبت ان القضية السائدة بعد الحرب بان هناك ١/٢ مليون مشرد يودون مغادرة أوروبا[١] فرضية زائفة .

سارعت مؤسسات دولية للمساهمة في انقاذ هؤلاء المشردين والتخفيف عنهم وأهم هذه المؤسسات هي U. N. R. R. A. الوكالة الدولية لاغاثة واعادة اسكان اللاجئين . وقد كشف رئيس هذه المؤسسة الجنرال البريطاني السير فردريك مورجان الوسائل التي اتبعتها المنظمة الصهيونية في تعبئة اليهود من خلال الدعاية المنظمة والمكثفة وجعلهم يطالبون على كره الغالبية منهم بفلسطين كمأوى يحميهم حتى لا تتكرر مأساة هتلر معهم . كما كشف الجنرال مورجان الاساليب التي استخدمت في جلب اليهود من أوروبا ووضعهم في معسكرات المشردين واظهار الصور المفتعلة غير الحقيقية المثيرة عن أحوال هؤلاء اليهود التي

---

(١) Walid Khaldi, p. 489, opcit.

يظهرون فيها عرضة للجوع والبرد والامراض حتى بعد انتصار الحلفاء .

وبالاضافة الى ذلك كشف مورجان عن الفساد الذي عشّش في منظمة U. N. R. R. A. وجعل أموالها التي تبرع بها المحسنون تذهب في غير الطريق الذي دفعت من أجله ، وكيف أن مواردها التموينية كانت تباع في الأسواق السوداء بدلا من توزيعها على الذين أجبروا على تغيير اوطانهم بسبب ظروف الحرب . وعندما أشار مورجان الى الانشطة الصهيونية غير الانسانية بين يهود اوروبا في مؤتمره الصحفي الشهير بتاريخ ٢ / ١ / ١٩٤٦ بمدينة فرانكفورت الالمانية واستخدم عبارته « من وجهة نظري فانني أشاهد الان عملية خروج ثانية منظمة باعجاب من اوروبا »[١] . تعرض لهجوم صحفي شرس ووصف بانه لا سامي وانه أصبح هتلراً آخر مما جعل الرجل يفقد مركزه كرئيس لمنظمة دولية يفترض ان تقوم بدور انساني لا سياسي .

لقد نجح الصهاينة في دعايتهم كما نجحوا في تحقيق أغراضهم السياسية ومارسوا ضغطاً لئيما على ضمير العالم الذي عذبته الحرب ، والذي لم يجد من يوحي اليه بأن تعاطفه مع الدعاية الصهيونية سيؤدي الى كارثة لا تقل عن الكارثة التي حلت بيهود أوروبا ، وستكون الكارثة هذه المرة على حساب الشعب الفلسطيني .

لقد استخدم الصهاينة أثناء حملتهم الدعائية المنظمة دعاوى تعرضوا فيها لاتهام الدول الكبرى واتهام الدول الديمقراطية الاخرى بالتقصير في حق يهود اوروبا وعدم اقدامهم على انقاذهم او اعطائهم الفرص للهرب من جحيم النازية الى أي بلد في العالم . ويمكننا تلخيص الدعاوى الصهيونية هذه على النحو الاتي :

لم تهتم الولايات المتحدة الامريكية بما حدث لليهود على يد هتلر في حينه ولم تساهم في انقاذهم وذلك عندما فرضت قيودا صارمة على هجرة اليهود اليها أثناء الحرب في الوقت الذي كان فيه اليهود أحوج ما يكونون الى فتح ابواب الولايات المتحدة الامريكية اليهم . وفي الوقت الذي تعتبر فيه الولايات المتحدة اكثر بلد مؤهل لاستقبال المهاجرين في الظروف العاديةفلماذا لم تقدم على استقبال اليهود في الظروف الاستثنائية ؟ وكانت الظروف في ظل الحرب تسمح لاميركا باستقبال اليهود ولكنها لم تفعل اذ ان قوافل السفن الاميركية كانت تعود الى اميركا من اروبا فارغة . ولم يكن هناك مدار بحث حول اميركا كملجأ والدليل على ذلك ان اميركا طلبت من السويد اجلاء يهود رومانيا عبر أراضيها الى

(١) Walid khaldi, p. 531, opcit,.. D. P.,.. by L. G., Fred Morgan.

فلسطين ولم تطلب اجلاءهم الى اميركا[١] . وحتى نهاية ١٩٤٠ لم تكن اميركا حسب الادعاءات الصهيونية تنظر الى ما ينفذ ضد يهود اوروبا بجدية ولم تكن السياسة الاميركية تصدق او تلقي بالا لما يجري لليهود هناك « ونظرت الى الامر كنوع من الدعاية »[٢] .

ورغم أن والتر لاكير لا ينفى الدور الاميركي والبريطاني في قبول اللاجئين اثناء الحرب الا أنه في معرض تعليله لكثرة الاعداد اليهودية التي انضمت للحركة الصهيونية أثناء الحرب يرى ان ذلك يعود الى تردد اميركا وبريطانيا في السماح بدخول المهاجرين اليهود[٣] اليها ، وكأنه هنا يلقي اللوم على اميركا وبريطانيا من طرف خفي ليصل الى هدفه الاصيل المتمثل في أن الصهيونية فقط هي الملاذ اليهودي وليس اميركا او بريطانيا . ويذهب رأي آخر مؤيد لرأي لاكير حول التقصير الاميركي في قبول اللاجئين الى أن الولايات المتحدة في الازمات الدولية تظهر كرما في قبول اللاجئين وتضرب على ذلك أمثلة قبول اميركا للاجئين من كوبا والمكسيك ولكن مثل هذا الكرم الاميركي لم يظهر امتداده الى ضحايا النازية والذين هم من اليهود [٤] .

ويقوم ابا ايبان في معرض حديثه عما حل بيهود أوروبا اثناء الحرب بشن هجوم قاس على العالم باجمعه والزعماء الديمقراطيين بالذات ، ويتهمهم بعدم الاحتجاج ضد هتلر والذي هو أضعف وسائل المقاومة ، كما يتهم العالم باللامبالاة تجاه ما حل باليهود، ويتهم بعض الدول بتعاونها مع النازية ضد اليهود وتقديم التسهيلات لها من أجل انهائهم ويذكر أمثلة على ذلك حكومة فيشي في فرنسا وكذلك في بلجيكا وهولندا وايطاليا .

وعند الحديث عما كان ينبغي عمله يستمر ايبان في الهجوم على دول العالم ويتهمها بعدم منح التأشيرات لليهود الى أي جهة في العالم « عندما حام آلاف اليهود حول القنصليات من أجل الحصول على تأشيرات دخول دون جدوى . ومع ازدياد محن اليهود في أوروبا ازدادت الاجراءات ضد منح التأشيرات لهم من بلاد العالم . ويضرب أمثلة على اتهاماته من خلال منح ٦٨ يهوديا دخول بيونس ايرس في مارس ٣٩ ، ومن خلال ابحار ٩٠٠ يهودي على طول الساحل الاميركي لمدة ثلاثة اسابيع في محاولة للنزول الى البر ولكن لم يسمح لهم وعادت بهم السفن من حيث أتت[٥] .

(١) Palestine Diary, p. 351- New York Times- 29 — 3 — 44

(٢) Walter Laquer, p. 540, opcit.

(٣) Walter Laquer, p. 748, opcit.

(٤) R. F. Drinan, Honor the Promise, Double day and com. inc. Garden City, N. 4. 1977, p. 45.

(٥) Abba Eban, My People, pp. 393 - 407, opcit.

اما رئيس المنظمة الصهيونية حاييم وايزمان فانه يلقي اللوم على الدول الديمقراطية ويرى أنها لم تهتم باليهود اثناء الحرب : « لو أن الدول الديمقراطية وحكوماتها اهتمت بالامر لامكن انقاذ مئات الالاف من اليهود قبل الحرب واثنائها»[١] .وهنا يعيد وايزمان ما قاله ابا ايبان ولكن بتفصيل أوضح .

تلجأ القيادة الصهيونية الى تبرير تقصيرها ـ بعد اتهامها لاكثر من طرف ـ وتدعي انها بذلت أقصى جهدها في عمليات الانقاذ رغم العوز المادي الذي كانت تعانيه هذه القيادة على حد تعبيرها مما اضطرها الى تطبيق مبدأ الاختيار في الانقاذ من بين اللاجئين الذين كانوا بالملايين .

مما سبق يمكننا القول ان القيادة الصهيونية تلقي تبعة ما حدث لليهود اثناء الحرب على العالم أجمع . ويتدرجون في القاء التبعة هذه من درجة عدم الاهتمام واللامبالاة الى اتهام بعض الدول بالتعاون والتواطؤ مع النازيين ضد اليهود .

من بديهيات الحياة أن يبدأ الانسان اهتمامه بنفسه ثم يطالب الاخرين الاهتمام به ، وان اتهام القيادة الصهيونية للقوى الديمقراطية يشكل خطورة على قيم ومبادىء انسانية ما تنفك هذه القوى تدعو اليها ، لذا فان القوى ليست مستعدة للسكوت عن هذه الاتهامات اذا كان لديها ما تفند به آراء الصهيونية ، لا سيما وان القيادة الصهيونية التي تدعي مسؤ ولياتها عن يهود العالم لم تهتم بهم اثناء محنتهم ، لذا فليس من حقها مطالبة الاطراف الاخرى بما لم تقم به ! خاصة وأن الحركة الصهيونية لم تكن طرفا مباشرا في القتال ولم تكن تشرف على جبهات قتال داخلية او خارجية بينما كانت جميع الدول التي تتهمها الصهيونية بالاهمال أو التقصير منشغلة في تأمين الامداد العسكري لجبهات القتال ومنشغلة في تأمين التموين لشعوبها والحفاظ على جبهاتها الداخلية من الانهيار .

ان عدم الاهتمام الصهيوني بيهود أوروبا في فترة تعرضهم لاجراءات هتلر يبدو واضحا من خلال النشاط الصهيوني في فترة الحرب العالمية الثانية ومن خلال ما بدأ يظهر من كتابات صهيونية في فترة ما بعد الحرب والامثلة على ذلك كثيرة نورد منها ما يلي :

* يرى بن جوريون ان هناك اربعة حوادث هامة في التاريخ اليهودي هي المنفى ، الرسالة في جبل سيناء ، فتح يوشع ، وظهور اسرائيل[٢] . ولكنه لا يرى ما حل باليهود في أوروبا حدثا يمكن الالتفات اليه أو لفت نظر العالم اليه كحادث هام .

(١) haim Weizmann, p. 434, opcit.
(٢) Walter Laquer, p. 549, opcit.

* في يناير ١٩٤١ أقام الحاخام ابا هليل سيلفر المسؤ ول الصهيوني في الولايات المتحدة الاميركية حفل عشاء لجمع الاموال من أجل اعادة بناء فلسطين وفي هذا التاريخ كان العالم كله وبالاخص حكومات المنفى منشغلة في توفير بعض الحاجات للشعوب التي وقعت تحت الاحتلال النازي وبدلا من جمع المال لانقاذ اليهود او مساعدتهم على الصمود في محنتهم كانت المنظمة الصهيونية تجمع المال من أجل اعادة بناء فلسطين لا من أجل انقاذ اليهود .

* في مايو ١٩٣٩ ـ وقبيل اعلان الحرب التي تنبأ بها قادة الصهيونية وادعوا أنهم حذروا مما سيحل باليهود في ظل الحكم النازي ـ خطب المارشال سمجلي البولندي واعلن ان بولندا ستدرب أربعة آلاف شاب من منظمة الارجون تجمعهم من بين يهود أوروبا كما أعلن انه يمكن أن يقيم دولة يهودية في فلسطين بعد طرد الانجليز منها الا أن قادة العالم اليهودي استنكروا مساعدة بولندا في اجلاء اليهود واعتبروه تعاوناً مخجلا مع اللاسامية[١] . وهو موقف صهيوني غريب اذ ان تهجير الشباب كان هدفاً صهيونياً كما أن تأسيس دولة يهودية كان هدفاً صهيونياً آخر فلماذا يقف الصهيونيون من سمجلي موقف المستنكرين والمتهمين اياه باللاسامية ، لم يكن في الموقف من جديد غير أن الموقف البولندي كان معارضاً للموقف البريطاني تجاه فلسطين ، وفي رأينا لا تريد قيادة الحركة الصهيونية التسجيل على نفسها مهما كان الثمن موقفا متناقضا مع بريطانيا من خلال تأييدها لطرف غير بريطاني حتى لو كان في ذلك ما يساعد على انقاذ عدد من اليهود .
لقد سيطرت الروح السياسية الصهيونية على كل ما عداها .

في وسط المحن اليهودية في أوروبا نشطت قيادة الصهيونية داخل اميركا وخارجها من أجل عقد مؤتمر بلتمور الشهير في شهر مايو ١٩٤٢ وصدرت توصيات عن هذا المؤتمر تطالب بكومن ويلث يهودي في فلسطين كما سيطر على اجواء المؤتمر موضوعات تتصل بتأسيس الدولة اليهودية مثل تكوين جيش يهودي ومنح التسهيلات للوكالة اليهودية بالسيطرة على الهجرة اليهودية ، والغاء الكتاب البريطاني الابيض سنة ١٩٣٩ ولم يصدر عن المؤتمر ما يشير الى اهتمامه بما حل بيهود اوروبا الا بما يتناسب مع هدف الصهيونية في تأسيس الدولة اليهودية . وقد تدعي القيادة الصهيونية أنها لم تكن على علم بتفاصيل ما حل باليهود عند انعقاد المؤتمر في شهر مايو ١٩٤٢ اذ تشير بعض المصادر ـ رغم ما أوردناه سابقا من علم العالم اجمع بما حل باليهود مبكرا ـ الى أن تفاصيل ما حل باليهود لم تتضح الا بعد

(١) Palestine Diary, p. 313, opcit.

اغسطس ١٩٤٢[1] .الا أن النشاط الصهيوني حتى بعد أن تأكد العالم بما يحدث لليهود في المعسكر النازي استمر منصبا من أجل الهدف الصهيوني ففي بيان ٢/ ١١/ ١٩٤٢ الذي وقعه ٦٨ سناتورا ، ١٩٤ من رجال الكونجرس ومئات الشخصيات الاجتماعية الاميركية ذلك البيان الذي كان نتيجة نشاط القيادة الصهيونية في الولايات المتحدة الاميركية ـ مطالبة بتأسيس وطن قومي يهودي لم يشر من قريب او بعيد الى الاجراءات الواجب اتخاذها من أجل انقاذ يهود اوروبا او التخفيف عنهم . وفي ١٠/ ١١/ ١٩٤٢ قام بن جوريون بدعوة المجلس الصهيوني العام (المؤسسة البديلة للمؤتمر الصهيوني أثناء الحرب) من أجل دعم المجلس لبرنامج بلتمور الا ان هذا المجلس لم يدع مرة واحدة خلال الحرب كما لم يدع اطلاقاً من أجل بحث مشكلة الابادة .

وفي ٩/ ٣/ ١٩٤٣ اقيم مهرجان في مدينة نيويورك لاحياء ذكرى مليوني، يهودي قتلوا على يد النازيين . وقد حقق المهرجان نجاحاً صهيونياً مالياً وسياسياً وطالب المهرجان بعقد مؤتمر طارىء لانقاذ يهود اوروبا الا ان مندوب المنظمة الصهيونية في المهرجان طالب بالاعتراف باليهود كأمة كما طالب بالغاء الكتاب الابيض الصادر ١٩٣٩[2] . ولم يطالب لا بالسماح لليهود بدخول اميركا ولا باتخاذ الاجراءات الكفيلة بانقاذ اليهود من جحيم النازية .

وبالاضافة الى ما تقدم فان الصهيونيين انفسهم يعترفون بعجزهم عن القيام بأي عمل استهدف انقاذ يهود اوروبا او بعض منهم وذلك لان « الهجرة غير المشروعة » التي كان عملاء الموساد يتولون تدبير أمرها بين الشباب اليهودي في أوروبا اوقفت تماماً وغادر عملاء الموساد أوروبا بعد السيطرة النازية على رومانيا واغلاق الدانوب واصبح يهود أوروبا في وضع لا يسمح بمساعدتهم وذلك مع نهاية عام ١٩٤١[3] .

ان عودة عملاء الموساد جميعاً من أوروبا الى تل أبيب مع نهاية ١٩٤١ والتفاتهم نحو يهود البلاد العربية من أجل تهجيرهم الى فلسطين يعتبر حجة صهيونية يسهل استخدامها في الرد على جميع الادعاءات الصهيونية باهمال العالم او لا مبالاته تجاه ما حدث لليهود . وان حدث ذلك فالمنظمة الصهيونية بعد اعترافها بعدم قدرتها على تهجير حتى الشباب اليهودي من أوروبا لا ينبغي لها ان تضع اللوم في عدم الانقاذ على أي جهة اخرى طالما كانت غارقة

(١) Christopher Syker, p. 279, opcit.
(٢) Palestine Diary, pp. 349 — 350, opcit.
(٣) John and David Kimche, p. 57, opcit.

في المطالب السياسية واعادة بناء الوطن القومي .

أما حول ما تدعيه المنظمة الصهيونية من ان عدم الانقاذ لم يتم بسبب العوز المالي الذي كانت تعانيه فذلك أمر تدحضه ارقام التبرعات التي كانت تصل المنظمة الصهيونية بالاضافة الى الاشتراكات التي كان يدفعها الاعضاء والضرائب التي كان يدفعها اليشوف في فلسطين . فقد بلغ معدل الصرف على النحو التالي من قبل المنظمة الصهيونية في الفترة ما بين ١٩٤٠ ـ ١٩٤٥ .

هجرة وتدريب مهاجرين ٢,٤٩٦,٥٧٨ جنيها فلسطينياً أي حوالي ١٢ مليون دولار أميركي .

استيطان زراعي ٢,٩٠٤,٨٦٩ جنيها فلسطينيا أي حوالي ١٥ مليون دولار اميركي
تنظيم وطني وامن ومساعدات طوارىء ٢,٥١٩,٨٠٧ جنيها فلسطينيا أي اكثر من ١٢ مليون دولار اميركي[1] .

اما بالنسبة لما تم جمعه من تبرعات فقد بلغت حتى عام ١٩٤٨ ما مجموعه ٤٣٥,٣٧٩,٨١٠ دولارات اميركية من الجالية اليهودية الاميركية وما مجموعه ٢٢٩,٤٣٥,٠٠٠ دولار من صندوق النداء المتحد في الفترة ما بين سنة ٢٧ و ٤٨[2] .وفي عام ١٩٤٠ وحده كان دخل الصندوق اليهودي المتحد ٣,٥ ملايين دولار[3] .

لم يكن قادة الصهاينة يفكرون في تهجير اليهود الى اميركا أو بريطانيا أو أي بلد في العالم غير فلسطين . وحتى لو توافرت مثل هذه الفرص فانهم كانوا يرفضونها ، ويعترف رئيس المنظمة الصهيونية حاييم وايزمان بمثل هذا التفكير ففي رسالة له الى سمطس رئيس وزراء جنوب افريقيا بتاريخ ٢٠/ ٣/ ١٩٤٥ يقول : ان اليهود لا يمكن استيعابهم حتى في البلدان الليبرالية الغربية. وان هجرتهم ضرورة ملحة وما لم تفتح أبواب فلسطين لهم سيوجه الضغط نحو اميركا وبريطانيا[4] .وواضح من رسالة وايزمان انه حتى قبيل انتهاء الحرب لم يكن قادة الصهاينة قد فكروا في هجرة اليهود الى بريطانيا واميركا . وحتى شهر مارس ١٩٤٥ كان وايزمان ما زال يرى أن هجرة اليهود ينبغي ان تكون الى فلسطين . وليس بخاف على أحد أنه في هذا التاريخ كان هتلر قد اتم فعلته ولم يبق غير الاحياء

(١) محمد عادل الجاور ـ قوانين الانتداب ، ص ١٢٥ ، مرجع سابق .
(٢) ريما الخالدي والقضية الفلسطينية والخطر الصهيوني ص ١٤٢ ـ ١٤٣ ، مرجع سابق .
(٣) Wallter Laquer, p. 548, opcit.
(٤) Stevens, Weizmann and Smuts, p. 80, opcit.

من اليهود مشردين في الاقطار الاوروبية ورغم ذلك فوايزمان يرفض التخفيف عن الاحياء ويصر على مطالبته بهجرتهم الى فلسطين ، رغم انه قد ثبت لكل المراقبين بعد انتهاء الحرب ان القليل من اليهود يفكرون في الذهاب الى فلسطين . ولو ترك لهم الخيار لاختاروا اي بلد في العالم غيرها وكان أكثرهم يفضل اميركا[1] .

ومن المعلومات المتوافرة لدينا فانه يمكن بسهولة مجادلة الادعاءات الصهيونية بتقصير العالم نحو يهود أوروبا اثناء محنتهم رغم ظروف الحرب القاسية ورغم اغلاق النازيين كل المنافذ المؤدية الى أوروبا بعد أن تمت سيطرتهم على معظمها . ففيما يخص الموقف الاميركي نلاحظ ما يلي : ـ حتى ٧/ ١٢/ ١٩٤١ م أي تاريخ دخول الولايات المتحدة الاميركية الحرب ضد النازيين كانت مؤسسة ZSS (خدمة المجتمع اليهودي) في بولندا تتلقى من اميركا سنوياً ما مقداره مليون دولار أميركي وكانت هذه المؤسسة ترعى الاطفال اليهود وتقدم الوجبات الغذائية للسكان من خلال مطاعم جهزت في الغيتوات اليهودية[2] . ولكن هذه المؤسسة اختلفت مع أعضاء المجالس اليهودية وهم في معظمهم صهيونيون ارتضوا العمل مع الاداة النازية للسيطرة على المجتمع اليهودي في بولندا . وقد وصف معظم أعضاء هذه المجالس بكل الصفات التي تدمغهم بالتآمر والخيانة والفساد في أكثر من مصدر صهيوني (الحرب ضد اليهود ، هولكست ، بيرفيدي) . وكان اختلاف المؤسسة مع أعضاء المجالس اليهودية سببا في تعطيل هذه المؤسسة عن تقديم خدماتها .

وعندما أصبح ما جرى لليهود معروفاً قام الرئيس الاميركي روزفلت بتكليف موريس ارنست بمهمة دراسة امكانية تهجير نصف مليون يهودي من أوروبا من خلال ميزانية عالمية ومن خلال توزيع المهاجرين على بلاد متعددة كان الرئيس الاميركي يعتقد أنها ستقبل اعدادا من اليهود بالاضافة الى ما ستتحمله اميركا وبريطانيا . ولكن مهمة ارنست فشلت فشلا ذريعا واتهم صاحبها في الاوساط الصهيونية بالخيانة والغدر ولم تقم القيادة الصهيونية بتقديم أي عون لخدمة برنامج روزفلت[3] .

تهاجم الدعاوى الصهيونية قانون الهجرة الاميركية بحجة أن هذا القانون صمم بحيث يمنع دخول اليهود ـ خلال ازمتهم ـ اميركا ولكننا نلاحظ أن الصهيونيين انفسهم يباركون هذا القانون اذ اكد وايز على احترام قانون الهجرة الى اميركا وعدم خرقه . وعندما اقترح

(١) Walid Khaldi, p. 533, opvit.
(٢) Lucy. S. Dawidwicz, p. 243, opcit.
(٣) Waled Khaldi, p. 493, opcit.

وايز قبول ١٠ الاف طفل يهودي سنوياً لمدة سنتين في اميركا اعلن ان مصلحة اميركا هي الاولى اذا تناقضت هذه المصلحة حتى مع هجرة الاطفال[1] .

كما يمكن الرد على الدعاوى الصهيونية ضد بريطانيا بما سبق ذكره حول دور بريطانيا في تشجيع الهجرة اليهودية وبعض المواقف التي حدثت أثناء الحرب . ففي الفترة ما بين ١٩٣٣ و ١٩٤٣ استقبلت بريطانيا ٦٧ ألف يهودي من النمسا والمانيا وحدهما ما عدا ما استقبلته من المجر وبولندا رغم ما كانت تعانيه بريطانيا من نقص في الغذاء[2] . وفي ٢٧/ ٣/ ١٩٤٣ قام أيدن الوزير البريطاني باعلام زميله الاميركي كورد هل باستعداد بريطانيا لاستقبال ٦٠ ألف يهودي في فلسطين اذا ماتوافرت المواصلات .وفي عام ١٩٤٣ أيضاً أعلنت بريطانيا أنها ستسمح بدخول أي يهودي الى فلسطين يستطيع الوصول الى تركيا ، وعندما لاحت فرص المقاومة اليهودية ضد النازيين والتي كان اولها في ٢٩/ ١٠/ ١٩٤٢ في الغيتوات اليهودية كانت بريطانيا من خلال فرع المخابرات المكلف بالعمليات في الاراضي التي احتلها النازيون والمسمى SOE[3] هي مركز امداد حركات المقاومة ، رغم انه من الثابت حتى الان حسبما نعلم ان المنظمة الصهيونية لم تبادر مرة واحدة الى تنظيم أي عمل للمقاومة اليهودية ضد النازيين وكانت المقاومة اليهودية تتم عن طريق الاحزاب السياسية الاوروبية مثل الحزب الاشتراكي الفرنسي والاحزاب الشيوعية في شرق أوروبا . اما عن دور الديمقراطيات الاخرى التي اتهمها وايزمان بالاهمال فاننا نلاحظ أكثر من موقف في أكثر من بلد أوروبي يدحض ادعاء وايزمان بل ويدين الموقف الصهيوني في اكثر من بلد أوروبي .

ففي هولندا اضرب الطلاب احتجاجاً على طرد الاساتذة اليهود من عملهم بعد الاحتلال النازي لها كما قام الشعب الهولندي بتخبئة اكثر من ٢٠ ألف يهودي .وفي الدانمرك وقفت الحكوم موقفاً عنيداً ورفضت الانصياع لاوامر النازية القاضية بترحيل اليهود وهدد ملكها بالاستقالة . وفي بلجيكا تعاطف موظفو السكك الحديدية مع اليهود وسهلوا لهم هربهم[4] .

ولدينا من اراء بعض الكتاب المستندة الى المعلومات والحقائق ما يدين المنظمة

(١) Ibid, p. 452.
(٢) Palestine Diary, p. 350, opcit.
(٣) Lucy Dawidwicz, p. 317, opcit.
(٤) Hanana Erndut, Ei chman in Jerusalem, penguine, 1978, pp. 166 — 170

الصهيونية ويجعلها من أول المقصرين ان لم يكن المتهمين بالتواطؤ والتخاذل تجاه ما حل بيهود اوروبا .

فمن المعروف ان النازيين اتبعوا خطوات مرحلية في سياستهم نحو اليهود واولى هذه المراحل كانت سن التشريعات التي تحد من نشاط اليهود الاقتصادي كما تحدد المجالات والمهن التي حرم على اليهود الاشتغال بها ، وهي مرحلة جردت اليهود من بعض الحقوق ولكنها لم تحرمهم من حق المواطنية ويمكن تحديد هذه المرحلة في الفترة ما بين عام ١٩٣٣ م وعام ١٩٣٨ م .

اما الفترة الثانية فهي فترة تجميع اليهود في غيتوات محددة ومنعهم من مغادرتها الا باذن من السلطات النازية . وتبدأ هذه الفترة بعد عام ١٩٣٨ وتستمر مترافقة مع المرحلة الثالثة والتي تم فيها ترحيل اليهود الى معسكرات الابادة الجماعية والتي انتهت في عام ١٩٤٤ م .

وقد اتبع النازيون اثناء فترة تجميع اليهود في غيتوات محددة وترحيلهم الى معسكرات الابادة اسلوب الاستعانة باليهود أنفسهم من أجل السيطرة على التجمعات اليهودية في الغيتوات وأثناء فترة اختيار المرحلين الى معسكرات الابادة ومن أجل السيطرة هذه قام النازيون بتشكيل جهازين رئيسيين توليا المسؤولية الاول : المجالس اليهودية عندما تم اختيار عدد من اليهود في كل غيتو ، وتم تعيينهم اعضاء في مجلس الغيتو برئاسة يهودي أيضاً . وكان يتم تبليغ القرارات النازية الى هذه المجالس . أما الجهاز الثاني فقد كان « البوليس اليهودي » هو الجهاز الذي أوكل اليه تنفيذ أوامر المجالس اليهودية في الغيتوات . ومن خلال اطلاعنا على اعمال هاتين المؤسستين لاحظنا ان الصهيونيين كانوا غارقين فيها وقد تعاونت المؤسستان بكل امانة مع الاجهزة النازية ومارسوا كل الاساليب اللاأخلاقية مع اليهود من أجل الضغط عليهم وقتل روح الارادة والمقاومة فيهم وجعلهم اناسا مستسلمين لا حول لهم ولا قوة .

ويورد بعض الكتاب وهم جميعاً اما صهيونيون أو يهود أمثلة محددة على تآمر هذين الجهازين مع النازيين وعلى فساد سلوكها وممارسة أعضائها للرشوة والمحسوبية والسيطرة على اليهود[١] . فقد كان أكثر الشباب اليهود انخراطا في البوليس اليهودي في الغيتوات من الحزب التصحيحي الصهيوني الذي كان يقوده جابوتنسكي والمنشق عن المنظمة الصهيونية . وقد تحول هؤلاء الشباب الى جلادين لليهود بدلا من حمايتهم . كما كان رئيس غيتو فيلنا جاكوب جنز تصحيحياً أيضاً وقد استخدم سلطاته ضد اليهود بعنف وقسوة كما تم

(١) راجع على سبيل المثال : Dawidwicz, pp. 234 — 235, pp. 294 — 315, opcit.

تنفيذ تصفيات غيتو وارسو في ٢٩/ ٤/ ١٩٤٢ بواسطة البوليس اليهودي . وعندما بدأ النازيون استخدام الغاز في قتل اليهود في Chilmno قام قادة المجالس اليهودية (وهم في معظمهم صهيونيون) باخفاء أخبار هذا القتل عن اليهود[١] .

ان الحديث عن التقصير الصهيوني تجاه ما حل بيهود اوروبا ومن قبل الصهيونيين أنفسهم بدأ يسمع في المناسبات بعد تأسيس الكيان الصهيوني في فلسطين. ففي احتفال لذكرى مقاومة غيتو وارسو للنازيين اقيم في عام ١٩٦١ اعلن ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودي العالمي عند حديثه عما حل باليهود ما يلي : نحن جميعاً ملامون لا بسبب العوامل الموضوعية ، ولكن بسبب غياب العزيمة الصادقة والاستعداد الملجوم من أجل تبني جمع الاجراءات الممكنة (لانقاذ اليهود) في ذلك الوقت[٢] .

وفي ثنايا حديث جولدمان نلحظ الكثير الذي يمكننا تفسيره او استنتاجه فهو يعترف ان العوامل الموضوعية لم تكن سببا في تقصير الصهيونية تجاه يهود اوروبا بقدر ما كانت العزيمة الصهيونية هي السبب وبقدر ما كان الاستعداد من أجل العمل سببا آخر . كما ان اعلان جولدمان يمكن أن يستنتج منه أن المنظمة الصهيونية كانت قادرة على العمل ولكنها لم تعمل . كما اتيحت لها الفرص للتحرك ولكنها لم تتحرك ، واذا ما اردنا اثبات ما ذهبنا اليه فالامثلة التي تم جمعها كثيرة نورد بعضاً منها .

في يناير ١٩٤٠ كانت هناك سفينة محملة باللاجئين اليهود تقف في نهر الدانوب وتقدم قبطان الباخرة بطلب من أجل الحصول على المال لاستمرار الرحلة ، ولكن هنري منتور نائب رئيس اللجنة التنفيذية للنداء اليهودي المتحد رد عليه بما يلي : « كثير من الركاب هم من كبار السن والنساء وغير قادرين على تحمل الاستمرار في مثل هذه الرحلة . ان الذهاب الى فلسطين بحاجة الى شباب ذكور واناث يفهمون التزامات الوطن القومي اليهودي . واذا ما ملئت فلسطين بالعجزة وغير المرغوب فيهم فلن يكون هناك ذخيرة قاتلة[٣] .ان رد هنري منتور يؤكد ما ذهبنا اليه في الصفحات السابقة بان الصهيونيين لم يفكروا في انقاذ اليهود كما لم يعنهم جماهير اليهود عامة ، وانما كان تفكيرهم في فترة الحرب منصبا على اختيار الشباب فقط من أجل استخدامهم في بناء دولة المستقبل . كما أن رد هنري منتور يدحض الزعم الصهيوني القائل بأن التقصير الصهيوني في عملية الانقاذ كان مرده الى العجز المالي الذي كانت تعانيه المنظمة الصهيونية . وفي رسالة لهنري منتور نفسه الى الحاخام باروخ

(١) (٢) Moshe Shonfeld, The Holo Caust, part i, Brooklyn N. Y. 1977, p. 20.

(٣) Shonfeld, p. 25, opcit.

رابونوفتش بتاريخ ١/ ٢/ ١٩٤٠ جاء فيها :

«عزيزي الحاخام رابونوفتش انني هنا أطرح لك موضوعين يمكنهما مساعدتك في مواجهة حكمك حول الموضوع المتعلق بلاجئي الدانوب . ان الصندوق المتحد هو اداة لجمع المال للوكالة اليهودية بفلسطين كما هو الصندوق القومي اليهودي . ومهما كان موقف الوكالة بالنسبة للمهاجرين غير الشرعيين (الهاربين من النازيين) الى فلسطين فانه لا يمكنها كمؤسسة قانونية تأكيد موقفها علناً من هذه الهجرة وكما تعلم فان بعض فقرات الكتاب الابيض تعطينا هجرة سنوية تعدادها عشرة الاف مهاجر . لذا فان الموقف العلني حول الهجرة غير المشروعة والعلم بها من قبل مؤسسة مثل الوكالة اليهودية- والتي لا تؤيد هذه الهجرة فحسب بل تمولها - يمكن أن يؤدي الى ضربة قاتلة بالنسبة لدخول الشرعيين والمؤهلين لهذا العمل الى فلسطين .

ان عامل الانتقاء يعتبر عاملا لا مفر منه في التعامل مع مشكلة الهجرة الى فلسطين وذلك لان الانتقاء يعني اختيار الشباب والشابات المدربين في أوروبا لاغراض انتاجية اما في مجال الزراعة او الصناعة وفي نفس الوقت هم مدربون على الحياة في فلسطين والتي تحمل في طياتها مصاعب يجب ان يكونوا مستعدين لها نفسياً وجسمياً .

ان الاعتبارات العاطفية تعتبر حيوية وكل منا يرغب في انقاذ كل يهودي يمكن انقاذه من اتون أوروبا ولكن عندما يكون المرء مرتبطاً ببرنامج مثل برنامج الهجرة السرية ويبدو واضحا ان هؤلاء المرسلين الى فلسطين ينبغي ان يكونوا قادرين على تحمل الظروف القاسية التي يعيشونها عدة أسابيع او أشهر في البحر المتوسط بالاضافة الى الصعوبات التي تنتظرهم عند نزولهم الى شواطىء فلسطين . وينبغي الا يكون هناك ذخيرة ميتة اخرى تعطى لاعداء الصهيونية سواء للبريطانيين او العرب او حتى بين صفوف اليهود . وليس على فلسطين أن تمتلىء بأناس كبيري السن او بغير المرغوب فيهم الذين سيجعلون الحياة مستحيلة وسيدمرون الظروف الاقتصادية الخلاقة . وما لم تتطور موارد فلسطين فان هجرة ٣٠ الى ٦٠ الف يهودي سنوياً يكون ممكناً وفي مثل هذه الظروف الا يبدو ضرورياً للقادة المسؤولين ضرورة الاهتمام بالهجرة المنتقاة ؟ وبوجه خاص تحت هذه الظروف الصعبة التي تحيط بالهجرة غير المشروعة »[1] .

ان الرسالة السابقة والتي رأينا ايرادها كاملة تشرح بوضوح السياسة الصهيونية تجاه يهود أوروبا وتتركز هذه السياسة على اختيار الشباب المؤهل للعمل في فلسطين . ان الرسالة لا

(١) Ben Hecht, Perfidy, Juli an Mesner inc , N. Y. 1961, pp. 255 — 256.

تشير من قريب أو بعيد الى العجز المالي الذي يحتمي به الصهيونيون في الدفاع عن تقصيرهم في عمليات الانقاذ ولكنها تضع هذه الاحوال فقط تحت تصرف سياسة الوكالة اليهودية في اختيارها لنوع معين من اليهود . وبالاضافة الى ذلك يحاول كاتب الرسالة تبرير التقصير الصهيوني من خلال عدم قدرة الوكالة اليهودية على اعلانها عن موقفها المؤيد للهجرة السرية . والامر هنا يبدو غريبا اذ اننا باستثناء هذه الرسالة لم نطلع على نص يفيد محاولة تنصل الوكالة اليهودية من مسؤولية الهجرة السرية بل بالعكس تماماً كانت الوكالة اليهودية عند اقتراب كل سفينة تحمل مهاجرين يهود سريين غير شرعيين من شواطىء فلسطين تحيط وصول هذه الباخرة بهالة من الدعاية في محاولة لاحراج السلطات البريطانية وارغامها على السماح لها بانزال ركابها . وفي بعض الحالات،مثل باتريا،رأينا تدخل الوكالة اليهودية المباشر من أجل انزال المهاجرين وكانت الاتصالات بشأنها تتم بين المندوب السامي البريطاني في فلسطين وبين موشي شاريت رئيس الدائرة السياسية في الوكالة اليهودية كما كانت الاتصالات تتم بين حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية وبين جميع المسؤولين البريطانيين في لندن بشأن الباخرة السابقة أيضاً . فكيف يتنصل منتور هنا من عدم قدرة الوكالة على اعلان موقف مؤيد للهجرة غير المشروعة . انه تبرير لا معنى له . ان اسقاط غير الشباب والشابات من التفكير الصهيوني في عملية الانقاذ ينفي جملة وتفصيلا الزعم الصهيوني القائل بعملها على مصلحة اليهود ، كما يتنافى وأبسط قواعد الانسانية في السلوك . لقد التقت الصهيونية هنا مع النازية عندما قرر الطرفان التخلص من العاجزين والعجزة بغية الحفاظ على وجودهما وتحقيق اهدافهما .

لقد اعتبر قادة الحركة الصهيونية عملية انقاذ يهود اوروبا عملية ثانوية وجعلوا استيطان فلسطين وتهيئتها لاعلان الدولة اليهودية هو الاساس وهو الهدف الذي تهدف أمامه كل الامور ، وازاء هذا الامر يعترف اسحق (جرين بوم) في كتابه أيام المذبحة والتدمير بما يلي :«عندما كان البعض يسألني الا تستطيع اعطاء المال من صندوق النداء اليهودي المتحد لانقاذ اليهود في أوروبا ؟ كنت أجيب لا ، وأقول ثانية : لا . ويجب على المرء أن يقاوم هذه الموجة التي تدفع النشاط الصهيوني لكي يصبح مهمة ثانوية»[1] .

وحول عملية انقاذ يهود اوروباقام جرين بوم في بداية فبراير ٤٣ بمخاطبة اجتماع عقد في تل أبيب لمناقشة هذا الامر وأعلن :«لقد قدمت الينا خطتان : انقاذ يهود أوروبا ، وتحرير الارض ، لقد صوتت دون تردد مع تحرير الارض . اذ انه كلما كثر الحديث عن ذبح شعبنا قل جهدنا لتقوية وعبرنة هذه الارض . واذاكانت هناك فرصة لشراء الطعام بأموال الكيرين

(١) Shonfeld, p. 26, opcit.

هايمسود (الصندوق الصهيوني التأسيسي) وارسالها عبر لشبونة لمساعدة اليهود هل نفعل ذلك ؟ الجواب : لا . ومرة ثانية لا»[1] .

وفي أقوال جرين بوم ما يؤكد عدم التفكير الصهيوني منذ البداية في عمليات الانقاذ أو الالتفات اليها ، أو حتى مجرد تقديم الاغاثة للمحتجزين لان ذلك سيكلف الصهيونية اموالا ينبغي انفاقها من أجل تأسيس دولة المستقبل لا من أجل انقاذ اليهود . لقد رأت قيادة الحركة الصهيونية ان سفك الدم اليهودي على أيدي النازيين أمر ضروري لخدمة الهدف الاصيل والمتمثل في المطالبة بدولة يهودية اذا ما انتهت الحرب وعقد مؤتمر للسلام .

وبالاضافة الى هذا فقد ساهم الكثير من الصهيونيين في مساعدة النازيين على فعلتهم في معسكرات التجميع اليهودية كما ساهموا مساهمة فعالة في السيطرة على الغيتوات اليهودية وتقديمها لقمة سائغة للنازيين داخل المعسكر النازي،اما في خارج المعسكر النازي فلم يفكروا في الانقاذ أو المساهمة في التخفيف من معاناة اليهود . ويذهب البعض الى أن بعض الصهاينة منعوا اليهود من اغتنام فرص الانقاذ عندما لاحت لهم وكانوا نازيين اكثر من النازيين انفسهم . فقد نشر حاييم لازار الذي كان محارباً ضد النازية وفقد ذراعه اثناء المقاومة الكثير من الفضائح الصهيونية حول هذا الامر والتي شاهدها شخصياً . ولعل أكبر فضيحة كانت هي ما نشر حول موقف كوفنر احد اعضاء حزب المابام من غيتو فيلنا وذلك عندما تمكن كوفنر من الهرب ومعه خمسون مقاتلا صهيونياً من جماعته تاركاً اليهود يعانون الموت في الغيتو . ولكن كوفنر رفض السماح للشباب من غير مجموعته والذين تمكنوا من الهرب بمرافقته وهدد هؤلاء الشباب بالقتل وطاردهم بعيداً . وعندما وصل ومجموعته الى احدى الغابات المجاورة وأصبح في مأمن من الخطر النازي لجأ اليه بعض النسوة اللواتي تمكن من الهرب كما لجأ اليه بعض الشباب اليهودي ولكنه رفض اقترابهم من معسكر جماعته كما رفض امداد النسوة وأطفالهن بالطعام أو بعض منه ولم ينقذ هؤلاء الا مجيء الجنود الروس الى منطقتهم[2] . ان موقف كوفنر يمثل اعلى درجات الخيانة ضد ابناء جنسه الذي يدعي هو وصهيونيوه الدفاع عن حقوقهم والسعي الى خلاصهم واستغلالهم ورقة في العمل السياسي .

ان كثيراً من المواقف التي تدين القيادة الصهيونية وتدحض ادعاءاتها يوردها Shonfeld في كتابه Holocaust ويمكن الاستزادة منها لمن رغب في ذلك ، الا أننا نورد بعض الاسئلة

(١) Ibid.
(٢) Shonfeld, pp. 32 — 33. opcit.

الملموسة والمحددة من أجل الرد على ادعاءات هذه القيادة بتقصير العالم نحو يهود اوروبا ، ولا مبالاة هذه القيادة نحو بني جنسها ، ولعل أوضح مثال نسوقه في هذا المجال ما دار من نقاش في البرلمان السويدي بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٤٥ وذلك عندما أجرى هذا البرلمان تحقيقا مع حكومته عن دورها في انقاذ اليهود أثناء سنوات الحرب . فلقد أعلن عضو البرلمان مولر ما يلي : « لدي الجرأة بان اؤكد للبرلمان بان الحكومة السويدية لم تكن أقل كرما من التجمع اليهودي في السويد واطلب تسجيل ما أقول »[1] .

ونجد توضيحاً لاقوال عضو البرلمان مولر فيما فعله الدكتور مردخاي برايز حاخام السويد منذ عام ١٩١٤ ، فقد كان صهيونيا وصديقا لهرزل ومن الذين حضروا المؤتمر الصهيوني الاول ، وعاش حتى شهد ما حل بيهود اوروبا أثناء الحرب ، الا انه وقف موقفا معارضا وعنيدا ضد قرار البرلمان السويدي سنة ١٩٣٩ الذي سمح بمنح تأشيرات دخول لعشرات الالاف من اليهود الالمان ، والذين كان يمكن أن ينجوا من الموت ، وعلل موقفه المعارض للقرار بأن تنفيذه يمكن أن يسبب ظهور اللاسامية في بلد لم تعرفها أبداً . وقد نجح الحاخام وعطل قرار البرلمان السويدي[2] .

لقد نجح الصهاينة في دعايتهم وحملوا ضمير العالم مسؤولية ما حدث ليهود اوروبا ، وطالبوه بالتكفير عن تقصيره وسكوته ولكن نجاحهم كان الى حين .

لقد تحول الاتهام ضد قادة الصهيونية بالتواطؤ واللامبالاة الى ادعاء تحمل القضاء الصهيوني بعد عام ١٩٤٨ مسؤولية اثباته او نفيه ، وعند هذا الحد لم يكن أمام العالم الا ان يرى ويسمع ما يجري .

قضية كستنر :

ونستشهد في هذا المجال بقضايا محددة أشهرها القضية رقم ١٢٤/ ٥٣ في محكمة لواء القدس والتي اسماها بن هشت الصهيوني المتحمس قضية « حكومة اسرائيل ضد ماكمايكل جوين والـ Green Wald وذلك في كتابه « الغدر » Perfidy .

لقد لعبت هذه القضية دوراً في اثارة الرأي داخل التجمع اليهودي في فلسطين وذلك لانها ارتبطت بمسؤولية المنظمة الصهيونية في فترة الحرب العالمية ومسؤولية حزب الماباي الذي حكم الكيان الصهيوني منذ تأسيسه وحتى عام ١٩٧٧ عن انقاذ يهود المجر ، كما

(١) Ibd, p. 112
(٢) Shonfeld, p. 112 opcit.

ارتبطت باغراض سياسية داخلية عندما رأى فيها البعض محاولة من حزب حيروت الذي كان يرأسه مناحم بيجين لاسقاط حزب الماباي الذي كان يرأسه دافيد بن جوريون ، وارتبطت بأمور سياسية خارجية عندما رأى البعض انها كانت ـ مع فضائح أخرى ـ سببا في تعرية بن جوريون وحزبه، مماجعلهم،كي يفلتوا من القصاص والانهيار الداخليين يلجأون الى الاشتراك في العدوان الثلاثي على مصر ومع كل من بريطانيا وفرنسا في عام ١٩٥٦ .

ان تفاصيل محاكمة كستنر اوردها الكاتب الصهيوني بن هيشت في كتابه « الغدر » Perfidy وكانت الحقائق التي وردت في الكتاب على لسان الشاهد والمتهم « كستنر » مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر أثناء الحرب دليلا ماديا على عدم صحة الادعاءات الصهيونية في أكثر من مجال .

تتلخص قضية كستنر على النحو التالي : نشر المدعو جرين والد البالغ من العمر ٧٢ سنة في ديسمبر ١٩٥٣ في احدى نشراته التي تحمل الرقم ٥١ ـ والتي كان يصدرها بنفسه ويوزعها مجانا على القراء اتهاما ضد كستنر الناطق الرسمي باسم وزارة التجارة والصناعة الصهيونية عند ئذ ـ وتلخص اتهام جرين والد في أن كستنر (عضو حزب الماباي) ذهب الى محكمة نورمبرج الدولية ليدافع عن الكولونيل النازي، كورت بيشر ، والذي كان يعمل مدير الاقتصاد في جهاز S. S. وتمكن من تبرئة بيشر وانقاذه من الاعدام ، بحجة أنه ساعد يهود المجر ، في حين رأى جرين والد ان بيشر كان سابحاً في دم اليهود وكانت علاقته بكستنر علاقة تعاون يستحق عليها الأخير المحاكمة .

ومن تتبع سير محاكمة كستنر كما نشرها بن هشت مفصلا يمكن للقارىء ان يصل الى ما يلي :

استطاع كستنر ان يعقد صفقة مع المسؤولين النازيين الاتية أسماؤهم : كورت بيشر مدير الاقتصاد في جهاز الـ S. S. النازي والكولونيل كرومي Krumey المسؤول عن ترحيل اليهود ، وفوت فسلنسي Wisliensey احد المسؤولين عن تنفيذ سياسة النازية ضد اليهود ، وأدولف ايخمان Eichman رئيس الدائرة اليهودية في جهاز S. S. .

وتتلخص الصفقة في انقاذ ١٦٨٠ يهوديا معظمهم كانوا من أقرباء كستنر ومن الصهيونيين، من بين يهود المجر البالغ عددهم ٨٠٠ ألف وذلك في شهر يونيه ١٩٤٤[١] .

كان كستنر رغم السلوك النازي ضد اليهود يتمتع بامتيازات سفير دولة محايدة اذ اعفي

(١) Ben Hecht, p. 168, opvit.

من وضع النجمة الصفراء على صدره وهي التي كان يضعها اليهود بأمر النازيين ، كما كان تحت تصرفه سيارة وهاتف ، كما كان دائب التنقل بين المناطق التي يسيطر عليها النازيون دون أن يعترضه أحد ، وفي الوقت نفسه يقابل أكثر من مسؤول نازي .

هذه الصفقة وهذا السلوك اثار الشك في نفس محامي جرين والد والمدعو صمويل كاتزنلسون (تامير بعد ١٩٣٧ وأصبح وزيراً للعدل بعد انتخابات سنة ١٩٧٧) وسأل نفسه اثناء المحاكمة لماذا كانت كل هذه الامتيازات لكستنر ؟ وأجاب بينه وبين نفسه لقد ساعد كستنر النازيين على قتل اليهود . ولم يستطع اثبات ذلك الا عندما وقع كستنر في تناقض مع نفسه وأنكر مساعدته للكولونيل بيشر واعتبر مثل هذه المساعدة خيانة وطنية . ولكن المحامي ابرز وثيقة تحمل الرقم ٢٢ في أوراق القضية وهي عبارة عن رسالة وجهها كستنر بتاريخ ٢٦/ ٧/ ١٩٤٨ الى اليعازر كابلان احد مسؤولي الوكالة اليهودية سابقاً اعترف فيها بمساعدة الكولونيل بيشر[١] كما أثبت المحامي ان كستنر قد أدلى بشهادته لصالح بيشر باذن من دويكين ، وباولاس (من الوكالة اليهودية) وباذن السيد Perlzweig رئيس الدائرة السياسية في المؤتمر اليهودي العالمي[٢] .

كما أثبت صمويل تامير المحامي أن كستنر سافر الى نورمبرج فقط من أجل انقاذ بيشر وذلك حسب شهادة والتر هـ . راب رئيس مجلس الشهود في محاكمات نورمبرج وهو كولونيل في الجيش الاميركي »[٣] .

ذكر كستنر أثناء مناقشة المحامي صمويل تامير له ، ان ما يشاع عن سلب قوات S. S. النازية للملابس وممتلكات اليهود ليس صحيحا . كما ذكر ان ما يقال حول نزع الاسنان الذهبية من القتلى اليهود ليس صحيحا بل كذب أيضاً[٤] . وفي أقوال كستنر هذه نسف لكل الدعاية الصهيونية حول تصرفات النازيين تجاه القتلى اليهود وهي دعاية ركز عليها الصهاينة ولا يزالون من أجل ابتزاز المواقف الانسانية والسياسية لصالحهم .

وكانت المحكمة الصهيونية هنا بين أمرين اما أن ترى كذب كستنر ، أو كذب الدعاية الصهيونية وكلاهما مر . تبين أن الكولونيل النازي كورت بيشر مسؤول الدائرة الاقتصادية في S. S. والذي يفترض حسب ادعاءات الصهيونية انه أشرف على تجريد اليهود من أموالهم

(١) Ibid, p. 73.
(٢) Ibid, p 78.
(٣) Ben Hecht, p. 80, opcit.
(٤) Ibid Hecht, p. 83.

وممتلكاتهم كما أنه يفترض أن يكون قد أشرف على نزع كل شيء ثمين من الموتى اليهود قبل دفنهم بحكم منصبه ـ تبين أنه يعيش في المانيا غنيا هادئا ويملك عدة شركات احداها مؤسسة Cologne- handle Geslischah وهي مؤسسة تبيع القمح لاسرائيل بعد تأسيسها سنة ١٩٤٨ م[١] .

تبين كذلك أن النازيين كانوا يودون التكتم على قتل يهود المجر وذلك لانها لم تكن أرضاً محتلة وكانت شبه نازية وبها ٥ سفراء لدول محايدة كما كان بها ممثل للبابا وبعثة للصليب الاحمر الدولي ولم يجد النازيون من يساعدهم على هذا التكتم غير رودلف كستنر مسؤول لجنة الانقاذ اليهود ـ ممثل الوكالة اليهودية والمؤتمر اليهودي العالمي في بودابست بالاضافة الى ذلك كان النازيون يريدون سحق يهود المجر على حين غرة لانهم كانوا بكامل قوتهم وقبل ان ينتبهوا الى الخطة النازية وينظمون صفوف المقاومة ضد النازيين بينهم . وقد تم هذا أيضاً عن طريق الدكتور كستنر مسؤول الانقاذ الصهيوني[٢] .

استطاع المحامي تامير عبر التحقيق المتقاطع ان ينتزع اعتراف كستنر بالتقصير والسكوت وعدم اقدامه على ابلاغ يهود مدينة كلوج بما سيجري لهم من قتل ، رغم علمه بمواعيد ترحيل هؤلاء الى غرف الغاز التي اعدت لموتهم في اسشفوتز وأن يضيع عليهم فرصة الهرب الممكنة والمقاومة السهلة بسبب عدم وجود قوات نازية كافية في مدينة كلوج في ذلك الوقت[٣] مقابل انقاذ ٣٨٠ صهيونياً .

ان أخطر ما أورده بن هشت في كتابه في رأينا يتلخص فيما اثبته من عدم اهتمام القيادة الصهيونية بكل ما كان يجري في المجر . اذ ان صحافة المجتمع اليهودي في فلسطين في الفترة التي بدأ فيها ترحيل يهود المجر الى اسشفوتز لقتلهم لم تذكر شيئاً عما كان يجري لهؤلاء ، وفي الفترة ما بين بداية ابريل ١٩٤٤ م ونهاية مايو ١٩٤٤ م كان المسؤولون في التجمع اليهودي بفلسطين منشغلين بأمور لا تمس مصير يهود المجر لا من قريب أو بعيد اذ امتلأت الصحف الصهيونية باخبار اعمال الارهاب التي كانت تمارسها الارغون ضد الفلسطينيين وضد الانجليز كما اشارت صحيفة دافار « الى ان انكار النازيين لقتل اليهود يقوم على أساس من الصحة اذ لم يكن قتل اليهود بالكثرة التي كنا نخشاها »[٤] .

---

(١) Ibid Hecht, p. 84.

(٢) Ben Hecht, p. 96, opcit.

(٣) IbidHechti, p; 109.

(٤) Ibid Hecht, p. 145?.

وبالاضافة الى اهمال الصحافة لاخبار يهود المجر ومحاولاتها التخفيف من خطر المحنة حدثت مناسبات صهيونية خطب فيها قياديون صهيونيون ولم يشيروا الى ما كان يجري ليهود المجر ، كما أن المؤسسات الصهيونية التي اجتمعت في تلك الفترة مثل المجلس الوطني (فثالؤمي) في ٩/ ٥/ ١٩٤٤ لم تناقش الامر وكانت منشغلة بالانتخابات الحزبية وهو موعد بداية ترحيل يهود المجر بمعدل ١٢ الفاً يومياً)[١] .

ةكذلك حزب الماباي (اقوى حزب صهيوني في فلسطين) الذي عقد مؤتمره في ٢/ ٦/ ١٩٤٤ إلا أنه لم يشـــر الى يهود المجر أو معاناتهم من قريب أو بعيد .

ان ما أورده بن هشت لا يجعل لقيادة الصهيونية حجة في اتهام الآخرين بالتقصير . مما لا يدع مجالا للمجادلة في أن القيادة الصهيونية التفتت الى الاهداف السياسية سواء الداخلية منها على مستوى حزبي في اليشوف او الخارجية منها على مستوى العلاقات مع الدول او الجاليات اليهودية ولم تلتفت الى ما يجري لليهود الذين يعانون من النازيين .

لقد تركت محاكمة كستنر اتهامات موجهة الى مسؤولي الوكالة اليهودية ومسؤولي حزب الماباي ومسؤولي المؤتمر اليهودي العالمي وبدأت ترتفع بعض الاصوات كان د . موشي كيرين مثالا منها مطالبة بمحاكمة كستنر كمواطن عادي لا تحميه حكومة اسرائيل وذلك في ١٤/ ٧/ ١٩٥٥[٢] . وقد طار موشي كيرين الى المانيا في محاولة منه لمقابلة الكولونيل النازي السابق كورت بيشر ولكن موشي كيرين وجد ميتا في احد الفنادق الالمانية بعد وصوله بأيام وكان سبب موته « هبوط في القلب » . وربما كان موت موشي كيرين بالقلب صحيحا ولكن في مثل هذا المواقف يكثر التأويل والاتهام وهما أمران يجدان في قضية موشي كيرين شيئاً من الصحة والصدق .

يتابع تامير بعد اصدار الحكم في تهمة جرين والد وتعويضه بمائتي دولار اميركي ذيول قضية كستنر ويطير الى نيويورك ويطلع على ملفات محاكمات نورمبرج وهناك اكتشف تامير ان محكمة نورمبرج الدولية حققت مع الضابط النازي كرومي مساعد ايخمان في ٢٣/ ٩/ ١٩٤٧ واطلعت على رسالة موجهة من كستنر الى كرومي بتاريخ ٥/ ٢/ ١٩٤٧ يتعنى فيها كستنر لكرومي ان يبدأ حياة جديدة ويعلمه بالجهود التي بذلها لصالحه في المؤتمر الصهيوني المنعقد في بازل ويعترف له فيها بمساعدة كرومي لليهود[٣] . ولكن كستنر كان قد

---

(١) Ben Hecht, p. 146. opcit.

(٢) Ibid, P. 184.

(٣) Ben Hecht, p. 199, opcit.

ادعى سنة ١٩٤٥ ان كرومي هو الذي كان مسؤ ولا عن قتل يهود النمسا والمجر وبولندا . كما حصل تامير على شهادة بخط كستنر موجهة الى مساعد دائرة التحقيقات الاميركية في محاكمات نورمبرج لصالح الضابط النازي كرومي .

ولكن تامير أجل ملاحقة كستنر اثر العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وانتظر الى أن يتم الانسحاب الاسرائيلي من قطاع غزة في مارس ١٩٥٧ م . وبدأ تامير في الاستعداد لجولة جديدة كان من الممكن أن يهز من خلالها ـ لو نجح فيها ـ حكومة دافيد بن جوربون . ولم يكن هناك ما يوحي بفشله الا اذا مات هو أو كستنر .

في أوائل مارس ١٩٥٧ تعرض كستنر لمحاولة اغتيال على يد شاب في الرابعة والعشرين من عمره يسمى Zeev Eckstein ثبت انه كان يعمل قبل اقدامه على اطلاق النار على كستنر مخبرا سريا في جهاز المخابرات الصهيوني الرسمي[١] . وفي ابريل ٥٧ مات كستنر في عيد القديس سان باتريك . وبموت كستنر اسدل الستار على كل ما كان يأمله تامير من محاكمة لكستنر وفضح القيادة الصهيونية وبالذات قيادة حزب الماباي من خلاله . الا انه أثار المحاكمة وأثار ما حدث لكستنر بقي شاهدا حيا على عدم تحمل مسؤ ولية القيادة الصهيونية لاي دور يفترض ان تقوم به تجاه يهود أوروبا . كما أن قضية كستنر لا تخلو من اتهام يوجه الى القادة الصهيونيين بالتقصير والسكوت تجاه ما حل بيهود أوروبا .

ان القضية رقم ١٢٤/٥٣ والتي كان كستنر فيها المتهم والشاهد في آن واحد ليست هي الدليل الوحيد على تقصير القيادة الصهيونية كما أنها ليست هي الحادثة الوحيدة التي أحيطت بكثير من محاولات اخفاء الحقيقة حول الدور الصهيوني وعلاقاته بالنازية أثناء فترة الحرب العالمية الثانية . فمن المعروف ان النازيين عرضوا عن طريق ايخمان اطلاق سراح مليون يهودي مجري مقابل ١٠٠٠ طن شاي ، ١٠٠٠ طن قهوة ، ١٠ آلاف عربة وبعض الصابون ، وقد كلف بايصال العرض النازي الى الحلفاء والقيادة الصهيونية في استانبول المدعو جول براند وهو صهيوني كان يعمل في لجنة الانقاذ اليهودي بالمجر مع كستنر . ولكن المحامي تامير أثبت ان جول براند تعرض للاعتقال على يد المخابرات البريطانية بمساعدة موشي شرتوك نفسه ـ رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية آنذاك ـ في مدينة حلب وتم نقله الى القاهرة حيث احتجز فيها لمدة أربعة شهور ونصف رحل بعدها الى فلسطين ، ولم تلتفت القيادة الصهيونية الى عرض ايخمان الذي حمله براند في ١٩/٥/١٩٤٤[١] .

Ibid p. 208. (١)

Ben Hecht , PP. 212 - 220 , opcit . (٢)

بالاضافة الى ما سبق ذكره هناك قصة يتعلل بها الصهيونيون في حججهم ضد الحلفاء لاثبات التقصير في مساعدة يهود أوروبا على الهرب أو الاغاثة وتتلخص القصة في أن حاييم وايزمان طلب من القيادة البريطانية قصف معسكر اوسشفتز النازي حيث يقتل اليهود ، كما طلب قصف خطوط السكك الحديدية الموصلة الى المعسكر في محاولة لعرقلة عمليات نقل اليهود ، ولكن آخر ما اطلعت عليه من كتابات حول هذا الأمر ينفي حدوث مثل هذا الطلب من وايزمان الى الحلفاء .

فلقد ذكر شونفيلد في كتابه Holocause ان وثائق طلب الوكالة اليهودية بضرب معسكر اوسشفتز التي قدمت الى الحكومة البريطانية لم تظهر الا أثناء محاكمة ايخمان في فلسطين سنة ١٩٦١ . ولم يتقدم لاموشي شاريث ولا دافيد بن جوريون للشهادة أمام المحكمة حول هذا الأمر ولم يستدعيا رغم استدعاء اكثر من مائة شاهد في القضية من جميع انحاء العالم[١] .

كما ذكر شونفيلد ايضا مدللاً على عدم حدوث الطلب ما نشرته صحيفة معاريف الصهيونية في ١/٦/١٩٦١ اثر لقاء مع مارشال الجو البريطاني سير ارثر هاريس رئيس القاذفات البريطانية في الفترة ما بين ٩٤٢ ـ ١٩٤٥ : « إن المارشال المذكور لايستطيع التذكر بأنه سمع مثل هذا الطلب حول ضرب معسكر اوسشفتز »[٣] كذلك ذكر شونفيلد ان تشرشل رئيس الوزراء البريطاني انكر تسلم مثل هذا الطلب[٣] . كما اعترف الكولونيل البريطاني ليونارد شيشر الى صحيفة الديلي تلغراف اللندنية في ٢/٦/١٩٦١ بأن ضرب معسكر أوسشفتز بالطائرات في عام ١٩٤٤ كان ممكناً رغم صعوبته ، ولو أن اليهود طلبوا ضرب المعسكر (وهذا ما لم نعرفه) لما كان هناك صعوبة إطلاقاً في تجهيز مجموعة جوية لتنفيذ هذه المهمة[٤] .

من خلال ما سبق يمكن القول ان القيادة الصهيونية لم تفكر جدياً في عملية انقاذ اليهود، كما كان المال اللازم للاغاثة او الانقاذ متوافرا ، لأن هذه القيادة رأت هذا المال ينبغي تحويله الى فلسطين من أجل بناء الدولة اليهودية وبذا فضلت الدولة على محاولتها انقاذ ملايين اليهود من الموت أو العذاب أو حتى مساعدتهم .

كذلك فان ادعاء القيادة الصهيونية بتقصير العالم الديمقراطي تجاه اليهود مردود عليها

Shonfeld , P. 65 , opcit . (١)

Ibid , P. 67 . (٢)

Ibid , P. 67 . (٣)

Ibid , P. 67 , foot Note . (٤)

إذ ان موقف الدول الديمقراطية كان في كثير من الأحيان افضل من موقف القيادة الصهيونية نفسها وقدحدث أكثرمن مرة أن وقفت القيادة الصهيونية في وجه مشاريع الانقاذ اليهودي وعرقلتها ، كما مارست بعض القيادات الصهيونية التعاون المطلق في كثير من الأحيان مع السلطات النازية من أجل السيطرة على اليهود في معسكرات الحجز ومن أجل اخفاء قتلهم عن العالم .

لقد ثبت لدينا من خلال اطلاعنا أن قيادة المنظمة الصهيونية لم تقم بمبادرة واحدة من أجل تنظيم المقاومة اليهودية أو تشجيعها ضد النازيين بل ظهر لنا العكس إذ قام بعض الصهيونيين في كثير من المواقف لقتل روح هذه المقاومة ودعوة اليهود للاستسلام للنازيين . كما لاحظنا من خلال بعض الحوادث التي مر ذكرها تواطؤ بعض القيادات الصهيونية على قتل اليهود واخفاء ما كانوا يعلمون به مقابل صفقات رخيصة عقدوها مع المسؤولين النازيين .

إن ملف العلاقات الصهيونية ـ النازية في فترة الحرب العالمية الثانية لم يفتح بكامله بعد ولكن ما عرف منه بطريق الصدفة أو عن طريق المغامرة الشخصية تعرض للاخفاء والتكتم على يد المسؤولين الصهيونيين بشتى الطرق . ولقد كانت محاكمة ادولف ايخمان في عام ١٩٦١ في فلسطين بعد اختطافه من الأرجنتين على يد القيادة الصهيونية الحاكمة آخر محاولة نعرفها لاخفاء كل ما له صلة بالعلاقات الصهيونية النازية .

محاكمة أدولف ايخمان :

مثل أدولف ايخمان أمام القضاء الصهيوني في ١٩٦١/٤/١١ م (بعد ان كان قد تم اختطافه من الأرجنتين على يد الأجهزة الصهيونية المختلفة وبالذات المخابرات الصهيونية . ووجهت اليه محكمة لواء القدس (نفس المحكمة التي مثل أمامها كستنر) « خمس عشرة تهمة بينها أربع تهم بقتل اليهود ، إحدى عشرة تهمة بارتكاب جرائم ضد الانسانية »[١] . وقد أدين المتهم وحكم عليه بالاعدام حسب قانون عام ١٩٥٠ الصهيوني ضد النازية والمتعاونين معها رغم عدم اعتراف ايخمان بالذنب . وترتبط محاكمة ايخمان ـ في نظرنا بمحاكمة كستنر وما جرته من تساؤلات حول دور القيادة الصهيونية ، لأن محاكمة كستنر كشفت عن صفقة عقدها مع أربعة كولونيلات نازيين هم : بيشر وكرومي ، وبسلكزني ، وايخمان ، الذين مر ذكرهم .

(١) . Hana Erindut , Eichman in Jerulalem , Penguin books , 1979 , P. 244

لقد تم التخلص من كستنر بطريقة الاغتيال ، أما بيشر وكرومي فيمكن الاعتماد عليهما في عدم التحدث عن العلاقات الصهيونية النازية وذلك بسبب المصالح الذاتية التي يحققانها من علاقاتهما بالكيان الصهيوني ، وبقي اثنان هما ولسلكزني وايخمان ، ولما أصبح موت ويسلكزني مؤكدا بعد الحرب لم يبق من تخشاه القيادة الصهيونية غير أدولف ايخمان ، لذا كان لا بد من ملاحقته وإخفاء كل ما يمت الى العلاقة الصهيونية النازية بصلة عن طريق احضاره بأي ثمن الى فلسطين ومحاكمته امام القضاء الصهيوني ، لأنه هو الشخص الوحيد الذي بقي حيا ويحمل الكثير من أسرار العلاقة الصهيونية النازية ويمكنه اذا ما سمحت الظروف ان يتحدث عنها .

ومن أجل ذلك رتبت محاكمة ايخمان بطرق تستهدف امورا معينة اهمها :

١ ـ اخفاء أي معلومات عن العلاقة الصهيونية النازية ومن أجل ذلك اختير ١٠٢ شاهدا في القضية بعناية فائقة تتوافر فيهم شروط ادانة ايخمان كمجرم من مجرمي الحرب . فعلى سبل المثال استدعى ابا كوفنر للشهادة ضد ايخمان ولم يستدع حاييم لازار الذي فضح علاقة كوفنر بالنازيين[١] .

٢ ـ عدم فتح ملف قضية كستنر مرة اخرى والحرص على ذلك ما أمكن وعندما تقدم المدعو (بس Biss) للشهادة في قضية ايخمان في محاولة منه للدفاع عن صديقه كستنر منع من ذلك لأن الحكومة الصهيونية كانت تخشى ظهور حقائق جديدة حول قضيته[٢] .

٣ ـ عدم ذكر أي شيء في المحكمة من عمل لجنة الانقاذ اليهودي في بودابست التي كان يقودها كستنر وعدم ذكر أي شيء من نشاط الكولونيل النازي كورث بيشر ، ومن أجل ذلك رفض المدعي العام جدعون هسنر الاستماع الى شهادة اهارون كاري Karie الذي كان يعرف ايخمان جيدا وذلك بعد أن اصر الشاهد أن يكون حرا في شهادته وأنه لن يتقيد بتعليمات المدعي العام التي طلبها منه والتي تتخلص في صمته عما يعرفه عن عمل لجنة الأنقاذ في بودابست او عن كستنر أو بيشر[٣] .

٤ ـ القيام بحملة صهيونية دعائية تثبت أن اليهود يشكلون أمة تعطي ولاءها لدولة اسرائيل .

(١) . Faris Yahaya , Zionist Relations with Nazi Germany , p. 70 , opcit
(٢) . Faris Yahaya , P. 70, opcit
(٣) Ibid , P. 71

من أجل ذلك كله صممت القيادة الصهيونية على محاكمة ايخمان في فلسطين المحتلة . لأن « اسرائيل » حسب رأي بن جوريون هي الوريث الوحيد للشعب اليهودي[١] .

٥ ـ اثبات ان اللاسامية عبر التاريخ هي المتهمة دائما بالاساءة الى اليهود وليس النازية فقط خاصة وأنها كانت قد انتهت بانتهاء الحرب وهزيمة هتلر في مايو ١٩٤٥ .

ولقد عبر عن هذا الهدف المدعي العام الصهيوني جدعون هسنر عند بدء المحاكمة : « إن الذي يقف في قفص الاتهام هنا ليس فردا، كما أنه ليس النظام النازي وحده، ولكنها اللاسامية عبر امتداد التاريخ »[٢] .

٦ ـ اخفاء تخاذل القيادة الصهيونية وعدم اقدامها على تنظيم المقاومة اليهودية أو مساعدتها أمام جماهير اليهود بعد ان ثبت تراجع النازيين عن قراراتهم أكثر من مرة عندما كانوا يواجهون بمقاومة شرسة ، والدليل على ذلك ان بداية القتل المتعمد لم يكن موجها ضد اليهود ولكنه كان موجها ضد العجزة والمجانين وامثالهم من الشعب الألماني ، وعندما ووجه النازيون بعاصفة من الاحتجاجات تراجعوا عن قرارهم . كما ان موقف حكومة الدانمرك وملكهاضد النازيين ورفضهم تنفيذ السياسة النازية ضد اليهود لشاهد آخر على جدوى المقاومة . فكيف بهذه المقاومة لو كانت منظمة او موجهة ؟ قد لا تتحقق نجاحات واسعة أمام النازيين العسكريين ولكنها بالتأكيد كان يمكن أن تكون سببا في نجاة الكثيرين .

لذا فان التخلص من ايخمان كان ضرورياً للقيادة الصهيونية كي تطمئن هذه القيادة الى أن مثل الأقوال التي ذكرت والمعلومات التي عرفت أثناء محاكمة كستنر لن تتكرر ولم يكن احد قادرا على قولها بعد مقتل كستنر غير أدولف ايخمان .

وفي رأينا ان القيادة الصهيونية حققت أهدافها من محاكمة ايخمان ولكن من الصعب طمس الحقائق أوإخفاؤ ها الى الأبد في مثل هذه المواقف التاريخية . فمحاولات الاخفاء في حد ذاتها هي دليل اتهام .

وأخيرا يبقى امر اخيرهو لماذا تمت الابادة ؟ ولماذا استسلم اليهود الضحايا ؟
لقد كثر الحديث في المصادر التي تناولت موضوع « الابادة الجماعية » عن كيفية قتل اليهود وعن طرق تجميعهم في المعسكرات وحشرهم في عربات السكك الحديدية عند نقلهم الى أماكن إبادتهم كماتحدثت كثيراعن أعمال المجالس اليهودية التي شكلها النازيون

Ibid , P. 67 (١)
Faris Yahaya , P. 67 , opcit . (٢)

وعن البوليس اليهودي وقسوته في معاملة اليهود وحرصه على إرضاء النازيين من خلال سيطرته التامة على جماهر اليهود في الغيتوات كما تحدثت عن اعداد الموتى ، وعن بداية القتل المنوع . . . الخ ولكن هناك تساؤ لان اثنان كانا يلحان دائما عند الاطلاع على هذه المصادر وهما :

١ ـ لماذا أقدم هتلر على هذه الابادة وبهذا الشكل الذي تصفه المصادر الصهيونية ؟

٢ ـ لماذا قبل اليهود بهذا المصير دون مقاومة ضد القرار النازي وهم في معظم الحالات كانوا يعلمون مصيرهم ؟

إن محاولتي للاجابة عن هذين التساؤ لين قد لا تكون نهائية ولكنني أرى ان من الواجب ان اعطي الموضوع حقه فأقوم بطرحهما وأجيب بقدر ما استطيع من خلال ما توافر لدي من معلومات ومن خلال ما اوتيت من رأي .

يرى شونفيلد في كتابه Holocaust ان انعقاد مؤتمر فانسي النازي في يناير ١٩٤٢ والذي تم فيه اتخاذ القرار النهائي حول تصفية اليهود كان بعد إن اطلع هتلرعلى محاضر جلسات المؤتمر اليهودي العالمي في نيويورك والتي أرسلها اليه سفير المانيا في الولايات المتحدة .

وقد جاء في هذه المحاضر ان « ستيفن وايز اعلن باسم الشعب اليهودي الحرب ضد المانيا » . ويضيف شونفيلد عما جاء في كتاب وايزماندل من الاعماق ، « Min Hametzeir بأن هتلر عندما قرأ هذا التقرير أصيب بالجنون وسقط على الأرض يعض السجاد وأخذ يصرخ الان سأدمرهم ، الان سأدمرهم »[١] .

إننا لم نتمكن من الاطلاع على محاضر جلسات المؤتمر اليهودي العالمي المذكور حتى نتبين صدق الرواية ولكننا اذا افترضنا صدقها فاننا لا نستطيع الموافقة على تصرفات هتلر ضد اليهود . إذ ليس هناك ما يبرر مثل هذا التصرف من قائد ضد أناس يفترض انهم مواطنون في الرايخ بحجة ان ستيفن وايز اعلن الحرب ضد هتلر في نيويورك . وإذا كان هذا هو مبرر هتلر فلماذا أقدم على تعذيب الأطفال والشيوخ قبل قتلهم .

قد لا يكون قرار المؤتمر اليهودي العالمي حكيما اذا ما صحت الرواية وقد يكون اتخاذ مثل هذا القرار غير ملائم في ظل ظروف معينة ولكن مهما كان قرار ستيفن وايز فاننا لا نميل الى

Shonfeld , P. 43 , opcit . (١)

الاعتقاد بان مثل هذا القرار كان سببا فيما أقدم عليه هتلر .

هناك رأي يقول بأن النازية قامت على أساس مفاده تفوق العنصر الآري على غيره من العناصر البشرية الأخرى وكان هتلر يرى أن نقاء الجنس الاري هو سبب تفوقه وان هذا النقاء لا يمكن ان يتحقق الا عند تخلص الجنس الاري من الأجناس الأخرى التي شوّهت هذا الجنس عندما اختلطت به ، وقد كان اليهود احد هذه الأجناس التي اعتقد هتلر بضرورة ابعادها عن الجنس الاري لذا لجأ الى قتلهم هم ومن رآهم على شاكلتهم من النَّوَر . . . الخ . ولكن هذه المقولة يصعب التسليم بها دون مناقشة اذ كان يمكن لهتلر عبر قوانين محددة ان يبعد اليهود عن الاختلاط بالجنس الاري اذا صح انه يمكن استخلاص جنس من البشر دون أن يمسه الاختلاط عبر عصور التاريخ من أجناس اخرى . ولم يكن هناك ما يدعو لابادتهم .

هناك رأي اخر يرى ان إقدام هتلر على الابادة يعود الى سيطرة دافع الموت عنده على دافع الحياة وذلك استناداً الى رأي فرويد الذي يقول بأن دافعي الموت والحياة يعيشان في صراع دائم في حياة الانسان . وفي حالة هتلر،انتصر دافع الموت وانطلق بعده هتلر في إعداد الة الموت واستخدامها ، وعندما نجح في البداية اصبح موت الآخرين عنده أشبه ما يكون بالهوس ، لذا فقد قتل اليهود والنور ثم البولنديين والروس وكل الأجناس ما عدا الجنس الآري . ولكنه في النهاية قام بقتل بني جنسه عندما صمم على القتال حتى اخر جندي رغم كل ظروف الهزيمة التي أحاطت به ، وفي النهاية قام بقتل نفسه .

ان الرأي السابق يعطينا تفسيرا سيكولوجيا لسلوك هتلر وهو امر لو سلمنا به يعفي هتلر ولو جزئيا من المسؤولية . وذلك لأن انتصار دافع الموت على دافع الحياة قد ظهر اكثر من مرة وعند أكثر من طرف أثناء الحرب العالمية الثانية بالذات . وما شهد به الأدميرال الاميركي Nimitz أمام محكمة نورمبرج الدولية خير دليل على ذلك : كقاعدة عامة لم تنقذ الغواصات الأميركية الأحياء من أفراد العدو إذا لو فعلت ذلك لتعرضت لمخاطر اضافية ليست ضرورية[١] كما يحضرنا قتل النازيين للشعب السوفياتي ، ومذابح الأميركيين ضد الشعب الفيتنامي ، ونقصد بهذه الأمثلة ان هتلر ليس متفرداً في تصرفه في التاريخ الحديث ، الا أن ما يتفرد به هتلر هنا هو ممارسته قتل اليهود دون سبب لا سيما وأن هؤلاء لم يشكلوا كتائب حربية ضد النازية ، كما لم يظهروا تلك المقاومة التي تستدعي قتلهم . وبذا يظل التساؤ ل قائما .

---

(١) Airey Neave , P. 205 , opcit .

واذا ما أخذنا وجهة النظر الصهيونية فاننا نرى في أقوال جدعون هسنر المدعي العام الصهيوني في محاكمة ايخمان ما يعبر عن وجهة النظر هذه فقد اعلن جدعون هسنر أن إيخمان هنا في المحكمة ليس فردا إننا نحاكم اللاسامية عبر التاريخ وبذا يميل الرأي الصهيوني الى جعل اللاسامية والتي كانت أساسا من أسس سياسة هتلر- السبب فيما أقدم عليه النازيون ضد اليهود ويعزز هذا الرأي ما عرف عن هتلر كرهه للجنس اليهودي طيلة حياته إذ كان يعيش وفي ذهنه ان اليهود مقدمون على مؤامرة يحكمونه العالم من خلالها كما كانت آخر أقواله التي نسبت اليه قبل اقدامه على انتحاره هي : (احذروا اليهود) .

ولكننا نعتقد أن اللاسامية لم تكن ظاهرة عنصرية بقدر ما كانت ظاهرة اقتصادية وبالاضافة الى ما نعتقده ان هتلر كان من الممكن ان يتصرف تجاه اليهود دون قتل الأبرياء من الأطفال على الأقل. إذ كان بامكانه تجريدهم من ممتلكاتهم كما كان بامكانه استخدام الشباب منهم في أعمال السخرة حتى النهاية ولكنه فضل قتل جميع اليهود دون استثناء وهنا نجد أنفسنا عاجزين عن ايجاد اي تعليل اللهم إلا إذا كان هتلر قد رأى أن اليهود يجب ألا يعيشوا فقرر قتلهم دون سبب عندئذ يكون الأمر خارج نطاق التعليل التاريخي .

استسلام اليهود للقتل النازي :

إننا نجد انفسنا أمام اكثر من سبب لذلك وأول هذه الأسباب في نظرنا قدرة الجهاز النازي على فرض السيطرة المباشرة على التجمعات اليهودية من خلال القوانين والخداع ومن خلال الاستعانة ببعض اليهود المتعاونين مع النظام النازي نفسه والذين كانوا في معظمهم صهيونيين وشكل منهم النظام النازي المجالس اليهودية والبوليس اليهودي . وثانيها : أن المنظمة الصهيونية والتي تدعي حمايتها لأي يهودي في العالم لم تضع في أولويات عملها ـ في الفترة التي تعرض اليهود فيها للابادة ـ العمل على انقاذ يهود أوروبا أو مساعدتهم . ربما كانت القيادة الصهيونية راغبة في انقاذ اليهود ولكنها لم تعمل كما أنها لم تنتهز الفرص التي أتيحت لانقاذ بعض هؤلاء من الموت عندما لاحت وأمثلتنا على ذلك رفض دفع الرشوة لمسؤولي قوات الـ S. S في سلوفاكيا من أجل اطلاق سراح اليهود ، والوقوف في وجه حملة تبرعات بدأت في الولايات المتحدة من أجل جمع ٣٥٠ الف دولار ،لانقاذ سبعين الف يهودي في رومانيا ، ورفض انقاذ لاجىء احد البواخر التي حجزت في نهر الدانوب بحجة عدم توافر المال . لقد حجبت قيادة الصهيونية المال من أجل انفاقه في فلسطين ولم تلتفت الى ما يجري ليهود اوروبا كما انها لم تكن مستعدة لانفاق المال من أجلهم . وبالاضافة الى ذلك فان سياسة المنظمة الصهيونية في الفترة التي تعرض فيها اليهود الأوروبيون لمأساتهم كانت

تتجه نحو اختيار النخبة من اليهود وتوطينهم في فلسطين كاملة مستقلة وصعد الصهاينة مطالبهم السياسية في فترة حرجة ليهود أوروبا وكان يمكنهم ان يؤجلوا هذه المطالب لسنتين أو ثلاث من أجل حماية المعذبين ولكنهم لم يقدموا على ذلك وفضلوا السير في المطالب السياسية كهدف أولي على ما سواه والمتمثلة في ضمان مقعد على طاولة مفاوضات مؤتمر الصلح بعد الحرب وتأسيس دولة لهم في فلسطين .

ثالثها : بالرغم من موقف القيادة الصهيونية المتخاذل تجاه مساعدة يهود أوروبا الا ان هذا الموقف أثر على موقف بعض الدول الديمقراطية وعلى بعض رؤسائها فقد أرجأ روزفلت مشروعه بتوطين نصف مليون يهودي بسبب عدم موافقة الصهاينة عليه لأنه اهمل فلسطين ، كما أن مؤتمري ايفيان وبرمودا لم يتمخض عنهما قرارات محددة بشأن اللاجئين اليهود بحجة ان هذين المؤتمرين لم يجعلا من فلسطين المكان الوحيد الذي ينبغي لليهود ان يهاجروا اليه فقط ، ولكن الموقف الانساني كان يتطلب من هذه القوى الديمقراطية اتخاذ خط أكثر حزما من أجل انقاذ المعذبين وربما كان عليها عدم الرضوخ للرغبات الصهيونية او دعايتها أو تخطيطها .

رابعها : أن قوة الآلة العسكرية النازية وقسوتها ضد يهود اوروبا ، ومعاناة اليهود من قسوة المجالس الصهيونية في الغيتوات ومن البوليس اليهودي ، ونجاح النازيين في افهام هؤلاء اليهود ان العالم كله يتطلع الى الخلاص منهم جعل جماهير اليهود تستسلم لقدرها وترى في الموت أمرا مرغوبا .

يمكننا من خلال ما سبق ايجاز العلاقة الصهيونية النازية على النحو الآتي :

ـ بدأت العلاقات الصهيونية النازية مع صعود الحكم النازي الى سدّة الحكم في المانيا ولم ترتبط هذه العلاقة بالسلوك النازي نحو اليهود ، بل لاحظنا العكس في بعض المواقف عندما كانت هذه العلاقات تتعزز مع تشدد النازيين في معاملتهم لليهود وقسوتهم عليهم .

ـ استفادت القيادة الصهيونية في المرحلة الأولى من العلاقات اذ حققت وصول طبقة من الرأسماليين اليهود الألمان الى فلسطين الا أن ذلك كان في ظل الزعامة العمالية الصهيونية على اليشوف وهو أمر كشف براجماتية الحركة العمالية الصهيونية وأثبت انها اداة لخدمة الهدف الصهيوني . كما حقق النازيون بعض المكاسب عندما استطاعوا التخلص من اليهود تمشياً مع سياستهم في تنظيف المانيا من اليهود، كما استفادوا من ضغط القيادات الصهيونية خارج المانيا على التجمعات اليهودية ومنعها من ممارسة المقاطعة ضد البضائع الالمانية ، كما استفادت المانيا ايضا من هذه العلاقات مع الصهيونيين عندما رأت ان الهجرة اليهودية الى

فلسطين ربما تحرج بريطانيا أمام العرب بعد ان ساءت الأمور بينها وبين المانيا . ومن هنا جاء تشجيع المانيا للهجرة السرية الى فلسطين بعد إعلان الحرب العالمية الثانية ولكنها سرعان ما توقفت .

ـ تطورت علاقات الصهيونيين مع بعض الأجهزة النازية الى حد التورط كما حدث في حالة كستنر مسؤول لجنة الانقاذ اليهودي في المجر وإلى حد أساء الى جماهير اليهود وساعد النازيين على تنفيذ سياستهم .

ـ لم تكن القيادة الصهيونية مهتمة بانقاذ يهود أوروبا وجعلت ما يخدم هدفها السياسي اولى بالاهتمام من انقاذ اليهود ، وبينما عقد أكثر من مؤتمر صهيوني أثناء الحرب لاقرار سياسة الصهيونية في المستقبل الا أن هذه المؤتمرات لم تبحث بجدية ومسؤولية مهمة انقاذ اليهود ، واتخذت من وضعهم الصعب وسيلة لتبرير الهدف السياسي الصهيوني .

ـ رفضت القيادة الصهيونية جمع المال من أجل انقاذ يهود رومانيا ، كما رفضت دفع المال مقابل انقاذ يهود السلوفاك وكان إصرارها على ضرورة جمع المال لخدمة المشروع الصهيوني في فلسطين .

ـ سيظل اسم رومكفسكي رئيس المنظمة الصهيونية في لودز الذي توجه النازيون ملكا على غيتولودز ، كما سيظل اسم الفرد نسنج Nussing المسؤول الصهيوني وصديق هرزل الذي انهى حياته كجاسوس للنازيين في غيتو وارسوا رمزا لما عاناه اليهود على يد الصهيونيين في أوقاتهم العصيبة ان لم يكن رمزاً لخيانة الصهيونية[1] .

ـ عارضت القيادة الصهيونية مواقف بعض الدول والمؤسسات التي حاولت انقاذ اليهود . حدث ذلك عندما اتهم موريس ارنست ممثل الرئيس روزفلت بالخيانة لأنه حاول انقاذ نصف مليون يهودي ، كما حدث في رفض الصهاينة لمشروع كمبرلي في غرب استراليا ولا مبالاتهم نحو قرارات مؤتمري ايفيان وبرمودا للاجئين .

ـ لم تقم القيادة الصهيونية بتقديم العون لليهود حتى بعد ان انتهت الحرب وأصرت ان تكون اموال المؤسسات الدولية الانسانية موجهة لخدمة الهدف الصهيوني ، وعندما أدرك الجنرال مورجان مسؤول منظمة U. N. R. R. A نوايا الصهيونيين وحاول كشف أساليبهم في استغلال وضع يهود أوروبا دعائيا وسياسيا لصالحهم تعرض للتشهير والتجريح ، ولم يهدأ الصهيونيون الا بعد ان عين (لاجارديا) رئيس بلدية نيويورك سابقا

(١) Shonfeld , PP. 22 - 23 , opcit .

بدلا من مورجان، وذلك لأن لاجارديا كرس جهده لدعم الطموحات الصهيونية[1] .

ـ لقد التقت الصهيونية مع النازية في الأساس العقائدي لكل منهما فبينما ركزت النازية على تميز الجنس الآري وتفوقه ، ركزت القيادة الصهيونية على تميز الجنس اليهودي وتفرده ، وكما لجأ النازيون الى اتباع سياسة « الاختيار » عن طريق تنقية الجنس الاري لجأ الصهاينة الى السياسة نفسها عندما أصروا على انقاذ من رأوه يخدم الهدف الصهيوني من اليهود . وقد عبر وايزمان عن هذا الرأي صراحة ، فعندما سئل : هل يمكن احضار ستة ملايين يهودي الى فلسطين ؟ أجاب : لا : من أعماق المأساة اود انقاذ مليوني شاب سيمضي الكبار وسيتحملون قدرهم أولا[1] . كما رأت قيادة الصهيونية في الصهيوني المتحمس انساناً متفوقا ينبغي التضحية من أجل انقاذه ونرى في اقدام كستنر على عقد صفقته مع ايخمان تبريرا لهذه العقيدة . وهذا ما يفسر في نظرنا اصرار القيادة الصهيونية على إخفاء كل بينة متعلقة بكستنر ، واصرارها على محاكمة ايخمان في القدس .

ـ رغم ان العالم الديمقراطي ما كان له أن يقف مكتوف الأيدي أمام ما حل باليهود الا أن القيادة الصهيونية كانت متخاذلة ومتواطئة ووقفت أكثر من مرة في وجه محاولات الانقاذ .

ـ لقد كانت نتائج العلاقات الصهيونية، نازية مدمّرة لجماهير يهود أوروبا ولكن هذه العلاقة لا تزال غير شائعة بين العالم ولا بين التجمعات اليهودية وبدلا من ذلك لا يزال الكثير في العالم من يعتقد ان الصهيونيين دافعوا عن جماهير اليهود أثناء الحرب .

إن شيوع هذا الأمر يجعلنا نعترف بشيء واحد فقط هو نجاح فن الدعاية عند القيادة الصهيونية .

ان الجدل حول الاضطهاد النازي لليهود، وحول مسؤولية هذا الاضطهاد والصلات الخفية بين قيادات الصهيونية والنازية لا يزال يطرح في الدوائر الصحفية والأكاديمية. فقد نشرت جريدة انترناشيونال هيرالد تريبيون Inter . Herald Tribune في عددها الصادر يوم الثلاثاء ١٣/١٠/٨١ صفحة ٣ نبأ مفاده ان أحد القضاة الأميركيين في لوس انجلوس رفض الأخذ بالادعاء القائل بأن الابادة لم تقع ، ذلك الادعاء الذي اعلنه أحد المعاهد الاميركية والذي يضم أحد عشر استاذا في التاريخ .

---

(١) Walid Khaldi , P. 543 , opcit .
(٢) Shonfeld , P. 25 , opcit .

كما نشرت جريدة الدستور الاردنية بتاريخ ٨/١١/١٩٨١ صفحة ١١ مقالا عن محاكمة روبير فوريسون الباحث الفرنسي بسبب نفيه لكل من وجود غرف الغاز ، ومذبحة اليهود على يد هتلر لعدم توافر اي دليل يثبتها . وما زالت احتمالات اكتشاف حقائق جديدة حول هذا الموضوع قائمة أمام المؤرخين .

الفصل الخامس
مساعي الاتصال
مع
الاتحاد السوفياتي

ليس من الصعب الوصول الى ملاحظة التناقض والتغير في مواقف الحركة الشيوعية بشكل عام والاتحاد السوفياتي بشكل خاص من الحركة الصهيونية . اذ اننا نقرأ في الفكر الشيوعي ما يجعل من الحركة الصهيونية واليهود شيئين ليس لهما وجود . وقد حدد ستالين في بحثه الماركسية والقومية ١٩١٣ وجهة النظر هذه ، فقد خلص الى القول بأن اليهود امة ورقية Paper Nation وليس لها وجود ، وانطلاقاً من هذا القول تساءل : كيف يمكن الاعتراف بحركة تحرير أمة غير موجودة (وقصد بذلك الصهيونية) .

انعكس ما خلص اليه ستالين على مجمل تصرفات الحركة الشيوعية في العالم نحو الصهيونية ، لذا فان الحزب الشيوعي الفلسطيني الذي تأسس عام ١٩١٩ « أعلن معارضته للانتداب البريطاني ، كما أعلن تعاطفه مع طموحات الفلسطينيين الوطنية ونادى باستقلال فلسطين بأغلبية عربية ، وفي الوقت نفسه عارض الهجرة اليهودية الى فلسطين »[١] . وكان رأي الحزب في الصهيونية بأنها « حركة تحمل آمال البرجوازية اليهودية ، وأن نشاط الاستيطان اليهودي باسوأ اشكال الاستغلال »[٢] .

وفي ظل ما اعلن سابقاً فان الاتحاد السوفياتي أيد معنوياً الانتفاضات العربية في فلسطين ضد الانتداب البريطاني والصهيونية ورأى في انتفاضة سنة ١٩٢٩ المعروفة في تاريخ فلسطين بثورة البراق انها ذات طبيعة تقدمية[٣] .

واستمر هذا الموقف من الحركة الوطنية الفلسطينية حتى ثورة ١٩٣٦ عندما اعلن الحزب الشيوعي الذي كان يضم في صفوفه عرباً ويهوداً تأييده للثورة . فقد أفادت احدى

---

(١) Michael Brecher, p. 167, opcit.

(٢) مجلة شؤون فلسطينية ، العدد ٣٩ ، ص ١١٣ ، موسى خليل .

(٣) ناجي علوش ، الماركسية والمسألة اليهودية ـ دار الطليعة طبعة ١ ، بيروت ١٩٦٩ ، ص ٦١ .

ملصقات الحزب في ١٧/ ١٠/ ١٩٣٦ « تحاول حركة التحرير العربية جعل استمرار الاستعمار الصهيوني مستحيلا من خلال التدمير والهجمات الفدائية الجريئة »[1] .

وحتى قيام الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٣٩ لم يكن هناك حسب علمنا أي علاقة بين المنظمة الصهيونية والاتحاد السوفياتي ، الا أن بوادر هذه العلاقة بدأت مع سير العمليات العسكرية على الجبهة الروسية ومع تفاعل الاحداث وبروز قوى عالمية أثناء الحرب غير بريطانيا .

لم تكن القيادة الصهيونية غير مدركة لتطور الظروف السياسية . وكحركة يسيطر عليها البراجماتية في العمل السياسي لم تر ما يمنع من السعي الجدي لايجاد قنوات اتصال مع الاتحاد السوفياتي ـ رغم مواقفه العقائدية المعلنة ـ باعتباره قوة ستلعب دوراً في تقرير مستقبل العالم بعد الحرب .

وقد سبق هذه المحاولات اعلان الشيوعيين اليهود عن تراجعهم لتأييد الثورة الفلسطينية بزعامة الحاج امين الحسيني ، وقاموا بالانفصال عن الحزب الشيوعي الفلسطيني وشكلوا حزباً شيوعياً يهودياً قام بادانة الثورة الفلسطينية وبرأ نفسه من تأييدها وحمل مسؤولية تأييد الثورة الى بعض قيادات الحزب وليس لاعضائه وذلك في مؤتمره الأول في أغسطس ١٩٤٠[2] . وكان هذا الموقف أول تناقض بين السلوك والفكر الشيوعيين . اذ أصبح الشيوعيون اليهود أقرب الى الفكر الصهيوني منه الى ما أعلنه ستالين سنة ١٩١٣ وما أعلن عن تأييد ثورة البراق سنة ١٩٢٩ و الثورة الفلسطينية سنة ١٩٣٦ .

استغلت اللجنة التنفيذية للهستدروت (اتحاد عمال يهود فلسطين) هذا الموقف الجديد وبادرت في ٢/ ١٠/ ١٩٤١ الى الاعلان عن حملة عاجلة لجمع الامدادات الطبية للجيش الأحمر الروسي .

تمكنت هذه الحملة من جمع عشرة آلاف جنيه استرليني حولت الى لندن وقام (كومر) مندوب الهستدروت هناك بتسليم ميلفن مايسكي السفير السوفياتي في العاصمة البريطانية آنذاك الامدادات الطبية التي تم شراؤ ها باموال التبرعات[2]

ونرى في قبول العون الطبي معنى سياسياً غير المعنى الانساني الذي ارتبط به ، اذ ان

(١) Aharon Cohen, p. 268, opcit.
(٢) Ibid , p. 268.
(٣) Aharon Cohen, p. 268, opcit.

قبول السوفييت لهذه المعونة يعني أن الحركة الصهيونية لها وجود ، كما أن قبولها في العاصمة البريطانية يمكن تفسيره بان الحركة الصهيونية تقف الى جانب الحلفاء في حربهم ضد النازية وان السوفييت لا يرون حرجاً في التعامل مع حركة أعلنت موقفاً معادياً للنازية منذ بداية الحرب .

وهنا لعبت الظروف السياسية دورها وانتهزت القيادة الصهيونية فرصة هذه الظروف . ولكن ينبغي القول انه لم ينتج عن هذا الاتصال أي موقف رسمي من الاتحاد السوفياتي نحو الصهيونية .

تشجعت بعض القيادات الاشتراكية والشيوعية اليهودية وأعلنت في نهاية اكتوبر ١٩٤١ تشكيل لجنة عامة هدفها مساندة الاتحاد السوفياتي في حربه ضد النازية وانضم اليها الكثير من اليهود الا انها لم تقم بأي دور أو نشاط ملموس يخدم الغرض الذي انشئت من أجله .

أما الخطوة التي كان لها أثر في العلاقات الصهيونية ـ السوفييتية فقد تمت في مايو ١٩٤٢ عندما عقد في فلسطين مؤتمر صهيوني برئاسة كابلانسكي ذي الميول الاشتراكية ، ونجم عن هذا المؤتمر تشكيل عصبة النصر Victory League التي أعلنت أن هدفها هو مساعدة الاتحاد السوفياتي . وانضم اليها أعضاء من جميع الاحزاب الصهيونية المشاركة في الهستدروت بما في ذلك الماباي .

عقدت العصبة اول مؤتمر لها في اغسطس ١٩٤٢ وشارك فيه مائتان وخمسون عضوا وحضر المؤتمر اثنان من سفارة الاتحاد السوفياتي في أنقرة هما : ميخالوف وبينزنكو اللذان تأثرا بنظام المستعمرات الجماعية اليهودية وبمؤسسات الهستدروت . وأعلنا عن تقدير شعوب الاتحاد السوفياتي للمساعدة التي قدمها يهود فلسطين كما أعلنا عن أملهما في تقوية الروابط بين الطرفين وعن تقديرهما لانشاء عصبة النصر ووعدا بعدم نسيانها[1] .

القيادة الصهيونية والعلاقات السوفييتية بعد عام ١٩٤٢ :

أصبح الهدف النهائي للصهيونية بعد الحرب واضحا في عام ١٩٤٢ بعد أن أعلنت قرارات مؤتمر بلتمور وأقرت كبرنامج صهيوني يعمل به . لذا فانه لم يكن هناك جدل حول

(١) Aharon Cohen, p. 360, opcit.

الهدف عندما تحركت الصهيونية للعمل من أجل المستقبل ، ودار الجدل حول الوسائل التي توصل الى الهدف ـ وأصبح السؤال المطروح هو كيف « يمكن للصهيونية أن تستغل كامل قوتها ، وكيف تتفادى العزلة السياسية ؟ كما كانت المواضيع السياسية التي يحتمل أنها تفتح الباب لدعم الحركة من قبل الذين سيقررون مصير العالم في المستقبل هي الأهم »(١) .

لذا فان عام ٤٢/ ١٩٤٣ يعتبر عام وضع أسس التحرك السياسي الصهيوني النشط وعلى الأخص مع الحكومة السوفييتية . وطرح التساؤ ل السابق يجعلنا نستنتج اموراً منها أن قوة بن جوربون التي فاخر بها ، ومنجزات اليشوف التي استند اليها في تفاخره ، ومطالبه بتأسيس الدولة اليهودية لا تقوم على أساس متين . فهو في النهاية يربط مصير الصهيونية بالقوى التي ستقرر مصير العالم . كما يجعلنا نميل الى الاخذ برأي وايزمان الذي رأى في برنامج بلتمور مجرد قرارات وتوصيات تصدر عن أي تجمع ولا تلزم أحداً بتنفيذها . وذلك لان تنفيذها وفق التساؤ ل السابق خارج عن ارادة القيادة الصهيونية ويحتاج منها الى جهد مكثف لاقناع الدول الكبرى بهدفها . ولم تعد بريطانيا هي الوحيدة التي تعطي فرص النجاح للمشروع الصهيوني ، بمعنى أن القيادة الصهيونية داخلتها بعض المخاوف والشكوك .

كما أن رأي وايزمان في برنامج بلتمور كشف عن خلاف داخلي حقيقي بين كل من وايزمان وبن جوريون وانتهى الى انتصار بن جوريون في عام ١٩٤٦ . ففي ٩/ ١/ ١٩٤٣ شن وايزمان هجوماً غير معلن على بن جوربون :

« اصبح بيان بلتمور كما أرى وصايا عشر جديدة كما أصبح برنامج بال جديداً ويجعل المرء يعتقد أنه كان حصاد تفكير دام شهورا لدراسة جديدة . انه ليس شيئاً من هذا النوع . ان برنامج بلتمور هو مجرد قرار مثل مئات القرارات التي تتخذ في اجتماعات كبيرة في أميركا . لقد احتوى البرنامج أهم النقاط كما وصفتها في مقالي في مجلة الشؤ ون الخارجية (يناير ١٩٤٢) . ولكن بن جوربون بعد اقامته (في امريكا) ثمانية او تسعة شهور لم ينجز فيها شيئاً ركز على البرنامج موحياً ان ذلك هو نجاح لسياسته ضد طريقتي المعتدلة للاهداف نفسها . على أي حال كان البرنامج شعاراً ميشيائياً »(٢) . ولكن رسالة وايزمان السابقة تجعل من قيادة الصهيونية في فلسطين والتي نسميها مجموعة القدس جوازا هي صاحبة

---

(١) Ibid , p. 290.

(٢) Michael Cohen, p. 135, opcit.

من رسالة شخصية وجهها وايزمان الى Buffy Dugdale بتاريخ ٨/ ١/ ١٩٤٣ .

قـرار المؤتمر في المؤسسات الصهيونية ولم تعد القيادة خارج فلسطين هي صاحبة تقرير الأمور .

لقد كان تساؤ ل الصهيونيين عن القوى التي ستقرر مصير العالم بعد الحرب وكيفية التعامل معها يقصد به في نظرنا الاتحاد السوفياتي ، وذلك لان العلاقة الصهيونية البريطانية قائمة رسمياً منذ ٢/ ١١/ ١٩١٧ ويعمل الطرفان سوياً لتحقيق أهدافهما في المنطقة ، أما فيما يخص العلاقة الصهيونية الاميركية فقد كان مؤتمر بلتمور في عام ١٩٤٢ بداية نجاح واسع انتقلت بعده الحركة الصهيونية الى مخاطبة جماهير اليهود والشعب الاميركي بعد أن اقنعت الرأسمالية الاميركية اليهودية بأهمية اهدافها ، وعلى أي حال فاننا لا نلحظ رفضاً اميركياً او بريطانياً لا للوجود الصهيوني ولا لاهدافه ، رغم انه يمكننا ملاحظة جدل حول الاهداف . « لقد كان كسب تأييد الاتحاد السوفياتي للوجود الصهيوني في فلسطين هو مصدر الخلاف الثانوي داخل مجموعة القدس التي رسمت برنامج بلتمور وبدأت العمل على تنفيذه »(١) . والخلاف الثانوي هنا ليس على مبدأ كسب التأييد ولكن على طريقة الوصول اليه حتى لا تتأثر العلاقات الصهيونية مع الدول الاخرى . ذلك لان هذا الأمر قد يفسر بأنه تغيير للاتجاه السياسي للحركة الصهيونية ويجعل من وجودها امام القوى الرأسمالية الامبريالية التي تدعمها موضع تساؤ ل ان لم يكن الرفض .

يضاف الى ذلك كيف يمكن لحركة جعلت الخلاص من الشعب العربي في فلسطين هدفاً لها ان تفكر في كسب تأييد دولة مثل الاتحاد السوفياتي أعلن زعماؤ ها موقفهم من الحركة ، وتتبنى الاشتراكية مذهباً ونظرية ، كما تعلن تأييدها لحركات التحرير الوطني في العالم وحق تقرير مصير الشعوب وتطالب بالتحرير الاجتماعي والوطني لها .

كيف انتهى الخلاف الداخلي ؟

ناقش مؤتمر حزب الماباي (أقوى أحزاب الهستدروت) مسألة العلاقة مع الاتحاد السوفياتي في مؤتمره الذي عقد في نوفمبر ١٩٤٢ بمستعمرة كفارفتكين وظهر حول هذا الأمر رأيان :

الأول : مثله دافيد بن جوربون سكرتير الحزب وكان ذلك رأي الأغلبية (سيا أ) مجموعة أ . واعتقد اصحابها ان الولايات المتحدة هي الدولة الرئيسية التي ستساعد الصهيونية في بناء الدولة اليهودية وهو أمر ينسجم مع نشاط بن جوريون في الدعوة لمؤتمر

---

(١) Aharon Cohen , P. 290 , opcit .

بلتمور السابق وما تمخض عنه .

الثاني : مثله تابنكين سكرتير عام اتحاد كيبوتز هاموشاد واعتقد أصحابه بأن الاتحاد السوفياتي سيصبح صديقاً للصهيونية بعد الحرب[1] . وقد انفصلت مجموعة تابنكين عن الحزب وشكلت حزباً جديداً باسم حركة وحدة العمل وبدأت العمل على تنفيذ ما اعتقدت .

كما استمرت عصبة النصر برئاسة كابلانسكي عملها منسجمة مع خط مجموعة تابنكين التي انفصلت عن الماباي . وبذا أصبحت الاتجاهات السياسية للحركة الصهيونية على النحو التالي : اتجاه يقوده حاييم وايزمان يعمل مع بريطانيا بانسجام ، كما يجد من يصغي لصوته في الأوساط الاميركية .

اتجاه يقوده بن جوريون وأصبح ذا أثر فعال بين صهيونيي الولايات المتحدة الاميركية بالاضافة الى قوته بين اليشوف .

اتجاه يقوده كابلانسكي ، تابنكين ويعمل من أجل ايجاد العلاقات الطيبة مع الاتحاد السوفياتي . وقد حقق هذا الاتجاه حتى نهاية ١٩٤٢ بعض النجاح .

استمرار المحاولات :

قام وفد من عصبة النصر في ابريل ١٩٤٣ بتقديم ٣ سيارات اسعاف ، ف عمليات ميدان واجهزة طبية هدية من التجمع اليهودي الى الجيش الاحمر وقد تسلم الهدية ممثل الاتحاد السوفياتي في طهران الذي اعلن أحد أعضاء بعثته الدبلوماسية أن الحركة الصهيونية كانت مدموغة عندنا بالرجعية ، ولم يكن لدينا الوقت للتعامل مع القضية الفلسطينية ، الا أنه من الان فصاعدا بدأ عهد جديد في علاقاتنا »[2] .

ان تصريح الممثل السوفياتي ـ ان صحت روايته ـ يعتبر بداية انقلاب عقائدي في نظرة الشيوعية الى الحركة الصهيونية اذ بموجبه اصبحت الصهيونية موجودة كما اصبحت حركة انتفت عنها صفة الرجعية ، كما أصبح احتمال تحسن العلاقات وارداً .

تكررت زيارة وفود عصبة النصر الى طهران في عامي ٤٣ ، ٤٤ وفي كل مرة كانت تقدم المعونات الطبية الرمزية للجيش الأحمر . وفي الفترة التي كانت زيارات وفود عصبة

---

(١) عبد الرحيم حسين ، حزب الماباي ص ٢٦٨ ، مصدر سابق .
(٢) Aharon Cohen P. 361 , opcit .

النصر مستمرة الى طهران حدثت مبادرة رسمية من الاتحاد السوفياتي نحو الحركة الصهيونية فقد قام ايفان مايسكي سفير الاتحاد السوفياتي في لندن سابقاً ، والذي تسلم أول هدية طبية من الهستدروت ـ بزيارة لفلسطين في ٢/ ١٠/ ١٩٤٣ وكان نائباً لوزير الخارجية السوفياتي .

طلب مايسكي زيارة المستوطنات اليهودية الجماعية ويلاحظ هنا أن سلطات الانتداب البريطاني لم تكن مرتاحة للطلب فقد أشعرت اللجنة التنفيذية للوكالة برغبة مايسكي ولكنها ذكرت ان وقته محدود ، وينبغي ان تتم الزيارة بعد الظهر وفي يوم واحد فقط .

صاحب مايسكي في زيارته للمستوطنتين الجماعيتين : كريات انافيم ، ومعلاهامشا كل من دافيد بن جورون وجولدا مايرسون (مائير) و اليعازر كابلان من اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وقام مايسكي بمناقشتهم في مشاكل الاستيطان اليهودي في فلسطين[1] . وهذا يحدث لأول مرة . وهو شيء لافت للنظر ويحمل في ثناياه بوادر التحول السوفياتي الذي أشرنا اليه سابقا ـ وعلى الاخص عندما اجتمع مايسكي باعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ولم يجتمع بأعضاء عصبة النصر ، كما لم يجتمع بالمسؤ ولين لعرب ولم يحاول الاطلاع على واقع الفلسطينيين العرب في ظل الانتداب والاستيطان الصهيوني .

علقت جولدا مايرسون (مائير) على هذه الزيارة قائلة : « كان واضحاً ان زيارة مايسكي لم تكن للمجاملة بعد لقاءاته التي تمت مع كل من موشي شرتوك (شاريت) ، ولوكر وبن جوريون في لندن ، ولكن مايسكي اراد أن يعرف فيها اذا كان ممكناً عمل شيء في هذا البلد ، كما أنه اراد أن يكون صورة عن الوضع في فلسطين حتى تكون لديه المعلومات من مصادرها الاصلية عند ابداء السوفييت رأيهم في مشكلة فلسطين[1] . ومن الطبيعي ان يقدم مايسكي تقريراً عن الزيارة الى الكرملين ، وتروي المصادر الصهيونية أن التقرير كان مليئاً بالاعجاب والدهشة حول الانجازات اليهودية في فلسطين[2] .

وروى الياهو بن هورين رئيس تحرير Palestine New Service في مقالة بعنوان The Soviet Wooing of Palestine الذي نشرته Haper's Magazine عام ١٩٤٣ م على لسان بن جوريون : أن دبلوماسيا سوفييتياًرفيع المستوى أبلغ وفد الوكالة اليهودية بما يأتي . . . كنا مرغمين على معارضة هذه الحركة . . . اما الان فقد تغير الموقف كليا اذ تبدو بريطانيا على

---

(١) Aharon Cohen , P. 361 , opcit .
(٢) Ibid , P. 362 .

خلاف مع الصهيونية ، وتغيرت نظرتنا الخارجية لاسباب كثيرة ، واذا ما التفتت روسيا الى مستقبل الشرق الأوسط فانه يبدو واضحاً أن اليهود المتقدمين والتقدميين سيكونون أفضل لنا من العرب المتأخرين والذين تحكمهم عصابات الاقطاع والملوك والافندية »[1] .

والرواية هنا قابلة للمجادلة وذلك لان بن هورين لا يذكر اسم المسؤول السوفياتي - وربما قصد مايسكي الذي اجتمع وبن جوريون عام ١٩٤٣ - كما أن الاتحاد السوفياتي حتى عام ١٩٤٣ لم يكن قد صدر عنه ما يفيد بتهجمه على العرب عامة كما أن هذا التهجم يخالف في نظرنا المعتقد الشيوعي الذي يعلن عن تحرير الشعوب ومقاومة استغلالها فكيف به هنا يأخذ العرب بجريرة حكامهم . واذا ما صحت رواية بن هورين فان الموقف الشيوعي الذي يدعمه الاتحاد السوفياتي وقع في تناقض واضح في نظرته الى فلسطين في عام ١٩٤٣ . فقد كتبت مجلة الاسبوع المصرية[2] بتاريخ ١٢ / ٨ / ١٩٤٣ في العدد ٤٧٨ . مقالا بعنوان مشكلة فلسطين جاء فيه :

« ان قضية فلسطين لا تعارض مبدأ تحرير الاقليات . لا فائدة في ترحيل الاسرائيليين من البلاد الفاشية الى فلسطين لجعله اضطهاداً جديداً هناك يدفع العرب ثمنه سواء كانوا مسلمين أم مسيحيين أم اسرائيليين »[3] .

كما أن المسؤولين السوفييت الذين قابلوا ممثلي الحركة الصهيونية لم يذكروا من قريب أو بعيد أي اشارة عن موقف حكومتهم نحو العرب . والتحول الذي حدث كان في اعجاب السوفييت بالمنجزات اليهودية في فلسطين وباحتمال تغير نظرة السوفييت الى الحركة الصهيونية .

وفي آخر زيارة قام بها وفد عصبة النصر الى طهران في نوفمبر ١٩٤٤ اعلن Barayon الممثل الدبلوماسي السوفياتي هناك أمام وفد العصبة :

« ان مساعدة اليهود مؤثرة ، ولا يعرف أحد أكثر من شعوب الاتحاد السوفياتي معاناة اليهود على يد الفاشية عدوة البشرية ، كما أننا نعرف مدى رغبة اليهود في تدمير هذه العقيدة ومدى اخلاصهم للجيش الأحمر . . . . انكم تعرفون مدى ما تكلفه الحرب من ذخائر

---

(١) . Journal of Palstine Studies , issue 6 . P. 109

(٢) كان يشارك في تحريرها لجنة الثقافة الجديدة التابعة لتنظيم الطليعة الشعبية للتحرير في مصر اليساري منذ العدد ٤٧٤ بتاريخ ٤٣/٧/١٥ .

(٣) مجلة شؤون فلسطينية العدد ١٣ أيلول ١٩٧٢ ص ١١٩ بقلم عبد القادر يس .

وأدوات ومعدات . . ورغم ذلك فاننا نرى في هذه الهدايا المقدمة تعبيراً عن احساس اليهود »[1] .

وعند تتبع الموقف السوفياتي رسمياً من الهدف الصهيوني فاننا لا نلاحظ تقدماً ملموساً لصالح الصهيونية ، بل اننا نجد في الوثائق الاميركية ما يفيد صراحة برفض الاتحاد السوفياتي رسمياً لفكرة الدولة اليهودية . وقد كشف هذا الامر مذكرة Murray مدير مكتب شؤون الشرق الأدنى وأفريقيا الى وكيل الوزارة الخارجية الاميركية ستتنس Stettinius بتاريخ ٢٥ / ١٠ / ١٩٤٤ جاء فيها :«مرفق لكم موجزاً لمذكرة أعدها هيرشمان - الذي كان الى عهد قريب ممثل مجلس لاجئي الحرب في انقرة - بعد محادثات جرت بينه وبين ميخالوف في ٣ أكتوبر ١٩٤٤ السكرتير الاول في السفارة السوفياتية : تطوع ميخالوف قائلا بأنه أمضى بعض الأسابيع في فلسطين للدراسة واقتنع بأن البلاد لا تصلح دولة يهودية فالأمر غير معقول من الناحية الاقتصادية ومن الناحية السياسية غير ضروري .

أخبرت ميخالوف عن قراءتي لمقال في صحيفة يوحي بتغير الموقف السوفياتي وتأييده للدولة اليهودية وبعد ان نفى اطلاعه على المقال سألته عن الموقف الرسمي للاتحاد السوفياتي نحو فلسطين فأجاب بعد تردد : ان الموقف الرسمي كما يعرفه هو معارضة دولة يهودية مستقلة في فلسطين بسبب عدم الحاجة لمثل هذه الدولة »[2] .

لقد كانت قناعة رئيس دائرة الشرق الادنى الاميركي في المذكرة السابقة التي اطلعت عليها ان الاتحاد السوفياتي لن يقدم على تأييد الدولة اليهودية ارضاء للعرب . والامر في نظرنا حتى تاريخ المذكرة لم يزد عن كونه قناعات لدى الأفراد من الجانبين السوفييتي والاميركي الذي أوكل اليهم أمر الاهتمام بالمشكلة الفلسطينية ، ولم يصل الى درجة القرار السياسي الذي يشكل موقفا رسمياً . وكانت زيارات بعض المسؤولين السوفييت الى فلسطين من هذا المنطلق ، استعداداً لاتخاذ قرار يتطابق مع تطلعات السوفييت في المنطقة مستقبلا . الا ان هذه القناعات الجديدة بدأت آثارها في الظهور في عام ١٩٤٥ .

الموقف عام ١٩٤٥ :

انعقد مؤتمر نقابات العمال العالمي بلندن في فبراير ١٩٤٥ وأقر المؤتمر (دون اعتراض او تحفظ من الوفد السوفياتي) ضرورة ايجاد علاج اساسي عن طريق عمل دولي لاصلاح

---

(١) . Aharon Cohen ,P. 361 , opcit

(٢) . Foreign Relations , 1944 , Washington , October 25 ; 1944

الخطأ الذي وقع على الشعب اليهودي . وينبغي ان تكون حماية اليهود من الاضطهاد والتمييز في أي بلد في العالم من واجب السلطات الدولية الجديدة ، كما ينبغي اعطاء اليهود الفرصة في الاستمرار لبناء فلسطين كوطن قومي عن طريق : الهجرة ، الاستيطان الزراعي ، الانماء الصناعي ، على أن يكون ذلك مقرونا بتأمين المصالح الشرعية لكل السكان في فلسطين وتأمين المساواة في الحقوق والفرص كذلك[1] .

لم يحتو البيان ـ في نظرنا ـ على شيء مما كانت تسعى قيادة الحركة الصهيونية الى تثبيته في تلك الفترة ، فلم يشر الى دور الوكالة اليهودية وجعل حل المسألة اليهودية مرتبطاً بسلطة دولية ، كما أن البيان اكد على حقوق الاخرين من غير اليهود في فلسطين . وتلك أمور لم تكن متناسبة مع طموحات الصهيونية التي لخصها مؤتمر بلتمور سنة ١٩٤٢ والتي حاول مندوب الهستدروت في المؤتمر ان يجعلها اساس القرار السابق ولكنه فشل ورفض مشروع قراره الذي تقدم به . ولكن مؤتمر لندن ـ حسب الرواية الصهيونية وهي المتوافرة لدينا ـ شهد تصريحاً من أحد أعضاء الوفد السوفياتي « بتأييد السياسة المزدوجة لحل المشكلة اليهودية ، والمتمثلة في المساواة في الحقوق لليهود في كل البلاد وتأسيس وطن قومي في فلسطين للراغبين منهم في الهجرة اليها »[2] . ورغم أن التصريح السابق قد يكون أساس عدم اعتراض الوفد السوفياتي على قرار المؤتمر الا ان عدم اعتراض الوفد على تأسيس الوطن القومي يعتبر نقطة تحول جديدة لصالح الصهيونية . واذا ما علمنا أن القيادة الصهيونية كانت تحاول ايجاد قنوات اتصال مع السوفييت فان القرار يعتبر نجاحا لهذه المحاولات شجع القيادة الصهيونية على المضي .

وفي خطوة تعتبر أكثر وضوحاً من موقف الوفد السوفياتي في مؤتمر لندن وافقت اللجنة التنفيذية (بالاجماع) للمؤتمر التأسيسي لاتحاد العمال العالمي في باريس الذي عقد في ٢٥/ ٩/ ١٩٤٥ على :

ـ تؤكد سكرتارية المؤتمر على قرار لندن الخاص بمشكلة فلسطين .

ـ تناشد سكرتارية اللجنة التنفيذية الحكومة البريطانية انتهاج سياسة تؤمن بناء الوطن القومي اليهودي .

ـ ترى اللجنة التنفيذية ضرورة التفاهم المتبادل بين العرب واليهود[3] .

---

(١) Aharon Cohen , P. 363 , opcit .

(٢) Ibid , P. 363 , foot Note .

(٣) Aharon Cohen , P. 364 , opcit .

وفي القرار السابق بعض النجاح للموقف الصهيوني المتطلع في تلك المرحلة الى زحزحة السوفييت عن نظرتهم لليهود وللصهيونية ، كما أنه يعبر عن النظرة المستقبلية للاتحاد السوفياتي اذ أصبح يرى في الوطن القومي اليهودي طرفاً ينبغي الالتفات اليه عند اتخاذ قرار بشأن المنطقة ، ويعني ذلك أن سياسة الوطن القومي اليهودي بدأت تظهر وكأنها ذات فائدة للسوفييت .

ونرى في القرار تطابقاً مع وجهات النظر الصهيونية التي عارضت برنامج بلتمور ودعت الى ضرورة تقارب عربي يهودي وانشاء دولة مزدوجة القومية في فلسطين وكان هذا الرأي قد بدأ يلقى القبول من الشيوعيين اليهود وبعض ذوي الميول الاشتراكية منهم .

تجربة الكيبوتز :

يقرن البعض تحول الموقف السوفييتي بتجربة المستوطنات الجماعية اليهودية (الكيبوتز) في فلسطين اذ رأى فيها تجربة اشتراكية تتفق ومبادئه ، الا ان هذا الرأي يحمل في طياته اتهاما للمسؤولين السوفييت بالجهل عند تقديرهم للامور وذلك أمر نستبعده فلم يكن خافيا على السوفييت ان تجربة الكيبوتز لا تمت الى الفكر الاشتراكي بصلة ، كما أن ظهورها لم يكن من منطلق عقائدي شيوعي وانما فرضه الفشل الذي واجهته الحركة الصهيونية في محاولاتها الاولى للاستيطان وكانت مضطرة للبحث عن تجارب جديدة تشد بها الشباب اليهودي الى الاستقرار في فلسطين . كما كان الخلاف الدائم بين العمال اليهود والمشرفين على العمل في مزرعة كنيريت سنة ١٩٠٨ التي أسسها رابين باعتباره رئيس المكتب الصهيوني في يافا السبب المباشر للتجربة[1] . ودليلنا على ذلك أن صاحب فكرة الكيبوتز هو ارثر رابين ولم يعرف عنه في يوم من الأيام أنه كان اشتراكياً او ذا ميول اشتراكية .

ويبدو الأمر أكثر وضوحاً عندما نتأمل بداية تنفيذ التجربة «فقد وقع ستة عمال من مزرعة كنيريت عقدا مع شركة تطوير الاراضي الفلسطينية (صهيونية) تعهدوا فيه بالعمل في الارض التي خصصتها الشركة لهم كموظفين براتب شهري يضاف اليه نصف ارباح الارض . وكان ذلك بداية كيبوتز داجانيا سنة ١٩٠٩ »[2] والذي يعتبر أول كيبوتز شهدته فلسطين .

ومما يجدر ذكره ان موشي دايان من مواليد هذا الكيبوتز في عام ١٩١٥ م .

---

(١) R. Patai , Encyclopedia of Zionism and Israel , P. 667 , opcit .

(٢) Ibid , P. 910 .

ويشرح وايزمان فكرة رابين السابقة مدافعاً عنها بقوله :«اعتقد رابين بأن تكاليف مستوطن الكيبوتز أقل من أي نوع من الاستعمار بالاضافة الى أنها ستكون مدرسة تدريب للقادمين الجدد على حياة القرية ومراكز دفاع ذاتية[1]

واذا ما علمنا أن حاييم وايزمان وافق رابين على فكرته دون تحفظ وأيدها فانه يصعب الاستنتاج الى أنها كانت فكرة اشتراكية . بل نرى في أقوال وايزمان ما يجعل من وصف الكيبوتز بالبلشفية تهمة ينبغي الرد عليه . « قيل عن الكيبوتز انها خلايا بلشفية ، اباحية ، وثنية انها انتقادات الذين لم يدخلوا الكيبوتز او دخلوها لنصف ساعة أو ساعة . ولكن الفكرة تغيرت مع الزمن »[2] .

نخلص الى القول الى أن التجربة لم تكن اشتراكية وكانت صهيونية ذاتية قصد بها احتواء الشباب اليهودي وخلق النزعة العسكرية في نفوسهم . واذا كانت الكيبوتز نواة للاشتراكية ثبت نجاحها فلم لا يطبق النظام الاشتراكيّ في الكيان الصهيوني . كما نعتقد ان الفكرة لم يكن لها اثر في موقف الاتحاد السوفياتي من الصهيونية والذي انطلق من مواقف مخالفة لما هو شائع الا وهي مراعاة مصالحه كدولة كبرى في العالم .

موقف جديد :

لم يعلن الاتحاد السوفياتي حتى نهاية عام ١٩٤٥ م وبداية عام ١٩٤٦ عن تأييده لفكرة الدولة اليهودية الا ان هذا الموقف بدأ في التغير في عام ١٩٤٦ وظهرت آثاره في اروقة الأمم المتحدة عام ١٩٤٧ .

ونرى في الحوار الذي دار بين ديمتري مانولوسكي ، رئيس الكومنترن سابقاً واحد المقربين الى لينين ـ وبين بارلي كرم ـ احد أعضاء الوفد الصهيوني الى مؤتمر سان فرنسيسكو ـ في لندن عام ١٩٤٦ موقفاً جديداً وصريحاً من الاتحاد السوفياتي نحو الصهيونية .

كرم : اما زالت موسكو تعتقد بأن الصهيونيين ادوات للامبريالية البريطانية؟
مالوفوسكي (مبتسما) : ليست ادوات . ولكن وايزمان ومجموعته يثقون في امانة بريطانيا .

ان بيفن يعقد الامور في فلسطين عندما يتصرف كما لو أنه يمثل قوة عالمية من الطراز الاول وينسى ان القوتين العظميين هما الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي فقط[3] .

(١) haim Weizmann , P. 299 , opcit .
(٢) haim Weizmann , P. 298 , opcit .
(٣) Dan Peretz , Israel and the Palestinian Arabs , Middle East Institute , Washington , 1958 , P. 7 .

لقد حمل حديث مالونوسكي مؤشرات كثيرة تتعلق بسياسة السوفييت في المنطقة .فقد جعل ارتباط وايزمان بالامبريالية البريطانية شخصياً وهو أمر لا ينطبق على الحركة الصهيونية ككل . وهذا تأويل جديد للموقف السوفياتي كما جعل الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يشكلان وحدهما القطبية الثنائية في العالم وهما وحدهما اللذان يقرران مصير فلسطين . مما يعني ان احتمال خروج بريطانيا من المنطقة أصبح وارداً وان تطلع الاتحاد السوفياتي كقوة محتملة بديلا لبريطانيا يمكن أن يتحقق عبر وسائل منها العلاقة مع الصهيونية . لا سيما وان احتمالات خروج بريطانيا من مصر كانت قائمة في عام ١٩٤٦ بعد مظاهرات فبراير الصاخبة ضد الاحتلال البريطاني . وربما قدر السوفييت ان الانسحاب البريطاني من مصر سيكون الى فلسطين من أجل الحفاظ على قناة السويس لذا كان على الاتحاد السوفياتي التمهيد لوجوده في فلسطين استعدادا للعمل على طرد بريطانيا ايضا .

ربما كان هذا الهدف مبرر السوفييت في تحسين علاقاتهم مع الحركة الصهيونية ومبررهم في تأييدهم لتشكيل لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين ولقرار تقسيم فلسطين في نوفمبر ١٩٤٧ . إلا أن هذا الأمر لا يعدو كونه تحليلاً سياسياً خاضعاً للأخذ والرد.

وينقص المؤرخ الكثير من الوثائق التي تمكنه من اعطاء حكم قائم على الموضوعية لا على التصور والتحليل .

الفصل السادس
العلاقات الصهيونية البريطانية
أثناء الحرب

كان قرار الحكومة البريطانية بالاعلان على تشكيل الجيش اليهودي بعلمه الخاص في سبتمبر ١٩٤٤ أكبر نجاح دبلوماسي حققته القيادة الصهيونية خلال الحرب العالمية الثانية اذ ضمنت بهذا القرار وجود قوات عسكرية تستخدم عندما يحين الوقت المناسب لتحقيق الهدف السياسي كما ضمنت أن يكون لها علم بين اعلام الامم المتحدة التي حاربت القوات النازية اذا ما عقد مؤتمر للصلح على غرار مؤتمر باريس ١٩١٩ م .

استمرت القيادة الصهيونية في اتصالاتها مع القوى العالمية من أجل الحصول على قرار منها يخص تشكيل الدولة اليهودية ، الا أنها لم تنجح في انتزاع مثل هذا القرار ويعود ذلك في رأينا الى الظروف السياسية المتشابكة التي افرزها الوضع العسكري والاقتصادي والمصالح الدولية في منطقة الشرق العربي خلال الحرب ، مما جعل تشرشل الذي كان من أكبر مؤيدي اعلان الدولة اليهودية مشلول الارادة كما جعله في النهاية - مضطراً - للتراجع عن مواقفه المؤيدة للصهيونية لانه أحس في اللحظات الاخيرة ان اندفاعه في التأييد الصهيوني وعداوته للعرب سيجعل بلاده تدفع الثمن غالياً في منطقة كان يمكن ان يطول فيها عمر الوجود البريطاني . وعندما حاول وقف العجلة أو الارتداد كانت الفرصة قد فاتت ، وبدأ انهيار الامبراطورية البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية في المشرق العربي من النقطة التي خيل لتشرشل وغيره من مؤيدي الصهيونية انها الملجأ الأخير لحماية المصالح الامبراطورية في المنطقة .

التفاهم البريطاني - الصهيوني

رغم كل مظاهر الاعلان عن معارضة القيادة الصهيونية لسياسة الكتاب الابيض فان سير الحوادث اثناء الحرب أثبت ان كلا من القيادة البريطانية والقيادة الصهيونية كانتا تتطلعان الى تنفيذ التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل سنة ١٩٣٧ وسعت الصهيونية الى اضافة مناطق جديدة الى (المنطقة اليهودية) التي خصصها الاقتراح ، وبالذات منطقة النقب .

اعتمدت القيادة الصهيونية في تحقيق هذا الهدف على انتهاز الفرص المواتية الا أنها لم تكن قادرة على طرح مستقبل فلسطين السياسي للمناقشة في اوائل سني الحرب بسبب :

١ ـ الانشغال والاهتمام بما يجري على جبهات القتال من جانب بريطانيا .

٢ ـ غياب القيادة الصهيونية عن المسرح الدولي وبالذات عن الدوائر السياسية للولايات المتحدة الأميركية التي كانت ترى أن منطقة الشرق الأوسط تقع في دائرة الاهتمام البريطاني .

٣ ـ انشغال القيادة الصهيونية بما نشأ عن اعلان الحرب من أوضاع اقتصادية متردية في فلسطين .

اعلنت القيادة الصهيونية أن الحرب هي حربها كما أعلنت تأييدها ودعمها لبريطانيا وركزت في بداية الحرب على المطالبة بتشكيل قواتها الخاصة كما سبق ، وانتهزت فرصة الحرب والتفتت الى تحسين المستوى الاقتصادي والقضاء على البطالة التي ظهرت بين التجمع اليهودي في فلسطين عن طريق انتاج صناعات معينة فرضتها حاجات الحرب مثل الصابون والاحذية وبعض الملابس القطنية ، وكان كل ما يريده حاييم وايزمان في ٢٠/ ١١/ ١٩٣٩ م رئيس المنظمة الصهيونية من حكومة بريطانيا « أن تكون عند التزاماتها نحو اليهود لذا فهو يشجع على التجنيد (حينئذ) كما يكوّن ذلك الامر رصيداً في مؤتمر السلام ، كما يأمل في التأثير على الرأي العام لصالح الصهيونيين ، وكان يخطر في ذهنه فكرة السيطرة على الحكومة في فلسطين في اللحظة الحاسمة التي تكون فيها بريطانيا واوربا عاجزتين عن التدخل »[1] .

كما رأى بن جوريون في قيام الحرب العالمية الثانية فرصة تحصل فيها الحركة الصهيونية على وعد بريطاني بتأسيس الدولة اليهودية بعد الحرب كما حصلت على تصريح بلفور في الحرب العالمية الأولى » .

لذا فان القيادة الصهيونية عاشت فترة الترقب المصحوب بالأمل القوي في بريطانيا اذا ما انتصرت في الحرب ، ولا نجد في التصريحين الصهيونيين السابقين ما يوحي بروح العداء او عدم الثقة في بريطانيا .

سافر حاييم وايزمان الى الولايات المتحدة وعاد منها الى لندن في مارس ١٩٤٠ وهنا

(١) Richard Minertz Hagen, p. 182, opcit.

لاحظ صديق وايزمان ريتشارماينرتسهاجن الذي قابله بعد عودته من رحلته بان تفكير وايزمان « اتجه بعد الرحلة الى تأمين دعم مادي من الولايات المتحدة الاميركية وذلك لان الشعور اللاسامي في بريطانيا كان قوياً ولا يعطي فرصة للصهيونية التقدمية »[1] .

وهي مرحلة جديدة من مراحل التفكير الصهيوني البراجماتي اتفق فيها وايزمان مع بن جوريون اتفاقا تاماً عندما اكتشف الاخير القوة الكامنة في يهود الولايات المتحدة واثرها في مستقبل المشروع الصهيوني اذا ما نظمت ووجهت وبدأ الاثنان يعملان من أجل الاستفادة منها ولكنهما لم يبتعدا عن الاهتمام التام بدائرة العمل مع بريطانيا .

أصبحت منطقة المشرق العربي بعد يونيه ١٩٤٠ ـ عندما دخلت ايطاليا الحرب ضد بريطانيا ـ هي المنطقة الوحيدة التي يمكن لبريطانيا ان تشن منها هجوماً ضد المحور مما جعل القيادة العسكرية تنظر الى الاوضاع الداخلية في المنطقة باهتمام بالغ وحرص على الاستمرار في الاعلان عن ضرورة تهدئة العرب ، وعدم اثارة الاضطرابات في فلسطين مما أكد رأي ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط حول أهمية المنطقة : « امضيت سنتين محاولا تجنب الاضطرابات الخطرة في قواعدنا العسكرية »[2] . لكننا لا نجد في التطبيق العملي للسياسة البريطانية ما يوحي بالاقدام على تنفيذ عمل من شأنه ارضاء العرب او اغضاب القيادة الصهيونية . وليس ادل على ذلك من عدم تنفيذ بريطانيا للاجراءات الدستورية التي جاءت في الكتاب الابيض ١٩٣٩ واهمالها تعيين الفلسطينيين العرب في الدوائر الحكومية من أجل تسلم الادارة عند انتهاء المدة التي حددها الكتاب .

ولم يكن الاعلان البريطاني عن قانون تنظيم نقل الاراضي في فبراير ١٩٤٠ الا مناورة قصد بها إلهاء العرب الفلسطينيين عن المطالبة بتنفيذ الاجراءات الدستورية في البلاد استناداً الى الكتاب الابيض عام ١٩٣٩ . مما يؤكد وجهة نظرنا في عدم صدق النوايا البريطانية نحو تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض . والدليل على ذلك ان الكيرين كايمت (الصندوق القومي اليهودي) المسؤول عن الاراضي ، حصل على ٢٧٥ ألف دونم في المناطق أ ، ب التي حددها القانون ومنع انتقال الاراضي فيها الى اليهود كما حصل على خمسين ألف دونم في المنطقة التي سمح فيها بانتقال الأراضي[3] . مما جعل القيادة الصهيونية تنطلق من واقع عملي ملموس في الثقة بمستقبل القرار البريطاني رغم الاعلان المعارض لهذا الواقع .

(١) Richard Minertz Hagen, p. 183, opcit.
(٢) George Mirk, p. 21, opcit.
(٣) John Marlow, The Seat of Pilate, The cresset press, London, 1959, p. 169.

قانون تنظيم نقل الارض الصادر في فراير ١٩٤٠ م[1]

	المساحة	النسبة المئوية	ملكية اليهود	الإراضي الزراعية اليهودية	أراض عربية	أراض عربية زراعية
منطقة أ يسمح فيها بنقل الارض للعرب	٦٦١٥ ميل مربع تعادل ١٠٤,٠٠٠ر٤ ف	٦٤٪	٨٠,٥٠٠ ميل²	٥,٠٠٠ ميل²	٤,١٠٣,٠٠٠ ميل	٥٦٤,٠٠٠
منطقة ب يسمح فيها بنقل الارض بقانون	٣٢٩٥ ميل² تعادل ٢,٠٦٦,٨٤٠ فدان	٣٢٪	١٣٠,٦١٨	١٣,٠٠٠	١,٩٣٧,٢٢٣	٥٤,٠٠٠
منطقة جـ يسمح فيها بنقل الارض لليهود	٥١٩ ميل² تعادل ٣٣٢١٦٠ فدان	٥٪	١٧٠,٠٠٠	٤٨,٠٠٠	١٦٢,١٦٠	٤٨,٥٠٠٠

(١) Esco, vol. 2, p. 934, opcit.

وصل الوضع العسكري البريطاني احرج مراحله في تاريخ الحرب العالمية في عام ١٩٤١/ ١٩٤٢ فقد تم نقل جزء من قوات بريطانيا في الشرق الاوسط الى اليونان وكان على قائد هذه القوات مقاومة تقدم روميل على الجبهة الليبية المصرية والحفاظ على قوات بريطانيا في شرق أفريقيا . كما ظهرت في هذا العام بوادر التململ العربي ضد بريطانيا ممثلاً في حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق (ابريل - يونيه ١٩٤٢) .

كما أصبحت قوات فيشي الموجودة في سوريا ولبنان تشكل خطراً يهدد الوجود البريطاني في فلسطين وجعلت المنطقة سهلة المنال للقوات النازية اذا ما هاجمتها ، واصبح الشرق الأوسط في خطورته الاستراتيجية لا يقل خطورة عن منطقة الاطلنطي[1] . مما جعل بريطانيا تقوم بتعيين وزير دولةلشؤ ونالشرق الاوسط مقره القاهرة ، وشكلت مجلس امداد الشرق الاوسط في محاولة للتخفيف من اعباء قائد القوات العسكرية .

شهد عام ١٩٤١ تعاوناً ملموساً بين القيادة الصهيونية وأجهزة المخابرات البريطانية ظهرت آثاره في تشكيل قوات البالماخ الصهيونية ، والتقدم الصناعي الصهيوني في فلسطين .لكننا حسبما توافر لدينا من معلومات لا نجد مطالبة صهيونية رسمية ببحث مستقبل فلسطين السياسي كما لا نعرف رأياً بريطانياً لحل « المشكلة اليهودية » في هذه الفترة غير ما صدر عن لورد موين الذي تسلم وزارة المستعمرات البريطانية ما بين أوائل ١٩٤١ - وأوائل ١٩٤٢ في حديث مع دافيد بن جوريون رئيس اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية عندما اعلن موين عن اعتقاده « بان الحل الوحيد للمشكلة اليهودية هو تأسيس دولة يهودية في شرق بروسيا باوروبا بعد أن تحل الهزيمة بهتلر »[2] . وهو في رأينا يمثل تصوراً شخصياً ولا يعكس السياسة البريطانية الرسمية ، كما لم يقم بن جوريون في معرض رده على الوزير بالافصاح عن أي هدف صهيوني سياسي باستثناء اصراره على فكرة عودة اليهود الى فلسطين .

تشابك الوضع السياسي :

ومع نهاية عام ١٩٤١ وبداية عام ١٩٤٢ أصبح الوضع السياسي في المشرق العربي متشابكا يمكن تلخيصه على النحو التالي :

١ - تثبت بريطانيا وجودها بقوات عسكرية ضخمة في مواجهة قوات المحور على الحدود المصرية الليبية وفي حالة حرب مستمرة .

(١) George Kirk, p. 22, opcit.
(٢) Moshe Pearlman, p. 95, opcit.

٢ ـ سيطرت القوات البريطانية على كل من سوريا ولبنان بعد أن دحرت القوات الفرنسية الموالية لحكومة فيشي ، وظهر ديجول رئيس اللجنة الوطنية الفرنسية (حكومة فرنسا الحرة) مطالباً باعادة سيطرة بلاده وعودة الانتداب الفرنسي الى البلدين مما جعل بريطانيا تدخل صراعا سياسياً مع ديجول .

٣ ـ ظهر أثر الدور الاميركي في المنطقة بعد أن شاركت الولايات المتحدة الاميركية في مجلس امداد الشرق الأوسط وأصبحت بضائعها تشكل ٥٠ ـ ٦٠٪ من مجموع تجارة المنطقة مما جعل التطلع الاميركي الى أسواقها امرا يصعب اهماله من الجانب البريطاني الذي كان يعتبر المنطقة حكراً عليه .

٤ ـ أصبحت المصالح النفطية في المنطقة العربية واضحة فقد كان ربع انتاج نفط العراق ، ونصف انتاج نفط الكويت ، وكل انتاج نفط البحرين والسعودية للشركات الاميركية .

٥ ـ يضاف الى ما سبق الدور الاميركي في دعم بريطانيا عسكرياً وقدرتها على الاستمرار في الحرب وعلى الاخص بعد أن أعلن في ١١/ ٣/ ١٩٤١ ، قانون الاعارة والتأجير Lend — Lease Act الاميركي بدلا من قانون الدفع نقداً Cash and Carry وهو أمر استفادت بريطانيا منه ما قيمته ٦٦٢ مليون دولار في عام ١٩٤١ م ، وما قيمته ٢٣٩١ مليون دولار في عام ١٩٤٢[1] .

كان هذا الوجود الاميركي المكثف والذي فرضته ظروف الحرب بداية لاثارة الشكوك بين الطرفين الاميركي والبريطاني تطور فيما بعد الى اختلاف واضح وبعد أن كان الشرق الاوسط خارج اهتمامات السياسة الاميركية باعتباره منطقة نفوذ بريطانية أصبح في بؤرة الاهتمام الاميركي . كما أصبحت بريطانيا غير حرة في اتخاذ القرار الذي تراه فيما يخص هذه المنطقة ، وبدأت القيادة الصهيونية تعمل جادة من أجل كسب تأييد حكومة الولايات المتحدة لاهدافها وتدير ظهرها للصديق التقليدي (بريطانيا) .

٦ ـ وصلت الاخبار عما حل بيهود المانيا على يد هتلر وهو أمر استفادت منه القيادة الصهيونية في المطالبة بحل « المشكلة اليهودية » عن طريق الاستقلال السياسي اليهودي .

٧ ـ تردى الوضع العسكري البريطاني في عام ١٩٤١ على معظم الجبهات فقد استطاعت اليابان اغراق اكبر قطعتين بحريتين في الاسطول البريطاني هما Prince of Wales,

(١) V. Trukhanovsky, p. 124, opcit.

و Repulse في ١٠/ ٢/ ١٩٤١ كما استسلم ٧٣ الف جندي بريطاني في سنغافورة في ١٥/ ٢/ ١٩٤٢ . وفي يونيه ١٩٤٢ ، تمكن رومل قائد قوات المحور على الحدود المصرية الليبية من اختراق جبهة الجيش البريطاني الثامن بالاضافة الى استسلام ٣٣ ألف جندي بريطاني في ميناء طبرق .

أمام هذه النكسات وظهور النقد في الصحف البريطانية ومن أعضاء البرلمان البريطاني « أصبح تشرشل رئيس الوزراء البريطاني يعيش في وضع نفسي قلق واصبح واقعاً تحت تأثير روزفلت (الرئيس الاميركي)[1] » .

وفي رأينا أن سوء الوضع البريطاني كان من الاسباب الرئيسية التي جعلت القيادة الصهيونية تتوجه بنشاط زائد الى الولايات التحدة الاميركية وفي الوقت نفسه جعلها تتوجه الى الاتحاد السوفياتي في محاولة كسب تأييده لدعم الهدف الصهيوني .

نجحت القيادة الصهيونية في عقد مؤتمر بلتمور بالولايات المتحدة الاميركية في مايو ١٩٤٢ واعلنت في هذا المؤتمر مطالبتها بتأسيس كومن ويلث يهودي في فلسطين بالاضافة الى مطالب اخرى وردت في برنامج بلتمور . وما يسترعي الانتباه في أن مطلب تأسيس الكومن ويلث اليهودي في فلسطين اقترن بانتصار القوى الديمقراطية ولم يطالب المؤتمر بتشكيل الدولة اليهودية في الحال ، وهو أمر مرهون بنتائج الحرب والتي لم تبد ملامحها واضحة الا في عام ١٩٤٣ م ، لذا فان قرارات مؤتمر بلتمور شكلت الحد الأعلى للمطالب الصهيونية في ظل ظروف معينة ، وكانت القيادة الصهيونية مستعدة للتنازل عن هذه المطالب حسب الظروف التي تنشأ بعد الحرب . وتثبت الوثائق المتوافرة لدينا هذا الرأي :

ففي مذكرة من السفارة البريطانية في واشنطن موجهة الى وزارة الخارجية الاميركية ـ بعد اعلان قرارات مؤتمر بلتمور ، وعودة بن جوريون الى فلسطين ـ شرحت الوضع في فلسطين كما رآه المندوب السامي البريطاني هناك على النحو التالي :

« علم أن المجلس الصهيوني الداخلي قد أقر برنامج بلتمور بأغلبية الأصوات وقيل ان بن جوريون اوضح بان قبوله لبرنامج بلتمور لا يعني أن يؤخذ كتعريف محدد للاهداف الصهيونية . اذ ان نظاماً عالمياً سيشكل من جديد بعد الحرب وستكون المشكلة اليهودية امامه للمناقشة . وتشكل قرارات بلتمور الاهداف الملحة ومطالب الشعب اليهودي التي ينبغي تقديمها لهذه الهيئة . » كما أوضح المندوب السامي رأيه في انتهاز القيادة الصهيونية

(١) مذكرات الجنرال ديجول ، تعريب خيري حماد ـ منشورات مكتبة المثنى ـ بغداد جـ ١ : ١٩٤٠/ ١٩٤٢ ، ص ٣٢٠ ، ٣٢١ .

للفرص السياسية اذ كان يشعر دائماً بان الفترة الحاسمة في تاريخ السياسة اليهودية ستأتي عندما يصبح واضحاً ان الامم المتحدة ستكسب الحرب وفي الوقت نفسه تكون هذه الامم في اقصى درجات الانشغال . ولا يستبعد أن يكون الصهيونيون قد رأوا في النجاح العسكري في أفريقيا اقتراب نهاية الحرب لذا اسرعوا في التركيز لبناء برنامجهم السياسي كي يكون جاهزاً امام مؤتمر السلام »[١] .

ان مذكرة السفارة البريطانية تعكس بوضوح فكر بن جوريون البراجماتي القائم على انتهاز الفرص لتحقيق الهدف . لذا فان بن جوريون لم ير في برنامج بلتمور الذي يدعي أن وراء كل كلمة صيغت فيه الهدف النهائي للصهيونية اذ ان هذا الامر قابل للتعديل . ولكن ما نراه واضحاً فيما نسب الى بن جوريون هو استبعاده للوجود العربي فلسطينياً كان أم غير فلسطيني في معرض تفكيره وتحديده للهدف الصهيوني وربط هذا الهدف بانتصار « الامم المتحدة » في الحرب .

قصة جون فيلبي :

لم يلغ وايزمان الوجود العربي من تفكيره في حديثه مع المسؤولين من الحلفاء كما لم ينس التركيز على الدور البريطاني وأشار الى قصة ترددت كثيراً في المصادر الاجنبية واستغلت استغلالا سياسياً من جانب القيادة الصهيونية في الفترة نفسها التي اعلن فيها بن جوريون عن نهجه البراجماتي أمام مؤسسات اليشوف . وترتبط القصة بذكر عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية حينئذ ، وشخصية انجليزية ارتبطت به يسمى جون فيلبي .

« في ٤/ ١٢/ ١٩٤٢ قام حاييم وايزمان بزيارة وكيل الخارجية الاميركية وطلب منه مناقشة احتمالات المستقبل في فلسطين مع أحد موظفي الخارجية الاميركية وذكر وايزمان خلال الحديث رغبة تشرشل في جعل ابن سعود رئيس الرؤساء Boss of the Bosses في الوطن العربي شريطة أن يكون ابن سعود مستعداً لمحاولة ايجاد حل معقول مع وايزمان لمشكلة فلسطين . كما ذكر وايزمان أيضاً أن تشرشل أخبره بموافقة الرئيس الاميركي على هذا الرأي (ينبغي التنويه ان الرئيس الاميركي لم يحدث ان ذكر لوكيل الخارجية الاميركية مثل هذا الأمر »[٢]

(١) Foreign Relations, 1942, 867 N. oo/ 604.

(٢) مذكرة وكيل الخارجية الاميركية (ويلز) الى مستشار العلاقات الخارجية Murray في ٤/ ١٢/ ١٩٤٢ .
Foreign Relations , 1942 , 867 N. 01 /12 - 442.

وحول هذا الامر ذكر وايزمان في كتابه Trial and Error ما يلي :

« في ١١/ ٣/ ١٩٤٢ قبل مغادرة (وايزمان) الى الولايات المتحدة قام بوداع تشرشل رئيس الوزراء البريطاني في مكتبه الذي أبلغه عن وجود خطة لديه (لم يكشف عنها) يمكن تنفيذها بعد الحرب ، كما أبلغ وايزمان أنه يود جعل ابن سعود سيداً على الشرق الاوسط . Lord of the Middle East رئيس الرؤساء شريطة ان يتفق الملك مع وايزمان : وسيكون من مهمة وايزمان الحصول على أحسن الشروط ، وستساعده بريطانيا في هذا الامر وكان رجاء تشرشل ان يظل الامر سريا ويمكن لوايزمان الحديث فيه مع الرئيس روزفلت اذ لا يوجد شيء لا يستطيع تشرشل وروزفلت عمله اذا صمما عليه »[١] .

ويبدو الاختلاف واضحاً بين الروايتين فقد ورد في رواية وكيل الخارجية الاميركي أن تشرشل اخبر وايزمان بعلم الرئيس الاميركي بالامر وموافقته عليه ، أما في رواية وايزمان فقد ورد ان الرئيس الاميركي لم يكن يعلم عن الامر وطلب تشرشل ابلاغه . ونجد اتفاقاً في الروايتين حول رغبة تشرشل في جعل ابن سعود رئيس الرؤساء وربط هذه الرغبة بحل القضية الفلسطينية .

ربط وايزمان بين ما سمعه من تشرشل وبين ما كان قد سمعه قبل شهور من جون فيلبي عندما اعتقد « ان هناك أمرين ضروريين لحل مشكلات الصهيونيين اذ ينبغي على تشرشل وروزفلت ان يبلغا ابن سعود برغبتهما في تنفيذ برنامج الصهيونية كما ينبغي عليهما دعم سيادة ابن سعود على البلاد العربية ومنحه قرضا يمكنه من انماء بلاده وهو أمر بدا لوايزمان غير قابل للفهم »[٢] .

رأى وايزمان في عرض فيلبي دليلا على تعدد القوى التي كان على القيادة الصهيونية ان تتبين طريقها خلالها . فقد اكتشف وجود قوى معارضة بين المسؤولين في الدوائر الاميركية لاهداف الصهيونية . ودلل على رأيه بموقف الكولونيل هوسكنس ممثل الرئيس روزفلت الشخصي الى الشرق الاوسط الذي كان يؤيد احضار نصف مليون يهودي الى فلسطين على مدى عشرين سنة ثم اختلفت لهجته . وأخبر وايزمان عن زيارته لابن مسعود الذي تحدث معه بطريقة غاضبة وعاصفة مؤكداً أن وايزمان حاول رشوته بعشرين مليون جنيه ليبيع فلسطين لليهود ، وقد ذهل وايزمان لهذا التفسير القائم على أمر لم يقترحه وانما قدم له من

(١) Haim Weizmann, p. 427, opcit.

(٢) Haim Weizmann , p. 428, opcit.

فيلبي [1] . لقد كان التشابك الذي أشار اليه وايزمان في قصة فيلبي التي تبين ان ابن سعود لم يكن لديه علم بما نسب اليه . ونرى مناقشتها لانها تتعلق بموقف ملك عربي عرف بمواقفه الصلبة تجاه القضية الفلسطينية .

في أواخر ١٩٣٩ م قام جون فيلبي (والد الجاسوس كيم فيلبي) باعلام سمرويلز (الذي أصبح فيما بعد وكيلا للخارجية الاميركية) بان ابن سعود سيوافق على دولة يهودية غرب نهر الاردن شريطة استقلال كل البلاد العربية وتسلمه عشرين مليون جنيه استرليني ، وقام فيلبي باعادة ما رواه سابقا الى وايزمان في ٦/ ١٠/ ١٩٣٩ بحضور موشي شرتوك ونامير (من أعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية) ، وأضاف أنه ناقش الخطة مع ابن سعود في يناير ١٩٤٠ الذي أعلن في حينه « يمكن ترتيب مثل هذه الامور في الظروف المستقبلية الملائمة وسيفكر في الأمر »[2] .

ان ما جاء في الوثيقة البريطانية السابقة يخالف ما رواه وايزمان مخالفة تامة فبينما ذكر وايزمان انه سمع من فيلبي عن رأيه في حل المشاكل الصهيونية قبل شهور من سفره الى الولايات المتحدة في ١١/ ٣/ ١٩٤٢ ، كرت الوثيقة ان فيلبي قام بابلاغ وايزمان في ٦/ ١٠/ ١٩٣٩ م اي بفارق ثلاث سنوات بين الروايتين .

لقد كانت قصة فيلبي معروفة لدى بعض المسؤ ولين البريطانيين ولكنهم لم يصدقوها ولم يحاولوا مفاتحة عبد العزيز آل سعود بها لانهم كانوا على علم بموقفه اللاتصالحي مع الصهيونية ونصح بعضهم بعدم اثارتها مطلقاً معه . ففي ٣/ ٥/ ١٩٤٣ م كتب توماس ولكي الممثل الدبلوماسي البريطاني لدى السعودية الى حكومته : « لن يعمل ابن سعود بأي شكل في اطار الخطة المقدمة ... انطلاقاً من مشاعره الاسلامية العربية ، واعتقد انه لن يساعد بل ولن يتسامح في حل المشكلة وفق الخطة الصهيونية ...

واستغرب بل واستهجن عزم وايزمان على زيارة ابن سعود، لانه على ثقة من رفضه للقائه »[3]

وقد تأكد رفض عبد العزيز القاطع لهذه القصة عندما علم بها من هو سكنس الاميركي

---

(١) Ibid Weizmann, p. 432.

(٢) Nicolson Bethel, p. 144, opcit.

نقلا عن الوثيقة البريطانية Fo 371 /4/4 / 039.

(٣) Ibid, p. 148.

عن الوثيقة البريطانية . Fo. 371 / 35034

وكتب رسالة في ٢٠/ ٨/ ١٩٤٣ الى الرئيس روزفلت ذكر فيها :«أن من عادة عبد العزيز آل سعود استقبال ضيوفه مهما كانوا . . . أما بالنسبة للشخص المذكور حاييم وايزمان فهو عدوي (ابن سعود) لانه اختارني بوقاحة صارخة من بين الشخصيات العربية والاسلامية ليوجه اليّ الطلب الخسيس الذي سيحولني الى خائن لديني وبلدي . وبهذا الطلب ازداد كرهي له ولمن يتبعه . . . ان وايزمان ارسل لي اوروبياً (فيلبي) يعرض علي ٢٠ مليون جنيه استرليني لمساعدته في حل مشكلة فلسطين . هل توجد وقاحة وخسة اكثر من هذه ؟ هل يمكن أن توجد جريمة أعظم من هذه الجريمة التي اقترفها هذا الرجل في تقديم هذا العرض ، وفي جعل الرئيس الكريم (روزفلت) ضمانا لهذا العمل»[1] .

يلاحظ مما سبق عرضه ان وايزمان نفسه لم يصدق القصة من اولها ولكنه ربط بينها وبين عرض تشرشل لخطة لم يفصح الاخير عنها . كما أن وايزمان نفى ان يكون قد ذهب الى أبعد من الحديث عن الخطة مع بعض المسؤ ولين كما نفى أن يكون قد فاتح الرئيس الاميركي بها ، ذلك لان موقف الرئيس من زيارة وايزمان له في أوائل ١٩٤٢ لم يكن ودياً حسب رأي وايزمان[2] .

اننا لا نستبعد ان تكون القصة من اختلاق فيلبي ولكن اخطر ما فيها هو ذكر اطراف عربية مستعدة للتفاهم مع الصهيونيين. وهو وهم سعت اليه القيادة الصهيونية جادة في ذلك الوقت .

ولا يستبعد ان تكون اثارة وايزمان للقصة رغم عدم تصديقه لها مجرد محاولة من جانبه قصد بها تحقيق بعض التقدم لصالح الهدف الصهيوني ، في مواجهة خصمه السياسي بن جوريون . كما لا نستبعد ايضاً ان يكون فيلبي قد لعب الدور المزدوج بايحاء من بعض الدوائر المعنية قاصداً ايجاد هوة بين عبد العزيز آل سعود والادارة الاميركية في فترة ظهر فيها التنافس البريطاني الاميركي على المنطقة .

ولكن ما يهمنا قوله هنا ان عبد العزيز آل سعود لم يتردد لحظة واحدة في رفض القصة عندما سمع بها . وظل موقفه الرافض للمطالب الصهيونية ثابتاً لم يتغير ولعل في موقفه الواضح والصريح عند لقائه بكل من روزفلت وتشرشل عند عودتها من مؤتمر يالتا عام ١٩٤٥ م في مصر خير دليل على اختلاق القصة من اولها الى آخرها .

---

(١) نقلا عن الوثيقة البريطانية Wo / 3232/ 10260

(٢) HaimWeizmann, p. 429, opcit.

توتر العلاقات الصهيونية البريطانية :

اعلن تشرشل في ١١ نوفمبر ١٩٤٢ أنه لم يصبح رئيس وزراء الملك من أجل انهاء الامبراطورية[1] وكان هذا الاعلان في رأينا معبراً عن القلق البريطاني والخوف من المستقبل ، مما استوجب ان تكون المتطلبات الاستراتيجية البريطانية الجديدة في رأي مجلس التخطيط التابع لمجلس الوزراء (في ديسمبر ١٩٤٢) على النحو التالي :

عقد معاهدات صداقة مع الدول المستقلة في المنطقة بدلا من ممارسة الانتداب .

التركيز على أهمية ميناء حيفا الفلسطيني للمصالح البريطانية لانه يشكل نهاية خط أنابيب نفط كركوك ، ونهاية خط سكة حديد القنطرة الذي يربط فلسطين بمصر ، ولأن وجود قاعدة بحرية بريطانية فيه يعتبر ضرورة حيوية لبريطانيا[2] ويلاحظ هنا أن التقرير لم يشر الى الوجود الصهيوني كقاعدة يعتمد عليها في حماية قناة السويس ، كما لم يشر الى مستقبل فلسطين السياسي مما يشكل في نظرنا تحولا في التفكير البريطاني .

وفي أوائل عام ١٩٤٣ ظهر خلاف اساسي بين القيادة البريطانية والقيادة الصهيونية ، وكان محوره مستقبل الوضع الاقتصادي في فلسطين . فقد قامت الحكومة البريطانية بتعيين دوجلاس هاريس رئيس فرع مركز امداد الشرق الأوسط في فلسطين مفوضا ساميا لاعادة أعمار البلاد Reconstruction of Palestine واعلنت بيانا في ٢٢/ ٣/ ١٩٤٣ م ذكرت فيه :

- خطة اعمار جديدة تحقق توسعاً في اختصاصات مختلف دوائر الحكومة من أجل اضافة خدمات عامة ضرورية .
- تحسين المستوى الزراعي للسكان والعناية بالتطور الصناعي ، وبالذات تطور الصناعات التي يمكن أن تصمد في وجه المنافسة الاجنبية في ظروف السلم ، مع تحديد كمية وتسويق الانتاج .
- الاهتمام بالخدمات العامة ونشر التشريعات الخاصة بالعمل وما شابهها[3] .

وأوضح المندوب السامي البريطاني الخطة السابقة في بيانه بتاريخ ٢٣/ ٣/ ١٩٤٣ عندما اعلن ان القليل من الصناعات هي التي ستلقى التشجيع من أجل الوقوف في وجه

(١) نقلا عن التايمز V. Trukhanovsky, p. 192, opcit.
(٢) Michael Cohen, p. 157, opcit.
(٣) Esco, vol. 2, p. 1061, opcit.

المنافسة الاجنبية وشدد على ضرورة تشجيع الزراعة وحل مشاكل صناعة الحمضيات (الموالح)[1] .

رأى دافيد بن جوريون في البيانين السابقين اساءة الى التخطيط الصهيوني ، وعلى الاخص في مجال الصناعة لان ذلك سيؤثر في استيعاب اكبر عدد من المهاجرين اليهود بعد الحرب ، فهاجمها بعنف كما هاجم حاييم وايزمان الذي اعتمد على بريطانيا وطالب بالغاء سياسة التدريجية[2] . وأعلن بن جوريون برنامجاً اقتصادياً بديلا لبرنامج الحكومة ركز فيه على تطور فلسطين الاقتصادي الى الحد الاقصى في ميادين : الزراعة ، الصناعة ، البحر ، وفي اقصر مدة ممكنة . كما أشار بن جوريون الى امكانية استخدام العنف الصهيوني في وقت لاحق عند تنفيذ برنامجه . وذلك عندما خطب أمام احدى منظمات الشباب اليهودية الرياضية (مكابي) في ٤/ ٤/ ١٩٤٣ م واعلن تبنيه لاستخدام القوة اليهودية والقوة المادية للدفاع عن الوضع في فلسطين .

وقد أكد القنصل العام الاميركي Pinkerton في القدس الى وزير خارجيته بتاريخ ١٧/ ٤ / ١٩٤٣ ما جاء في خطاب بن جوريون امام نادي مكابي الرياضي الصهيوني في ٤ / ٤/ ١٩٤٣ والذي نقلته وكالة التلغراف اليهودية كما أكد القنصل العام استناداً الى رأي السكرتير الاول لحكومة فلسطين البريطاني ان بن جوريون هو وغيره من الزعماء الصهيونيين المتطرفين قاموا في هذه المناسبة (الرياضية) وغيرها بالتعبير عن استخدام القوة اذا كانت ضرورية لتسوية ما بعد الحرب ، وأضاف القنصل ان ٤٠٪ من التجمع اليهودي لفلسطين مستعد لهذا العمل . كما قام السكرتير بابلاغ القنصل الاميركي عن وجود مخابىء أسلحة يهودية وسرقة أسلحة ومتفجرات بريطانية من قبل اليهود وممارسة الشباب اليهودي للتدريب العسكري في المستعمرات اليهودية[3] .

لقد جنح بن جوريون هنا الى الافصاح عن الطموحات الصهيونية التوسعية وفرض هذه الطموحات بالقوة . وبينما كان يتفق مع وايزمان وبقية اعضاء اللجنة التنفيذية على هذا التوسع الا انه اختلف معهم حول امكانية استخدام اسلوب القوة ، وهو أمر التقى فيه بن جوريون مع كل من منظمة الارجون (اتسيل) ومنظمة شتيرن (ليهي) المتطرفتين واللتين كانتا تناديان باستخدام القوة لتحقيق الاهداف الصهيونية .

(١) Ibid, p. 1062.
(٢) Sacher, p. 444, opcit.
(٣) Foreign Relations, 1943, vol. 4, 867N. oo / 630.

ان موقف بن جوريون الرافض لبيان الحكومة والمهدد باستخدام القوة الصهيونية قائم في رأينا على أساس الحفاظ على مكتسبات اقتصادية صهيونية تم الحصول عليها في فترة المعارك بين قوات الحلفاء والمحور ، بالاضافة الى الاستمرار في تنمية هذه المكتسبات التي رأى أنها بعد الحرب ستتعرض للانهيار ، عندما تظهر بطالة الذين يعملون في القوات المسلحة من الشباب اليهودي كما سيظهر كساد في تسويق المواد المصنعة . لذا فان بن جوريون في هذه المرحلة كان يبحث عن فرص لمنع البطالة وعن قوة شرائية لمنتجات الصناعية اليهودية . وهو أمر يصعب تحقيقه بواسطة التسويق في الاسواق العربية والتي أعلن بن جوريون موقفه العدائي من شعوبها . ولم يكن في ذهنه حل لهذا الامر الا احضار المزيد من المهاجرين اليهود الى البلاد بعد نهاية الحرب . وأصبحت رغبة بن جوريون في احضار المهاجرين مرتبطة بالحفاظ وتحسين الوضع الاقتصادي اليهودي في فلسطين لا بانقاذ اليهود أنفسهم ، ولا بد لنا من نظرة احصائية على الوضع الاقتصادي في هذه الفترة حتى نتمكن من معرفة تأثيره المستقبلي على القرار الصهيوني .

جدول (١) حجم العمالة اليهودية مع الجيش البريطاني والمؤسسات الحكومية في فترة الحرب العالمية الثانية[١] .

التوزيع	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
الجيش	٥٩٩٨	١٦٢٤١	٤٢٢٦٣	٤٧٣٦٥	٤٢٩٣٠	٣٥٥٤٩
اشغال عامة	٤٣٥٤	٧٢٤٨	٧١٨٨	٤٥٥٠	٣٢٥٦	٣٢٩٤
سكك حديدية	٢٢٠١	٢٩٩٨	٤٨٦٣	٣٦٢٠	٣٣٤١	٣٧٦٤
البرق والبريد	٧٠٣	٨٦٩	١١١٦	١١٣٩	١٠٠٨	١١٤٢
المجموع	١٣٧١٣	٢٧٣٥٦	٥٥٤٣٤	٥٦٥٨٠	٤٠٤٣٥	٤٢٧٤٩

(١) محمد عبد الرؤوف سليم ، نشاط الوكالة اليهودية ، منشورات المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، لبنان ، ١٩٨١ .

جدول (٢) حجم الواردات الاقتصادية اذا ما أخذنا وحدة القياس ١٠٠ كأساس تقديري[١] .

١٩٣٩	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥	١٩٤٦
١٠٠	٥٠	٦٠	٤١	٥٢	٥٥	٨٨

جدول (٣) الانتاج الصناعي اليهودي ـ قوة الكهرباء المبيعة للصناعة مقدرة بالألف كيلو واط[٢] .

١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
٢٥٥٨٤	٣٦٢٥٨	٣٣٥٧١	٤٢٣٦٤	٥٠٧٨١	٥٨٠٢٠	٦٨١٨١

جدول (٤) الانتاج الصناعي اليهودي ـ أيام العمل في السنة اذا اعتبرنا وحدة القياس ١٠٠ كأساس[٣]

١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
١٠١	١١٢	١٤٣	١٨٥	٢٢٢	٢١٣	٢١٢

جدول (٥) الانتاج الصناعي اليهودي وعلاقته بالاستيراد[٤] .

نوع السلعة	الوحدة	استيراد		انتاج يهودي فقط	
		١٩٣٩	١٩٤٤	١٩٣٩	١٩٤٤
بضائع قطنية	طن	٣٢٠٤	٨٢٢	٤٦٢	٢٣٠٠
احذية	زوج	٧٠٦٠٢٦	٧٠٩٢٨	٥٠٠,٠٠٠	٢,١٨٥,٠٠٠
ألواح زجاج	كيلو	١,٤٣٦,٢١٨	١٣٤	—	٢,٨٠٠,٠٠٠
سوبر فوسفات	طن	١٣٥٣	—	—	١٤,٠٠٠

(١ - ٤) Zionist congress , Supplement to the Palestine Economic Review , PP. 31 - 33 , 1946 .

جدول (٦) الانتاج الزراعي للاستهلاك الإنساني[١] .

النوع	الوحدة	١٩٣٩		١٩٤٥/١٩٤٤	
		عرب	يهود	عرب	يهود
اللحم	طن	٩٠٠٠	١٠٣٠	١٠,٠٠٠	٢,٠٠٠
حبوب الخبز	طن	١٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠	٤٥٠,٠٠٠	١٣,٠٠٠

جدول (٧) اثمان بيع المواد ، المواد الغذائية ، معدل الكسب اليومي ، أساس وحدة القياس ١٠٠[٢] .

	١٩٣٩	١٩٤٠	١٩٤١	١٩٤٢	١٩٤٣	١٩٤٤	١٩٤٥
أثمان البيع لجميع المواد	١٠١,٤	١٢٥,٤	١٧٢,١	٢٥١	٣٠٦,٣	٢٣٢,٣	٣٢٣,٥
أثمان البيع للمواد الغذائية	١٠١,٠٩	—	١٥٣,٩	٢٣٨,٤	٢٨٦,٩	٢٨٥,١	٣١٢,٥
معدل الكسب اليومي للموظف	١٠٢	١٠٦	١١٧	١٦٤	١٦٠	٣١١	٣٦٧

من الاحصاءات السابقة يمكننا ملاحظة اتجاه التركيب الاقتصادي الصهيوني الى التصنيع مما تطلب تخطيطا مستقبلياً مستهدفاً الحفاظ على المكاسب التي تحققت وهو أمر يتعارض مع سياسة الحكومة البريطانية الجديدة .

كما شهدت الفترة نفسها اتصالات صهيونية اميركية مثلها وايزمان وكان أشهرها لقاء وايزمان مع الرئيس روزفلت في ١٩٤٣/٦/١١ الذي طالبه بانجاز الأمور بسرعة وليس بعد الحرب وبرر طلبه باحتمال حدوث شيء في فلسطين يمكن ان يخلق وضعاً صعباً[٣] .

(١) Supplement to the Palestine Economic Review , P. 32 , opcit .
(٢) Ibid ,P. 33 .
(٣) Foreign Relations , 1943 , vol . 4, 867 N . 01 - June 12 1943 .

ولكنه فشل في انتزاع موقف من الرئيس . وعاد الى بريطانيا حيث حضر لقاء مع هيئة بريطانية غير رسمية كانت قد أسست حديثا هدفها العمل على تأسيس وطن قومي لليهود دون إلحاق الظلم بالعرب ، وفي هذا اللقاء طالب وايزمان بدولة يهودية على كل أرض فلسطين ووصف العرب بالمخربين السياسيين المحترفين ، وهاجم ادارة الانتداب ووزارة المستعمرات وطالب بتغيير جذري بين أعضاء حكومة جلالة الملك[١] .

ومطالبة وايزمان بتغيير أعضاء الحكومة ناتج عن سماعه لآراء المسؤولين البريطانيين ضد المشروع الصهيوني فقد شهد النصف الأول من عام ١٩٤٣ مناقشة واسعة من الوزراء البريطانيين للوضع في فلسطين مما يدل على ان هذا الوضع أصبح عاملا ضاغطاً ومؤثراً في مستقبل القرار البريطاني ، لما له من ارتباط مباشر وتأثير واسع بالموقف العربي في المنطقة ككل والتي بدأ الوجود الأميركي واضحاً فيها ، وبدأ عملية زحزحة للوجود البريطاني .

أبدى عشرة وزراء آراءهم - على الأقل - بصراحة وجرأة في وضع فلسطين وكانت جميعها ضد رأي رئيس الوزراء تشرشل فقد رأى كران بورن وزير الدولة لشؤون الدومينيون تأسيس دولة يهودية في أفريقيا يسكت بها اغنياء اليهود الاميركيين ويخرج بعض اليهود من بريطانيا الذين بدأوا يتزايدون في الفترة الأخيرة . ووضع رأيه أمام رئيس الوزراء صراحة في ١ مايو ١٩٤٣ : « ليست المسألة فيها اذا كنا مدينين للعرب بالعرفان بسبب مساعدتهم في الحرب ام لا ، ولكن المسألة فيها اذا كان لبريطانيا مصالح هامة في الوطن العربي علما بأن جميع العسكريين والدبلوماسيين يوافقون على أن لها مصالح »[٢] .

ورأى وزير الحربية أهمية ميناء حيفا للمصالح البريطانية وأكد على عدم قدرة اليهود حماية المنشآت النفطية فيه مهما كانت قوتهم اذا ما قرر العرب تخريبها[٣]، كما أشار وزير الانتاج البريطاني الى ضرورة السيطرة على فلسطين لمدة غير محدودة ، وحذر أحدهم من مطالبة اليهود في المستقبل بمجال حيوي لهم في باقي فلسطين وشرق الأردن . وحتى كلمنت أتلي نائب رئيس الوزراء اعلن عن عدم قدرة استيعاب فلسطين لليهود .

أضيف الى الآراء السابقة رأي مجلس حرب الشرق الاوسط في مايو ١٩٤٣ عندما طالب بـ :

- ضرورة وجود قوات عسكرية فلسطينية لمنع استغلال أي من الطرفين العربي أو اليهودي للآخر .

(١) Minertzhagen , PP. 187 - 188 ,opcit .
(٢),(٣) Nicolson Bethel , P. 147 , opcit .

ـ عدم السماح بتغيير الوضع في فلسطين بالقوة .

ـ منع حمل الأسلحة غير المرخصة ومصادرة السلاح المخبأ .

ـ ضرورة دعم حكومة الولايات المتحدة الاميركية لبيان يصدر عن الحكومة البريطانية فيما يخص فلسطين .

ووافق على رأي مجلس الحرب السابق رؤساء الأركان البريطانيين وطالبوا ببقاء فلسطين هادئة لأن الاستمرار في احتلالها ضروري للمواصلات الامبراطورية[1]

إلا ان جميع الآراء البريطانية السابقة لم تثن تشرشل عن موقفه المؤيد للصهيونية وأعاد تأكيد موقفه الرافض لسياسة الكتاب الأبيض . ولكنه اضاف نقطتين جديدتين تشكلان في نظرنا تراجعا محدودا وهما :

١ ـ حرية بريطانيا والولايات المتحدة الاميركية في اعادة النظر من جديد في وضع فلسطين .

٢ ـ إمكانية جعل ارتيريا وطرابلس (ليبيا) مستعمرتين تابعتين للوطن القومي اليهودي[2] وذلك في نظرنا كان من أجل تخفيف ضغط الهجرة على فلسطين والحد من آثارها .

انتهى الخلاف البريطاني حول مستقبل فلسطين الى ضرورة مناقشة وضعها في اجتماع لمجلس الوزراء الذي عقد في ١٩٤٣/٧/٢ وهنا اتفق على اتباع سياسة نحو فلسطين ذات شقين :

الأول منها يتلخص في التقليل من القول والعمل حتى نهاية الحرب فيما يخص فلسطين .

الثاني تشكيل لجنة وزارية تقدم حلًا شاملا ونهائيا للمشكلة الفلسطينية على أن يعلن بعد الحرب[3] .

واستنادا الى ما سبق فقدتم تشكيل اللجنة الوزارية في ١٩٤٣/٧/١٢ على النحو التالي :

---

(١) . Michael Cohen , P. 157 , opcit

(٢) . Nicolson Bethel , P. 146 , opcit

(٣) . Ibid , P. 147

وزير الداخلية رئيسا .

وزير الدولة لشؤون الدومنيون

وزير الدولة لشؤون الهند .

وزير الدولة للمستعمرات .

وزير الدولة للطيران .

وزير الدولة .

وانضم إليهم اللورد موين وزير الدولة المقيم في الشرق الأوسط (بعد تسلم منصبه في أوائل ١٩٤٤م) وكانت توجيهات اللجنة واضحة منذ البداية فقد جاء في قرار تشكيلها ما يلي :

« يجب ان تبدأ اللجنة بفحص تقرير لجنة بيل سنة ١٩٣٧ وبيان ما اذا كان مثل هذا النظام أو ما يشابهه يمكن تبنيه في فلسطين ، وعليها ان تنظر في امكانية انماء النقب وامكانية تأسيس مستعمرات يهودية تابعة للوطن القومي في مناطق أخرى مثل برقة وطرابلس ، وارتيريا »[1] .

وبعد اطلاع اللجنة على آراء السفراء البريطانيين في المنطقة وآراء العسكريين كذلك ، وبعد دراسة الردود التي تلقتها من المندوب السامي البريطاني على فلسطين ، وصلت الى قناعة لا تختلف كثيرا عن قناعة رئيس الوزراء تشرشل . فقد كان قرار اللجنة الوزارية النهائي هو تطبيق التقسيم الذي اقترحته لجنة بيل مع اجراء بعض التعديلات لصالح الصهيونيين ، وطرح صيغة جديدة لوضع المنطقة العربية المقترحة . وقدمت تقريرها الى مجلس الوزراء في ١٩٤٤/١٠/١٦ م الذي احتوى في خلاصته على :

ـ تنفيذ تقسيم معدل لمشروع تقسيم بيل سنة ١٩٣٧ (الخريطة المرفقة) رقم ٤ .

ـ تشكيل ثلاث دول : الأولى يهودية ، والثانية جنوب سوريا وتضم شرق الأردن والمناطق العربية المقترحة من فلسطين ما عدا النقب . والثالثة دولة القدس وتشمل مدينة القدس والمناطق المحيطة بها فقط .

ـ ترتبط الدولتان العربية واليهودية بمعاهدات مع بريطانيا تضمن بموجبها حدود الدول

---

(١) Co 733 - 461 - 1944 - Part B , 7935 , P. 2

المقترحة كما تمنح تسهيلات ضرورية لتأمين مصالحها الاستراتيجية .

ـ يبقى النقب تحت سيطرة بريطانيا الى أن يتم الوصول الى امكانية انمائه .

ـ متابعة النظر في امكانية توطين اليهود خارج فلسطين على أن لا يرتبط ذلك الأمر بفلسطين .

وقد قامت اللجنة بمنح أحسن أراضي فلسطين لليهود فقد ضمت ٨٢٪ من أراضي فلسطين المزروعة حمضيات الى الدولة اليهودية كما أصرت اللجنة على ضرورة تأمين قاعدة بحرية عسكرية لبريطانيا في حيفا والعقبة[1] .

ومن الملاحظ ان القيادة الصهيونية على مختلف اتجاهاتها المعتدل منها والمتطرف ابدت ارتياحا لقرار اللجنة البريطانية وأرفقت هذا الارتياح بالعمل اذ سرعان ما تراجع بن جوريون عن سياسة الارهاب والقوة التي لوح بها سابقا كما تراجع عن تأييده لمنظمتي الأرجون وشتيرن اللتين كانتا تمارسان الارهاب وبتأييد منه وربما بتنسيق معه . وهو أمر بحثته المصادرالأخرى بالتفصيل[2] . وانتهت الفترة التي توترت فيها العلاقات الصهونية البريطانية مما أعطى وايزمان املا في إعادة سيطرته على القيادة الصهيونية أمام خصمه دافيد بن جورون . ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا .

موقف بريطاني جديد ؟

لم يلق مشروع اللجنة الوزارية السابق التنفيذ ، ولم يعد هو أساس السياسة البريطانية ، فقد أصبح الوضع السياسي حرجا كما أصبح واضحا أن مستقبل بريطانيا في المنطقة يتعرض للخطر أمام المنافسة الأميركية الصاعدة وأمام التطلع السوفياتي الى المنطقة . وقد حدث في ١٩٤٤/١١/٦ ان أقدم اثنان من منظمة شتيرن الصهيونية على اغتيال اللورد موين الوزير البريطاني المقيم في الشرق الأوسط أثناء عودته الى بيته في حي الزمالك بالقاهرة[3] وقد برر القتلة فعلتهم بوقوف موين في وجه انقاذ يهود أوروبا وبالذات يهود المجر عندما نسبوا اليه القول : « ماذا سنفعل بمليون يهودي ؟ » أي ما فائدتنا اذا انقذنا مليون يهودي . وهو امر لم يثبت ان موين قد قاله ، ذلك لأن موين كان صديقاً شخصياً

(١) Co 733 - 461 - 45972 - 1944 - Part IB , 7935 .

(٢) للمزيد يمكن الاطلاع على رسالة الماجستير ـ عصام السبع ـ الارهاب الصهيوني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨ ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ . غير منشورة .

(٣) للمزيد عن تفاصيل عملية الاغتيال انظر غنيم ، وابو كف ، اليهود والصهيونيون في مصر ـ دار الهلال .

لرئيس الوزراء تشرشل وكان يعمل معه بانسجام تام . ورغم أنه جادل في أهمية الدولة اليهودية في فلسطين الا انه في النهاية كان من مؤيدي تقسيم فلسطين وتأسيس دولة يهودية فيها ، لا سيما وانه كان عضوا في اللجنة الوزارية التي أقرته . » فقد قام تشرشل بابلاغ وايزمان قبل اغتيال موين ضرورة التوقف في « القاهرة ومقابلته اذ انه تغير كثيراً عما سبق »[1] .

يرى البعض في اغتيال موين سبباً في تحول الموقف البريطاني ، لا سيما وأن تشرشل ابدى أسفه على فقد صديقه وذكر أن إعادة النظر في الموقف البريطاني نحو الصهونيين اصبحت واردة إذا ما تكررت مثل هذه الأفعال . إلا أننا لا نرى في عملية الاغتيال السبب الرئيسي في التحول البريطاني ، ولربما كان مبررا للتحول .

والتساؤ ل هنا اذا كان موين مؤيداً للتقسيم فلم أقدم الصهاينة على اغتياله؟ لقد كانت شتيرن ترى في بريطانيا عدوا استعمارياً يجب الخلاص منه ولم تر فيها صديقاً خان العهد ، وعندما رأت شتيرن تراجع بن جوريون عن موقفه المتشدد ضد بريطانيا بعد قرار اللجنة الوزارية اقدمت على الاغتيال في محاولة منها الى إساءة العلاقة البريطانية مع قيادة المنظمة الصهيونية في حالة كشفه، كما لا يستبعد أنها رأت الاساءة وخلق التوتر في العلاقات البريطانية المصرية والعربيةوالتي بدا في تلك الفترة أنها في طريقها الى التحسن ، عندما كان معروفاً ان بريطانيا تدعم تشكيل الجامعة العربية ويقف موين بالذات مؤيدا لها . وهو امر رأت فيه الصهيونية خطرا يهدد وجودها لذا حاولت نسفه .

أما عن التحول البريطاني فاننا نرى سببه فيما بدأ يظهر في الوطن العربي من أمور أيدت رأي معارضي تشرشل الذين حسبوا حساباً لخطورة الموقف العربي. فقد التهبت المشاعر العربية والوطنية في مصر بالذات، واغتيل أحمد ماهر رئيس وزرائها بسبب اعلانه الحرب على المحور واستأنفت مصر المطالبة علنا بالانسحاب البريطاني من أراضيها[2]، وأصبح واضحا أن معارضي السياسة البريطانية في مصر يلقون تأييداً من شعبها ومن الشعب العربي ككل . ونظرا لمركز مصر في الوطن العربي فإن التمرد ضد بريطانيا اصبح وارداً في المنطقة ، كما اصبح دخول القوى البديلة والمتطلعة محتملاً .

وكما كان موقف مصر المعارض لاقتراح التقسيم سنة ١٩٣٧ م سببا في إجبار بريطانيا

(١) haim Weizmann , P. 434 , opcit .

(٢) Sacher, P 446 , opcit .

على اعلان التراجع عنه ، اصبح موقف الشعب المصري مرة أخرى سببا في اجبار بريطانيا على اعادة النظر في سياستها .

انعقد مؤتمر يالتا الشهير في ٨ فبراير ١٩٤٥ وحضره كل من روزفلت وستالين وتشرشل وبحث المؤتمر موضوعات اهمها التنظيم الدولي بعد الحرب ، مستقبل الشرق الأقصى ، مستقبل بولندا وأوروبا المحررة ، مستقبل المانيا ، ومركز فرنسا[١]. إلا ان فلسطين لم تأخذ أدنى اهتمام من المؤتمرين ولم يبحثوا مطالب القيادة الصهيونية . وكل ما عرف هو التصريح الذي نسب الى روزفلت بعد المؤتمر وقال فيه « إن ستالين لن يعارض الدولة اليهودية » اي بمعنى ان ستالين غير رأيه في اليهود والصهيونية .

ان التصريح السابق يشكل في تقديرنا سببا آخر لتحول بريطانيا ذلك لأنه يعني ان الاتحاد السوفياتي اصبح مقتنعا بجدوى الكيان الصهيوني لمصالحه ويمكنه عن طريق ايجاد علاقة مع هذا الكيان الوصول الى المنطقة اذا ما كان طامعا فيها .

أمام هذه الظروف تراجع تشرشل عن تأييد التقسيم وطلب تأجيل النظر فيه ذلك لأنه « من المستحيل على البرلمان البريطاني (آنذاك) التعامل مع القضية الفلسطينية أو أقاليم اخرى تحت الانتداب . وستطرح مشكلة فلسطين أمام مؤتمر السلام المقبل »[٢] . وهو تغير جذري في موقف تشرشل الذي ما انفك يدعم الأهداف الصهيونية ويعلن عن تأييده لها ، وبداية تفكير بريطانيا جديا في عدم أخذ حل المشكلة على عاتقها . ولكن بعد ان وصل التشابك فيها الى الذروة وبسبب بريطانيا نفسها .

كان بن جوريون عند انتهاء العمليات العسكرية على الجبهة الأوروبية في لندن وفهم من أوليفر ستانلي في ١٩٤٥/٥/٧ اثناء لقائه معه « بأن الحكومة البريطانية لن تستمر في الانتداب لأنها غير قادرة على التوفيق بين المطالب العربية والمطالب اليهودية كما أنها تعلم ان الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة يدعمان المطالب اليهودية وتأسيس الدولة اليهودية . كما عرف هذا الموقف للدولتين من جورج بيدو وزير خارجية فرنسا »[٣] . وهنا اصبح موقف بن جوريون قويا لذا سارع موشي شرتوك رئيس الدائرة السياسية للوكالة اليهودية بعد الحرب بثلاثة أيام وطالب بمساواة اليهود في العالم وتأسيس « دولتهم في فلسطين[٤] . ومن

---

(١) د. صلاح العقاد . الحرب العالمية الثانية - تاريخ العلاقات الدولية - مكتبة الأنجلو المصرية ، يوليو ١٩٦٣ ص ٣٨٥ - ٣٩١ .

(٢) Nicolson Bethel P. 198 , opcit .

(٣) David Ben Gurion Israel , a Personel History , P. 55 , opcit .

(٤) Nicolson Bethel , P. 198 , opcit .

أجل ذلك كان تركيز القيادة الصهيونية على أمرين الأول محاولة اثبات وهم الادعاء البريطاني حول (أهمية الموقف العربي أمام تطلعات الصهيونية أو حتى حقه في رفع صوته ضد التيار الحضاري الصهيوني القادم الى المنطقة) فقد كتبت صحيفة هامشكيف في ١٩٤٥/٥/١٩ « ان جميع مشاريع الاستعمار (الاستيطاني الكولونيالي) التي قام بها الانجليز والأميركيون والفرنسيون والهولنديون في العالم كان يقابلها سكان البلاد الأصليون بالمقاطعة الشديدة . وذلك هو الطبيعي . ولكن هل تراجع المستعمرون أمام هذه المقاومة » ؟

كما كتبت صحيفة دافار في التاريخ نفسه « اذا كان العالم في كل محاولة قام بها لتحويل الصحاري الى أرض خصبة انتظر قبل ذلك موافقة قاطني الصحراء القبائل ، فان المدنية ما كانت لتنتصر على التأخر في أي موقع في العالم[١] » .

وما جاء في الصحيفتين السابقتين لا يعتبر غريباً في نظرنا فهو يمثل جوهر الصهيونية التي لم تكن في يوم ما غير حركة استعمارية استيطانية توسعية جاءت تحمل معها كل معاني الاستعمار السابق لها من استغلال واضطهاد لتزرعه في منطقة آمنة تتطلع سكانها الى الحرية والسيادة بعد معاناة طويلة من صنوف الاستعمار المختلفة . أما الأمر الثاني الذي ركزت عليه القيادة الصهيونية فكان تصعيد الارهاب ضد بريطانيا نفسها وأصبح من المألوف في تلك الفترة سماع نبأ اغتيال بعض الشخصيات البريطانية ، أو نسف بعض المباني الحكومية مما جعل موقف حاييم وايزمان حرجاً أمام بن جوريون من ناحية وأمام المسؤولين البريطانيين م ناحية اخرى . وفي محاولة منه لرأب الصدع الجديد كتب الى تشرشل في ١٩٤٥/٥/٢٢ وطلب منه اعلان بريطانيا عن الغاء الكتاب الأبيض ، وفتح أبواب فلسطين للهجرة اليهودية ثم اعلان الدولة اليهودية .

ولكن تشرشل كان قد وصل في نظرنا الى قناعة تقترب من قناعات معارضيه فيما يخص الدعم الصهيوني ورد على وايزمان قائلاً : «أخشى أن لا يكون هناك احتمال في بحث القضية الفلسطينية قبل أن يجلس الحلفاء المنتصرون على مائدة المفاوضات»[٢] .

وذلك يتفق مع ما اعلنه تشرشل سابقا . وفي رأينا ان رسالة تشرشل الى وايزمان مثلت آخر مرحلة من مراحل الخلاف بين حاييم وايزمان وبين دافيد بن جوريون ، فقد أصبح

---

(١) أميل توما - جذور القضية الفلسطينية ص ٣٠٥ ، مصدر سابق .

(٢) Esco vol . 2 , P. 1107 , opcit .

وايزمان بعد الرسالة خالي الوفاض امام خصمه ولم يكن أمامه غير انتظار الفرص المناسبة للانسحاب من المسرح السياسي الصهيوني .

كما اصبح موقف القيادة البريطانية واضحا بعد رسالة تشرشل الى وايزمان اذ لا أمل في الاعلان عن رأي بريطاني حول مشكلة فلسطين الا على مائدة المفاوضات في مؤتمر السلام المقبل . لذلك توجهت القيادة الصهيونية المعتدل منها والمتطرف نحو الولايات المتحدة لا سيما وأن الرئيس روزفلت الذي عرف بصلابة موقفه كما سيأتي كان قد توفي في ١٩٤٥/٤/١٢ وتسلم الرئاسة بعده هاري ترومان .

قام وفد صهيوني مكون من ناحوم جولدمان رئيس اللجنة الادارية للمؤتمر اليهودي العالمي بمقابلة كل من هندرسون ومريام وولسون من قسم شؤون الشرق الأدنى التابع لوزارة الخارجية الأميركية في ١٩٤٥/٦/٢٠ . وفي هذا اللقاء طرح جولدمان وجهة نظر المعتدلين من الصهاينة وحاول انقاذ موقف حاييم وايزمان عندما ذكر أن التجمع اليهودي في فلسطين لديه التصميم والاستعداد للجوء الى إجراءات القوة اذا كانت ضرورية ، وهناك ٦٠ ألف شاب يهودي مدربون على السلاح ومستعدون لحمله دفاعا عن حقوقهم ، كما ذكر ايضا ان وايزمان والمعتدلين معه يمكن ان يطردوا من القيادة لصالح المتطرفين من أمثال الحاخام سيلفر الذي يؤيده ٧٠٪ على الأقل من الصهيونيين الاميركيين .

وعندما تؤول القيادة الى هؤلاء المتطرفين سيصبح الوضع مؤسفاً لأنه سيكون هناك سفك دم حقيقي في فلسطين لا يعرف أحد مداه(١) .

يلاحظ من الوثيقة السابقة تركيز جولد مان على حقيقة واحدة هي ان العنف أصبح مسيطراً على التجمع اليهودي في فلسطين وان هذا العنف له امتداد في الولايات المتحدة الأميركية ويؤيده الصهيونيون الاميركيون من أمثال سيلفر . وكان واضحاً ان جولدمان يطالب بدعم وايزمان عن طريق دعم المطالب الصهيونية حتى لا يفقد وايزمان مركزه لصالح المتطرفين .

وفي ١٩٤٥/٦/٢٧(٢) قام الوفد نفسه من قسم الشرق الأدنى بمقابلة دافيد بن جوريون واليعازر كابلان ومعهما ناحوم جولدمان ايضا وكان هذا الوفد يمثل المتطرفين في القيادة الصهيونية . وفي هذا اللقاء أكد بن جوريون على حقائق محددة :

---

(١) Foreign Relations , 1954 , vol. 8 , 867 N. 01 /6 - 2045

(٢) Foreign Relations , 1945 , vol. 8 , 867 N . 01 /6 - 2245 .

١ ـ معارضة يهود فلسطين للسياسة البريطانية الحالية .

٢ ـ رفض يهود فلسطين أي وضع لا تلبى فيه طلباتهم ارضاء لبعض باشوات مصر أو شيوخ البدو أو بكوات العراق .

٣ ـ ليس لليهود رغبة في الصدام مع بريطانيا الا انهم سيقاتلون دفاعا عن حقوقهم .

وعندما تساءل هندرسون من الوفد الاميركي عن مدى الاضطرابات التي سيقوم بها العرب اذ ما تبنت بريطانيا حلا مؤيداً للصهيونية أجاب بن جوريون وزملاؤه :

انهم واثقون من قدرتهم التامة على التعامل مع العرب . . .ولن يتمكن الزعماء العرب من حشد شعوبهم لدعم الموقف العربي في فلسطين .

وعندما تساءل هندرسون : هل صحيح ان الهدف الحالي للصهيونية هو تخفيض الحواجز عن الهجرة اليهودية الى فلسطين ؟

أجاب بن جوريون ومن معه : انهم يرفضون حل المشكلة بالوسائل الجزئية وان القيادة الصهيونية وصلت الى نقطة لا تقبل شيئا اقل من منحها مطالب كاملة بما في ذلك تأسيس دولة يهودية في الحال(١) .

ويلاحظ ان « الوفد المتطرف » اكد على استخدام القوة ضد بريطانيا اذا رفضت تلبية المطالب الصهيونية كما أكد على قدرته على التعامل مع العرب ولم ينس الغمز منهم عندما ذكر عدم تأييد الشعوب العربية لزعمائها اذا ما اقدم هؤلاء الزعماء على اتخاذ قرار بالتدخل لأنه لا مصلحة لهذه الشعوب في تدخلها في فلسطين على حد زعم الصهيونيين كما أكد بن جوريون على اعلان الدولة اليهودية .

وبينما كان المعتدلون يحاولون انقاذ وايزمان كان المتطرفون يطرحون آراءهم بجرأة وصراحة أمام المندوبين الأميركين .وأرى ان موقف بن جوريون هنا قصد به اظهار قوته أمام الوفد الأميركي وإن الولايات المتحدة التي أصبحت لها مصالح في الشرق الأوسط ليس لها من طريق للحفاظ على هذه المصالح الا في التعاون مع دافيد بن جوريون وحده لأنه هو المسؤول الصهيوني القادر على اتخاذ القرار . وفي اشارة جولدمان في ١٩٤٤/٦/٢٠ الى قوة المتطرفين بين اليهود في فلسطين واليهود في الولايات المتحدة اعتراف منه بقوة دافيد بن جوريون وانهيار موقف وايزمان ، واكد جولدمان اعترافه هذا بمشاركته بن جوريون في

---

(١) Foreign Relations , 1954 , vol . 8/ 867 N . 01 / 6 - 2245 .

المحادثات في ٢٧/٦ وتأييده لكل الاراء التي طرحت في اللقاء دون اعتراض .

إلا ان بن جوريون لم يأخذ جوابا اميركيا على ما يطرح وكل ما وعد به هو رفع آرائه الى الادارة الأميركية، كما يلاحظ في اللقائين الصهيونيين مع المسؤولين الاميركيين في ٢٠/٦ ، ٢٧/٦/١٩٤٥ على التوالي ان موقف القيادة الصهيونية من الحكومة البريطانية اصبح ميئوسا منه وبدأوا يميلون الى اتهامها بالخيانة وتحميلها مسؤولية الوضع الناشىء في فلسطين ، كما يلاحظ ان نفس اللهجة التي استخدمها الصهاينة في الحديث عن عرب فلسطين عندما بدأوا كسب ود البريطانيين تكررت في حديثهم مع الأميركيين إذ أعلن بن جوريون ان اليهود والعرب عاشوا في فلسطين في وئام لسنوت عدة وليس ما يدعو الى عدم ذلك اذا ما تركهم العرب وحدهم ، وهنا أراد بن جوريون ان يوهم المسؤولين الاميركيين بأن العرب الفلسطينيين راضون عن السياسة الصهيونية وان التحريض يأتي من خارج فلسطين ومن الزعماء العرب بالذات وليس من شعوبهم . وهي اشارة ماكرة قصد بها في رأينا ان المتعاونين من الحكام العرب مع بريطانيا هم الذين يحرضون الشعب الفلسطيني على رفض المطالب الصهيونية .

أصبح بن جوريون في هذه المرحلة او بمعنى آخر « مجموعة القدس » هي المسيطرة تماماً على الشؤون الصهيونية واصبحت قادرة على الإيحاء للتجمع الصهيوني في الولايات المتحدة بما تريد واجدة التأييد الكامل من القيادات الصهيونية الاميركية على مختلف مشاربها ، من سيلفر المتطرف الى جولدمان ووزير المعتدلين .

وفي ٣ يوليه ١٩٤٥ كان حاييم وايزمان الذي ناضل كثيراً من أجل قيادته للحركة الصهيونية في الآونة الأخيرة عاجزا «إذ فقد الكثير من حماسه ونشاطه كما فقد الامساك بالحوادث واصبح يرى الوضع في فلسطين خطرا على العلاقات الودية مع بريطانيا كما بدأ يفكر في الاستقالة . وفي سبيل اظهار الاعتدال ابدى استعدادا لترك لواء نابلس للعرب بعد ان كان يطالب بتحويل كل فلسطين الى دولة يهودية[1] .

وكان اللواء الذي اقترح وايزمان نزعه من الدولة اليهودية وضمه الى شرق الأردن يشكل مساحة ثُمْن فلسطين مساحته ٣٢٧٥كم^2 ويسكنه ٢٢٥ ألف عربي[2] وهو امر يتناقض مع ما اعلنه وايزمان سابقا عند مطالبته بكل فلسطين الا أن الأمر لم يصبح لا بيده ولا بيد صديقه تشرشل الذي فشل في الانتخابات وترك الوزارة لزعيم حزب العمال

(١) Richard Minertz hagen. P. 194 , opcit . Esco , vol. 2 P. 1062 , opcit .

كليمنت اتلي .

الموقف في عهد اتلي الجديد ما بين ٦/٧/٤٥ و٣/١١/١٩٤٥ :

عرف حزب العمال البريطاني كما عرف بيفن الذي اصبح وزير خارجية بريطانيا بمواقفهم المؤيدة للصهيونية ، ولعل موقف بيفن في عام ١٩٣٠ ضد كتاب باسفيلد البريطاني الذي أقر تحديد الهجرة اليهودية، وقرار اللجنة التنفيذية لحزب العمال في يونيه ١٩٤٤ حول فلسطين الذي طالبت فيه بتحقيق المطالب الصهيونية وطرد الفلسطينيين العرب وتوطينهم خارج فلسطين خير دليلين على هذا التأييد . ولكن ما جرى في عهد أتلي يتنافى مع ما سبق ذلك لأن تأييد دولة ما لأخرى او لحركة ينطلق أساسا من مصالح الدولة المؤيدة ومدى تطابق هذا التأييد معها ، ولما أصبح التأييد البريطاني للصهيونية خطراً على هذه المصالح فان من الطبيعي ان يتراجع حزب العمال عنه ، ومهما أشاع الصهيونيون عن بيفن بعد تسلمه وزارة الخارجية من صفات تتلخص في جهله السياسي وعناده ولا ساميته ومراهنته على مستقبله السياسي وربطه بفلسطين ، فاننا نرى ان بيفن تصرف بوحي من مصالح بريطانيا لا بوحي من موقفه الشخصي . لأن كل ادعاء صهيوني ضد بيفن تنفيه مواقفه السابقة المؤيدة للصهيونية ، كما أننا نرى في جعل الصفات الشخصية والانفعالات الخاصة أساس اتخاذ القرار السياسي في بريطانيا امرا يقصد به التشهير والتجريح برجل السياسة والحط من قدرته اكثر مما يقصد به تأثير هذه الصفات على اتخاذ القرار . فمن المعروف ان لعبة المصالح الدولية في هذا القرن الذي نعيشه تجعل من صديق الأمس عدو اليوم والعكس صحيح، ولعل تبدل المواقع لبعض الدول في الحرب العالمية الثانية خير شاهد على ذلك . ولو أن تشرشل نجح في الانتخابات البريطانية وبقي رئيسا للوزارة لما كان موقفه مغايرا لموقف بيفن نفسه . ودليلنا على ذلك أن تشرشل بعد استقرائه للحوادث وتصوره لنتائجها قرر تغيير موقفه المؤيد للصهيونية دون الالتفات الى رأي الصديق أو العدو .

لقد تسارعت الأحداث في بداية عهد بيفن فيما يخص القضية الفلسطينية وظهر الأثر الأميركي واضحاً وضاغطاً في آن واحد متخذاً جانب التأييد للمطالب الصهيونية، كما بدا التخوف البريطاني من التطلعات السوفياتية الى منطقة الشرق الأوسط ودخوله اليها عن طريق تدخله في القضية الفلسطينية . كما اصبح واضحا ان المنطقة العربية تستعد للتمرد ضد بريطانيا إذا ما استمرت في دعمها للمطالب الصهيونية .

كان على بيفن ان يوازن بين كل هذه الظروف وبين مصالح بلاده في المنطقة لذا

فالمراهنة على مستقبل بيفن السياسي فرضت عليه ولم يخترهاوكان عليه كأي سياسي محاولة كسب الرهان .

كان مؤتمر بوتسدام (من ضواحي برلين الشرقية) منعقدا عندما تولى بيفن وزارة الخارجية البريطانية في يوليو ١٩٤٥ وطار اليه للمشاركة فيه ممثلا لبريطانيا مع كلمنت أتلي رئيس الوزراء الجديد بعد سقوط تشرشل وانسحابه من المؤتمر . شاركت في المؤتمر المذكور القوى المتحالفة التي كسبت الحرب ضد المحور وناقش أمورا هامة منها إدارة المانيا ومعاملتها أثناء احتلال قوى الحلفاء لها ، كما ناقش مسألة النمسا ، ووضع ايران ، والمضائق التركية الا أن الحركة الصهيونية فشلت في طرح مشكلة فلسطين على المؤتمر ولم توفق في مساعيها[١] .

ولكن المؤتمر شهدا احتكاكاً أميركياً بريطانياً بدأه الرئيس الاميركي الجديد ترومان حول فلسطين وذلك عندما سلم ترومان الى تشرشل في ١٩٤٥/٧/٢٤ ، مذكرة عبر فيها عن اهتمام الشعب الاميركي بالمشكلة الفلسطينية . وطالب بازالة القيود عن الهجرة اليهودية الى فلسطين ، كما طالب بالاطلاع على آراء تشرشل حول امكانية تسوية المشكلة ومناقشتها في وقت لاحق[٢] . الا أن تشرشل لم يتمكن من الرد على المذكرة بسبب انسحابه من المؤتمر في ١٩٤٥/٧/٢٦ ليحل محله كليمنت أتلي .

بعد مؤتمر بو تسدام :

تابع ترومان اهتمامه بمسألة الهجرة اليهودية وكتب الى كلمنت اتلي في ١٩٤٥/٨/٣١ رسالة طلب فيها السماح بدخول مائة ألف مهاجر يهودي الى فلسطين، وأشار الى فحوى تقرير موفده الخاص هاريسون الى أوروبا الذي أوفد للاطلاع على أوضاع اليهود هناك ورغبة بعض هؤلاء في الهجرة الى فلسطين[٣] الا أن أتلي رفض طلب ترومان .

استأنفت القيادة الصهيونية نشاطها الارهابي في فلسطين ـ الذي توقف بعد تسلم حزب العمال للحكم ـ ورأت في رد أتلي موقفاً بريطانياً معادياً لها ، مما أوصل جورت المندوب السامي البريطاني على فلسطين قمة التوتر وقام باستدعاء ثلاثة من أعضاء اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية وأبدى استياءه ورفضه لتصرفات القادة الصهيونية وهدد

(١) د. صلاح العقاد ، الحرب العالمية الثانية ـ العلاقات الدولية ص ٣٩٦ ـ ٤٠٠ مرجع سابق .
(٢) Foreign Relations , 1945 , vol . 8 , Truman Papers , (Babelsberg) .
(٣) Foreign Relations , 1945 , vol . 8 , 867 N. 0 / 78 - 3145 .

باستخدام القوة لمنع ما يحدث[١] .

إلا ان بريطانيا تجنبت الاشتباك مع الصهيونيين كما تجنبت الرد على العمليات الارهابية التي كانوا يقومون بها وغضت النظر عن عمليات الهجرة غير المشروعة التي استؤنفت. ويعود ذلك في نظرنا الى سببين :

الأول : تعاطف المندوب السامي جورت مع الصهيونيين وعدم قدرته على تصديق ما يجري في الجانب الصهيوني ضد بريطانيا .

والثاني : عزم الحكومة البريطانية على إصدار بيان سياسي جديد تحدد فيه سياستها نحو فلسطين، بالاضافة الى محاولتها التخفيف من حدة الموقف الاميركي ضدها لأنها لم تكن في وضع يسمح لها بمعارضته أو التقليل من أهميته .

انتهزت القيادة الصهيونية فرصة توقع اصدار الحكومة البريطانية لبيان عن سياستها كما انتهزت فرصة الوضع البريطاني الحرج امام الولايات المتحدة الاميركية وقامت بتركيز نشاطها الارهابي وتصعيده ، وشهدت فلسطين خلال شهر اكتوبر ١٩٤٥ انفجارات متعددة وهجمات على جميع السكك الحديدية وعلى ميناء حيفا . وفي هذه الأثناء قام بيفن باعلان بيانه الجديد عن السياسة البريطانية في ١٩٤٥/١١/١٣ متضمنا ما يلي :

١ ـ ان المشكلة اليهودية مشكلة انسانية عظمى .

٢ ـ ان المشكلة اليهودية سببها الاضطهاد النازي في ألمانيا وما نتج عنه .

٣ ـ عدم قدرة فلسطين على مواجهة المشكلة اليهودية بكاملها .

٤ ـ دعوة الولايات المتحدة الاميركية الى تأليف لجنة انجلو اميركية للتحقيق في المشكلة مهمتها : فحص الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية في فلسطين وأثرها في مشكلة الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي وفي رفاهية الأهالي المقيمين هناك .

٥ ـ فحص حالة اليهود في الأقطار الأوروبية الذين كانوا ضحية الاضطهاد النازي القاسي وتقرير عدد أولئك الذين تضطرهم احوالهم ان يهاجروا الى فلسطين أو الى بلدان خارج أوروبا[٢] .

(١) Foreign Relations , 1945 , vol . 8 , No . 867 N . — 10 - 2945 .
(٢) حسن صبري الخولي ، سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين مجلد ١ ، رسالة دكتوراه غير مطبوعة ، مايو ١٩٦٧ ، ص ٥٥٤ .

ونلمس في بيان بيفن حقائق جديدة تدل على تحول الموقف البريطاني، فقد اعلن بيفن براءة حكومته مما حلّ بيهود اوروبا وحمل المسؤولية للاضطهاد النازي فقط كما اعلن عدم مسؤولية حكومته عن حل المشكلة لأن العالم كله مسؤول عنها وهي آراء تخالفالموقف الصهيوني مخالفة جذرية لذا فان الحملة الصهيونية ضد بيفن اتخذت طابع التشهير الشخصي في محاولة منها لاقناع العالم ان بيفن يمثل رأيه لا رأي شعبه .

رأى بيفن ان ما يطالب به الصهيونيون لحل المشكلة اليهودية عن طريق فلسطين حلّ غير عملي لأن فلسطين لا تستطيع استيعابهم . ولكنه اعترف بأهمية الدور الأميركي لحل المشكلة عندما دعا الى تشكيل لجنة تحقيق انجلو اميركية لبحث القضية وتقديم الحلول التي تراها. وهي خطوة شكلت في نظرنا بداية التوجه البريطاني نحو الافلات من مسؤولية القضية الفلسطينية ككل .

استجابت الولايات المتحدة الأميركية لاقتراح بيفن وقبلت المشاركة في اللجنة التي اقترحها واتخذت الأحداث مجرى جديداً ظهر فيه الخلاف البريطاني الأميركي واضحاً حولها مما جعل بيفن يعلن في فبراير ١٩٤٧ م تحويل القضية الى الأمم المتحدة . وهي فترة مليئة بالتداخلات السياسية وأردنا التوقف عندها لأنها خارج نطاق هذه الدراسة وتستحق في نظرنا دراسة منفصلة مركزة .

الفصل السابع
التطلع الصهيوني
الى
الولايات المتحدة الاميركية

من المعروف أن الكونجرس الاميركي لم يوافق على انضمام الولايات المتحدة الى عضوية عصبة الأمم التي اقترح انشاءها الرئيس الأميركي ولسون اثناء مؤتمر باريس سنة ١٩١٩ بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى . واعتبر هذا الأمر دليلاً على الانسحاب الاميركي من المسرح السياسي خارج القارة الاميركية ، الا أن ذلك لم يمنع من موافقة الحكومة الاميركية على انتداب بريطانيا لحكم فلسطين وتوقيعها معاهدة ديسمبر ١٩٢٤ معها ، تلك المعاهدة التي ضمنت المصالح الاميركية ، ونصت على عدم تعديل أو إلغاء شروط الانتداب البريطاني الا بعد استشارة حكومة الولايات المتحدة ، كما نصت على ضمان المساواة في المعاملة للمواطنين الاميركيين مع غيرهم من مواطني الدول الأعضاء في عصبة الأمم .

لذا فان تأسيس الوطن القومي اليهودي كان في نظر الاميركيين اهتماماً بريطانيا، وان فلسطين ـ كجزء من الشرق الأوسط ـ وسياستها هي من مسؤولية الحكومة البريطانية في الدرجة الأولى .

الاتصال الصهيوني الاميركي عام ١٩٣٩ م :

انتهزت القيادة الصهيونية فرصة انعقاد مؤتمر سان جيمس بلندن ، وسارعت الى الاتصال بالرئيس الاميركي روزفلت في ١٠ مارس ١٩٣٩ عن طريق السفير الاميركي في باريس ، وطلب وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية ابلاغ روزفلت « برغبة الحكومة البريطانية في تأسيس دولة مستقلة في فلسطين فيها الاغلبية من العرب ، كما ناشد الرئيس بانقاذ اليهود والسماح لهم بالهجرة من خلال كلمة هادئة للسلطات البريطانية ، وعدم اتخاذ بريطانيا لقرار محدد يتعلق بسياسة طويلة المدى »[١] .

---

(١) Foreign Relations , 1939 , vol . 4 , 1412 , Paris , 10 - 3 - 1939 .

ونرى في اتصال وايزمان بداية تطلع القيادة الصهيونية الى اقحام حكومة الولايات المتحدة في مشكلة فلسطين . ورغم انه ليس لدينا ما يفيد بموقف روزفلت من طلب وايزمان الا انه تابع وضع روزفلت في صورة الموقف البريطاني وناشده في ١٩٣٩/٥/٨ عن طريق القاضي برانديس « التدخل لدى بريطانيا لمنعها من خيانة الثقة التي ستجلب الكارثة على فلسطين ، كما ستجلب عدم الثقة في التعهدات الدولية الممنوحة للامم الصغيرة »(١) .

نلاحظ هنا اهتماماً من الرئيس الاميركي ، اذ حول طلب وايزمان الى وزير خارجيته طالباً منه الرد عليه والذي أجابه بتاريخ ١٩٣٩/٥/١١ : تسلمنا هذا الصباح رسالة من السفير كينيدي ورد فيها « يقول هاليفكس : بأنهم يفكرون بتأخير البيان الفلسطيني المقرر يوم الأحد المقبل وسيقوم السفير بمقابلة ماكدونالد هذه الليلة » . واقترح الوزير ابلاغ برانديس بان وجهة النظر الاميركية توضح للبريطانيين عن طريق السفير كنيدي حسب التعليمات(٢) .

ويلاحظ هنا أن الوزير الاميركي لم يشأ تحديد وجهة النظر الاميركية الا اننا لا نعلم عن تدخل اميركي لمنع اعلان سياسة الكتاب الأبيض مما يعني أن القيادة الصهيونية فشلت في محاولاتها .

رأي روزفلت في الكتاب الأبيض :

لم يعلن روزفلت رأياً في الكتاب الأبيض ولكنه كتب الى وزير خارجيته في ١٩٣٩/٥/١٧ موضحاً رأيه ، ورأى ان البريطانيين ليسوا على حق تماماً . . ، ولم ير في قراءة الانتداب الاصلي أو الكتاب الأبيض سنة ١٩٢٢ أي سياسة يمكن ان تحدد الهجرة اليهودية ، واعتقد بامكانية اضافة ٧٥ الف مهاجر يهودي الى الـ ٧٥ الف التي وردت في الكتاب . ولكنه طلب من وزيره التحادث معه قبل عمل أي شيء رسمي »(٣) .

ونرى في رأي روزفلت احساساً منه بعدم جدية بريطانيا ، وتوقعاً بتغير الموقف البريطاني ، لذا فقد طلب من وزيره عدم الاعلان عن أي موقف رسمي الا بعد الرجوع اليه . خاصة وأن روزفلت كان قد اعطى رأياً للجانب العربي فيما يخص المشكلة الفلسطينية ، وذلك عندما رد على الملك عبد العزيز آل سعود في ١٩٣٩/١/٩ م قائلاً :

---

(١) Foreign Relations , 1939 , vol . 4 , 15426 , Washington . May 10 - 1939 .

(٢) Ibid , May 11 - 1939 .

(٣) Foreign Relations , No . 867 Nol , 556 , opcit .

« ان موقف الولايات المتحدة تجاه فلسطين قد تم ايضاحه في بيان وزارة الخارجية بتاريخ ١٩٣٨/١٠/١٤ م . . يمكنني القول ان هذه الحكومة لم يحدث ان اتخذت موقفاً مغايراً للموقف الذي تبنته تجاه هذه المشكلة »(١) . ويمكننا تحديد الموقف الاميركي استناداً الى مذكرة ريفز شايلدس بتاريخ ١٩٣٩/٣/٨ (قسم شؤ ون الشرق الأدنى) التي أعدها بعد مطالبة اليهود الاميركيين في فلسطين بتدخل حكومة الولايات المتحدة وتنفيذ تعهداتها بانشاء الوطن القومي ، انطلاقاً من تصريح بلفور ، صك الانتداب ، اتفاقية ١٩٢٤ بين بريطانيا والولايات المتحدة .

أكد ريفز شايلدس بعد دراسة الامر مع مستشار الدائرة القانوني على ما يلي :

- ان اتفاقية ١٩٢٤ لا تعطي الولايات المتحدة حقّ الاعتراض على الانتداب . . كما أن هذه الاتفاقية يصعب تفسيرها على أنها تشجع المواطنين الاميركيين على الاقامة في فلسطين .

- ان الولايات المتحدة لم تلتزم بتنفيذ تصريح بلفور ، وان بريطانيا هي الطرف الوحيد الذي يقرر فيما اذا كان التصريح قد نفذ أم لا ، وان بيان الرئيس ويلسون قد تم دون ادنى تفكير من جانبه في فرض دولة يهودية على سكان فلسطين ، كما لم يشر قرار الكونجرس ١٩٢٢ الى التزام أو تعهد اميركي بدعم تصريح بلفور ، ولم تقم أي جهة حكومية باعلانه(٢) .

رأت القيادة الصهيونية في المذكرة السابقة ارتباط الموقف الاميركي نحو فلسطين بالمصالح التي ذكرتها اتفاقية ١٩٢٤ ، وعدم ارتباطه بأي التزام سياسي أو توجه نحو بناء الوطن القومي اليهودي ، لذا فان نشاطها منذ ذلك التاريخ انصب على زحزحة الموقف الاميركي ، واقناعه ان مصالحه مرتبطة بالاهداف الصهيونية ، وبدأت حملة نشطة بعد اعلان الكتاب الابيض في ١٩٣٩/٥/١٧ .

الحملة الصهيونية :

تلخص شعار الحملة الصهيونية في « الالتزام الاخلاقي للولايات المتحدة تجاه الوطن القومي » عندما لم تجد ما يلزم حكومة الولايات المتحدة رسمياً بدعمها .

---

(١) Ibid , No.-1365 .

سلمت الرسالة الى القائم بالاعمال السعودي في القاهرة بتاريخ ١٩٣٩/٢/١٥ .

(٢) Foreign Relations , No. 867 N. 01 - 1482 , opcit .

وقد جاء ذلك في البيان الذي وقعه ٢٨ سناتوراً ، اننا نعتقد أن تصريح بلفور يجسد التزاماً اخلاقياً لا للشعب اليهودي فحسب ولكن للولايات المتحدة وحكومتها التي وافقت عليه »[1] .

ولم يخرج الصهيونيون الاميركيون في مطالبهم بعد صدور الكتاب الأبيض عن المناشدة والالتماس مع الحرص على قرن هذه المناشدة بالمصالح الاميركية . فقد ذكر ستيفن وايز في رسالته الى وزير الخارجية الاميركي بتاريخ ١٩٣٩/٥/٢٢ « انه يحتج كاميركي ضد عمل (قامت به بريطانيا) يضيف قسوة جديدة الى اعباء اليهود المحزنة » ، كما ان احتجاجه كاميركي ينطلق من مصالح الاميركيين الذين بلغت اموالهم مائة مليون دولار في فلسطين . لذا فهو يطالب حكومته بعدم تنفيذ سياسة الكتاب الأبيض ما لم يكن امامها فرصة لدراسة مواده ، واعطاء حكمها فيما يخص تعرض المصالح الاميركية لاي خطر[2] .

ان الانطباع العام عن مطالب وايز يتلخص في محاولته طرح الامور امام الحكومة الاميركية وترك الحرية لها في تقرير الأمور ، دون ان يحدد مطالب معينة باستثناء لفت النظر الى امكانية تعرض المصالح الاميركية للخطر ومخالفة بريطانيا لاتفاقية ١٩٢٤ .

استطاعت الحملة الصهيونية ضد الكتاب الأبيض ان تنتزع بياناً وقعه في ١٩٣٩/٩/٢٥ م خمسة عشر عضواً من لجنة الشؤون الخارجية في مجلس النواب جاء فيه : ان الكتاب الأبيض يعتبر انكاراً لاتفاقية ١٩٢٤ . وطالب بالانتباه الى قرار ١٩٢٢/٦/٣٠ الذي جاء فيه ان الولايات المتحدة تستحسن Favour تأسيس وطن قومي في فلسطين من أجل الشعب اليهودي »[3] .

الا أن هذا البيان لم ينتج عنه أي موقف رسمي اميركي لصالح الصهيونية ، مما اضطرها الى تغيير اساليب نشاطها وفقاً للظروف ، ودراسة الوضع اليهودي والصهيوني في الولايات المتحدة ووضع خطة للتحرك النشط .

تعثر المساعي الصهيونية :

رأى بن جوريون في بداية ١٩٤٠ أن قوة يهود الولايات المتحدة لم تكن موجهة نحو الهدف السليم (الصهيونية) ، وكان اليهود السوفييت قد تم اسكاتهم بعد ثورة اكتوبر

---

(١) Esco , vol . 2 , P. 1119 , opcit .
(٢) Foreign Relations , No. 867 Nol - 1601 , opcit .
(٣) Esco , vol . 2 , P. 1112 , opcit .

١٩١٧ ، وأصبح يهود اوروبا في وضع لا يجعل لهم شأناً في المسرح العالمي وغرقوا في مشاكل النازية ، وباستثناء اليشوف فان اليهودية الاميركية هي التي لها وزن دولي اذا كانت عازمة وقادرة على تعبئة كامل قواها وتأثيرها ، خاصة وان الولايات المتحدة لعبت دوراً هاماً منذ بداية الحرب[1] .

الا ان الوضع الصهيوني في الولايات المتحدة كما وصفه بن جوريون لم يكن يبشر بالخير ، «بالاضافة الى ان المنظمة الصهيونية الاميركية كانت في حالة جزر تتقاذفها المنازعات الشخصية ، ولم يستطع الصهيونيون حتى مارس ١٩٤٠ الحصول على منفذ للرأي العام الاميركي بوسائل معتمدة في السياسة الحديثة »[2] .

قامت قيادة الوكالة اليهودية اثناء مناقشتها للوضع السياسي في ١٩٤٠/٤/٩ بتحديد الخطوات التي ينبغي اتخاذها ـ كي يستفاد من اليهود الاميركيين على النحو التالي :

- ضرورة وجود هيئة يهودية تعرف ما تريد : الجيش ، ومقاومة الكتاب الابيض « كي تؤمن دعم الحكومة الاميركية للصهيونية » .
- استخدام وسائل معتمدة في السياسة الحديثة للنفاذ الى الرأي العام الاميركي والاستمرار في اجراء الاتصال مع الادارة الاميركية .
- الضغط على بريطانيا عن طريق الادارة الاميركية .
- ابراز « النضال » الصهيوني وربط مصير اليهود في العالم بهذا « النضال » .
- استغلال المثالية عند الشباب اليهودي بواسطة الصهيونية المقاتلة[3] .

الا اننا لا نلاحظ ظهور نشاط صهيوني ملموس في الولايات المتحدة بعد تحديد الخطوات السابقة وذلك يعود ـ في نظرنا ـ الى أن لندن كانت لا تزال مركز النشاط السياسي ، كما ان آمال الصهيونية انتشت بعد تشكيل تشرشل للوزارة البريطانية ، وتوجهت اليه مطالبة بتأسيس جيش يهودي وانتظار احتمالات المستقبل ، كما ان الرئيس روزفلت لم يبد منه ما يدل على تأييده للموقف الصهيوني عندما قابله وايزمان عام ١٩٤٠ ، وكانت الزيارة لاميركا غير مرضية ولم تحقق شيئاً[4] .

---

(١) Walid Khaldi , P. 482 , opcit .
(٢) على لسان موشي شرتوك Ibid , P. 483
(٣) Ibid , P. 489
(٤) Haim Weizmann , P. 420 , opcit .

لم تعدم القيادة الصهيونية الوسائل التي تمكنها من اثارة المسؤولين الاميركيين فقد استغلت امراً ذا طابع انساني كشفت به عن نواياها العدوانية نحو عرب فلسطين والمنطقة العربية بأسرها ، وذلك عندما طلب ستيفن وايز رئيس النداء اليهودي المتحد من منظمة الصليب الاحمر الدولية تحويل مبلغ ٢٥ مليون دولار اميركي مساهمة من الصندوق في مساعدة ضحايا الغارات الجوية الايطالية على كل من مدينتي حيفا وتل أبيب في عام ١٩٤٠ ، وتخصيص هذا المبلغ لليهود فقط . وعندما علم رئيس قسم شؤون الشرق الادنى بالامر استغربه ، وطلب اعادة بحثه مع وايز ، ورفض تحويل المبلغ باسم اليهود فقط ، وأصر ان تكون المساعدة للضحايا جميعاً دون تمييز في الجنس أو الدين[١] .

عندما اجتمع الوفد الصهيوني المكون من الحاخام برسلاو ، ومنتور ورئيس قسم الشرق الأدنى ذكر الوفد الصهيوني انه علم بإثارة موضوع الـ ٢٥ مليون دولار وضرورة توزيعها بين العرب واليهود في المنطقة رد رئيس القسم ان المدن الفلسطينية تعرضت لعشر غارات جوية بينما تعرضت مدينة الاسكندرية وحدها لثلاثين غارة ، ورافقتها خسارة معتبرة في الارواح وتم اجلاء ثلث سكانها .

الوفد الصهيوني : ان طلبنا من الصليب الاحمر كان من اجل الذين يودون اتخاذ فلسطين ملجأ لهم ، وكنا مهتمين بالامر قبل حدوث الغارات (وهنا خالف الوفد ما قاله وايز عند طلبه لتقديم المساعدة) .

رئيس القسم : ان الطلب ارتبط بمشكلة قصف مدينة تل أبيب اليهودية ورأينا ان هذا العرض سيؤدي الى احراج بريطانيا ، كما أفاد قنصلنا في القدس ان الأمر ليس ملحاً ، وتقوم المؤسسات المحلية بتدبير الأمر .

الوفد الصهيوني (منتور) : تتعمد الحكومة البريطانية التقليل من حاجات فلسطين انطلاقاً من رغبتها في عدم اعترافها بان الحاجة اكبر من ان تفي بها الموارد البريطانية ، وان الامر مرتبط بزاوية سياسية . . . ولن يضغط من اجل مساعدات تعتبرها الحكومة الاميركية ضد المصالح البريطانية أو ضد مصالح الولايات المتحدة . . . ولكن أيهما أفضل لبريطانيا : الاهتمام باليهود الذين يعتمد على اخلاصهم أم الاعتماد على العرب الذين يعتبر اخلاصهم غير مؤكد ؟[٢] .

---

(١) Foreign Relations , 1940 , vol . 3 , 867 No . 8 /53 Sep . 23 , 1940 .

(٢) Foreign Relations , No . 867 N . 48141 , October 8 , 1940 , opcit .

ويلاحظ من حديث الوفد الصهيوني انه عندما وجد نفسه في وضع حرج ، لم يجد مخرجاً غير الغمز من جانب العرب . وكأني به يود القول : ان العرب الذين يشك في اخلاصهم لبريطانيا لا يستحقون العون الانساني حتى لو قصفتهم الطائرات الايطالية .

انتهى عام ١٩٤٠ والنشاط الصهيوني يواجه التعثر ، وفي ابريل من عام ١٩٤١ اعيد تشكيل اللجنة الفلسطينية الاميركية « برئاسة روبرت واجنر الثري عضو مجلس الشيوخ وجعل هدف اللجنة العمل للتعبير عن العطف والود اللذين تكنهما الفئات المسيحية للحكومة الرامية الى اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين»[١] .

وقد حقق واجنر بعض النجاح عندما انضم الى اللجنة حوالي ٦٧ سناتوراً و١٤٣من مجلس النواب و٢٢ من حكام الولايات ، وبعض المثقفين من الحقوقيين ورجال الدين واصحاب دور النشر ورؤساء تحرير الصحف[٢] .

لقد رافق تشكيل اللجنة الاميركية الفلسطينية اعادة الخارجية الاميركية النظر في المشكلة العربية ، ورأى الوكيل المساعد (بيرل) ان بريطانيا لا تستطيع تخصيص قوات كافية للعناية التامة بالوضع في البلاد العربية ، بسبب حاجتها الى قواتها على الجبهة المصرية وجبهة البلقان وجبهة سنغافورة ، وان احتمال قطع طريق الخليج العربي أمر محتمل ما لم تتم مراعاة المشاعر العربية والتي ـ اذا حلت المشكلة الصهيونية ـ يمكن ان نضع أنفسنا في موضع نقدم فيه الوعود الفعالة للعرب . كما رأى ان على وايزمان (الموجود في الولايات المتحدة) العلم بان ابادة الصهيونيين في فلسطين ـ اذا ما أغلق المتوسط ـ تغدو قضية وقت . واذا ما رأى وايزمان ذلك ، فانه يمكن ان نجعله يتخذ موقفاً اكثر عقلانية من ذي قبل[٣] .

لقد كان عام ١٩٤١ عام الخطر المواجه للصهيونية بسبب الوضع العسكري على جبهة العلمين وكانت القيادة الصهيونية اكثر انشغالاً في مواجهة الاحتمالات القائمة اكثر منها في بحث المستقبل .

وفي ١٩٤١/٤/١٥ قام بيرل بمقابلة نيومان كممثل لحاييم وايزمان وناقشه في احتمالات عدم قدرة بريطانيا على الدفاع عن فلسطين ، وضرورة التفكير فيما ينبغي عمله لان (الصهيونيين) سيكونون وجهاً لوجه مع العرب دون قوة تحميهم ، كما طلب منه

---

(١) (٢) اسعدرزوق- المجلس الاميركي لليهودية - مركز الأبحاث بيروت ، فبراير ١٩٧٠ ، ص ٣٦ .

(٣) Foreign Relations , 1941 , vol . 3 , 867 N . 01 - 1729 , April , 14 , 1941 .

ضرورة اجراء تفاهم مع العرب دون ان يقترح طريقة لهذا التفاهم[1] .

ان الوثيقة السابقة تعتبر ذات أهمية خاصة اذ ان فلسطين لم تعد من اهتمامات بريطانيا وحدها ، وبدأ المسؤولون الاميركيونُ يظهرون اهتماماً بمشكلتها ، وقد ترافق هذا الاهتمام مع مشاركة الولايات المتحدة في مجلس امداد الشرق الأوسط .

كان المسؤولون الاميركيون في دائرة شؤون الشرق الأدنى وبعض المبعـوثين الدبلوماسيين في المنطقة العربية مثل كيرك في مصر يرون ان المطالب الصهيونية هي أساس تفجر الوضع في الشرق الأوسط . وذلك لانه ليس لدى العرب أي نوايا عدوانية تجاه الولايات المتحدة . وما يسود بينهم هو شعور يتلخص في احتمال اقدام الولايات المتحدة بعد الحرب على اجبار بريطانيا بفتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية ورأوا ضرورة تخلي الحركة الصهيونية عن سياسة الوطن القومي لانه لا يحمل في ثناياه أي مستقبل لا لليهود ولا للولايات المتحدة الاميركية[2] .

ان الرأي السابق يتنافى مع كل الطموحات السياسية للقيادة الصهيونية ، وهو أمر يخشى منه ان ينتهي الى اتخاذ الادارة الاميركية موقفاً محدداً تجاه فلسطين . وكان على القيادة الصهيونية ان تتلافى هذا المأزق الحرج ، وحددت مطالبها بتجميد الوضع في فلسطين عندما تقدمت لجنة الطوارىء للشؤون الصهيونية في الولايات المتحدة بمذكرة الى وكيل الخارجية الاميركي طلبت فيها عدم اقدام بريطانيا على اجراء أي تغيير على سياستها فيما يخص فلسطين اثناء الحرب : « اننا نقترح باحترام (وهذا سيكون اعظم مساعدة اميركية) انتزاع معلومات موثوقة من الحكومة البريطانية . . . بانها لا تنوي اجراء مفاوضات أو الادلاء بتصريحات تخص تغيير الوضع القانوني أو السياسي لفلسطين ، أو تنتقص من وضع الوطن القومي اليهودي سواء بتشجيع اتحاد بين فلسطين واقاليم اخرى ، وغيره بدون استشارة مسبقة مع حكومة الولايات المتحدة . نأمل ان تخبرنا بالنتيجة »[3] .

لقد كان الخوف الصهيوني قائماً على أساسين : الأول مطالبة بعض الدوائر الاميركية بضرورة تفاهم عربي صهيوني يتنازل فيه الصهيونيون ويصبحون اكثر عقلانية ، والثاني بيان ايدن الوزير البريطاني في ١٩٤١/٥/١٩ الذي أيد فيه قيام خطوات وحدوية عربية رغم انه لم يذكر فلسطين في بيانه .

---

(١) Foreign Relations , No . 867 N 01 \ 1739 , opcit .

(٢) ورد هذا الرأي صراحة في مراسلات كيرك ،والمذكرات السياسية التي كتبها موراي ،بيرل في عام ١٩٤١ .

(٣) Foreign Relations No . 867 N. 01 - 1722 , N. 1 . August 1 , 1941 , opcit .

عادت الطمأنينة الى نفوس القيادة الصهيونية عندما نسبت وكالة التلغراف اليهودية بياناً الى تشرشل في ١٩٤١/٧/٣٠ امام مجلس العموم البريطاني اعاد فيه تأكيد دعم حكومته لسياسة تأسيس وطن قومي يهودي في فلسطين . وان هذا الأمر سيؤخذ باهتمام عند المحادثات حول الاتحاد الفدرالي في القاهرة » .

استغلت القيادة الصهيونية هذا التأكيد وتقدم ستيفن وايز الى وكيل الخارجية الاميركي بمذكرة في ١٩٤١/٩/٢٦ طالب فيها بعدم اجراء اي تغيير على الوضع في شرق الأردن بالاضافة الى فلسطين وذلك لان الانتداب ينطبق عليها ايضاً .

ويستنتج من مطلب القيادة الصهيونية الجديد محاولتها منع الاتحاد للعربي بالاضافة الى تجميد الوضع ، وذلك لان محور التفكير في الاتحاد الفدرالي العربي هو شرق الاردن سواء تم الاتحاد بتشكيل دولة جنوب سوريا ، أو بتشكيل سوريا الكبرى . لذا ينبغي على الصهيونية التحرك لاجهاض هذا الاتحاد .

بداية الحملة الصهيونية المثمرة :

تركز النشاط الصهيوني في عام ١٩٤٢ على اليهود الاميركيين انفسهم لتعبئتهم واستخدامهم لمطالبة الحكومة الاميركية بالتأييد . ومن اجل ذلك اعطيت لجنة الطوارىء الصهيونية الاميركية التي تشكلت بعد المؤتمر الصهيوني الحادي والعشرين قوة المؤسسة الفعالة ، وطلب اليها التوسع في نشاطها بين الأوساط اليهودية وعلى الاخص تلك التي تعارض السياسة الصهيونية مثل لجنة العمل الاميركية اليهودية ، المجلس الاميركي لليهودية ، اليهودية الاصلاحية التي تمثل قطاعاً عريضاً من الحاخامات اليهود .

العمل بجد على كسب العطف العام باستغلال ما حل بيهود اوروبا : وجعل تأسيس الوطن القومي اليهودي تعويضاً لليهود عما حل بهم .

ادخال الطمأنينة الى نفوس يهود اميركا ، وافهامهم ان دعم الصهيونية لا يتعارض مع ولاء اليهود لوطنهم ، وليس المطلوب من اليهودي الاميركي الهجرة الى فلسطين ، ان لم يكن راغباً في ذلك ، بل ان يصبح صهيونياً ، ولكن صهيونيته تتلخص في دعم البرنامج الصهيوني في الولايات المتحدة .

اقناع اليهود الاميركيين ان دعمهم للصهيونية يوفر عليهم المشاكل التي يمكن ان تنتج عن دخول يهود اوروبا الى الولايات المتحدة ، كما يعفي حكومة الولايات المتحدة من أي احراج ينتج عن رفضها لاستقبال اليهود المضطهدين والمعذبين .

وتظهر براعة القيادة الصهيونية هنا عندما بدأت تطرح اموراً ، يضطر اليهودي الاميركي عند بحثها الى تأييد الصهيونية ، فهو في موقف اما أن يتصرف بما يسيء الى حكومته والى وضعه الاقتصادي وأمنه الاجتماعي او يتصرف بما يحقق الدعم الصهيوني . كما أن الجديد في الامر هو استغلال ما حل بيهود أوروبا ، وجعل عدم حدوث تكراره مرتبطا بتأسيس الوطن القومي اليهودي . وهو أمر يدل على الافلاس الصهيوني لولا استغلاله لما حدث ليهود أوروبا ، وجعل سياسة الوطن القومي وكأنها صممت لحل المشكلة التي خلقها النازيون .

لقد حققت القيادة الصهيونية ذروة النجاح بين اليهود الاميركيين عندما عقدت مؤتمر بلتمور في مايو ١٩٤٢ م واتخذ قرارات جعلتها برنامج الحركة لفترة ما بعد الحرب ، وطالب اليهود الاميركيين بدعمها . وكان أهمها : تأسيس كومن ويلث يهودي واشراف الوكالة اليهودية على الهجرة وتأسيس جيش يهودي .

بعد بلتمور :

ادعى بن جوريون انه كان وراء برنامج بلتمور وان مذكرته التي أعدها واطلع على كل حرف فيها فيلكس فرانكفورتر قاضي المحكمة العليا الاميركية واحد المقربين الى روزفلت كانت هي أساس هذا البرنامج . وتتلخص بنود المذكرة في اعتراف التاريخ والقانون الدولي بحق اليهود في الوطن القومي بفلسطين ، امكانية استيعاب فلسطين لمزيد من المهاجرين اليهود اذا ما تم الحصول على الأراضي الخالية ، تحقيق الهجرة الواسعة تحت اشراف حكومة يهودية ، وأخيراً مواجهة العالم لمشكلة اللجوء اليهودي . كما ادعى بن جوريون أيضاً ان مذكرته السابقة سلمت الى روزفلت ووزع نسخ منها على جميع زعماء الحركة الصهيونية في الولايات المتحدة(١) . وما يهمنا في ادعاء بن جوريون هو اطلاع روزفلت على أساس برنامج بلتمور قبل اعلانه ومدى تأثير هذه المطالب عليه . كما يهمنا ملاحظة تغير المطالب الصهيونية في العلن . يضاف الى ذلك أن ادعاء بن جوريون يعني أن الصهيونية الاميركية صهيونية موجهة لا تستطيع التحرك الا بأوامر قيادة صهيونيي فلسطين والذين اطلق عليهم في هذا البحث مجموعة القدس .

لقد حدد بن جوريون نفسه نظرة روزفلت الى الصهيونية :

كان موقف روزفلت من الصهيونية غامضاً ، وكان حساساً تجاه مأساة يهود اوروبا ،

(١) Moshe Pearlman, pp. 111 — 112, opcit.

ربما كان لديه عطف على الطموحات الصهيونية ، ولكنه لم يعتقد يوماً بان فلسطين الصغيرة يمكن أن تشكل حلا للشعب اليهودي ، وكان يعترف بضرورة ايجاد مأوى للاحياء من اليهود المشردين ، ولكنه في الوقت نفسه كان يعتقد أن فلسطين صغيرة بالنسبة لهم»(١) . لذا فاننا لا نجد رداً او تعليقاً من روزفلت على مذكرة بن جوريون ، وهو أمر فسرته الصهيونية لصالحها مما أثار موجة من التساؤلات والمطالب بين المسؤولين الاميركيين انفسهم ، من بينها تحديد الموقف الاميركي . ونلحظ ذلك في مذكرة Murray مستشار العلاقات السياسية بالخارجية بتاريخ ٢/ ٦/ ١٩٤٢ التي وجهها الى وزير الخارجية حين طالب باذاعة بيان انجلو ـ اميركي مشترك يحدد موقف الحكومة الاميركية على النحو التالي :

ان اهداف الحرب للحكومة الاميركية كما وضحت في بيان الأطلنطي تشتمل على الرغبة في عدم تغيير اقليمي لا يتوافق مع رغبات الشعوب المعبر عنها بحرية، واما ما يخص فلسطين فان من المرغوب فيه رغم الصعوبات الماضية الوصول الى حل سلمي عن طريق اتفاقية بين العرب واليهود ، وان الدفاع عنها من مسؤولية الحكومة البريطانية .

واقترح Murray في المذكرة نفسها لفت نظر الرئيس الى النتائج المثيرة التي يسببها الهيجان بشأن تشكيل جيش يهودي ، وذلك لان أي تسوية تحدث عن طريق القوة أو التهديد ستكون معارضة للمبادىء التي حاربت (أميركا) من أجلها . ان صمت السلطات يوحي بموافقتها على اهداف الصهيونية(٢) .

وهو أمر ربما نتج عنه فقدان الولايات المتحدة لصداقة العرب اذا ما استمر صمتها . خرجت الحكومة الاميركية عن صمتها في عام ١٩٤٢ وظهر في ٣٠/ ١٠/ ١٩٤٢ بيان (هل) وزير خارجيتها جاء فيه : ينبغي أن يكون هناك عالم يعيش فيه اليهود ـ كأي جنس آخر ـ احراراً ويقيمون فيه بسلام وشرف . . . وعندما تأتي ساعة النصر فان الأمم المتحدة استناداً الى بيان الأطلنطي ستكون مستعدة من أجل خلق عالم لن تحدث فيه هذه المأساة (يهود أوروبا) ثانية(٣) .

ويلاحظ من بيان وزير الخارجية التأثر بما حل بيهود أوروبا وجعله اساس بيانه ، كما يلاحظ تركيز البيان على مبادىء الأطلنطي ، وجعل الاهتمام بامر اليهود موكولا الى الأمم المتحدة ولم يشر الى حقوق الشعب الفلسطيني مباشرة .

(١) Moshe Pearlman, pp. 108 — 109, opcit.

(٢) Foreign Relations, 1942, 867N. 01 / 181, June 2, 1942.

(٣) Ibid, 1821, October 20, 1942.

وفي ١/ ١٢/ ١٩٤٢ اعلنت لجنة فلسطين الاميركية برئاسة واجنر في بيانها الذي قدمته الى الرئيس روزفلت المطالبة بتنفيذ تصريح بلفور ، وجاءت أهمية البيان بعد توقيع ٦٣ عضواً من مجلس الشيوخ عليه ، ومعهم ١٨٢ عضواً من مجلس النواب .

استغلت القيادة الصهيونية البيانين السابقين ورأت فيهما زحزحة للموقف الاميركي لصالحها ، ولا بد من الاستمرار في هذا الاتجاه . وبعد ان كانت القيادة الصهيونية تسعى الى تثبيت الوضع في فلسطين في عام ١٩٤١ أصبحت في نهاية ١٩٤٢ تتطلع الى عرض موقف جديد مرتبط ببرنامج بلتمور مستغلة تراجع الخطر النازي عن فلسطين ، وما حل بيهود اوروبا على يد هتلر وغياب الرأي العربي المؤثر بين أوساط المسؤولين .

استخدمت القيادة الصهيونية في عام ١٩٤٣ اسلوبا في الدعاية لقضيتها تلخص في خلق جو من الهيجان العاطفي بين اليهود وغيرهم من خلال ما حدث ليهود اوروبا في محاولة منها لفرض قيادتها على كل يهود العالم والتحدث باسمهم . ولم تأبه هذه القيادة ولم تلتفت الى انقاذ اليهود المعذبين ، وصممت على جعل فلسطين دولة يهودية بدلا من ذلك . كما أصبحت غير مستعدة للالتفات الى المعارضة العربية ، مما يعني تصليب موقفها المعلن .

وقد رد هوسكنس هذا الموقف المتصلب الى شعور القيادة الصهيونية بالدعم المتزايد من الرأي العام الاميركي ويهود فلسطين ، والى ثقتها في عدد اليهود وتسليحهم المتزايدين ، كما خشي ان يؤثر هذا الموقف على الوضع العام في منطقة الشرق الأوسط .

واقترح على وزير الخارجية ضرورة افهام الرأي العام الاميركي بان فلسطين ليست خالية من السكان ، ودعوة بعض المعتدلين من القيادات العربية والصهيونية الى الولايات المتحدة للتحادث معهم في محاولة لاضعاف المتطرفين[١] . ولكن اقتراحات هوسكنس لم تلق القبول أو التنفيذ .

ويلاحظ هنا أن القيادة الصهيونية مع بداية عام ١٩٤٣ مارست نشاطا غير عادي في كل من فلسطين والولايات المتحدة . ونرى أن ذلك يعود الى تعجلها في تحقيق أهدافها وعدم انتظارها الى ما بعد انتهاء الحرب . لذا فان وايزمان ومعه موشي شرتوك وبعض الصهيونيين قام باجراء لقاء مع مسؤولي قسم شؤون الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الاميركية في ٣ مارس ١٩٤٣ شرح فيه قوة اليهود العسكرية ودورهم في خدمة الحلفاء على

(١) Foreign Relations, 1943, vol. 2, 867N. 01/1612, Cairo, Jan. 23, 1943.
رسالة هوسكنس الى وكيل الخارجية عن طريق الوزير المفوض الاميركي (كيرك) في مصر الى وزير الخارجية .

عكس العرب . كما اثار شرتوك في اللقاء امرين الاول منهما العدل ، والثاني التطبيق العملي .

وفيما يخص الأول رأى شرتوك ان الظلم الذي يقع على العرب عندما يتسلم اليهود فلسطين أقل من الظلم الذي يقع على اليهود اذا لم يسمح لليهود بتسلمها .

أما فيما يخص التساؤ ل الثاني فقد ذكر امكانية مساهمة اليهود في تطوير العراق ، ولم يحبذ فكرة الاتحاد الفدرالي العربي . وكرر وايزمان قوله في عدم وجود القوة العربية التي يخشى منها بدليل انتزاع لواء الاسكندرونة[١] .

لقد كان وايزمان يمثل في رأي الدوائر الاميركية المعتدلين الصهاينة وكان هذا رأيه . اما رأي بن جوريون المتطرف فقد قيل باوضح العبارات للمسؤولين الاميركيين في الفترة السابقة عندما أبلغ ممثل الرئيس روزفلت الجنرال باتريك هارلي بان الولايات المتحدة ملتزمة ومجبرة (واكرر مجبرة) على تأسيس دولة يهودية في فلسطين مستنداً الى الحق المقدس والمنطق التاريخي واستثمارات رأس المال الاميركي اليهودي في فلسطين ودعم حكومة اميركا للانتداب ، وتأييدها للبرنامج الصهيوني[٢] .

كان الرئيس روزفلت يعالج المشكلة بروية . ولم يقع تحت تأثير الانفعالات الصهيونية وأوفد الى المنطقة العربية مندوبين : هما هوسكنس والجنرال باتريك هارلي واطلع على آرائهما . وقد رأى الأول ضرورة عدم اتخاذ قرار بشأن فلسطين الا بعد الحرب على أن يتخذ القرار بعد مشاورات مع العرب واليهود[٣] . اما هارلي فقد طرح في تقريره بتاريخ ٥/ ٥/ ١٩٤٣ مطالب الصهيونيين أمام الرئيس بامانة ووضوح عندما ذكر أنها تقوم على أساس اقامة دولة يهودية تشمل كل فلسطين وربما شرق الأردن ، ونقل السكان الفلسطينيين الى العراق ، وخلق قيادة يهودية لكل الشرق الأوسط في ميادين التطور الاقتصادي[٤] .

شهدت الفترة السابقة وضوحاً في طرح الأهداف الصهيونية للمستقبل . كما شهدت تقويم المسؤولين الأميركيين للأمر ، أضيف اليهما احتجاج عربي واسع ورفض عربي واضحٌ للمطالب الصهيونية ، عبرت عنه تقارير ومذكرات السفارات الأميركية في البلاد العربية ، كما عبر عنه رسائل المسؤولين العرب الى الادارة الاميركية .

(١) Foreign Relations, 1943, 867N. 00/627, opcit.
(٢) Ibid ,121. 891/7, Cairo, May 5,1943.
(٣) عن ملخص لمذكرة هوسكنس بتاريخ ٧/ ٥/ ١٩٤٣ .
(٤) مذكرة هارلي بتاريخ ٥/ ٥/ ١٩٤٣ السابقة .

تبلور الموقف الاميركي في رسالة وجهها روزفلت الى عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية ، قام بتسليمها الوزير الاميركي المقيم MOOSE الى الامير فيصل بتاريخ ٥ / ٦ / ١٩٤٣ م واحتوت الرسالة على ما يلي : « انني أرغب في وصول العرب واليهود الى تفاهم ودي فيما يخص فلسطين بطرقهم الخاصة قبل انهاء الحرب . وانني سعيد لاكرر توكيدي بأن رأي حكومة الولايات المتحدة هو : في جميع الأحوال لن يتم التوصل الى قرار يغير من وضع فلسطين الأساسي دون استشارة كاملة مع العرب واليهود »[١]

وتعتبر رسالة روزفلت لصالح القيادة الصهيونية اذ اعترف بها طرفا مساويا للعرب ينبغي استشارتها ، ولكن ما تجدر الاشارة اليه أن روزفلت وعد باستشارة كل من الطرفين ولم يعد بأخذ موافقتهم ، وترك تقرير الامور في النهاية مرهوناً برأيه . وهو أمر لا يعطي آمالا واسعة للقيادة الصهيونية .

بعد رسالة روزفلت :

أعادت القيادة الصهيونية ترتيب أوضاعها في الولايات المتحدة عندما تسلم أبا هليل سيلفر رئاسة مجلس الطوارىء الاميركي للشؤون الصهيونية في اغسطس ١٩٤٣ بالاشتراك مع ستيفن وايز ، واعتمدت سياسة اثارة الرأي العام الاميركي بجميع قطاعاته ، وجعل الفرد الاميركي يعيش احساس المطالبة بتأسيس الدولة اليهودية جزءاً من حياته اليومية كحل للمشكلة اليهودية . . بحيث يصبح هذا الامر مألوفاً في حياة الاميركي ويدافع عنه . كما عمدت هذه القيادة - في غياب الرأي العربي - الى اثارة البغض الاميركي ضد العرب بطرح صور سلبية عن الفلسطينيين والعرب عموماً ، في محاولة منها لنقل احساسها المعادي الى الشعب الاميركي وجعله يتولى التعبير عن هذا الاحساس .

استخدمت القيادة الصهيونية الاميركية الجديدة أسلوب الدعاية المكثف عبر كل وسائل الاعلام اذاعة وصحفا واجتماعات وكتبا ، رسائل شخصية ، كتيبات . . الخ[٢] . قاصدة في رأي البعض الى انتزاع تأييد روزفلت لبرنامج بلتمور تحت تأثير ضغط الرأي العام الأميركي .

ولكن هذه السياسة لم تسفر عن اتخاذ روزفلت لموقف جديد ، ويعود ذلك في تقديرنا الى أن القرار الاميركي السياسي لا يتخذ عن طريق ضغط الرأي العام وبالذات عندما

(١) Foreign Relations, 890, F. 11 /801, opcit.

(٢) من أجل المزيد حول هذا الأمر يمكن الرجوع الى كتاب مايكل جانسون بالانجليزية بعنوان الولايات المتحدة والشعب الفلسطيني - نشر مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت .

يكون ذلك مرتبطاً بأمر لا يؤثر في الحياة الداخلية للشعب الاميركي ، ومثل هذه القرارات تخضع لاعتبارات تقوم بتقديرها دوائر مختصة يستند اليها الرئيس في النهاية . ودليلنا على ذلك أن رأي روزفلت عند اجتماعه والكولونيل هوسكنس في ٢٧/ ٩/ ١٩٤٣ « لم يكن على وفاق مع القيادة الصهيونية في تقديرها لاعداد اليهود الاوروبيين الراغبين في الهجرة الى فلسطين ، كما كان يفكر في اسكان اليهود الراغبين في مغادرة اوروبا في احدى مقاطعات كولومبيا بأميركا اللاتينية . كما ظهر روزفلت في هذا التاريخ مفكراً في وصاية دولية مسيحية يهودية اسلامية على فلسطين[١] . وهو أمر جديد في تفكير الادارة الأميركية ، يختلف عن طموحات الصهيونيين كما يختلف عن التفكير البريطاني الذي شكل لجنة وزارية لبحث مشكلة فلسطين واقتراح الحلول لها على ضوء اقتراح لجنة بيل ، كما ذكر عند الحديث عن العلاقات البريطانية الصهيونية .

اسفرت حملة الدعاية النشطة التي قادها سيلفر عن تشكيل كتل بين اعضاء كل من مجلس الشيوخ ، ومجلس النواب مؤيدة للاهداف الصهيونة وطالبت باتخاذ قرار مشترك من الكونجرس مؤيداً المطالب الصهيونية . الا ان مثل هذا القرار لم يصدر في حينه وذلك نظراً لمعارضة وزارة الخارجية الاميركية ، ووزارة الحربية[٢] له اللتين رأتا فيه تأثيراً سلبياً على الأوضاع العسكرية في منطقة الشرق الأوسط التي يوجد فيها قوات اميركية كبيرة . فقد أفاد مككلوي MCCLOY مساعد وزير الحربية في ٢٢/ ٢/ ١٩٤٤ في مذكرته الموجهة الى مارشال رئيس الاركان « بأن القرار المنوي اتخاذه يشير الى هجرة يهودية واسعة ، كما يشير الى تأسيس دولة يهودية ويطالب الولايات المتحدة باتخاذ اجراءات معينة . الا ان تقارير المخابرات G. 2 تفيد بتوتر شديد بين العرب واليهود في فلسطين ، وهذا التوتر يؤثر في قدراتنا العسكرية في المنطقة ، خاصة وأننا ننوي تخفيض قواتنا هناك . كما أن مشكلة فلسطين تحظى باهتمام بالغ بين سكان العالم الاسلامي المتصل مع قواتنا ، وستكون خطوط امدادنا الى روسيا معرضة للتهديد او التخريب . من أجل ذلك فانني افضل تأجيل اتخاذ اي قرار يؤثر في أي الأطراف المعنية »[٣] .

وطالب ستاتينوس وكيل الخارجية الاميركية في ٤/ ٣/ ١٩٤٤ باصدار بيان انجلو اميركي مشترك يتضمن عدم اتخاذ أي قرار يؤثر في وضع فلسطين الاساسي دون استشارة

(١) Foreign Relations, 867 N. 01 / 1997, opcit.
مذكرة هوسكنس عن حديثه مع الرئيس روزفلت .

(٢) أصبح اسمها وزارة الدفاع بعد عام ١٩٤٧ .

(٣) Foreign Relations, 1944, vol. 5, 867N. 0112 — 2644.

مسبقة مع جميع المهتمين بها بما في ذلك العرب واليهود ، كما طالب بمراجعة الموقف في فلسطين بعد النصر لوضع حل عادل وملائم لجميع الأطراف »[1] . وقد التزم روزفلت برغبة مسؤولية وعمل على عدم اصدار بيان مشترك من الكونجرس .

تغير موقف روزفلت فجأة في ١٥/ ١٠/ ١٩٤٤ م عندما وجه رسالته المعروفة الى السناتور روبرت واجنر رئيس الجمعية الاميركية اليهودية بمناسبة انعقاد المؤتمر السنوي السابع والاربعين للمنظمة الصهيونية الاميركية . وأعلن تأييد حزبه (الديمقراطي) لتبني الرأي بفتح أبواب فلسطين لعدد غير محدد من المهاجرين اليهود واستيطانهم . . وان هذه السياسة ستؤدي الى تأسيس كومن ويلث يهودي هناك . وستبذل الجهود لايجاد طرق ووسائل مناسبة لجعل هذه السياسة عملية بأسرع ما يمكن . واذا ما أعيد انتخابه فسيساعد على تحقيق هذا الكومن ويلث »[2] .

وقد ربط الكثير بين موقف روزفلت الجديد وبين الانتخابات الاميركية وتأثير أصوات اليهود في انتخاب الرئيس ، واصبح هذا الأمر ، أشبه ما يكون بحقيقة غير قابلة للنقض كما أصبح هو أساس موقف أي رئيس اميركي من المشكلة الفلسطينية في نظر الكثيرين .

الانتخابات الاميركية والأصوات اليهودية :

قد يكون للأصوات اليهودية دور في موقف الرئيس الأميركي من المطالب الصهيونية سابقاً ومن الكيان الصهيوني حالياً ، لكننا اذا جعلناها في أساس موقفه فاننا نبسط الأمور اكثر مما ينبغي ، فقد حدثت أكثر من انتخابات لم تكن الاصوات اليهودية فيها مع الرئيس المنتخب ولكنه لم يغير موقفه المؤيد والداعم للكيان الصهيوني . وحتى تتضح الأمور لا بد من ذكر العوامل التي تؤثر في قرار الرئيس نحـو أي مشكلة خارجية في العالم .

يصنف احد الكتاب الاميركيين النظام السياسي الاميركي بأنه « يعطي حصصا رمزية للعاطفة الشعبية وحصصا جوهرية للمصالح الخاصة القوية »[3] . والتصنيف السابق يجعل القرار الاميركي مرتبطا بمصالح ـ فئة قليلة ـ خارج الولايات المتحدة ، ولا يظهر أثر الرأي العام في القرار الا اذا كان مرتبطا بمشكلة لها عاطفة خاصة عند الشعب. وهو أمر

---

(١) Ibid, 867N. 0 / 2275a,

(٢) Ibid ,867N. 0 / 12 — 244

(٣) مجلة شؤون فلسطينية العدد ٩٢/ ٩٣ ، ص ١٥ ـ التأثيرات الداخلية على السياسة الخارجية الاميركية بقلم محمود المغربي نقلا عن :
M. Parenti, Democtacy of the Few, Martin press,N. Y. 77, p. 318.

نجحت فيه قيادة الصهيونية في تحقيقه في أذهان الكثير من اليهود والاميركيين اثناء حملة سيلفر النشطة بعد اغسطس ١٩٤٣ ، ولكن ذلك لا يعني أن الشعب الاميركي بأكمله أصبح يعيش المشكلة الفلسطينية بأبعادها . ويظهر استفتاء اجراه معهد جالوب في اكتوبر ١٩٤٧ ان المشكلة لم تحظ بالاهتمام الشائع لدى الاميركيين .

مؤيد لاسرائيل	مؤيد للعرب	محايد	لا رأي له
٢٤٪	١٢٪	٣٨٪	٢٦٪

لذا فان قوة الرأي العام الاميركية المؤيدة للصهيونية لم يكن لها ذلك التأثير الواسع على موقف الرئيس . وكان هناك امور ارتبطت بمصالح الفئات الخاصة القليلة من الرأسمالية الاميركين .

وأولها ما رآه رجال الأعمال الاميركيون من فرصة للتوسع التجاري في المنطقة بعد تجربة حكومتهم في مجلس امداد الشرق الاوسط ، ومنذ يناير ١٩٤٣ اصبح التطلع الاميركي الى السيطرة على معسكر الحلفاء الغربيين واردا ، فقد قام روزفلت بايفاد لجنة الى بريطانيا لتقدير قيمة رصيد الذهب والدولار لديها ، واقترحت هذه اللجنة ان لا يكون رصيد الدولار عند بريطانيا اقل من ٦٠٠ مليون دولار وان لا يزيد على ١١٠٠ مليون[1] ، وفي خطوة مماثلة امتنعت الادارة الاميركية عن منح بريطانيا ملكية السفن التي اعطيت لها كتعويض عن السفن التجارية التي غرقت أثناء الحرب ، واعتبرت هذه السفن على سبيل الاعارة فقط . وهو أمر يمكن تفسيره بأنه تهديد لمستقبل التجارة البحرية البريطانية[2] لصالح التجارة الأميركية .

كما أن تصريح روزفلت المؤيد لانشاء دولة يهودية جاء متوافقاً مع القرار البريطاني باسناد حل مشكلة فلسطين الى لجنة وزارية خاصة والتي تبنت تقسيم فلسطين ، ولا يستبعد ان يكون روزفلت قد رأى في اقتراحات اللجنة الخاصة بعقد معاهدات بين الدول التي ذكرها التقسيم وبين بريطانيا أمراً يؤثر في المصالح الاميركية المتزايدة ، لذا جنح الى ارضاء رجال الأعمال الطامعين في التوسع والذين رأوا في بريطانيا منافسا لا في الكومنولث اليهودي الذي اعتقدو انه سيكون الى جانب مصالحهم .

أفادت تقارير كل من هوسكنس وهارلي مبعوثي روزفلت الى المنطقة العربية ان التوتر

---

(١) V. Trukhanovsky , P. 356 , opcit .

(٢) Ibid , P. 375 .

قائم فيها ، وقد يتطور الأمر الى صدام مسلح بين العرب واليهود . ولقد شكل هذا الأمر اغراء لأصحاب الصناعات العسكرية في الولايات المتحدة الذين كانوا على يقين من اقتراب نهاية الحرب العالمية واحتمال تعرض صناعاتهم للكساد مع انتهائها . ورأوا في احتمال النزاع المسلح في المنطقة فرصة مستقبلية لهم . واذا ما علمنا أن أمر الصناعات العسكرية يرتبط ارتباطا مباشرا بحياة الكثير من الاميركيين العاديين بسبب ما تستوعبه هذه الصناعات من العمال وما تحققه من أرباح فاننا لا نستبعد أن يكون تأييد الرئيس لأمر يدر ربحا ويؤمن استمرار مورد رزق للكثيرين سيلقى قبولا واسعاً ويعطي الرئيس فرصة النجاح في الانتخابات .

يعتبر الرئيس روزفلت من أقوى الرؤساء الذين حكموا الولايات المتحدة ، وقد ظهرت قوته في المشكلة الفلسطينية عندما فشل وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية اكثر من مرة في اقناعه بجدوى المشروع الصهيوني ، وفشله في انتزاع تصريح منه مؤيد لأهداف الحركة ، وكان معظم اهتمام روزفلت بالمشكلة اهتماماً انسانياً للتخفيف عن اليهود المضطهدين في أوروبا . ولم يشأ أن يجعل من صيحات الصهيونيين وحملتهم الدعائية النشطة وسيلة للضغط عليه، وعندما رأى المختصون بمنطقة الشرق الأوسط أن إعلان أي موقف اميركي سيؤثر على القوات الاميركية في منطقة الشرق الاوسط، لم يجد روزفلت صعوبة في تأجيل القرار المشترك للكونجرس، ولا نستبعد ان تكون التحفظات التي أبدتها وزارتا الخارجية والحربية حول القرار وبالذات الحربية قد انتهت واخذ روزفلت علما بها ، لذا فانه عندما وجه رسالته في ١٩٤٥/١٠/١٥ كان على يقين ان المصالح الأميركية لن يصيبها الضرر ، وربما أراد روزفلت اختبار رد الفعل العربي كهدف غير مباشر .

يتصف اليهود الاميركيون بالنشاط السياسي ، وترتفع نسبة اقتراعهم في الانتخابات عن أي قطاع في المجتمع الاميركي ، كما يوجد اليهود بنسب عالية في مراكز الاعلام والمال ، وقد اقتنع هؤلاء ان تأسيس الكومنولث اليهودي في فلسطين سيبعد عنهم شبح اللاسامية ومشاكلها المعقدة ويحقق لهم الأمن الاجتماعي . لذا فانهم عملوا على تأييد هذا الكومنولث لا من منطلق صهيوني ولكن من منطلق ذاتي مصلحي، واستغلوا مراكز وجودهم المؤثرة في الدعوة اليه .

ونستطيع القول أن قصة الأصوات اليهودية في الانتخابات الاميركية كانت نتيجة لمصالح متشابكة ومعقدة لمجموعات متعددة من رجال الأعمال وصانعي القرارات ، ولم تكن سببا في ارغام الرئيس على اتخاذ قرار هو غير راض عنه .

مؤتمر روزفلت بعد اعادة انتخابه :

لم ينفذ روزفلت ما جاء في رسالته في ١٩٤٥/١٠/١٥ م بعد انتخابه ، ولعل في الموقف العربي الرافض للمطالب الصهيونية سببا في موقف روزفلت ، فقد اصبحت المصالح النفطية الاميركية واسعة في المنطقة العربية ، وبقي روزفلت متطلعا الى حل المشكلة الفلسطينية عن طريق تقارب عربي صهيوني ، وكان يرى في شخص الملك عبد العزيز آل سعود ما يمكنه من ذلك .

وقام بالاستفسار من مدير العمليات الاقتصادية الأميركية في الشرق الأوسط (لانديس) عن الطريقة التي يمكن مفاتحة ابن سعود بها حول المشكلة والذي رد عليه في ١٩٤٥/١/١٧ م وأبلغه ان لدى ابن سعود حساسية تجاه هذا الموضوع ويرفض الحديث فيه ، وانصح بعدم مفاتحته ، ولكنني أرى أثناء معالجتنا للمشكلة أن نضع أمامنا أموراً أساسية هي :

- التمييز بين الوطن القومي اليهودي ، والكومنولث اليهودي الذي يرفضه العرب كلية .
- تنفيذ الهجرة اليهودية على أساس اقتصادي لا على أساس سياسي .
- حاجة مشكلة فلسطين الى دعم أنجلو اميركي روسي مشترك[١] .

ومع نهاية يناير ١٩٤٥ وروزفلت يتأهب للمشاركة في مؤتمر يالتا كان أمامه مذكرة من وزارة خارجيته بتاريخ ١٩٤٥/١/٣٠ تقترح على الرئيس تطبيق نظام الوصاية على فلسطين على أن تكون بريطانيا هي الوصية ،وعللت رأيها بحجج محددة . فقد رأت ان الوصاية تضع فلسطين خارج الطموحات الاستعمارية وتلغي التصريحات المتناقضة السابقة حولها . كما أن نظام الوصاية سيحل المشاكل الاقتصادية وسيحقق تعاوناً عربيا يؤدي في النهاية الى استقلال فلسطين[٢] .

ونجد في رد لانديس ، ومذكرة الخارجية توافقا مع الرأي البريطاني الذي بدأ منذ نوفمبر ١٩٤٤ م في التراجع عن فكرة التقسيم والتطلع الى حل دولي للمشكلة الفلسطينية، كما يتفق ورأي السوفييت الذين رأوا عدم الفائدة من تأسيس دولة يهودية . وهو أمر مخيب لآمال القيادة الصهيونية واضاعة لكل نشاطها الذي بذلته من أجل تأسيس الدولة .

---

(١) Foreign Relations , 1945, vol . 8 .

(٢) من أوراق الرئيس روزفلت ـ رسالة لأنديس الى الرئيس .
Foreign Relations , 867 N. 01 - 1 - 3045 , opcit .

وازدادت خيبة الأمل عندما اعلن تشرشل بعد عودته من مؤتمر يالتا أمام مجلس العموم البريطاني في ١٩٤٥/٢/٢٧ انه لن يتم بحث المشكلة الفلسطينية الا في مؤتمر السلام العالمي بعد الحرب[1] وعندما اعلن روزفلت أمام الكونجرس الاميركي بعد عودته ايضا « فيما يتعلق بمشاكل الجزيرة العربية فقد علمت الكثير عنها وعن مشاكل المسلمين واليهود في محادثاتي مع ابن سعود لمدة خمس دقائق أكثر مما كان يمكن ان اعلم من تبادل عشرات الرسائل »[2] .

اجتماع عبد العزيز آل سعود مع تشرشل وروزفلت بعد يالتا :

التقى عبد العزيز آل سعودمع تشرشل وروزفلت كل على انفراد اثناء عودتهم من المؤتمر على الأراضي المصرية . وكان اللقاء مع روزفلت على ظهر المدمرة الاميركية التي كان يقلها الرئيس في ١٩٤٥/٢/١٤ في البحيرات المرة ، وحضر اللقاء وليم أ . ايدي الضابط البحري الاميركي الذي عمل وزيراً مفوضاً في السعودية ما بين ١٩٤٤ ، ١٩٤٦ وكتب ما سمعه في المؤتمر ، ونستخلص من كتابته الحوار التالي :

طلب روزفلت مساعدة ابن سعود ونصيحته في مشكلة يود لها حلا ، هي مشكلة يهود أوروبا الذين عانوا من النازية .

ابن سعود : اعطهم ارض الألمان الذين اضطهدوهم .

روزفلت : ان الأحياء من اليهود لديهم العاطفة والرغبة في الاقامة في فلسطين ويخشون البقاء في ألمانيا التي ربما يعانون فيها ثانية .

ابن سعود : بالتأكيد سيحطم الحلفاء القوات النازية للأبد . وسيكونون اقوياء ويستطيعون حماية اليهود . واذا كان الحلفاء على غير ثقة من سيطرتهم على المانيا فلم هذه الحرب ؟

روزفلت : انني أعتمد على الضيافة العربية وابن سعود في حل المشكلة .

ابن سعود : دع العدو ومن قام بالاضطهاد يدفع الثمن ، هكذا نحن العرب نفهم الحرب ، فالتعويض يدفعه المجرم وليس البريء . ماذا فعل العرب باليهود ؟ انها ألمانيا التي نهبت أموالهم وبيوتهم .

(١) Esco , vol . 2 , P. 1117 , opcit .

(٢) Ibid , P. 1119 .

ولما كرر روزفلت الطلب اجابه ابن سعود بعد ان نفد صبره : في معسكر الحلفاء خمسون بلدا ، وفلسطين بين هذه البلاد صغيرة وفقيرة ، واستوعبت اكثر من النسبة المقررة لها من اللاجئين[1] .

وعند لقاء تشرشل مع ابن سعود طلب الأول منه مساعدته في حل مشكلة فلسطين والوصول الى موقف تفاهمي مع الصهيونيين يتنازل فيه كل من العرب واليهود .

رد عليه ابن سعود : ان ما طلبه تشرشل لا يتعلق بمساعدتنا لبريطانيا انه خيانة للرسول وللمسلمين . ولا أستطيع الاذعان او أخذ أي خطوة في هذا الاتجاه ، وطلب ابن سعود وقف الهجرة اليهودية واختيار بريطانيا بين صداقة العرب ونضالهم ضد الهجرة اليهودية حتى الموت .

لقد كان موقف عبد العزيز بن سعود ممثلا للموقف العربي ككل فلم يكن هناك عربي واحد يقبل بتأسيس الكيان الصهيوني .

موقف رزفلت الأخير :

ذكر روزفلت تأثره بموقف عبد العزيز آل سعود أمام الكونجرس ، كما اقتنع بجدية المعارضة العربية لتأسيس الكيان الصهيوني وتعتبر رسالته الى عبد العزيز آل سعود بتاريخ ١٩٤٥/٤/٥ والتي استملها بتاريخ ١٩٤٥/٤/١٠ خلاصة موقفه فيما يخص المشكلة الفلسطينية . لا سيما وأنه فارق الحياة يوم ١٩٤٥/٤/١٢ فقد أعلن تأكيده في الرسالة لموقفه السابق ، وانه لن يتخذ قراراً يغير من وضع فلسطين الأساسي الا بعد استشارات كاملة مع كل من العرب واليهود ، كما أضاف موقفاً جديداً عندما ذكر انه لن يتخذ موقفا يؤذي العرب أو يؤدي الى عدائهم مع اليهود[2] .

نلاحظ مما سبق أن بداية عام ١٩٤٥ م شهدت جموداً في الموقف الأميركي ولم يعد هناك من كبير أمل للصهيونيين في الادارة الأميركية اذا ما استمر روزفلت رئيسها . ولكن هذا الجمود لم يدم طويلاً بعد ان تولى هاري ترومان رئاسة الجمهورية اثر وفاة روزفلت.

ترومان والانحياز الأميركي :

لم يشأ ترومان عند توليه الرئاسة ان يغير من سياسة سلفه مباشرة ، وظل عليها لفترة

(١) Walid Khaldi , PP. 509 - 512 , opcit .

(٢) Foreign Relations , 1945 , 867 N. 01 - 4 - 545 , opcit .

قصيرة - ومن المعروف ان ترومان كان من بين الذين حضروا مؤتمر بلتمور الصهيوني في عام ١٩٤٢ - فقد كتب رسائل الى أكثر من مسؤ ول عربي وأميركي أكد فيه موقف روزفلت من المشكلة الفلسطينية نذكر منها رسالته الى الأمير عبد الله أمير شرق الأردن بتاريخ ١٩٤٥/٥/١٧ ، والى الوزير الأميركي المفوض في مصر بتاريخ ١٩٤٥/٦/٤ .

كان أول لقاء بين مسؤولين صهاينة وبين مسؤولين اميركيين - كما نعلم - في عهد ترومان بتاريخ ١٩٤٥/٦/٢٠ ، وقد أجراه ناحوم جولدمان عن الجانب الصهيوني المعتدل على حد تعبيره مع ايفان ولسون من قسم شؤ ون الشرق الأدنى بوزارة الخارجية الاميركية . وفي هذا اللقاء عرض جولدمان الموقف الصهيوني على النحو التالي :

- سكت اليهود اثناء الحرب ولم يقوموا باضطرابات بسبب تعهدات روزفلت وتشرشل لهم بتحقيق أهدافهم .
- اصبح وضع اليهود مؤسفا ، ويطمعون في تحقيق اهدافهم بعد هزيمة النازية .
- لا تزال النازية موجودة في أوروبا بعد هزيمة هتلر .
- تصميم اليهود في فلسطين على نيل اهدافهم ولو أدى ذلك الى القتال .
- اكد على تأييد الاتحاد السوفياتي لانشاء الدولة اليهودية . لكنه عاد واعترف بتناقض السوفييت[1] .

أما بن جوريون الذي قابل ايفان ولسون في ١٩٤٥/٦/٢٧ (عن المتطرفين) فقد طرح وجهة النظر الصهيونية على النحو التالي :

- معارضة اليهود للسياسة البريطانية ، وطالب بتعديل نظام الحكم في فلسطين لأن اليهود لن يستسلموا لخيانة الادارة هناك وتعهداتها للشعب اليهودي .
- رغبة اليهود في ترتيب امورهم وحدهم دون تدخل من طرف خارجي ، وهم يرفضون وضعا لا يمكنهم من تلبية طلباتهم الشرعية في فلسطين لأن اللورد كيلرن (مايز لامبسون) سفير بريطانيا في مصر يرغب في تهدئة باشا مصري ، اذ ليس لأي باشا مصري أو بك عراقي أو أي بدوي مصلحة أو حق في فلسطين .
- عدم نية الصهيونيين في ازعاج عرب فلسطين فقد عاشوا معهم في وئام لسنوات عدة

(١) Foreign Relations , 1945 , 867 N. 01 - 6 - 2045 .

وليس هناك ما يدعو الى عدم استمرار ذلك اذا ما تركهم العرب وشأنهم .

- تصميم اليهود على تحقيق اهدافهم حتى لو أدى الأمر الى القتال مع بريطانيا .
- قدرة اليهود على التعامل مع العرب اذا قاموا باضطرابات في فلسطين في حالة تبني حل مؤيد للصهيونية ، كما لن يتمكن الزعماء العرب من حشد شعوبهم .
- رفض الحل التدريجي للمشكلة ، وأعلن ان هدف الصهيونية ليس هو الهجرة ولكن الدولة هي الهدف[1] .

ان ما جاء في طرح القيادتين الصهيونيتين المعتدلة منها والمتطرفة يتلخص في التقليل من شأن العرب وعدم اهتمامهم بفلسطين كما يتلخص في التلويح باستخدام القوة اذا لم تنفذ الأهداف الصهيونية، وأصبحت مطالبة القيادة الصهيونية بانشاء الدولة اليهودية في فلسطين كتعويض عما حل بهم في أوروبا اثناء الحرب علنية ، ومن هنا جاء اصرار القيادة على رفض اي مشروع لحل مشكلة يهود أوروبا غير ترحيلهم الى فلسطين ، والاصرار على بقائهم في المعسكرات .

لقد رفعت التقارير السابقة الى ترومان ، وفي ١٩٤٥/٧/٢٤ طلب من تشرشل اثناء انعقاد مؤتمر بوتسدام رفع القيود عن الهجرة اليهودية الى فلسطين .

ونرى في هذا التاريخ بداية انحراف ترومان عن خط روزفلت ، وتحيزه نحو الصهيونية ولكنه كان تحيزاً حذراً خشي منه رد فعل عربي ضد حكومته عندما أعلن في ١٩٤٥/٨/١٦ ان مناقشة « امر الدولة اليهودية لا يزال مستمرا مع أتلي ويود وصول اكبر عدد ممكن من اليهود الى فلسطين بطريقة سلمية وبعد إجراء اتصالات دبلوماسية مع العرب والبريطانيين ، ذلك لأنه غير مستعد لارسال نصف مليون جندي اميركي للحفاظ على السلام في فلسطين[2] .

وهنا اصبح الموقف الاميركي مرهونا بأمرين : الأول : المعارضة العربية للدولة اليهودية ، والثاني عدم استعداد ترومان لإرسال الجيش الاميركي الى فلسطين ، ولم يعد مرهوناً بأحقية المطالب الصهيونية وعدمها .

أما الأمر الأول فقد أوضحت القيادة الصهيونية للاميركين عدم خطورته وجديته ،

(١) Foreign Relations , 1945 , 867 N. 01 - 6 - 2745 , opcit .

(٢) Foreign Relations , 1945 , Press releases , opcit .

وما على الادارة الأميركية الا أن تجرب لترى النتائج . أما الأمر الثاني فقد حمل في ثناياه موافقة اميركية ضمنية على المطالب الصهيونية ، وذلك لأنه لم يعد ما يمنع ترومان من تأييد الأهداف الصهيونية اذا لم يستدع الأمر استخدام نصف مليون جندي اميركي .

سارعت القيادة الصهيونية- في محاولة لتطمين تروما - الى الاعلان بلسان ستيفن وايز رئيس مجلس الطوارىء الصهيوني الاميركي في ١٩٤٥/٨/٢١ - عن انكارها لاستخدام القوة الأميركية التي ذكرها الرئيس من أجل فرض السلام ومزيد من الهجرة اليهودية . وهو أمر يفهم منه أن لدى الصهيونية من القوة الذاتية والاستعدادما يكفي لتحقيق أهدافها . وليست بحاجة الى العون العسكري ولا ينقصها الا التأييد السياسى فقط .

وهنا يسهل استنتاج الموقف الأميركي ، فمصالحه التجارية والنفطية وطرق مواصلاته الجوية الى الشرق الأقصى مرتبطة بالعرب ، ورغم معارضتهم للطموحات الصهيونية فانهم لم يعلنوا تهديداً لهذه المصالح ، لذا فان المخاوف الأميركية ليس لها ما يبررها .

كما أن الموقف في فلسطين اصبح ينذر بالحرب والتي ستكون بين أطراف لن يستخدم فيها الجنود الأميركيون، وسيستفيد منها أصحاب المصانع العسكرية ببيع السلاح ، وسيكون لدى الولايات المتحدة القدرة على التدخل اذا ما ظهر خطر على مصالحها .

تقدم ترومان في ١٩٤٥/٨/٣١ بطلب رسمي الى أتلي للسماح بدخول مائة ألف يهودي الى فلسطين استناداً الى تقارير هوريسون عن معسكرات اللاجئين اليهود في أوروبا ، ولكن اتلي في ١٩٤٥/٩/١٤ رفض الطلب الذي لن يفشل في ايذاء العلاقات بين البلدين، كما ذكر صراحة أن الطلب سياسي وليس إنسانيا فهناك معسكرات مجهزة لاستقبال اللاجئين في فيلب فيل بالجزائر وغيرها .

تراجع ترومان أمام الرفض البريطاني ، وكانت فلسطين تشهد عمليات الارهاب والتخريب ضد بريطانيا في محاولة القيادة الصهيونية اثبات صحة استخدام القوة .

وحاول وايزمان اتخاذ خطوة من جانبه تثبت صحة خطه الدبلوماسي ضد خط بن جوريون الذي كان يقود الارهاب . وتقدم في ١٩٤٥/١٠/٣ الى وزير الخارجية الاميركي طالباً الغاء سياسة الكتاب الأبيض ، وفتح أبواب فلسطين لكل يهودي راغب في الهجرة اليها وتسهيل مهمة الهجرة اليهودية بسفن اميركية وبريطانية مع انفاق المال في فلسطين بدلاً من انفاقه في معسكرات اللاجئين بأوروبا .

إلا ان مطلب وايزمان الدبلوماسي ،ارهاب بن جوريون لم يُظهر تأثيراً في الموقف

الأميركي الرسمي فقد أعلنت وزارة الخارجية الاميركية في ٤٥/١٠/١٨ م تأكيداً لموقف الولايات المتحدة بعدم إجراء اي تغيير في وضع فلسطين الأساسي الا بعد الاستشارة الكاملة لكل من العرب واليهود وعزمها على مساعدة الضحايا[١] .

وحتى تاريخ البيان يمكننا القول بفشل القيادة الصهيونية في تغيير الموقف الاميركي الرسمي ، ولكنها نجحت في اثارة الرئيس ترومان الذي بدأ يتدخل لصالحها وهو أمر فشلت في تحقيقه عند الرئيس روزفلت مما أعطاها املا كبيرا في المستقبل .

لم تنقطع الاتصالات بين بريطانيا والولايات المتحدة حول مشكلة فلسطين وكانت بريطانيا راغبة في الخروج من المشكلة ، وبادرت الى طلب تشكيل لجنة انجلو اميركية للتحقيق في أوضاع اللاجئين اليهود في أوروبا وفي أوضاع فلسطين ومدى قدرتها على استيعاب المزيد من اليهود.

وبعد ان وافقت الولايات المتحدة على تشكيل اللجنة أعلن بيغن بيانه الذي ذكرناه في الفصل السابق بتاريخ ١٩٤٥/١١/١٣ كما أعلن ترومان في اليوم نفسه تأييده لتشكيل اللجنة رغم قناعته بطلبه دخول مائة ألف يهودي الى فلسطين .

أعلنت اللجنة الانجلو اميركية المشتركة بيانها في أبريل ١٩٤٦ ولم توافق الحكومة البريطانية على تجزئة تنفيذه وطالبت ان ينفذ ككل مما أدى الى خلاف علني مع ترومان ، وانتهى المطاف ببريطانيا الى رفع المشكلة الفلسطينية الى الأمم المتحدة في فبراير ١٩٤٧ . وهي فترة تستحق دراسة خاصة فقد تشابكت فيها المواقف الدولية ، وتغيرت المواقع ، وضاعفت القيادة الصهيونية من استعدادها العسكري ، وأعلنت عن احضار المهاجرين غير الشرعيين الى فلسطين .

ازدادت الأمور تعقيداً عندما قررت الأمم المتحدة تقسيم فلسطين الى دولتين احداهما عربية والأخرى يهودية في ١٩٤٧/١١/٢٩ م وحظي التقسيم بموافقة الولايات المتحدة وامتناع بريطانيا عن التصويت عليه ، الا أنها اعلنت عن عزمها على الانسحاب من فلسطين في ١٥ مايو ١٩٤٨ وهو تاريخ اعلان تأسيس الكيان السياسي الصهيوني في فلسطين وما تبعه من أحداث ما زالت المنطقة العربية تعيشها على المستويات الانسانية والعسكرية والسياسية والوطنية .

* * *

(١) Foreign Relations , 1945 , Press Release .

ـ خاتمة ـ

كانت الفقرة الاساسية في برنامج بال الذي اقره المؤتمر الصهيوني الاول سنة ١٨٩٧ هي المطالبة بتأسيس وطن في فلسطين « للشعب » اليهودي يضمنه القانون العام .

ومنذ ذلك المؤتمر عملت الحركة الصهيونية بوسائل عدة على تحقيق هذه الحقوق ومرت الحركة بخلافات حادة وانقسامات متعددة كان سببها « الاساليب » التي ينبغي اتباعها من اجل تحقيق هذا الهدف وفي فترة من تاريخ الحركة الصهيونية اشتد الجدل الصهيوني حول « الوطن اليهودي » هل ستكون فلسطين هي الوطن . ام تكون شرق افريقيا هي الوطن ؟ وما « ان توفي هرزل في عام ١٩٠٤ حتى انتهى هذا الجدل . واضبحت الفئات الصهيونية منذ عام ١٩٠٥ بلا استثناء متفقة على ضرورة انشاء الوطن اليهودي في فلسطين العربية . واطلق العنان لمختلف الفئات لتستخدم ما تشاء من اساليب لتحقيق هذا الهدف : فتولت الصهيونية العمالية تحقيق الهدف تحت شعار المحراث في يد والسيف في اليد الاخرى حاملة معها بذور الجوع والخوف للفلسطينيين العرب منذ قدومها كما تولت القيادة السياسية الصهيونية تدبير « امر العلاقات مع القوى العالمية المؤثرة في المنطقة العربية وربطت مصالح هذه القوى بالوجود الصهيوني السياسي القوي . ولما كانت هذه القوى ـبغير استثناء ـ قوى غريبة عن المنطقة جاءت لاستعمارها واستغلالها وكان يهمها وجود حليف يعينها في الاستعمار ، فان الحركة الصهيونية تكون بارتباطها معها قد اختارت طريق العمل ـ مع القوى الاستعمارية ـ على قتل طموحات شعوب المنطقة في الحرية والاستقلال ، واتخذت في كثير من مراحل تطورها من الاستعمار الاستيطاني البريطاني نموذجاً احتذت به ، واستخدمته حجة « امام الذين كانوا يطرحون قضية الوجود العربي في فلسطين . ومنذ بداية الثلاثينات في القرن العشرين اصبح تأسيس « الدولة اليهودية » مرتبطا في اذهان القيادة الصهيونية السياسية بالخلاص من الشعب العربي الفلسطيني « لان وجوده يمنع من قبولها دولياً كما يمنع من توطدها محلياً . بغض النظر عن محاولات اخفاء هذا الهدف بشتى

الاساليب .ولم تتورع ـ حين كانت تصطدم احياناً بحقيقة الوجود الفلسطيني ـ عن الاعلان عن نقل هؤلاء الى البلاد العربية المجاورة كحل لتحقيق اهدافها، وعندما تحقق بعض النجاح لهذه القيادات في طرد وابادة جزء كبير من هذا الشعب لم تتورع عن انكار وجوده ولا تزال حتى يومنا هذا تفعل ذلك .

اتبعت القيادة الصهيونية الاسلوب البراجماتي متعدد المراحل في تنفيذ هدفها السياسي وهو تأسيس « الدولة اليهودية » واستخدمت شتى الاساليب في احضار ـ القوى اليهودية (من شباب ومتمولين) ممن رأتهم يصلحون لتنفيذ المشروع الصهيوني وربطت هذا الأمر بحلم ميسياغئي رأت فيه وسيلة من وسائلها المتعددة لدفع اليهود الى الهجرة الى فلسطين ، وعندما كانت تواجه بنقص هؤلاء القادمين كانت تفتعل كل الاحداث التي تلفت نظر يهود العالم الى فلسطين وتجعلهم يؤيدون اهدافها كما تجعل اغنياءهم يدفعون بسخاء من اجل تمويل المشروع .

انتهزت القيادة الصهيونية فرصا متعددة ونجحت فيها من اجل تنفيذ غرضها ومنها فرصة اصدار بعض القوانين الروسية عام ١٨٨٢ ، افتعال حوادث ١٩٢٩ في فلسطين ، تسلم الحزب النازي للحكم سنة ٩٣٣ م واستغلال ما تسميه « باللاسامية » احسن استغلال سواء في داخل المانيا ، ام خارجها ، وجاءت الحرب العالمية الثانية لتعطي القيادة الصهيونية الفرصة الواسعة في تحقيق اهدافها. ففي ظل هذه الحرب نجحت القيادة في تدريب اكبر عدد ممكن من الشباب اليهودي على السلاح وحصلت على اكبر كمية منه ، كما نجحت في ربط ما حل بيهود المانيا على يد النازيين من اضطهاد وقتل بحل المشكلة اليهودية عن طريق « دولة يهودية » في فلسطين حتى لا يتكرر ما حدث في المانيا حسب زعمه ولم تدخر وسعاً في استغلال ما حدث استغلالا سياسيا واهملت كل ما كان يتحتم عمله من جانبها لانقاذ هؤلاء اليهود او العمل على مساعدتهم في محنتهم .

ولم يكن الستة ملايين يهودي حسب الادعاء الصهيوني الذين ذهبوا ضحية النازية في رأي بن جوريون غير صرخة مدوية لنهوض اسرائيل لتصبح قوية منتعشة[1] . لقد باعتهم الصهيونية للهدف الصهيوني .

وطرحت القيادة الصهيونية مقولات لقيت قبولا لدى القوى العالمية الكبرى عند الاتصال بها وكان اكثر هذه المقولات رواجا ان المشروع الصهيوني سيكون نموذجا للحضارة

(١) مرجع سابق Brecher, Michaed, Israel Foreign Policy. System, p . 252.

الغربية في اسيا البربرية . ولكن مطالعة سريعة لبعض ما كتبه قادة الحركة الصهيونية عن اليهود عند قدومهم تنفي هذه المقولة جملة وتفصيلا ويحضرنا في هذا المجال ما كتبته جولدا مائير في كتابها « حياتي » عن الاحوال في مدينة تل ابيب سنة ١٩٢١ ـ ومن المعروف ان جميع سكان مدينة تل ابيب من اليهود ـ « لا يوجد اكياس او اوراق لحمل الفاكهة كما انها مغطاة بالذباب » في الواقع كان كل شيء بدائياً[1] ، لقد دهش جيراننا من اليهود عندما رأونا نضع حاجزاً من « المنخل » على الشباك لمنع دخول الذباب الى المنزل . ومع « ان الجميع كانوا يحتفظون بستار مشبك لمنع القطط من الدخول الى منازلهم ، الا انهم استهجنوا ذلك الستار المانع لدخول الذباب لاعتقادهم ، انه وجد ـ اي الذباب ـ في هذا العالم ليعيش[2] .

فأي حضارة هذه التي جلبها هؤلاء ولا تعرف مبادىء الصحة العامة ! وأي منطقة كانت بحاجة لمثل هذه الحضارة ؟

كما ادخلت الصهيونية في روع مؤيديها وفي روع العالم ـ عن طريق الاعلام الموجه ـ ان مشروعها لن يلقى المعارضة من اهل فلسطين العرب وخيل للكثير من قادة الصهيونية ومن غيرهم ، ان فلسطين وطن بلا شعب ويجب ان يعطى لشعب بلا وطن . وعندما اكتشف زيف هذه المقولة حتى من الصهيونيين انفسهم ركزت الدعاية الصهيونية على عدم ازدحام فلسطين بالسكان وان استمرارامكانياتها الاقتصادية ومواردها بالعمل اليهودي سيجعل من الممكن استيعابها لليهود القادمين ، ولكن العالم اكتشف خطأ هذه المقولة الثانية عن طريق اللجان البريطانية التي قدمت الى فلسطين عندما رأت الوضع الاقتصادي المتردي الذي سببه قدوم المهاجرين اليهود للمواطنين الفلسطينيين وطرحت ضرورة حل « المشكلة اليهودية » في اوروبا بديلا كي تسكت المعارضين لها .

وعندما سكت هؤلاء وفشلت الحركة الصهيونية في احضار من تريد من المهاجرين اليهود لجأت الى اسلوب دعائي ـ سرعان ما تكشف عدم صدقه . . واعلنت ان بريطانيا تخون عهودها لليهود وتمنعهم من دخول فلسطين ولا تسمح لهم بالنجاة من الاضطهاد النازي وعلى الاخص بعد الاعلان عن سياسة الكتاب « الابيض البريطانية عام ١٩٣٩ م التي سمحت بدخول ٧٥ » الف مهاجر يهودي خلال خمس سنوات ، وقد نجحت الصهيونية في توزيع هذه الدعاية الاعلامية مع انها كاذبة من وجهين : فلم يكن ثمة منع

(١) مائير ، الحقد (ترجمة لكتاب حياتي) مرجع سابق . ص ٧٠ .

(٢) مائير ـ الحقد (ترجمة لكتاب حياتي) مرجع سابق ص ٧١ .

من جهة ولا كانت الصهيونية قادرة على جلب هذا الرقم والمهاجرين الجدد من جهة اخرى وينكشف ذلك في النقطتين التاليتين :

١) وجدت القيادة الصهيونية في بعض الحوادث التي تعرضت لها السفن التي نقلت المهاجرين اليهود مجالا رحباً للدعاية وركزت دعايتها على حادثتين اثنتين هما حادثة السفينة باتريا ١٩٤٠ ، وحادثة السفينة ستروما سنة ١٩٤٢ واغرقت الاولى في ميناء حيفا على يد قيادة الهاجانا والثانية قرب استانبول وحتى هذه اللحظة لا يعرف كيف غرقت . وكان مجموع ضحايا اغراق السفينتين حسب الادعاء الصهيوني ٢٨٠ في الاولى ، ٧٦٩ في الثانية « اي بمجموع قدره ١٠٤٩ مهاجراً[١] علماً بان جميع السفن التي غرقت في الفترة ما بين ١٩٣٩ ـ ١٩٤٥ هي خمس سفن فقط :

السنة	اسم السفينة	المكان	الموتى
١٩٣٩	الدانوب	قرب كلادوقو	١١٦٠
١٩٤٠	باتريا	حيفا	٠٢٨٠
١٩٤٠	سفادور	قرب سواحل تركيا	٠٢٣٠
١٩٤٢	ستروما	قرب استانبول	٠٧٦٩
١٩٤٤	مافكورا	قرب استانبول	٠٤٣٠
			٢٨٦٩ المجموع

ونلاحظ هنا عدم تركيز « او ذكر المصادر الصهيونية لحادثة السفينة « الدانوب » والتي كان ضحاياها ١١٦٠ يهودياً وهو عدد يزيد عن مجموع ضحايا باتريا وستروما » ! .

وهو في نظرنا اهمال متعمد اذ ان اكثر من مصدر يهودي لا يؤ يد الصهيونية ذكر تقصير القيادة الصهيونية المتعمد في انقاذ ركاب السفينة .

٢) ونجد في الاحصاءات الصهيونية نفسها ما يكذب تلك الدعاوى بالمنع الانكليزي ، فلقد ورد في « موسوعة اسرائيل والصهيونية » . ان عدد المهاجرين اليهود في الفترة ما

(١) زيادة في التأكيد على التناقض في ذكر الضحايا ورد في موسوعة اسرائيل والصهيونية ص ٥٣٧ ان عدد الضحايا ٢٨٠ بينما ورد في الموسوعة نفسها ص ٨٧٧ ان عدد الضحايا ٢٥٠ فقط .

بين سبتمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤٥ كان على النحو التالي :

السنة	مهاجر «شرعي»	مهاجر غير شرعي	المجموع	
١٩٣٩	٤٠٩٢	٤٣٣٠	٨٤٢٢	
١٩٤٠	٤٥٤٧	٣٨٥١	٨٣٩٨	
١٩٤١	٣٦٤٧	٢٢٣٩	٥٨٨٦	
١٩٤٢	٢١٩٤	١٥٣٩	٣٧٣٣	
١٩٤٣	٨٥٠٧	لا يوجد	(٨٥٠٧	سمح بالدخول
١٩٤٤	١٤٤٦٤	لايوجد	)	لكل يهودي نجا
			(١٤٤٦٤	من النازية.
١٩٤٥	١٢٧٥١	٠٣٧٠	١٣١٢١	
	٥٠٢٠٢	١٢٣٢٩	٦٢٥٢٣[١]	

والاحصائية السابقة تكشف « ان عدد المهاجرين الذين دخلوا فلسطين باذن من السلطات البريطانية وبغير اذن قد بلغ بعد نهاية مدة الكتاب الابيض بسنة ونصف « ٦٢٥٢٣ » بينما كان العدد الذي سمحت به بريطانيا هو « ٧٥ » ألفاً حتى ١ / ٤ / ١٩٤٤ وبمعدل ١٥٠٠ شهرياً بعد هذا التاريخ ، اي بمجموع كلي قدره ٥٠٠و ١٠٦ مهاجر وهذا الرقم يكفي لكي يبين ان القيادة الصهيونية هي التي عجزت عن احضار من تريد من اليهود ولم تكن بريطانيا هي التي حالت دون ذلك ، ولم تكن الدعاية الصهيونية ضد بريطانيا الا غطاء لفشلها في هذا المجال .

ومقابل هذا كله :

الحت القيادة الصهيونية اثناء الحرب على طلب تشكيل قوة يهودية خاصة استعداداً منها لمرحلة ما بعد الحرب ولفرض الأمر الواقع بالقوة على العرب ، وعلى الانكليز ان هم ترددوا رياء للعرب . وعندما وافقت بريطانيا على فكرة تجنيد اليهود ورأت اعطاء هذه الفرصة

(١) Patai , R. Ency . of Zionism and Israel , Hersl Press , Mcgraw Hill , N. Y. 1971 , P . 527 .

للفلسطينيين العرب كذلك زاد اقبال عدد المتطوعين من العرب على عدد اليهود في بداية الامر ، ولم يظهر اليهود حماسا للفكرة مما احرج القيادة الصهيونية ، وحتى توارى فشلها لجأت الى فرض دكتاتورية ارهابية على يهود فلسطين حتى لا تفلت فرصتها الذهبية منها . وكما استخدمت القيادة الصهيونية اسلوب الدعاية الواسع والمكثف في مخاطبة غير اليهود استخدمت هنا كل انواع الارهاب والقسوة والاضطهاد الاجتماعي ضد اليهود من اجل تنفيذ هدف رأته ضرورياً لمستقبل مشروعها بعد الحرب .

وفي الوقت نفسه ، خلال الحرب العالمية الثانية ، ركزت القيادة الصهيونية نشاطها الدبلوماسي على القيادات السياسية للقوى العالمية التي اصبح النصر مؤكداً الى جانبها ولم تغفل طرح وجودها كأداة تصلح لتنفيذ اهداف الدول الكبرى التى اصبح تطلعها واضحاً الى منطقة المشرق العربي واستفادت من الخلاف الانجلو اميركي على المنطقة وادارت ظهرها بعد عام ١٩٤٥ الى بريطانيا لانها اصبحت في حكم المؤكد تعيش ماضي الدولة الكبرى في العالم . وشهد عام ١٩٤٦ الذي اعقب نهاية الحرب وبيان بيفن في ١٣/ ١١/ ٩٤٥ صراعاً مكشوفاً بين القيادات الاستعمارية والصهيونية فكان بن جوريون ضد بيفن وكان ترومان ضد اتلي كما كان ترومان ضد موظفي وزارة خارجيته ، وبن جوريون ضد حاييم وايزمان ، ووصل الصراع في احدى مراحله الى التحدي والتجريح في البيانات السياسية فقد اعلن بيفن انه لم ير في كل الوثائق التي قرأها بما فيها التوراة والانجيل والقرآن ما يشير الى الوعد بدولة يهودية ورد عليه بن جوريون : ان بيفن لم يقرأ لا التوراة ولا الانجيل ولا حتى اوراق حكومته(١) .

وعندما اتفق الاميركيون والبريطانيون على تأليف اللجنة الانجلو ـ اميركية المشتركة للتحقيق في مشكلة فلسطين وتقديم اقتراحاتهم لم يتفق الطرفان على تطبيق اقتراحات اللجنة اذ اصر ترومان الرئيس الاميركي على ادخال مائة الف يهودي الى فلسطين بينما اصرت حكومة بريطانيا على تطبيق جميع الاقتراحات وانتهى الامر الى رفع قضية فلسطين الى الامم المتحدة التي اقرت التقسيم في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧ الى دولتين احداهما عربية والاخرى يهودية على ان تظل منطقة القدس منطقة دولية . ورأت القيادة الصهيونية في القرار ما يعطيها شرعية الوجود واتخذت من تطبيقه قاعدة للانطلاق واعلنت عن تشكيل الدولة اليهودية دون ادنى التزام بمضمون القرار .

عملت القيادة الصهيونية فور اعلان التقسيم على منع ظهور الدولة العربية التي اقرتها

(١) John, R, Ben Curion, a biography, p. 103.

الأمم المتحدة وشنت هذه القيادة حرباً ضد الشعب الفلسطيني لطرده من وطنه . فقد قامت قوات الهاجانا والارجون وشتيرن في الفترة ما بين ديسمبر ٤٧ ، وفبراير ١٩٤٨ م بألفي هجمة عسكرية على المواطنين العرب لارغامهم على المغادرة(١) . وفي شهري مارس وابريل عام ١٩٤٨ م كانت القيادات الصهيونية منشغلة بتنفيذ الخطة « د » الاستراتيجية بهدف الاستيلاء التدريجي على كل فلسطين وطرد سكانها . وقبل شهرين من انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين في ١٥/ ٥/ ٩٤٨ امطرت الهاجانا كل فلسطين بمنشورات تقول فيها :

« على الذين يودون تجنب هذه الحرب والنجاة بحياتهم ان يهربوا بازواجهم واطفالهم لانها ستكون حرباً وحشية لا ترحم »(٢).وحتى يثبت الصهيونيون صحة اقوالهم عمدوا في صباح ٩/ ٤/ ٩٤٨ الى مهاجمة القرية العربية ديرياسين وقتلوا « ٢٥٤ » عربياً يشكلون معظم سكانها وقام الصهيونيون بتصوير جثث القتلى وتسريبها الى القرى العربية ومعها التحذير التالي :

« هذا ما ينتظركم اذا لم تغادروا » . ومع انتهاء الانتداب البريطاني في ١٥/ ٥/ ١٩٤٨ كان هناك « ٢٥٠ » الف عربي فلسطيني قد تم طردهم بالقوة من بلادهم . وقد علق المؤرخ السوفياتي لـ مادز هوريان L. Madz horyan على هذا الامر بقوله :

« لو نفذت هذه العمليات ضد اليهود في أي بلد في العالم لسميت ابادة ، وهذا صحيح . ولكن عندما تم الشيء نفسه ضد العرب اطلق عليه الصهيونيون الاستعماريون : الحصول على أرض بدون شعب لشعب بلا « ارض »(٣) .

اعلن بن جوريون عن انشاء الدولة اليهودية في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨ وكان واضحاً منذ البداية ، ان حدود هذه الدولة سيقررها مجرى الحرب ضد العرب إذ لم يعلن عن حدود لها حتى الان . وعندما حاولت الدول العربية المجاورة الحد من حرب الابادة التي شنها الصهيونيون ضد العرب وتمكنوا من حشد ٢١٥٠٠ جندي مقابل ٦٥ ألف مسلح يهودي تسليحاً ثقيلا ، قام معظم الكتاب الغربيين ومن ورائهم الدعاية الصهيونية بتصوير الامر كما لو كان صموداً صهيونياً امام هجوم كاسح لخمس دول عربية والانتصار عليها ودفنت مأساة الشعب الفلسطيني امام هجمة الدعاية الصهيونية الذي بلغ عدد من طرد منه بالقوة قبل مايو ١٩٤٨ وبعده حوالي تسعمائة الف نسمة وألحق بهم بعد حرب يونيه ١٩٦٧

(١) New times , Soviet weekly , Angust , 81 , Issue 33 , p . 28 .

(٢) (٣) Opcit, p. 29,

حوالي نصف مليون . ولا تزال القيادة الصهيونية تعمل بدأب على طرد البقية الباقية من الشعب الفلسطيني منكرة وجود هذا الشعب دون أن يرف لها جفن .

وعندما تمكنت القيادة الصهيونية من طرد معظم عرب فلسطين اعلنت ان فلسطين كانت في معظمها صحراء خالية بها جزر قليلة من الاستيطان العربي وان الأراضي الاسرائيلية الصالحة للزراعة الآن قد حررت من المستنقعات والقفر[1] وفي رأي لا يختلف كثيراً عن رأي بيريز السابق اعلن ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل السابق في ١٩٦٩/٢/١٧ في جريدة Jerusalem Post « فقط عندما استطاع الصهيونيون جعل الصحراء تزدهر بدأ الفلسطينيون يهتمون باخذها منا »[2] .

ولكن استعراضاً مبسطا للواقع ينفي ادعاء القيادة الصهيونية ويجعلها مدانة امام تصريحاتها . فمن المعروف أن عدد اليهود لم يزد على ستمائة وخمسين الفاً في عام ١٩٤٧ حين كان العرب ٠٠٠ و ٥٦٠ و ١ مما ينفي ادعاء بيريز حول الاستيطان الجزري للعرب ولعل ما كتب عن فلسطين قبل وصول الصهيونية اليها خير اثبات على عدم صدق بيريز فقد ذكر لـ فالنتين في كتابه Palestine, Past and Present الذي نشر في اواخر القرن التاسع عشر اسم اثنتين وعشرين مدينة عربية واعطى وصفاً كاملا لكل منها ولم يذكر مدينة يهودية واحدة اذ ان اول مدينة يهودية ـ تل ابيب ـ تأسست سنة ١٩٠٩ وكان عدد سكانها لا يزيد عن ١٥٠٠ نسمة ، وفي عام ١٩٤٥ كان هناك في فلسطين خمس واربعون مدينة عربية و٨٦٣ قرية ، و٤١ قبيلة . وكان متوسط سكان القرية ما بين ٧٠٠ و ٨٠٠ نسمة ومعدل ملكيتها للاراضي ما بين ٩ و١٢ ألف دونم يزرع منها ما بين ٦ و ٧ الاف دونم أي بحد ادنى مقداره ٠٠٠/ ١٧٨ و ٥ دونم وبحد اعلى مقداره ٠٠٠/ ٠٤١/ ٦ دونم[3] .

وقد ذكرت احصاءات حكومة الانتداب البريطاني في فلسطين سنة ١٩٤٥ ـ ان مساحة فلسطين الكلية هي ٢٠٣و ٣٢٣ و ٢٦ دونمات وان المساحة التي يمكن زراعتها هي ٥٣٨ و٢٠٥ و ٩ دونماً بينما رأت الوكالة اليهودية أن المساحة التي يمكن زراعتها هي :

٠٠٠و ٦٩٧ و١٢ دونم وهذا الرقم يشمل ٠٠٠ و٦٩٥ دونم مزروعة بالغابات واذا ما استثنيت فان المساحة التي يمكن زراعتها حسب احصاء الوكالة اليهودية تصبح ٠٠٠ و

(١) على لسان شيمون بيريز في كتابه Arming of Israel, p. 249.
(٢) مقال للكاتب جورج ألن JPS, Vol VIII, No. 2,wintel 1979, issue 30, p. 88.
(٣) جورج مكاي ـ دولة اسرائيل الصهيونية ـ ترجمة اسد قاسم عن المجرية ص ٧١ غير منشور .

٠٠٢ و ١٢ دونم اي بفارق بين الاحصائيتين قدره ٤٦٢ و ٨٠١ و ٢ دونما[1] .

وقد كانت المساحة المزروعة التي يملكها العرب تساوي ٧/ ٨٤ ٪ من مجموع المساحة المزروعة وتعادل ٣٠٪ من مساحة فلسطين الكلية ! فما مدى صمود الادعاء الصهيوني امام الحقيقة اذا كانت الحقيقة هي الحكم ! .

وحتى لا يجد الصهيونيون منفذاً في ادعائهم بتطور النمو الزراعي في فلسطين نورد الحقائق التالية :

ساهمت رساميل اليهود الاميركية قبل ١٩٤٨ بما قيمته على الأقل ٤٤٥ مليون دولار ومنذ عام ١٩٤٨ حتى ١٩٧٦ استفادت اسرائيل من رأسمال صاف وارد قيمته ٥ و ٣١ بليون دولار (نقلا عن جريدة معاريف في ١/ ٧/ ١٩٧٧)[2] .

وتزايدت بعد سنة ١٩٧٧ بأرقام مخيفة . . .

وحسب تقديرات لجنة التوفيق الدولية استولى الكيان الصهيوني على ممتلكات عربية عام ١٩٤٨ قدرت بـ ٤٨١ مليون دولار (بينما قدرها د . يوسف صايغ ٤ بليون دولار) أي أن الكيان الصهيوني في عام ١٩٤٨ كان لديه دعم مالي دون ادنى جهد يقدر بـ / ٩٢٦ مليون دولار/ اذا ما اعتمدنا الاحصاءات الاجنبية ، وهنا تسقط الاحصاءات الاسرائيلية اي ذكر لاستيلائها على الممتلكات العربية وتدعي ان الاراضي التي يزرعها اليهود زادت من ٥٠٠/ ٥٨٢/ ١ دونم في العام ١٩٤٨/ ١٩٤٩ الى ٠٠٠/ ٣٣٩/ ٣ دونم في ٥٢/ ١٩٥٣ اي بزيادة معدلها ٢٠٪ سنوياً وترد ذلك الى الجهد اليهودي وتنكر ان زيادة الاراضي المزروعة جاءت عن طريق الاستيلاء عليها بالقوة .

كما تذكر هذه المصادر أن الصهيونية انشأت في الفترة ما بين ٤٨/ ٤٩ و ٥٢/ ٥٣ حوالي ٣٧٠ مستعمرة ولكنها لا تذكر أن ٣٥٠ من هذه المستعمرات انشئت على اراضٍ للاجئين الفلسطينيين ، كما تذكر هذه المصادر أن مساحة الاراضي المزروعة في فلسطين ٠٠٠/ ٧٦٨/ ٣ دونم ولكن الدعاية الصهيونية لا تذكر من قريب أو بعيد أن ٨٠٪ من هذه الاراضي أو ما يعادل ٠٠٠/ ١٨٥/ ٢ دونم هي من املاك اللاجئين الفلسطينيين[3] .

واذا ما قارنا الاراضي المزروعة أو الصالحة للزراعة التي اجبر الفلسطينيون العرب على

(١) مقال بقلم جورج الن J PS, Issue 30, p. 92.
(٢) Ibid, p. 96.
(٣) Opcit, p. 98.

تركها في عام ١٩٤٨ حسب تقديرات لجنة التوفيق الدولية وهو ٠٠٠/ ٥٧٤/ ٤ دونم فاننا نصل الى الحقيقة الدامغة وهي ان المساحة المزروعة في فلسطين عام ١٩٧٤ م هي اقل من المساحة المزروعة في عام ٤٧/ ٤٨ ! فأي صحراء هذه التي جعلها الصهيونيون تزدهر ؟

كانت الدولة اليهودية في نظر بن جوريون وسيلة لانقاذ اليهود واصر على انها الحل الوحيد لمشكلة الهجرة اليهودية ولكن هذه الهجرة اصبحت في نظر بن جوريون وسيلة لتقوية الوجود العسكري الصهيوني في فلسطين وجعلها ضرورة امنية لا ينبغي لأحد ان يفكر فيها كما جعل هذه الضرورة الامنية مرتبطة بعدم عودة اي لاجىء فلسطيني عربي الى وطنه مهما كانت الظروف واصر على هذه السياسة بعنف وهدد بالاستقالة من رئاسة الحكومة اذا سمح لأي لاجيء عربي بالعودة واعلن « انه لن يكون سماح بدخول الطابور الخامس ». في رسالته الى ترومان في مايو ١٩٤٩[1] وهنا كشف بن جوريون عن نظرته الحقيقية الى الشعب الفلسطيني وهي نظرة حاقدة على كل ما هو عربي فمن المعروف أن بن جوريون عرف اكثر من لغة منها الانجليزية واليونانية والاسبانية الا انه لم يتكلم العربية مرة واحدة في حياته وعندما سلمت اليه بطاقته الشخصية ورأى أن اسمه مكتوباً فيها باللغتين العبرية والعربية رفض استلامها علانية[2] كما انه حسبما اعلم لم يستخدم كلمة « الفلسطينيين » في حياته وكان يذكرهم دائماً باسم « عرب » وذلك انسجاماً مع اعتقاده المعلن بان العرب غزاة جاؤا الى هذه البلاد واحلوا بها الخراب لذا كان ينبغي طردهم .

فأي حضارة واي تقدم جاء بهما بن جوريون الى الشعب الفلسطيني والى المنطقة العربية !.

نجحت القيادة الصهيونية في انشاء الكيان الصهيوني عام ١٩٤٨ ومنذ ذلك التاريخ لم تشهد المنطقة العربية لحظة سلام وطمأنينة ، فقد جلب هذا الكيان طرد الشعب الفلسطيني بالقوة من وطنه كما جلب حروباً لا تنقطع حملت الدمار والخراب وعملت على تأخير تنمية المنطقة وبدلا من تفكير الشعب العربي في مستقبل حياة زاهرة اصبح تفكيره منصباً على الوسائل التي يحمي بها نفسه من هذا الغزو الجديد الذي يتطلع للسيطرة على جميع مقدراته .

واخيراً هل حقق المشروع الصهيوني احلام اليهود ؟

---

(١) Ben Gurion, A State Builder, p. 166.

(٢) Opcit, 166.

لقد استخدمت القيادة الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ وبعده كل الاساليب من اجل احضار اليهود كما استخدمت كل الدعم الدولي الاستعماري الذي توافر لها سواء على مستوى اقتصادي أو عسكري . ولكن هل استطاعت ان تجعل من فلسطين ارضاً يجد فيها اليهود مـأواهم الاخير وحلا لمشكلتهم ! هل استطاعت الصهيونية ان تحول اليهودي من صانع أو تاجر الى مزارع بمحض ارادته وحريته ؟ وهل نجحت في اجباره على ذلك ؟

يحضرني للرد على هذه المقولة امران : الأول نشرته « جريدة الرأي العام » الكويتية في ٢٠/ ٨/ ١٩٨١ في عددها ٦٣٨٦ صفحة ١٩ نقلا عن احصائية صادرة عن وزارة العمل والشؤون الاجتماعية في الارض المحتلة جاء فيها : « إن عدد الاسرائيليين الذين غادروا « بلادهم » للاقامة في الخارج قد تجاوز خلال الفترة ما بين عام ١٩٦٩ و١٩٧٩ بنحو ١٣٠ ألف عدد المهاجرين الى اسرائيل ». والسؤال هو لماذا غادر هؤلاء !.

ليس لدي جواب عن ذلك غير أن ـ الكيان الصهيوني « لم يحقق طموحات اليهود ولم يكن هذا الكيان رغم كل الدعم المادي والعسكري « غير مشروع » بدأت الايام اثبات فشله ولم تغن العسكرية شيئاً عن تفهم اليهود لعدم صلاحية هذا المشروع » .

أما الأمر الثاني : فيتعلق بمحاولة الصهيونية تحويل اليهود الى زراع .

« يعتبر موشاف تسلفون واحداً من سلسلة مستوطنات اقيمت في سني الخمسينات على الهضاب الواقعة على جانبي طريق القدس سكنته خمسون عائلة يمنية يهودية . . وحاولت الوكالة اليهودية ان تعلمهم اسرار الزراعة . . . بقي هؤلاء يعيشون في الفقر والجهل وتجمد الموشاف حتى حرب « الايام الستة » . . . . وبقدوم العرب انتعش الموشاف . . . ظهرت الفيلات الانيقة وكانت سنة ٦٧ سنة تحول في تاريخ الموشاف »[1] .

لم يكن ما جرى في موشاف تسلفون غريباً ! فقد رأى الارض اهلها الذين عاشوا في شوق اليها منذ عام ٤٨ ورغم ان عودتهم للعمل في ارضهم حدثت في ظروف غير طبيعية ـ فلم تكن العودة دائمة ـ الا انها ارضهم باقية وكما اعطوها الحياة قبل ١٩٤٨ م اعطوها الحياة عندما رأوها ، وكان الشوق الى هذه الارض والارتباط الابدي بها هو الذي جعلها تزهر ولم تتمكن خمسون اسرة يهودية من انعاشها ، لا لأن الارض فقيرة ولكن لأنها ليست ارضهم والزراعة ليست مهنتهم .

---

(١) محمود عباس، القضية ـ افاق جديدة ص ١٧١ (مصـدر سابق) نقلا عن مجلة الارض عدد « ١ » السنة الرابعة ص ٣٢/ ٣٣ نقلا عن جريدة « عل همشمار » .

المصادر العربية

١ ـ ابراهيم العابد : العنف والسلام ، مركز الأبحاث ، بيروت مارس ١٩٦٧ .

٢ ـ أحمد غنيم و أحمد ابوكف : اليهود والحركة الصهيونية في مصر ١٨٩٧ ـ ١٩٤٥ ، دار الهلال ـ القاهرة بدون تاريخ .

٣ ـ أسعد رزوق : المجلس الاميركي لليهودية ، مركز الابحاث ، بيروت ، فبراير ١٩٧٠ .

٤ ـ أسعد عبد الرحمن : المنظمة الصهيونية العالمية ، مركز الابحاث ، بيروت ، يوليه ١٩٦٧ .

٥ ـ اكرم الرافعي (تعريب) : الصهيونية ايدلوجية الامبريالية ، دار الفارابي بيروت ، نوفمبر ١٩٧٣ .

٦ ـ السيد يسن و د . علي الدين هلال (اشراف) : الاستعمار الاستيطاني في فلسطين ١٨٨٢ ـ ١٩٤٨ ، الجزء الاول معهد البحوث والدراسات العربية (جامعة الدول العربية) دار نافع للطباعة والنشر . القاهرة ١٩٧٥ .

٧ ـ الياس سعد : الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة ، مركز الابحاث ، بيروت ، نوفمبر ١٩٦٩ .

٨ ـ الياهوايلات الصهيونية والعرب (مترجم غير مطبوع) ١٩٧٥

٩ ـ اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ، مركز الابحاث ، دراسات

فلسطينية - ٩٢ - بيروت ، يونيه ٧٣ .

١٠ - انيس صايغ (اشراف)
ترجمة العابد وغنز : الفكرة الصهيونية ، النصوص الاساسية ، مركز الابحاث ، بيروت ١٩٧٠ .

١١ - ايجال آلون : اسرائيل ، الكفاح من أجل الامة ، أحاديث باللغة العبرية ، ترجمة ليليان سيرغييه ١٩٧٧ غير مطبوع .

١٢ - ايجال آلون : انشاء وتكوين الجيش الاسرائيلي ترجمة ناجي علوش و عثمان سعيد ، دار العودة ، بيروت ، اكتوبر ١٩٧١ .

١٣ - جورج مكاي : دولة اسرائيل والصهيونية ترجمة محمد أسد قاسم عن المجرية غير مطبوع .

١٤ - جولدا مائير : الحقد ، دار المسيرة ، الطبعة الأولى ، بيروت ١٩٧٩ ، يوميات قادة العدو (٢) ترجمة كتاب .

١٥ - حبيب قهوجي : الصحافة والمجتمع الاسرائيلي ، مؤسسة الارض ، دمشق ١٩٧٥ .

١٦ - خيريه قاسمية وعلي ابراهيم عبده
: يهود البلاد العربية ، مركز الابحاث بيروت .

١٧ - دزموند ستيوارت : تاريخ الشرق الاوسط الحديث (مترجم) دار النهار للنشر ، بيروت ١٩٧٤ .

١٨ - ريما وليد الخالدي : القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني . مركز الدراسات الفلسطينية ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٣ .

١٩ - ستيفنس : الصهيونية الاميركية وسياسة اميركا الخارجية ١٩٤٢ - ١٩٤٧ ، ترجمة جورج واكيم ، دار الطليعة ، الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٦٧ .

٢٠ - د . صلاح العقاد : الحرب العالمية الثانية تاريخ العلاقات الدولية ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، يوليه ١٩٦٣ .

٢١ - د . صلاح العقاد : المشرق العربي المعاصر ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ .

٢٢ - عادل احمد الجادر : اثر قوانين الانتداب البريطاني في اقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين ، مطبعة سعد ، بغداد ١٩٧٦ .

٢٣ - عزيز العظمة : اليسار الصهيوني ، مركز الأبحاث ، بيروت ، ١٩٦٩ .

٢٤ - فايز صايغ : الدبلوماسية والصهيونية ، مركز الابحاث ، بيروت مايو ١٩٦٧ م .

٢٥ - محمد عادل شكري : النازية بين النظرية والتطبيق ، الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة (بدون تاريخ) .

٢٦ - محمود عباس : القضية افاق جديدة ، الطبعة الأولى ، دار القدس ، بيروت ، ١٩٧٩ .

٢٧ - مصطفى الدباغ : بلادنا فلسطين ، الجزء الأول ، الطبعة الاولى منشورات الطليعة ، بيروت ١٩٦٥ .

٢٨ - ناجي علوش : الماركسية والمسألة اليهودية ١٨٤٤ - ١٩٦٨ ، الطبعة الأولى ، دار الطليعة ، بيروت ، فبراير ١٩٦٩ .

٢٩ - نزيه قوره : المشروع الصهيوني في مواجهة التحدي ، مؤسسة الارض للدراسات الفلسطينية - دمشق .

٣٠ - وليام شيرر : تاريخ المانيا الهتلرية ، نشأة وسقوط الرايخ الطبعة الثانية ، القسم الرابع ، الكتاب الخامس بغداد ، مايو ١٩٦٦ . تعريب خيري حماد .

٣١ - مذكرات الجنرال ديجول
: الجزء الأول ، مكتبة المثنى - بغداد ، تعريب خيري حماد .

٣٢ - مذكرات ونستون تشرشل : اخترنا لك ، الدار القومية للطباعة والنشر .

٣٣ - محمد عبد الرؤف سليم : نشأة الوكالة اليهودية منذ انشائها وحتى قبل دولة اسرائيل ١٩٢٢ - ١٩٤٨ ، جامعة عين شمس ١٩٧٧ (رسالة دكتوراه)

رسائل دكتوراه وماجستير غير منشورة :

١ - حسن صبري الخولي : سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الاول من القرن العشرين ، المجلد الاول مايو ١٩٦٧ (جامعة الازهر) رسالة دكتوراه .

٢ - فائق طهبوب : الحركة العمالية والنقابية في فلسطين ١٩٢٥ - ١٩٤٨ ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ ، (رسالة دكتوراه) .

٣ - عبد الرحيم حسين : حزب المباي ودوره في تأسيس اسرائيل ١٩٣٠ - ١٩٤٨ ، جامعة القاهرة ١٩٧٤ (رسالة ماجستير) .

٤ ـ عصام السبع : الارهاب الصهيوني خلال فترة الانتداب البريطاني ١٩٢٢ ـ ١٩٤٨ ، جامعة القاهرة ١٩٧٩ (رسالة ماجستير) .

الدوريات العربية

١ ـ شؤون فلسطينية (شهرية) تصدر عن مركز الابحاث الفلسطينية في بيروت .

٢ ـ المختار من مجلة الدراسات الفلسطينية (ترجمة عن الانجليزية) غير منتظمة تصدرها جامعة الكويت .

المعاجم والموسوعات :

١ ـ المعجم العسكري ، القسم الثاني ، الجمهورية العربية المتحدة ، دمشق ١٩٦١ م .

٢ ـ موسوعة السياسة ، عبد الوهاب الكيالي وآخرون ، الجزء الثاني ، الطبعة الاولى ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، بيروت ١٩٨١ .

المصادر الأجنبية

1. **Allon, Yigal,** Shield of David, Weiden field and Nicolson, Tel, Aviv, 1970.
2. **Arakie, Margaret,** The Broken Sword of Justice, Quarter Books, London, 1973.
3. **Avi Hai, Avraham,** Ben Gurion a state builder, 1948-1963, John Wiley and Sons, N.Y., Toronto, 1974. (Ph. D.)
4. **Bansten R. Thomas,** Recollections, David Ben Gurion,1st Publishing, London 1970.
5. **Ben Gurion, David,** Israel, A Personel History, New English Library, London 1972.
6. **Ben Gurion, David,** My Talks with Arab Leaders, Keter books, Jerusalem, 1972.
7. **Ben Gurion, David,** The Jews in their land, Aldus books London, 1966.
8. **Ben Hecht,** Perfidy, Julian Messnerinc. N.Y. 3rd Printing, 1961.
9. **Bethel, Nicolson,** The Palestine Triangle, Andre, Dutch, London, 1979.
10. **Bishuti, Bassam,** The Role of ZionistTerror in the creation of Israel, PRC. Beirut, April, 1969.
11. **Boher, Arie,** The other Israel, Anchor books, N.Y. 1972.
12. **Brecher, Michael,** The Foreign Policy System of Israel, Oxford University Press, London, 1972.
13. **Cohen, Aharon,** Israel and the Arab World, W.H. Allen, London, 1970.
14. **Cohen, Micheal,** Palestine Retreat from the Mandate, Paulelek, London, 1978, (Ph. D.)
15. **Dawidwicz, Lucy, S.,** The War against the Jews, Weiden field and Nicolson, London, 1975.
16. **Dayan, Moshe,** Story of Mylife, Weiden field and Nicolson, London, 1976.
17. **Drinan, E. Robert,** Honor the Promise, double day and comp. Inc. Garden City, N.Y.1977.
18. **Eban Abba** ,My People , the story of the jews , Behrman house inc , Random house , U. S. A., 1969.
19. **Eban, Abba,** Auto Biography, A Futura book, London 1979.
20. **Esco, Vol. II,** Kans repint co. N.Y. 1970.

21. **Erindut, Hana,** Eichman in Jerusalem, Benguin books, 1978.
22. **Furlonge, Geoffery,** Palestine is my Country, the story of Musa Alami', London 1969.
23. **Hadawi , Sami ,** Better Harvest , Palestine , 1914 - 1967, New World Press , N. Y. 1967.
24. **Halpern, Samaul,** The Political world of American Zionism, Detroit, 1961.
25. **Hurt's, Liddle,** History of the Second world war,Cassell, London, 1970.
26. **John, Robert and Hadawi, Sami**, The Palestine Diary PRC, Beirut, 1970.
27. **Khouri, J. Fred,** The Arab Israel Dilemma, Syracuse University, N.Y., 1969.
28. **Kirk, George,** Middle East in the War, 1939-1946, Oxford Press, 1952.
29. **Kimche, John and David,** YThe secret Roads, Illegal Immigration, 1939-1948, Farrak, Status and Cudahy, N.Y. 1955.
30. **Khaldi, Walid,** From Haven to Conquest, IPS, Beirut, 1976.
31. **L. Valentine,** Palestine, Past and Present, Fredreik Warne and comp. London.
32. **Laquer, Walter,** A History of Zionism, Weiden field, and Nicolson, London 1972.
33. **Monroe, Elizabeth,** Britain's Moment in the Middle East, 1914-1945, Fahen Ham and reading, London, 1963.
34. **Marlow, John,** The seat of Pilate, Cresset Press, London, 1959.
35. **Minertzhagen, Richared,** M.E. Diary, 1917-1956, TheCresset Press, London 1959.
36. **Neave, Airey,** Nurmberg, Hodder and stoughton, 4th impression, 1979.
37. **Perlmuter, Amos,** Military and Politics in Israel franc cass and comp. London, 1969.
38. **Pearlman, Moshe,** Ben Gurion looks backs, Weiden field and Nicolson, London, 1965.
39. **Patai , Raphael ,** Israel between East and West , 2nd , edition , green wood pob- lishing comp . **1970.**
40. **Polk, R. William and Others,** Black Drop to tragedy, Boston, U.S.A. 1957.
41. **Safran, Nadav,** United States and Israel, Harvard press, Mass., 1963.
42. **Shonfeld, Reb., Moshe,** The Holocaust, victims accuse, Part I, Neutra Karta of U.S.A. Brooklyn, N.Y. 1977.
43. **St. John Robert,** Ben Gurion, A Biography, double day and Company inc. Gardencity N.Y., 1971.
44. **Sacher, M. Howard,** Europe Leaves the Middle East, 1936-1945, Allan Lane, Great Britain, 1974.
45. **Samuels, Gertrude,** Ben Gurion Fighter of Goliath, Story of Ben Gurion, Samauls Thomas, Y. Growell N.Y. 1965.

46. **Sykes, Christopher,** Cross Roads to Israel, Collins, St. Jame's Palace, London, 1965.
47. **Sykes, Christopher,** Orde Wingate , Cleveland , 1959.
48. **Stevens, Richard,** Weizmann and Smuts IPS, Beirut, 1975.
49. **V. Trukhanovsky** Bretish Foreign Policy during ,world War II, 1939-1945, Translated by: David Skvirsky, USSR, 1970.
50. **Taylor, Y. Alan,** TheZionist Mind. IPS, Beirut, 1974.
51. **Teveth, Shabtai,** Moshe Dayan, Weiden field and Nicolson, London, 1972.
52. **Weizmann, Haim,** Trial and Error, Schoken books, N.Y. 1966.
53. **Wilson, M. Evan,** Jerusalem, Key to Peace, M.E. Institute, Washington D.C., 1970.
54. **Yahaya, Faris,** Zionist Relations with Nazi Germany, PRC, Beirut, 1978, Un Published copy.

الدوريات الأجنبية

1. Encounter
2. International Affairs
3. Journal of Palestine Studies
4. Middle Eastern Studies
5. Les temps Modernes
6. Supplement to the Palestine EconomicReview, Zionistcongress, 1946.

الموسوعات ودوائر الاعلام الأجنبية

1. Encyclopedia of Zionism and Israel, Edited by: R. Patai, Herzl Press, Mcgraw Hill, N.Y., 1971.
2. Who is who in Jewish History, Joan Comay, Weiden Field and Nicolson, London, 1974.

بعض الترجمات عن الموسوعة اليهودية

الخرائط المرفقة :

١ ـ خريطة وايزمان الى مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ .
٢ ـ اقتراح بيل بتقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ .
٣ ـ توزيع مناطق نقل ملكية الأراضي سنة ١٩٤٠ .
٤ ـ اقتراح اللجنة الوزارية البريطانية سنة ١٩٤٤ بتقسيم فلسطين .

مصادر البحث

الوثائق

١ ـ الأميركية

1 - Foreign Relations of United States , Diplomatic Papers , 1939 , vol . IV , The Far East and Africa . Palestine .
2 - Foreign Relations of United States , Diplomatic Papers , 1940 , Vol . III , The British Common Wealth , The Soviet Union , The Near East and Africa . (Palestine) .
3 - Foreign Relations of United States , Diplomatic Papers , 1941 , Vol . III , British Common Wealth , The Near East and Africa , Palestine .
4 - Foreign Relations of United States , Diplomatic Papers , 1942 . PALESTINE .
5 - Foreign Relaions of United States , Diplomatic Papers , 1943 , Vol . IV . Near East and Africa (Palestine) .
6 - Foreign Relations of United States , Diplomatic Papers , Vol. V. , 1944 . Near East , South Asia and Africa (Palestine) .
7 - Foreign Relations of United States , Diplomatic Papers , Vol . VIII , Near and Africa , Palestine .

٢ ـ الوثائق البريطانية :

وثائق غير منشورة

Co - 733 - 461 - Part 1 , 7935 .

Co - 733 - 461 - 75872 , 1944 , Part 2 , 7953 .

CO - 733 - 461 - 75872 - 22 - 44 , Part 1 , 7935 .

الدوريات الأجنبية

1. Encounter
2. International Affairs
3. Journal of Palestine Studies
4. Middle Eastern Studies
5. Les temps Modernes
6. Supplement to the Palestine Economic Review, Zionist congress, 1946.

الموسوعات ودوائر الاعلام الأجنبية

1. Encyclopedia of Zionism and Israel, Edited by: R. Patai, Herzl Press, Mcgraw Hill, N.Y., 1971.
2. Who is who in Jewish History, Joan Comay, Weiden Field and Nicolson, London, 1974.

بعض الترجمات عن الموسوعة اليهودية

الخرائط المرفقة :

١ ـ خريطة وايزمان الى مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩ .
٢ ـ اقتراح بيل بتقسيم فلسطين سنة ١٩٣٧ .
٣ ـ توزيع مناطق نقل ملكية الأراضي سنة ١٩٤٠ .
٤ ـ اقتراح اللجنة الوزارية البريطانية سنة ١٩٤٤ بتقسيم فلسطين .

مصادر البحث

الوثائق

١ ـ الأميركية

1 - Foreign Relations of United States, Diplomatic Papers, 1939, vol. IV, The Far East and Africa. Palestine.

2 - Foreign Relations of United States, Diplomatic Papers, 1940, Vol. III, The British Common Wealth, The Soviet Union, The Near East and Africa. (Palestine).

3 - Foreign Relations of United States, Diplomatic Papers, 1941, Vol. III, British Common Wealth, The Near East and Africa, Palestine.

4 - Foreign Relations of United States, Diplomatic Papers, 1942. PALESTINE.

5 - Foreign Relaions of United States, Diplomatic Papers, 1943, Vol. IV. Near East and Africa (Palestine).

6 - Foreign Relations of United States, Diplomatic Papers, Vol. V., 1944. Near East, South Asia and Africa (Palestine).

7 - Foreign Relations of United States, Diplomatic Papers, Vol. VIII, Near and Africa, Palestine.

٢ ـ الوثائق البريطانية :

وثائق غير منشورة

Co - 733 - 461 - Part 1, 7935.

Co - 733 - 461 - 75872, 1944, Part 2, 7953.

CO - 733 - 461 - 75872 - 22 - 44, Part 1, 7935.

CO - 733 - 461 - 75872 - Part 2 , 7935 .

CO - 733 - 461 - 75872 - Part 2 , 7935 , E 5377 - 95 - G .

CO - 733 - 461 - 75872 - Part 2 , 7935 , 75113 - 44 .

CO - 733 - 461 - 75872 - Part B , 7935 , 1944 , P. (M) (44) 14 .

CO - 733 - 461 - 75872 - Part 1, 1944 , 7935 , C . S . 602 .

وثائق منشورة

FO- 371 - 24566 - 2 .

FO - 371 - 2712675 .

FO - 371 - 31478 - 90 .

FO - 371 - 4 - 093 .

FO - 371 - 35034 .

WO - 32 - 10260 .

٣ ـ الوثائق الصهيونية

– Report of the Jewish Agency for theYear 1940.Published by the Jewish Agency for Palestine , 77 Great Russell street , W. C. I , London .

– Activities in Palestine , during the war , summary Report of the Jewish Agency for Palestine , Published by the Information Department of the Jewish Agency for Palestine , London 1943 .

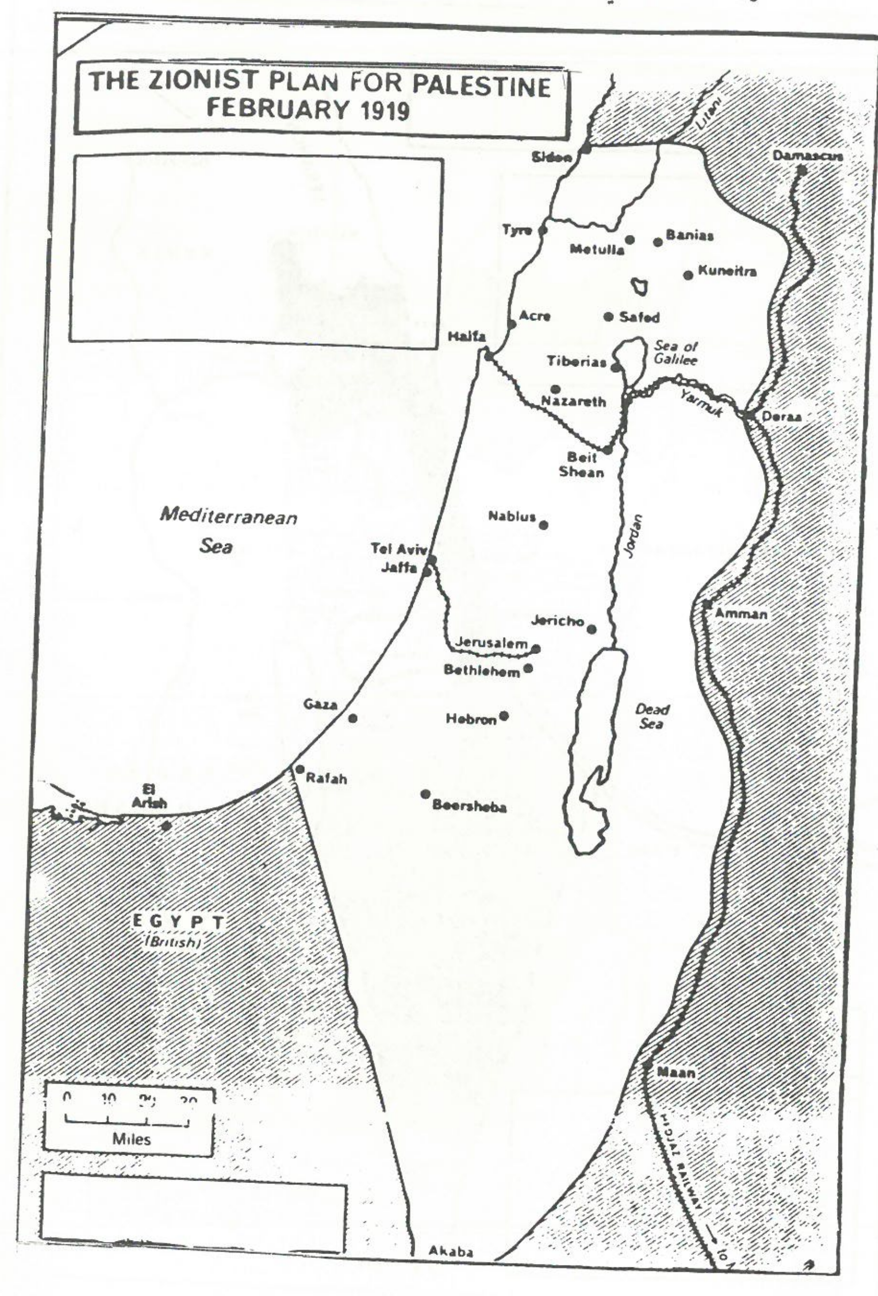
– Memorandum to delegates to the 21 world zionist congress , 1939 .

Library of congress , August 8 , 1939 , Division of documents .

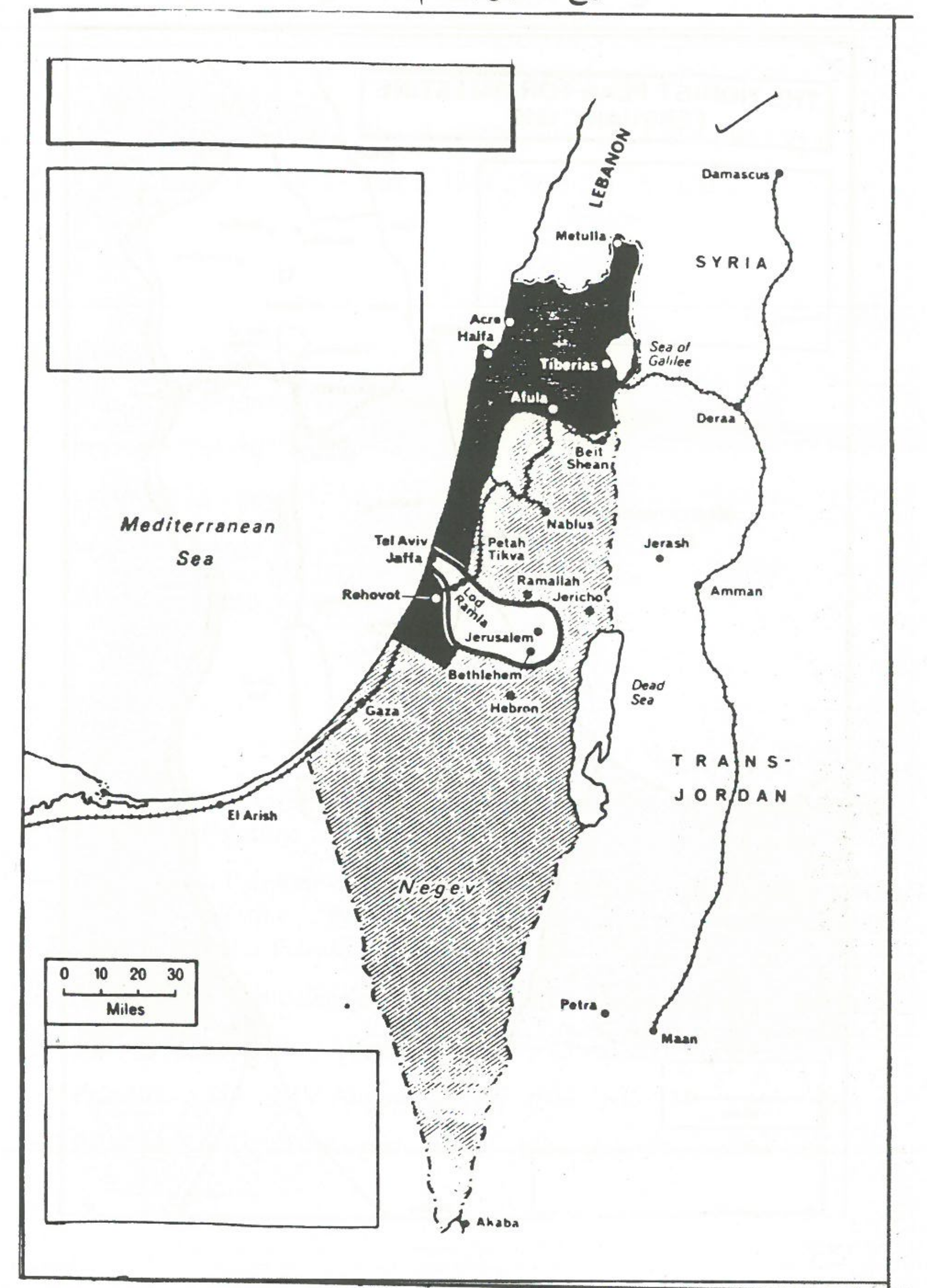
– Palestine , Vol . XIV August 23 rd , 1939 , NO . 34.

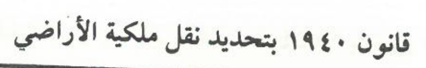
– Palestine , vol . XIV August 16 th , 1939 NO. 33 .

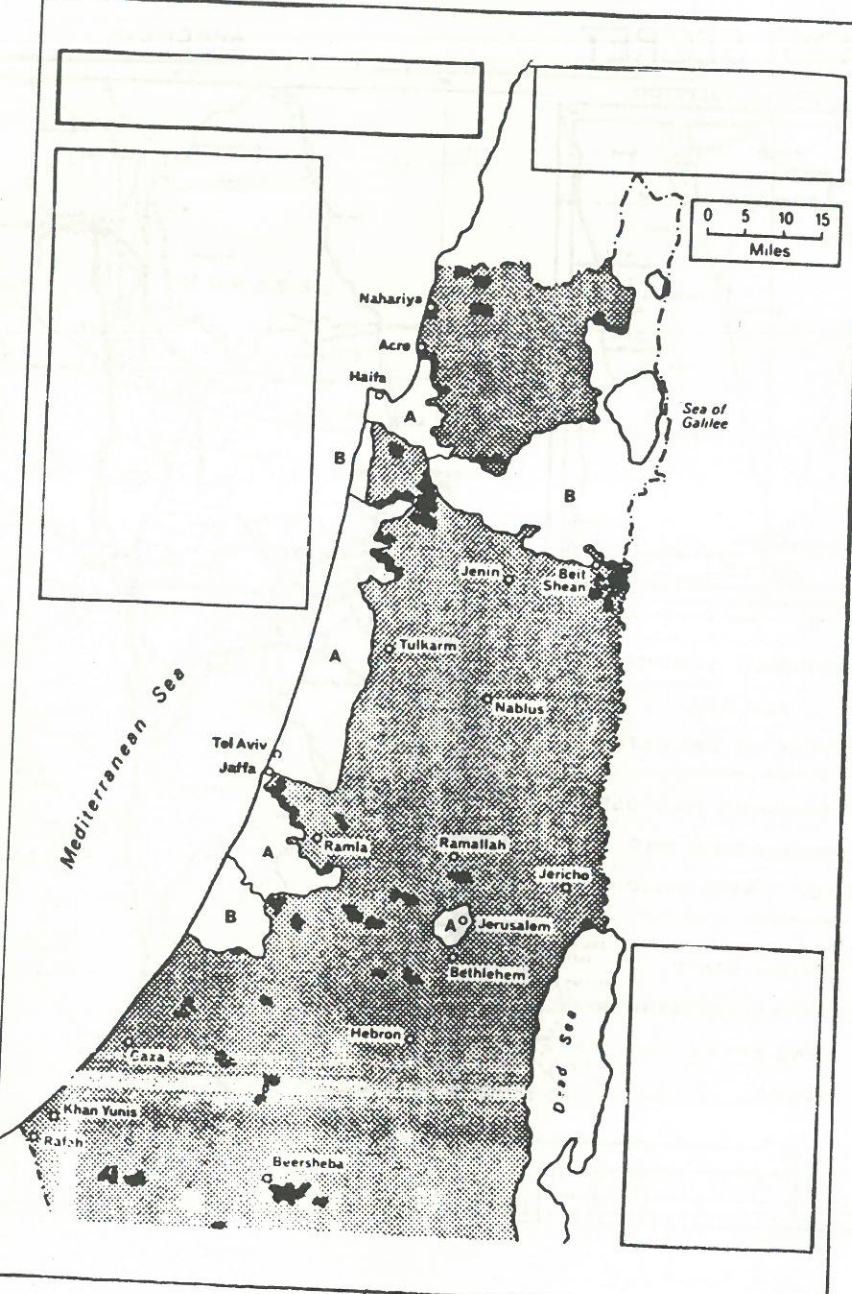
خريطة المناطق التي طالب بها وايزمان في مؤتمر الصلح سنة ١٩١٩



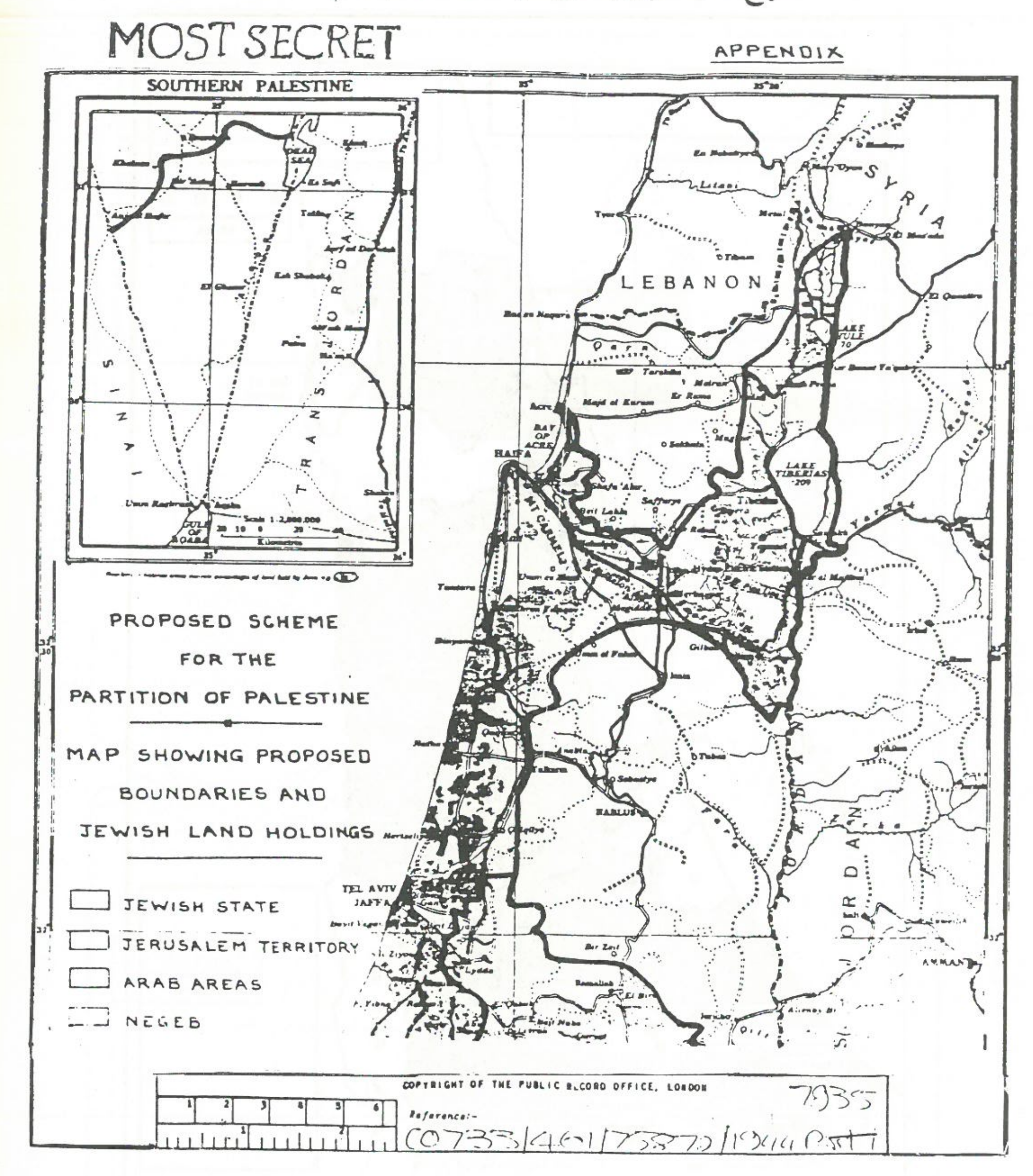
اقتراح لجنة بيل بتقسيم فلسطين ١٩٣٧







اقتراح اللجنة الوزارية البريطانية سنة ١٩٤٤ بتقسيم فلسطين



الفهرس

الفصل الثالث :

الفصل الرابع :

الفصل الخامس :

الفصل السادس :

الفصل السابع :